



الجمعية العلمية لكليات الآداب



اتحاد الجامعات العربية

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

مجلة علمية نصف سنوية محكمة

تصدر عن الجمعية العلمية لكليات الآداب في الجامعات الأعضاء
في اتحاد الجامعات العربية

© جميع الحقوق محفوظة للجمعية العلمية لكليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2013

لا يجوز نشر أي جزء من هذه المجلة أو اقتباسه دون الحصول على
موافقة خطية مسبقة من رئيس التحرير

الآراء الواردة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي
هيئة التحرير أو سياسة الجمعية العلمية لكليات الآداب

تنفيذ وإخراج: مجدي الشناق

هيئة التحرير

رئيس التحرير

محمود وردات، الأمين العام للجمعية العلمية لكليات الآداب، عميد كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

الأعضاء

- أ.د. عباطة ظاهر، عميد كلية الآداب، الجامعة الأردنية.
- أ.د. محمد ربيع، عميد كلية الآداب، جامعة جرش.
- أ.د. محمد العناني، عميد كلية الآداب، جامعة البترا.
- أ.د. عبد الباسط الزيود، عميد كلية الآداب، الجامعة الهاشمية.
- أ.د. عبد الحميد غنيم، عميد كلية الآداب، جامعة الزرقاء.
- أ.د. غسان عبد الخالق، عميد كلية الآداب، جامعة فيلادلفيا.
- أ.د. محمد الدروبي، عميد كلية الآداب، جامعة آل البيت.
- أ.د. غالب الشاويش، عميد كلية الآداب، جامعة الحسين بن طلال.

اللجنة الاستشارية

- أ.د. ميمونه خليفة الصباح، جامعة الكويت، الكويت.
- أ.د. رامي محمد الله، جامعة النجاح، فلسطين.
- أ.د. عبد الله النبهان، جامعة البعث، سوريا.
- أ.د. يوسف عبد الله، جامعة صنعاء، اليمن.
- أ.د. علي فهمي، رئيس مجمع اللغة العربية، ليبيا.
- أ.د. خليل جهجه، الجامعة اللبنانية، لبنان.
- أ.د. فؤاد شهاب، البحرين.
- أ.د. محمد الهدلق، السعودية.
- أ.د. عادل الطويس، الأردن.
- أ.د. حسنين ربيع، قطر.
- أ.د. عز الدين الأمين عبد الرحمن، السودان.
- أ.د. عبد الحميد جكون، الجزائر.
- أ.د. سامي عبد الحميد محمود، الشارقة.
- أ.د. موسى جواد الموسوي، جامعة بغداد، العراق.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

مجلة علمية نصف سنوية محكمة

القواعد الناظمة للمجلة

- مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب مجلة علمية نصف سنوية محكمة معتمدة تصدر عن الجمعية العلمية لكليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية.
- يقدم البحث للنشر باللغة العربية مع ملخص له باللغة الانجليزية، ويجوز أن يقدم بإحدى اللغتين الإنجليزية أو الفرنسية أو أية لغة أجنبية أخرى تتيسر طباعتها بموافقة هيئة التحرير مع تقديم ملخص له باللغة العربية.
- تنشر المجلة البحوث العلمية التي تتوافر فيها الأصالة والمنهجية العلمية والإحاطة والاستقصاء، والتي تراعى فيها الإشارات الدقيقة إلى المصادر والمراجع، ولم تقدم للنشر في أي مكان آخر، ويجوز نشر نقد متخصص أو مراجعة لأحد المؤلفات العلمية الصادرة في الوطن العربي أو خارجه بالإضافة لنشر تقارير عن الندوات والمؤتمرات التخصصية العربية والعالمية، وتعد البحوث التي تقبل للنشر بحثاً معتمدة لأغراض الترقية.
- تعنى المجلة بنشر البحوث العلمية المقدمة إليها في مجالات الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية والخدمة الاجتماعية والصحافة والإعلام.
- أن يكون البحث مرقوناً على الحاسوب وبمسافة مزدوجة بين السطور، وتقدم أربع نسخ منه مع قرص من قياس 3.5 انش، متوافق مع أنظمة (Ms Word) IBM.
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث بما فيها الأشكال والرسوم والجداول والملاحق على ثلاثين صفحة.
- تعرض البحوث المقدمة للنشر في المجلة حال قبولها مبدئياً على محكمين اثنين في الأقل من ذوي الاختصاص، يتم اختيارهما بسرية مطلقة من رئيس التحرير.
- تحتفظ المجلة بحقوقها في الطلب من المؤلف أن يحذف أو يعيد صياغة بحثه أو أي جزء منه بما يتناسب وسياستها في النشر.
- تنتقل حقوق طبع البحث ونشره إلى المجلة عند إخطار صاحب البحث بقبول بحثه للنشر .
- لا تدفع المجلة مكافأة عن البحوث التي تنشر فيها.
- تهدي المجلة لمؤلف البحث بعد نشره نسخة العدد الذي نشر فيه.

- ترسل البحوث على العنوان التالي: -

الأستاذ الدكتور أمين عام الجمعية العلمية لكليات الآداب،

رئيس تحرير مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

عميد كلية الآداب

كلية الآداب - جامعة اليرموك، اربد، الأردن

هاتف: 00962 2 7211111 فرعي 2900 أو 3555

فاكس: 00962 2 7211137

البريد الإلكتروني: e-mail: saufa@yu.edu.jo

e-mail: artsarabuni@gmail.com

الموقع الإلكتروني: http://saufa.yu.edu.jo website:

التوثيق

ترقم الإحالات في متن البحث بطريقة متسلسلة، بين قوسين صغيرين^(١).

وتكون هوامش الإحالة إلى المصادر والمراجع في نهاية البحث على النحو التالي، في حالة أن يكون المصدر أو المرجع كتاباً:

إسم المؤلف كاملاً: المصدر أو المرجع، عدد الأجزاء، مكان النشر، الناشر، السنة، الصفحة.

ضيف، شوقي: العصر العباسي الأول، مصر، دار المعارف، 1966، ص24.

وفي حال الرجوع إلى الدوريات أو المجلات تكون الإحالة إليها على النحو التالي:

إسم المؤلف كاملاً: عنوان البحث، إسم الدورية أو المجلة، المجلد، العدد، السنة، الصفحة.

مثال:

سعيدان، أحمد سليم: "حول تعريب العلوم"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، المجلد الأول، العدد الثاني، تموز 1978، ص101.

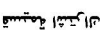
وتثبت في آخر البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في بحثه حسب التسلسل الألف باني لاسم المؤلف العائلي، بحيث تذكر المراجع العربية أولاً ثم تليها المراجع الأجنبية.

الاشتراك في المجلة

الاشتراك السنوي للأفراد: ثلاثة دنانير داخل الأردن وسبعة دولارات أمريكية أو ما يعادلها خارج الأردن وللمؤسسات خمسة دنانير داخل الأردن وعشرة دولارات أمريكية أو ما يعادلها خارج الأردن.

محتويات العدد

البحوث باللغة العربية	
1	* المثل في مقامات بديع الزمان الهمذاني "دراسة فنية" هاشم العزام
23	* أسطول البن العماني وتجارته من 1744م- 1832م ناهد عبد الكريم ويوسف الغيلاني
71	* حركة الترجمة والتعريب في الوطن العربي: تاريخها ومعطياتها رجحان عبدالخالق التميمي
89	* العلاقات التركية السورية (2002-2010) صداح أحمد الحباشنة
127	* التضمين النحوي في تفسير "التحرير والتنوير" لابن عاشور (1296هـ = 1879م - 1393 هـ = 1973م) مأمون تيسير مباركة
145	* مدى تقبل الأردنيين لإعلان الإنترنت إبراهيم خصاونه
187	* تطور "دبلوماسية الأسلحة" الصينية في الشرق الأوسط في الفترة 1950-2009: دراسة مقارنة لمبيعات الصين العسكرية لكل من الدول العربية وإيران وإسرائيل خير سالم نيايات
227	* القدس الشريف في الرسائل العلمية في أقسام التاريخ في الجامعات الحكومية الأردنية تيسير الزواهره
265	* أثر الخصائص الاقتصادية والاجتماعية على أنماط الجرائم لدى النزيلات في مركز إصلاح وتأهيل النساء في الجريدة - المملكة الأردنية الهاشمية نازك الشناق
303	* السرد في ديوان "أثر الفراشة" للشاعر محمود درويش: دراسة في ضوء النقد الروائي نزار قبيلات
ملخصات العربي للبحوث الإنجليزية	
12	* العدو في الداخل: ازدواجية الكره والحب في "العميل السري" مشاعل السديري
39	* الوظائف البرغماتية لصيغة الأمر في اللهجة الأردنية رشيد الجراح ومحمد الحمديه

Subscription Form	<p>Association of Arab Universities Journal for Arts A Biannual Refereed Academic Journal Published at Yarmouk University, Irbid, Jordan by the Society of Arab Universities Faculties of Arts, Members of AARU.</p>	<p>مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب مجلة علمية نصف سنوية محكمة تصدر في جامعة اليرموك، إربد، الأردن، عن جمعية كليات الآداب في الجامعات أعضاء اتحاد الجامعات العربية.</p>	
Name: Address: P.O. Box: City & Postal Code: Country: Phone: Fax: E-mail: No. of Copies: Payment: Signature: تُرسل الشيكات المصرفية مدفوعة لصالح "جمعية كليات الآداب، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن." Cheques should be paid to The Society of Arab Universities Faculties of Arts, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.	الاسم: العنوان: ص.ب.: المدينة والرمز البريدي: الدولة: هاتف: فاكس: البريد الإلكتروني: عدد النسخ: طريقة الدفع: التوقيع: تُرسل الشيكات المصرفية مدفوعة لصالح "جمعية كليات الآداب، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن." Cheques should be paid to The Society of Arab Universities Faculties of Arts, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.	أرغب الاشتراك بالمجلة لعدة <input type="checkbox"/> سنة واحدة <input type="checkbox"/> سنتان <input type="checkbox"/> ثلاث سنوات I would like to subscribe to the Journal For <input type="checkbox"/> One Year <input type="checkbox"/> Two Years <input type="checkbox"/> Three Years سعر النسخة الواحدة (دينار أردني) One Issue Price سعر البيع العادي 2.000 دينار 2.000 سعر البيع للطلبة 1.300 دينار خصم 40% للمكتبات ومراكز البيع 40% Discount for Bookshops and Libraries أسعار الاشتراك السنوي One Year Subscription Rates داخل الأردن Outside Jordan Inside Jordan خارج الأردن 7 دولارات أمريكية US \$ 7 10 دولارات أمريكية US \$ 10 الأفراد 3 دينار JD 3.00 Individuals 5 دينار JD 5 Institutions المؤسسات	مراسلات البيع والاشتراكات: الأستاذ الدكتور أمين عام جمعية كليات الآداب. رئيس تحرير "مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب" عميد كلية الآداب كلية الآداب - جامعة اليرموك، إربد، الأردن. هاتف: 00962 2 7211111 فري 3555 2900 فاكس: 00962 2 7211137
Subscriptions and Sales: Correspondence Secretary General The Society of Arab Universities Faculties of Arts Editor - in - Chief Dean of the Faculty of Arts Yarmouk University, Irbid, Jordan. Tel. 00962 2 7211111 Ext. 3555 or 2900 Fax. 00962 2 7211137	Correspondence Secretary General The Society of Arab Universities Faculties of Arts Editor - in - Chief Dean of the Faculty of Arts Yarmouk University, Irbid, Jordan. Tel. 00962 2 7211111 Ext. 3555 or 2900 Fax. 00962 2 7211137	Correspondence Secretary General The Society of Arab Universities Faculties of Arts Editor - in - Chief Dean of the Faculty of Arts Yarmouk University, Irbid, Jordan. Tel. 00962 2 7211111 Ext. 3555 or 2900 Fax. 00962 2 7211137	مراسلات البيع والاشتراكات: الأستاذ الدكتور أمين عام جمعية كليات الآداب. رئيس تحرير "مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب" عميد كلية الآداب كلية الآداب - جامعة اليرموك، إربد، الأردن. هاتف: 00962 2 7211111 فري 3555 2900 فاكس: 00962 2 7211137

المثل في مقامات بديع الزمان الهمذاني "دراسة فنية"

هاشم العزام *

ملخص

حاول هذا البحث إبراز دور المثل في النهوض بقضايا أدبية اجتماعية نفسية، من خلال قراءة المثل في مقامات بديع الزمان الهمذاني قراءة فنية، ركزت على الدور الفاعل للأمثال داخل السياقات الأدبية، وقد بينت الدراسة أسلوب الهمذاني في تناول المثل سواء أتم تضمينه كاملاً كما عرف في كتب الأمثال، أم الإشارة إليه من خلال تضمين بعض مفردات المثل.

وقد أشارت الدراسة أيضاً إلى أسلوب الهمذاني في الاستفادة من وظيفة المثل الفنية لتوافره على السجع والإيجاز، والبلاغة، والموسيقى، التي يحدثها إيقاع مفرداته على الصيغة التي جاء عليها، بوصفها تراكيب جاهزة حظيت بالاحترام على الصعيد اللغوي البلاغي، مما يضمن تماسك الجملة وتقويتها في قطب اللغة الفني، وتجلت مهارة الهمذاني في جعل المثل يتماهى على قوته في سياقات الهمذاني، فضلاً عن الوظيفة الموضوعية بمعنى الهدف والغاية التي صيغ عليها المثل في أصل الوضع، ثمة ملحظ آخر على أسلوب الهمذاني إذ كان يعكس وظيفة الأمثال مستفيداً من ذلك في تحقيق غايات يهدف إليها، وقد كان يعبر عن الأمثال شعراً، في الوقت الذي حاول فيه مراراً أن يجري بنفسه بعض الأمثال.

وقد لاحظ الدارس أن الطابع العام على تضمين الأمثال كان طابعاً تشاؤمياً، إذ كان يعزو ذلك دائماً للزمن وانقلاب الدهر عليه، وهو يعرض من خلال المقامات إلى مناقشة تردّي الثقافة العربية في زمانه، وقد عرض ذلك من خلال وضع الماضي في حالة تقابل مع الحاضر، وقد أبدى حنينه للماضي وانعطافه إليه داخل المقامات مرات عديدة، كما ناقش في المقامات السلوك الاجتماعي للبشر، وتغيره تبعاً لمؤثرات كثيرة، لعل المال والجاه كان من أقواها، فهو في هذا السياق يلقي بقعاً من الضوء على هذه الأمراض المتفشية في زمانه، وقد لبت الأمثال الاحتياجات النفسية للهمذاني.

المقدمة

لقد لقيت الأمثال اهتماماً خاصاً عند المهتمين بالعربية وعلومها، ولا يبدو هذا غريباً، وقد سبقهم القرآن في ضرب الأمثال لأخذ العبرة والإفادة منها، ومثله الحديث النبوي الشريف، فضلاً عن الشعراء والخطباء، إذ استخدموا الأمثال ووظفوها في إبداعاتهم، وذلك لما للأمثال من أهمية بالغة شكلاً ومضموناً في السياق الذي توضع فيه؛ لذلك ألفت فيها المؤلفات، ولم يعد يخفى على

المهتمين بالأمثال خصائصها التي أوجزها إبراهيم النظام إن يقول: (يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية)⁽¹⁾. وقد عرض أبو عبيد البكري لصفات فنية أخرى في الأمثال، إذ (إنها مبنية على الإيجاز، والاختصار والحذف، والاقتصار)⁽²⁾. ولهذه الخصائص جعلت الأمثال حجة دامغة وبرهاناً قوياً، وهي أحد المؤثرات البالغة الأهمية في عملية التلقي برمتها، (إذ جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق وأبقى للسمع وأوسع لشعوب الحديث)⁽³⁾.

ولعل هذا هو السبب في قدرة الأمثال على الاحتفاظ بشكلها في الغالب الأعم، ويقدم الزمخشري دليلاً على عدم تغير الأمثال وقدرتها على المحافظة على ألفاظها، يكمن ذلك في نفاسة المثل وغرابته، (ولم يضر بها مثلاً ولا رأوه أهلاً للتفسير ولا جديراً بالتداول والقبول إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه، ومن ثم حوفظ عليه، وحمي من التغير)⁽⁴⁾. ومع هذا يقع المتلقي أحياناً في المقامات على بعض التغيرات والانحرافات التي تحدث التأثير في الأمثال، فتحاول إخراجها عن القياس اللغوي من ناحية التركيب والإعراب، أو حتى بنية الكلمة واشتقاقها.

المحور الأول: الدراسة النظرية

لما كانت المقامات مناظرات في الفكر والثقافة تعالج قضايا اجتماعية فكرية وأدبية... كان لابد للهمداني من الاتكاء على الأمثال من أجل بناء نصه الإبداعي من الناحية الموضوعية والفنية، ولم يكن بإمكانه تجاهلها؛ لأنها تساعد في الكشف عن جوانب شتى من حياة العرب لامتست مختلف الموضوعات التي طرحتها المقامات، في الوقت ذاته، لبت الأمثال احتياجات الهمداني في قطب اللغة الفني، (إذ يلاحظ فيها احتفالاً بتوازن الكلمات توازناً ينتهي إلى السجع، كما يلاحظ في بعض جوانبها اهتماماً بالتصوير، ويحس فيها جمال الصياغة، وأن صاحب المثل قد يعمد فيه إلى ضرب من التنعيم الموسيقي للفظه، فإذا هو يسجع، أو إذا هو شطر ببيت من الشعر)⁽⁵⁾.

يتموضع المثل في مقامات الهمداني في غير ما مكان، ويتبدى بأشكال مختلفة الظهور -شعراً ونثراً-، وينهض المثل بوظائف متعددة الأغراض، ويسهم في بناء النص القصصي عبر مستويات السرد المختلفة أياً كان موقعه، في مقدمة المقامة أو في نهايتها، أو عندما يظهر في ثنايا النصوص، ويعد المثل للشراء الفني العميق الذي يتميز به أحد أهم روافد الخطاب الفني في المقامات إلى جانب روافد أخرى تؤكد جميعها أن البنية السردية للمقامات قائمة على تعددية الأصوات ذات المرجعيات الثقافية التراثية المختلفة: الشعر العربي، والحكم، والأقوال المأثورة، ناهيك عن اعتماد المقامة على الخطاب الديني الحاضر بقوة، - القرآن الكريم والحديث النبوي-، والمندمج بالخطاب الوعظي الأخلاقي، هذا التعلق النصي يطرح سؤالاً مركزياً غاية في الأهمية،

إن يشكل مساحة لها نصيبها الوافر من السرد، تكشف عن تراكم الخبرة الفنية والمعرفية في بناء النصوص الإبداعية؛ لكونه يستدعي عبر التفاعلات النصية التجارب الإبداعية ذات الخصوصية العربية في أوجها، كي يستفيد منها في السياق الذي توضع فيه، من جهة أخرى، ليؤكد من خلالها على قضايا توارقه،⁽⁶⁾ وراوي المقامات مهمته الأساسية تكمن في اكتساب المعرفة.

والحوار في المقامات هو العامل الأساس في استدعاء هذه الأصوات بوصفها نصوصاً خلفية تشكل دعامة أساسية لنص الهمذاني، إضافة إلى أنها شكل من أشكال التعددية الأسلوبية، وقد وجد الدارس أن المثل في المقامات يتردد عبر أصوات سردية يتناوب على ذكره واستحضاره عيسى بن هشام وأبو الفتح الإسكندري، ويعلن المثل عن نفسه بصيغ سردية مختلفة، في الوقت الذي وجد الدارس فيه أن مصادر أمثال الهمذاني كتب الأمثال والشعر العربي والقول المأثور، وقد لاحظ أن الهمذاني يجرب نفسه أحياناً في صوغ المثل وإبداعه.

يلحظ أن الهمذاني غير أسير للأمثال، بمعنى أنه لا يحاول التخفي خلفها، فهو قادر على التصرف في الأمثال وتطويرها للجملة التي يشاء، فهو يمارس جرأة غير مسبوقه في الاجتزاء من المثل، أو الإشارة إليه بكلمة، أو تغيير بشكل المثل، أو عكس وظيفته وتغيير مساره. لذلك يرى الدارس أن من الوظائف المناطة بالمثل أن يقوم بها على سبيل المثل في المقامات التأشير على مسألة التباين الحاصل في الثقافة ومتعلقاتها بين زمنين، ومعالجة قضايا اجتماعية وفكرية، إيجاباً وسلباً على وفق تبدل الأحوال، في مختلف جوانب الحياة، وهذا موضوع يضطر في المقامات، ويحاول الهمذاني أن يتخذ منه مادة لحديثه، وخطاباً مقدماتياً يعبر به من أجل توصيل رسائل للمتلقي متعددة الأغراض.

يتلمس هذا البحث، وفق ما سبق، قراءة الأمثال قراءة ثانية من أجل فهم أعمق لجماليات نص المثل، مشيراً إلى الوظيفة التي نهض بها، والدلالة التي يؤمّن إليها، وإلى طريقة الهمذاني في التصرف بالأمثال. وأثرها وفعاليتها في المقامات، باعتبار أن استخدام المثل في سياقه من شأنه أن يشعر المتلقي بالانجذاب للنص، وقد شكل هذا الاستخدام نقطة الارتكاز في تعاطيه مع النص شكلاً ومضموناً، لتلازم البعدين الفني والاجتماعي القائمين فيه.

إن النظرة التأملية المتأنية للأمثال في المقامات تكشف عن أبعاد جديدة في طريقة بناء السرد، في الوقت الذي تكشف فيه عن الأساليب الفنية التي تتناغم وفنية الألفاظ، من خلال الطريقة التي يتبدى بها المثل داخل النصوص، وقد راوح أسلوبه في توظيف الأمثال بين نقل المثل على الصورة التي عرفتها كتب الأمثال، وإحداث التغيير الذي توجهه الجملة التي تسبق المثل، أو تعقبه، والإشارة للمثل في سياق العبارة، ويعثر ألفاظ المثل داخل السياق (وقد يعتمد إلى الأمثال إما مقتبسة وإما مبتكرة، ويأتي بها متلاحقة متتالية).

المحور الثاني: الدراسة الفنية التطبيقية

في المقامة الجاحظية حين يعتمد إلى نقد الجاحظ نجده يمتاح صيغاً تشكيلية من وعيه بأساليب النثر/ الأمثال، لذا استشهد بمثل، واجترح مثلاً آخر موازياً له في الشكل والوظيفة، يقول: (يا قوم، لكل عمل رجال، ولكل مقام مقال، ولكل دار سكان، ولكل زمان جاحظ)⁽⁷⁾. ويبيدي أبو الفتح في هذه المقامة، فضلاً عما سبق، معرفة تامة وخبرة وافية بالجاحظ بوصفه رأس مدرسة النثر العربي، فالمثل في النص السابق يؤشر بشكل صريح إلى إعجاب الهمداني بذاك العصر بوصفه شاهداً على سمو اللغة ورفعة شأنها، ويرسم بالمثل صوراً مشرقة ملؤها الهيبة والاحترام للجاحظ وزمانه، وقد حاول أن يجترح مثلاً إلى جانب المثل، الذي استعان به، فالمثل "لكل مقام مقال" جاء مناسباً في سياق السرد، ليوطئ لقول مثله، والمثل الذي حاول أن يجريه لكل زمان جاحظ، لكن يجب أن لا يغيب عن الذهن أن الخطاب النقدي الذي يتجه إليه الهمداني من خلال المثل يسعى لإثبات قدمه في الأدب من خلال المثل الذي حاول أن يجريه ليؤسس لنفسه موطناً راسخاً في هذه الصنعة؛ لذلك دخل الهمداني تحدياً بالمثل مع الجاحظ، فحاول في المقامة أن يعرض به، (إن الجاحظ في أحد شقي البلاغة يقطف، وفي الآخر يقف، والبليغ من لم يقصر نظمه عن نثره، ولم يزر كلامه بشعره، فهل ترون للجاحظ شعراً؟ قلنا: لا).

ومجيء المثل هنا في مقدمة المقامات يسعى لحيازة هدف آخر، نظراً للمهمة التي سيقوم بها الإسكندري عبر رحلاته، كي يكون مقنعا في بلاغته وفصاحته وعلو شأنه في مجال الأدب، إذ هي البضاعة المعول عليها في اجتراف أساليب الكدية التي ستبنى عليها المقامات، إذ المثل حاول أن يجعل الهمداني في زمانه مثل الجاحظ، ومن هذه المكانة المرموقة سيتحرك، ويزغ نجمه، ولن يتخلى عن هذه المكانة إلا تحت ضغط حيك النص إبداعياً؛ من جراء طرح إشكاليات بالغة التعقيد.

وأياً كان شكل الاستعانة بالمثل، إلا فإنه يريد أن يضع الماضي والحاضر في حالة تقابل، وبالرغم من أن الأمثال- كما نعرف- مغرقة في الزمن الماضي، إلا أن مهارة الهمداني تتجلى في محاولة تجسيد وتشخيص الأزمة الثقافية التي يحاول إلقاء الضوء عليها من خلال هذا التقابل بين الزمنين.

ثمة ملحظ آخر على موضوع الأمثال الموظفة في المقامات، فقد وجدها الدارس بعد اكتناه الأمثال التي وردت تحمل طابعاً تشاؤمياً، وتبرير هذا أنه يناقش إشكاليات متعددة تنعكس حالة من التردي في الجوانب الفكرية والثقافية والاجتماعية نتيجة سيطرة الحياة باهتماماتها على العقل العربي في زمانه، فالدهر يتلون في مقامات الهمداني، وتبعاً لذلك تتغير بتغيره مظاهر الحياة جميعها، حتى إن التغير يطال أبا الفتح الذي تعودنا عليه منتمياً للأصالة، حيث الحياة العقلية العربية في أوج ازدهارها، تقرأ هذه الجزئية من البحث ظاهرة تكرر المثل بوصفها نقطة حساسة

في المقامات تكشف عن اهتمام الهمذاني بها، ويصبح المتلقي في جو الفكرة المتسلطة السائد في نص المقامات وربطه بنفسية الهمذاني؛ لذلك يقدم نص المقامات تنويعات مختلفة لهذه الصيغة التعبيرية للمثل تبعاً لتنوع أساليب الكدية.

في المقامة الأزائية قام الهمذاني بوضع المثل خاتمة للمقامة، على اعتبار أن آخر ما يقابل المتلقي هو أكثر علوقاً في ذهن، والهمذاني عبر عن المثل شعراً، فجاء على مضمونه ومعناه بلغة إيحائية إشارية، ولم ينقل لفظه نصاً، فهو يقول على لسان أبي الفتح⁽⁸⁾:

أرى الأيام لا تبقي على حال فأحكيها
فيوماً شرها في ويوماً شرتي فيها

وهذا تضمين للمثل "الدهر يومان: يوم لك، ويوم عليك"⁽⁹⁾ وقد استخدمه قناعاً لبسه واحتفى به؛ كي يبرر حيلته في الكدية والاحتيايل على عيسى بن هشام، فشكا من خلال المثل الزمان وقسوته، وهو بناء فني جمالي إذ يتبنى الاسكندري في البيت عدم الاستقرار، والشكوى من تقلبات الحظ، ويصير الدهر في التحول أنموذجاً يحتذى⁽¹⁰⁾، يسعى من خلاله للتأثير في المتلقي إقناعاً بحيلته، وإيجاداً لمبرر له، وهذا أسلوب يصوغ فيه مضمون المثل شعراً دون الاقتراب من نقل النص، كما جاء عليه في مدونة الأمثال العربية، بل أثر أن ينسجه شعراً.

ويبدو أن الهمذاني يحاول توظيف الأمثال ذات المضامين التي تحمل طابع الشكوى من الزمن ليجد مبرراً يحمله ما سيؤول إليه حاله في المقامات أدبياً واجتماعياً، ويتخذ ذلك جسراً يعبر به لغرضه وموضوعه، وهذا مما حدا به إلى تكرار مضامين بعض الأمثال غير مرة تكراراً يكشف بعداً مؤثراً، ويضيء في كل مثل جوانب من شخصية الهمذاني، في مواقع مختلفة من المقامات، مع إجراء التغييرات اللفظية الشكلية على صورة المثل.

يقول في المقامة الجرجانية (ثم إن الدهر -يا قوم- قلب لي من بينهم ظهر المجن)⁽¹¹⁾. فأبو الفتح يتلون في المقامات بشخصيات متعددة، (يتجلى في سلوك ملائم مرتبط بظروف مكانية وزمانية، ولا بد إذن من مرتكز يفسر هذه التبدلات، وبحسب ما يذهب إليه كيليطو، (لا يمكن أن يكون إلا الدهر المتسبب في تقلبه، وللدهر عنده مرادفان: الأيام، والليالي)⁽¹²⁾. وتتجلى هنا قدرة الهمذاني في صهر المثل في سياق التركيب، إذ أدخل عليه نغمة تحمل في طياتها غرض الرجاء التي يتوسل بها لغاية الكدية، فجاء المثل وكأنه صياغة تعبيرية من إبداع الهمذاني، إذ استقصده الزمن بقلّة ذات اليد، دون قومه الذين هم في غاية اليسر وبسطة العيش. ويوجه المثل توجيهاً جديداً، ويخرجه لفوائد موضوعية تكمن في حث المخاطب على البذل، فقد قام أسلوبه هنا على استيعاب للمثل داخل التركيب اللغوي، إذ إن أصل المثل (قلب لي ظهر المجن)⁽¹³⁾، بإضافة

مفرداته الخاصة التي أسبغت على السياق ليعيد تشكيل وجدان الحاضر، وكأن المثل صيغ على قياسه، فتغير شكل المثل، تبعاً لتغير شخصية أبي الفتح وتغير أسلوب الكدية الذي لبسه.

وفي المقامة البخارية يقول: (فما راعنا إلا هبوب الدهر بغدره وانقلاب المجن لظهره)⁽¹⁴⁾، والمثل قلب لي ظهر المجن، ويتردد استخدام هذا المثل عنده بصيغ تعبيرية مختلفة، ويقوم بخلخله التناغم القائم فيه، بصيغته المألوفة لإيمانه أن فيه طاقة فنية وموضوعية قابلة للتنازل في سياقاته وجمله، لما يحدثه المثل بعد تصرف الهمداني فيه من حيث التقديم والتأخير في ألفاظه، أو التغير في بعض مفرداته، أو إضافة بعض الحروف التي يحاول دائماً أن يكونها، أو يكون مصدرها، خالقاً معه سياقاً شعورياً كثيفاً مصدره كثافة الحالة النفسية التي يعيشها، فهو يتلاعب بمواضع ألفاظ المثل حسبما يقتضيه توازن سياق الجملة المبني على الموسيقى التي يخلقها النثر المسجوع، وحسن تقسيم الجملة، مما يجعلها قابلة لإمكانية تشطيرها شعرياً، حيث إيقاع الجملة يحاول أن يوهم المتلقي بمثل جديد نتيجة تغير أسلوب السرد وما يتبعه من تغير موسيقى الألفاظ، للتنعيم الذي يحدثه السجع، (ألا ترى أن المثل إذا كان مسجوعاً، لذ لسامعه فحفظه، فإذا هو حفظه، كان جديراً باستعماله)⁽¹⁵⁾. وهذه محاولة لخطف انتباه المتلقي لكي يظهر الموضوع بحلة جديدة.

وهذا التكرار لذات المثل ليس عيياً من الهمداني في قريحته، أو عجزاً وفقراً في أن يصوغ عبارة في تراكيبه تفي بالغرض عوضاً عن المثل، أو نقصاً في رصيده اللغوي، لكنه يعتمد إلى المثل بوعي وقصدية، فالمثل يتغير شكله بفعل الهمداني. وهذه وسيلة من الوسائل التي يستخدمها لإظهار قدراته ومهارته في التلاعب بالمثل بوصفه نصاً قاراً، وقدرته على مجازاة تلك اللغة الموقرة بفنية لا يكاد يشعر المتلقي أنه يكرر المثل، فهو يسكن المثل داخل النص بسلاسة غير معهودة بحيث لا يبدو المثل المضمن قادراً على الانفصال عن نص الهمداني، وكأن المثل يحاول التماهي مع سياق المقامات بالقدر نفسه الذي يحتاجه الهمداني للمثل، فهو يقود المثل ويوجهه فنياً، فلم يتمرد المثل على الهمداني بوصفه نصاً متيناً، ولم يطمس المعنى أو يشوهه العبارة⁽¹⁶⁾. وسأشير إلى مثل آخر تم تكريره بصورتين مختلفتين في سياقاته السردية داخل المقامات.

يقول في المقامة الأسديّة (رأينا رجلاً قد قام على رأس ابن وبنية، بجراب وعصية)⁽¹⁷⁾. أليس هذا إشارة واضحة إلى قولهم: (تلك العصا من العصية)⁽¹⁸⁾ فقد جعل الهمداني جزءاً من المثل متمماً للسجع الذي بدأه في بناء الجملة التي سبقتها، ليوازن السجع الذي قصده، فضلاً عن الوظيفة الدلالية التي آل إليها النص في التصوير الذي هياها الهمداني لشخصية أبي الفتح وولديه والعصا والجراب، واستخدام الهمداني للمثل داخل السرد - وهو الراوي المتكلم على لسان أبي

الفتح الشخصية المركزية في مقاماته - يؤكد حضوره بصيغة الأنا، وهنا تبرز أهمية الاستعانة بالمثل في هذا المكان من المقامة في أنه يشكل عتبة للدخول إلى جو القصة وعقدتها المركزية، بعد أن قدم أبو الفتح تقديمًا اجتماعيًا لائقًا، ثم تأتي فكرة اختيار المثل المناسب لتبدل الأحوال لتخدمه في المستويين الفني والموضوعي، ويدل هذا على أن اختيار المثل اختيار مقصود واع، يساعده في وظيفة مزدوجة تكمن في الكشف عن الشخصية وتقديمها، وتتيح للمتلقي في الوقت ذاته إمكانية التعاطف الكبير مع الشخصية بعد التعرف إليها من خلال المثل.

ويعيد الهمذاني المثل نفسه بصياغة جديدة ليقوم بوظيفة أخرى، ولكن في سياق آخر وموضع آخر من المقامات حيث يقول: "تلك العصا من هذه العصية هل تلد الحية إلا الحية"، إن يلحظ الدارس أن هذا الوجود اللغوي لا يصير وجوده جمالياً إلا إذا أصبحت دلالاته المتعاقبة ماثلة في الوعي الجمالي للقراءة، فالمثل بوصفه الأداة الفنية هنا، هو الذي جعله منبع الدلالة التي يتعين على القارئ بناؤها، وهو نقطة الانطلاق لكل التحديات المتعينة للعمل الفني أن يقوم بها⁽¹⁹⁾.

والهمذاني في المقامات يعمد أحياناً إلى عكس وظيفة المثل وتغيير مساره وتوجيهه وفق ما يقتضيه الغرض الذي يريده من المثل أن يؤديه، فهو لا يدخر جهداً في استغلال المثل حتى لو كلفه ذلك إعادة إنتاج المثل بالصورة التي يريدها، فيحضر، كما سيأتي في المقامة البصرية، بوصفه خطاباً حاملاً معه غرض المديح الذي حل محل غرض الهجاء في أصل المثل، كاسراً بذلك بنية التوقع لدى المتلقي، كما تضمن أسلوب القسم، وأسلوب السجع لما له من تأثير بالغ الأهمية، في المتلقي، فضلاً عن حسن التقسيم الذي يظهر أثره في السرد على شطر الجمل بشكل متساو، يقول: (ولقد اخترتم يا سادة، ولتني عليكم السعادة، وقلت: قسماً إن فيهم لدسماً)⁽²⁰⁾.

المثل "استسمنت ذا ورم"⁽²¹⁾ يظهر في هذا "أسلوب جديد من أساليب تصرف الهمذاني في الأمثال فنياً وموضوعياً قائم على استيعاب المثل وتحويله وإغلاق فضائه الأصلي، وضبط حركته من أجل تمييزه باتجاه آخر. ويبدو نص الهمذاني شديد الروغان كشخصية أبي الفتح؛ لذا سيسلك المثل باتجاه آخر غير الذي عرفناه في أصل الوضع، فهو يعكس وظيفته ليؤسل به، فقد استخدم المثل للقيام بوظيفة مزدوجة بعد تعديل مساره ليفي بالحاجة التي جلب من أجلها، تقوم على الإغراء والتحذير لما ينطوي عليه المثل من المضامين السلبية في وصف الأشخاص والأشياء، فهو في هذا الإطار تحذيري، ومن داخل التحذير تنبهي نغمة إغوائية إغرائية ليجنب الإنسان نفسه الذم، ويدخل في إطار الممدوحين من الرجال، وهنا قام الهمذاني بعكس مضمون المثل ليغري عيسى بن هشام وصحبه، فقد قام باستعطافهم عن طريق مدحهم، وهنا يوظف أسلوب القسم بطريقة تحرك الذهن والشعور معاً تجاه المقصد الذي أراده من المثل، ويمكن

معاينة هذا الأسلوب في استخدام الأمثال على أنه انحراف أسلوبى، ويظهر أن للسجع هنا وظيفة إضفاء القيمة والشرف والهيبة على الخطاب، فيتحول به إلى لغة مبدجة موقرة بعد أن كان أصله زمناً وقدحاً وتعريضاً، ويسمو الخطاب بفضل عنصر الفن الذي يوفره المثل أيضاً، في سياق التركيب الذي يصوغه الهمداني، ليضاهي مقام المخاطب باختياره لفظة سادة وسعادة، وهو يعرف كيف يختار الكلمة المناسبة لمراعاة المقام.

ومرة أخرى، يتصرف الهمداني في المثل، (ويعتني أشد العناية بنسبة السجع فيه ومعدلاته اللفظية وأبعاده، ومقابلاته الصوتية في اللفظتين سادة / سعادة، قسماً / دسماً، ومن هنا كان سجعه خفيفاً رشيقاً...، وكيف يصوغها ليضعها في مكانها الوضع الصحيح، لتحقيق العذوبة والسلاسة والتناسب والانسجام)⁽²²⁾ ويجري التغيير الذي يتطلبه بناء الجملة، كما يقتضيه السرد القصصي وحاجته. إن اختيار المثل تم بعناية فائقة ليقوم بوظيفته التي تتسم بصفة صريحة دعوة إلى القيام بسلوك معين تجاه الإسكندري⁽²³⁾.

ويوظف الهمداني الأمثال في المقامات لتنهض بمهمة شاقة تكمن في قدرتها على أن تكون خطاباً سلطوياً، يشكل قطيعة معرفية مع التراث الثقافي، من خلال التعبير عن حالة ضياع النموذج على صعيد الإبداع، في زمن سيطرت عليه الحياة بزخرفها، فيحاول بالأمثال المضمنة أن يعتمد إلى مقابلة الزمن الماضي بالحاضر، مقابلة تكشف بالأمثال عن إدراك واعٍ للغة الخطاب داخل المثل الذي يجسد كثافة الحنين إلى الماضي المشرق ولا يتوفر هذا للمتلقى إلا من خلال الحوارات التراثية.

يقول في المقامة الحزبية: "لما بلغت بي الغربية باب الأبواب، ورضيت من الغنيمة بالإياب، ودونه من البحر وثاب"⁽²⁴⁾، إن إطلالة هادئة على نص الهمداني (ترينا إعمال الذهن في التركيب وتناغم السياق)⁽²⁵⁾، وهو يقلب تاريخ مدونة الشعر العربي في أبهى صورته، من خلال بيت امرئ القيس، الذي يحيل عليه السياق⁽²⁶⁾:

وقد طوفت في الأفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

هذا البيت صار مثلاً يضرب لخيبة الرجاء وضياع الأمل، ويلحظ الدارس هنا أن (في استجابات السجع تبدو الحيلة، وتطل برأسها)⁽²⁷⁾ إن الأثر الذي يحدث للمتلقى نتيجة تفاعل القارئ، عند مواجهة هذا البيت في مقدمة المقامة، لهو فعل انتشاء وشعور بالإعجاب بهذا النموذج الشعري، لما يسببه من الالتذات بمعنى البيت ونسيجه اللغوي. فالهمداني يقوم باستدراج المتلقي عن طريق توظيف المثل بما احتوى عليه من مضمون، ودخل المثل في التركيب بوصفه نمطاً خطابياً قادراً على الانصهار والتماهي مع السياق. إن التمكن من الأدب لدى الهمداني لا

ينفصل عن الألفة مع النصوص التراثية وشخصيات الماضي، وهنا يتوجه المسافر إلى التراث ليتحرك عبر الزمن، ويسيطر على تعاقب السرد وتنامي التشويق، في كل لحظة تنبثق ذكريات من أعماق التراث تشفه إعجاباً وحسرة في آن⁽²⁸⁾.

وعبارة الهمداني في المقامة انعطاف واضح إلى اللغة ذات الطابع الشعري الضارب في عمق تاريخ الشعر، حيث يحضر الصوت الموقر على صعيد الشعر العربي، إذ يتولى السجع القيام بوظيفة غريبة تنطوي على قدر كبير من التحنان للماضي، وأشواق لا يستطيع الهمداني أن يخفيها (فالسجع يحاول أن يعيد للذهن هذا الشعر، وفي هذا ثناء ضمنى على الماضي بوجه عام⁽²⁹⁾).

ومن المثل يتسلل المفهوم الثقافي بطريقة يروغ فيها بحيث لا يؤثر في جو القص المشوق إضافة ما للمثل من إمكانية تجسيد حالة الضياع التي تملك عيسى بن هشام، وشكلت مفتحاً لانقاً وجواً مشوقاً للقص، هذا الضياع هو ضياع هوية الأمة الثقافية وضياع النموذج الأرقى على صعيد الإبداع، حالة من التيه والاعتراب تتملك عيسى بن هشام، تدعو المتلقي للإصغاء، الذي يبتدى به الهمداني القص في المقامة؛ لما يملكه من الإدهاش ويحملة على الرغبة الملحة في متابعة ما يأتي من سرد للأحداث، وأين سيحط به المقام، فأحب الهمداني من خلال هذا المثل استدعاء أحد أهم رموز الشعر العربي، فيصبح امرؤ القيس الشاعر بوصفه النموذج الأرقى فناً بهذا السجع اللطيف تذكرة بالمحال الذي كان يوماً جزءاً من بدهاة الثقافة العربية وزينتها، وفي المقامة والقصيدة كليهما نبرة سائل لشيء لا يملكه إلا في وهم الخيال⁽³⁰⁾ وهنا يتضمن الحاضر الماضي، ويتجاوزان على صعيد السرد، لتجسيد البنية النصية وتأكيد حالة الاعتراب والنفي المعنوي، فهو في مكان لا وجود فيه لأمثاله، لذلك هو مسافر أبداً لا يحط رحاله، يتم ذلك وفق تقنية تقوم على الحوار، حوار الآداب الذي يتولى التوازي بين الزمنين⁽³¹⁾. ويبدع الهمداني في اختيار البيت المتضمن للمثل ليجسد فيما يجسد حالة الحيرة والقلق التي تهيم عليه، وتظهر المسافة الثقافية الشاسعة بين زمنين، هذه الهوة هي التي كشفت حالة الانحطاط والتردي للثقافة العربية.

وفي المقامة الأسودية: مرة أخرى يطرح الهمداني مسألة التباين في الثقافة السائدة، مع الثقافة العربية الأصيلة، متخذاً من الإبداع الشعري المتضمن للمثل مدخلاً لطرح حالة الوهن التي أصابت الشعر العربي، فهو على لسان عيسى بن هشام يستهجن سماع شعر يشده فتى، فيبادر بسؤاله "يا فتى العرب أتروي هذا الشعر أم تعزمه، فيجيبه الفتى: بل أعزمه؛ لأن شيطاني أمير الجن"⁽³²⁾، وهكذا يفتح الهمداني هذه المقامة بهذا الاستغراب، إذ قام الإسكندري في هذه المقامة بالتمويه على الأسود بن قنان بأنه طريد غير آمن على نفسه، ولا يملك قوت يومه، طالباً

أن يجيره، فلم يجد أسلوباً للتنمويه على هذا الكريم غير الذي سلكه، وقد يكون المثل ساعد في التوطئة للكدية التي (هي التعبير عن فقد أساسي، فقد اللغة الخيرة الجميلة،⁽³³⁾).

ويبلغ الهمداني ما يريده في محاولة شعرية يوظف فيها مفردات إشارية مرجعيتها الأمثال، يقول:⁽³⁴⁾

حتى كساني جابراً خلتي وماحياً بين آثارها

يلحظ الدارس أن مفردات المثل في إسقاطها تخلع دلالتها الوضعية لتلبس دلالة تسبغها عليها ظروف التمثل بالمثل⁽³⁵⁾. ومن أمثال العرب "الخلة تدعو إلى السلة"، يريد أن الفقر والحاجة يبعثان على السرقة، وجابر هنا كلمة توهم من السياق بجابر عثرات الكرام، التي تجري مجرى المثل، ويعنى هنا الأسود بن قنان الذي هو نادر في زمن غريب.

وفي المقامة الحمدانية يناقش الهمداني اللغة الرصينة، والمعرفة الناجمة عن الخبرة، حيث المفردة الأصيلة والوصف الرصين، والمظهر الذي لا يدل على الجوهر، إذ البلاغة والفصاحة تتجلى في أبهى صورها من خلال إشارات خطابية متعددة، والهمداني يتخذ المثل أحد تلك المسارات التي يجري فيها السرد ليؤكد هذه الإشارات. ففي المقامة يصف أبو الفتح فرساً بألفاظ بلغت من الغموض أن جعلت عيسى بن هشام يتبعه ليفسر له معناه⁽³⁶⁾. يستحضر الهمداني شخصية سيف الدولة، وقد عُرِضَ عليه فرس، وطلب من الحضور أن يصفه، ومن وصفه جعله له " فقال له أحد الحضور: رأيت رجلاً يطأ الفصاحة بنعليه... يسأل الناس، ويسقي الياس.... فقال سيف الدولة: عليّ به في هيئته، فطار الخدم في طلبه ولم يعلموه لأي حال دعي، ثم قرب واستدنى وهو في طمرين قد أكل الدهر عليهما وشرب،⁽³⁷⁾، ويتماهي المثل هنا مع الخطاب ليتكامل خطاب المثل مع خطاب الهمداني، ويصبح به المثل مكوناً هاماً من مكونات النص. ويدخل الإسكندري من خلاله عوالم من الأوصاف يخطف معها العقول والأبصار، ويحظى باحترام وإعجاب الجميع، والعبارة الأخيرة تذكر بالمثل المأخوذ من بيت الشعر القائل:⁽³⁸⁾

سألتني عن أناس هلكوا أكل الدهر عليهم وشرب

يبدو للوهلة الأولى أن الموضوع وصف فرس من ظاهر المقامة، لكن المثل حوار بين زمنين وثقافتين، الزمن الحاضر المأزوم ثقافياً القائم على زخرفة الأشياء ولا مضامين تحتها، والزمن الماضي المليء بالمضامين المكثفة الدلالة، (والمقامات ليست إلا بحثاً عن التناقض بين الماضي والحاضر أو بحثاً عن محاولة التكيف معهما، وكأن الهمداني يقول: نحن في زمن فسدت لغته، وفسد أهله⁽³⁹⁾، فيتوارى السرد العادي خلف المثل، ويفسح المجال رحباً لذاكرة المتلقي

لاستدعاء النماذج الأرقى تعبيراً، ذات اللغة المتينة التركيب، يرى الدارس أن السفر عبر هذه الحقول المعرفية -الشعر والمثل- معادلٌ لسفر أبي الفتح الإسكندري في مقاماته، إنه الإخباري مستودع المعرفة وراوي تراث محاط بإجلال خاص، وباختصار هو صوت التراث⁽⁴⁰⁾. وبالعودة إلى نص المقامة فمن غير الممكن أن تثير شخصية الإعجاب بأدبها، وأن تضطر في الوقت ذاته إلى التسول لتأمين عيشها، هذا نشاز لا يحتمل، ومناقضة تثير غضب عيسى بن هشام وسخطه الذي كان همه الأول اكتساب الأدب، يعيش أبو الفتح بالرغم من أن فصاحته بلغت حداً يثير الإعجاب حياة بائسة.

ما لك مع هذا الفضل ترضى بهذا العيش الرذل⁽⁴¹⁾، والذي يتولى الرواية هنا عيسى بن هشام مستغلاً الإمكانيات الوصفية التي ينهض بها المثل في وصف الشخصية، لكن الهمذاني حاول أن يوجه المثل توجيهاً يخدم الفكرة، بحيث لا يُظهر الشكل المضمون، الذي ظهر فيه أبو الفتح إذ أبدى مهارة ومعرفة وخبرة بأوصاف الفرس، ولم يتهيأ لذلك، ولم يكن يظهر ذلك عليه من شكله، ومع ذلك أنقذ الموقف من الإحراج، فالمثل هو صوت الحنين للنموذج الغائب، الغائب لأنه يمثل الثقافة الأصيلة المتوارية خلف بهجة الحاضر المشوه، إذ عجز الحضور عن وصف الفرس، والمثل يملك إمكانيات دلالية ثرة يريد الهمذاني أن يشير إليها على قاعدة المثل القائل: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، ويلحظ الدارس أن الهمذاني لم يعن بزخرفة الجملة، ولم يأت بها مسجوعة، وهذه معابثة من الهمذاني باللغة التي لم يعود القارئ عليها، ويحضر المثل كي (يسهل عليه تعرجات النص وفضاءاته الواسعة، ويغريه من ثم بمتابعة أحداثه المتنوعة، ودلالاته المختلفة)⁽⁴²⁾. لذلك لم يشغل الهمذاني بتجويد النص وزخرفته من الناحية الفنية؛ لأن الهمذاني أراد أن يصور شخصية أبي الفتح المنتمية للزمن الماضي؛ لأنها تمثل الأصالة في اللغة، فانعكس هذا الشكل على الجملة، والتركيب، المليء من حيث المضمون، فهو هنا لا يريد منا أن يأخذنا السجع بشكله ونبرته وموسيقاه وتوازنه عن مضمون الخطاب وجوهره، كما لا يجب أن نصرف النظر عن مضمون لغة أبي الفتح وجوهرها، حين نتلهى بشكله الرث، فجسد الكلمات وشكل الجمل هنا يتشابهان مع جسد وشكل أبي الفتح، الشخصية التي أعجبت وأبهرت.

والهمذاني دائم الثناء والحنين لهذا النموذج على صعيد التركيب، فهو لا يخفي إعجابه باللغة الرصينة والتراكيب الجزلة، يقول في المقامة الناجمة، على لسان عيسى بن هشام: لا فض فوك، ولله أنت وابوك، وقد جعل العرب هذه الكلمة دعاء لمن يستجيدون نطقه ويستملحون لفظه⁽⁴³⁾، إذ يلحظ الدارس أن المنطوق السماعي للمثل يعيدنا إلى صرامة التركيب الجميل في قطب اللغة الفني الذي بدأه أبو الفتح، حيث النموذج الأعلى في الصياغة، إذ تبدو هندسة اللغة واضحة، وقد يبدو المثل ذا دلالة جزئية، (وهذه الدلالة لا يمكن تحليلها إلا بعد وعي الدلالة الكلية للنص، ثم

من معرفة موقعه من غيره من الجمل، وذلك في إطار ما يعرف بكلية النص، أي بنيته العامة⁽⁴⁴⁾، فالهمداني يلجأ إلى هذه الجملة -المثل- لأكثر من سبب فني، يكمن بعضه في جمالية الألفة التي اعتادتها الأذن العربية من ترداد هذه التركيب التراثي القديم.

فأبو الفتح أبدى في مقدمة المقامة بلاغة وفصاحة، جعلتا عيسى بن هشام يشكره على ما قدم به نفسه خير تقديم، في لغة تنتمي إلى اللغة الأم التي لم تشبها شائبة، فكان المثل، وليس بعيداً عن هذا الموضوع ما جرى في المقامة المضيرية، إذ يصور الهمداني المسافة بين الأدب والتجارة وانعكاس كل مهنة على سلوك صاحبها، وشخصية التاجر صورت بالرجل الثرثار والفوضوي الذي يدخل في التفاصيل الدقيقة في كل شيء يصفه. والمقامة المضيرية تشير بشكل واضح إلى طغيان وسيادة القيم المادية على القيم المعنوية، وتغول التجارة على الأدب والعلم، يظهر ذلك المساحة السردية التي يشغلها التاجر والتي يتيحها الهمداني لشخصية التاجر حركة وكلاماً، على حساب شخصية أبي الفتح الأديب البليغ الذي لم يترك له الهمداني سوى الصمت والهدوء والضجر، وبعض الأسئلة يسألها لنفسه بصمت، والمقامة استشراف وتنبؤ لما سيؤول إليه حال الأدب والأدباء في ظل هذا العالم المحموم، "والدهر حبلى ليس يدري ما يلد" حالة من التراجع والتقهقر، وقد تحقق هذا في المقامة القرنية، فتحول أبو الفتح هذا الرجل الأديب إلى شخصية بهلوانية تشير ضحك الآخرين كي يكسب رزقه، كما سيأتي بيان ذلك في مكانه. ويود الدارس أن يشير إلى أن المضيرة، هنا بمعنى المأدبة، والجذر اللغوي لمادة أدب من المأدبة، فهو يتخذ ذلك للعبور بسهولة إلى جو القص من خلال السرد الذي يشي بعقد مقارنة بين الأدب والتجارة، إذ يقول عيسى بن هشام عن أبي الفتح حين وصفه: رجل الفصاحة يدعوها فتجييه، ويأمرها فتطيعه، وعن التاجر يقول على لسان أبي الفتح: ولزمني ملازمة الكلب لأصحاب الرقيم... وصدعني بصفات زوجته⁽⁴⁵⁾. فاختيار الهمداني للأمثال في هذه المقامة من جملة ما يجري على ألسنة التجار، يقول (حتى حصلت لي بجد صاعد، وبخت مساعد، ورب ساع لقاعد... وفي وصفه الحصر يقول: وكنت أطلب مثله منذ الزمن الأطول فلا أجد (والدهر حبلى ليس يدري ما يلد)⁽⁴⁶⁾. إن نمط التركيب السردى لنص هذه المقامة، والأمثال جزء منها، بوصفها نمطاً للعبارة المسجوعة، يتم بمهارة وألحوبة فائقة السبك، يجيدها الهمداني، يتماهى مع أسلوب التاجر في الكسب والحصول على الأشياء⁽⁴⁷⁾، ويحاول الهمداني من خلال السجع في المثلين السابقين (تقريب اللغة العزيزة تقريباً يرتد إلى اللغة الموقرة التي تنتسب إلى قديم الثقافة، حيث التاجر منهمك في التعبير عما يحصله بكده، وأبو الفتح منفصل عن هذه الاهتمامات، إذ التركيب الروحي له نتيجة المكون الثقافي يتصادم مع التاجر واهتماماته⁽⁴⁸⁾).

في المقامة القرنية يقول: (بينما أنا بمدينة السلام، قافلاً من البلد الحرام، أميس ميس الرجل، على شاطئ الدجلة، أتأمل تلك الطرائف... إذ انتهيت إلى حلقة رجال مزدحمين يلوي الطرب أعناقهم، ويشق الضحك أشداقهم... حتى وقفت بمسمع صوت رجل دون مرأى وجهه لشدة الهجمة، وفرط الزحمة، فإذا هو قراد يرقص قردة، ويضحك من عنده، فلما فرغ القراد من شغله وانتفض المجلس عن أهله، قمت وقد كساني الدهش حلتة، ووقفت لأرى صورته، فإذا هو أبو الفتح، فقلت: ما هذه الدناءة؟! ويحك! فانشأ يقول: (49)

الذنب للأيام لا لي ما عتب على صرف الليالي
بالحمق أدركت المني ورفلت في حلل الجمال

يحاول الهمذاني أن يعرض في هذا الزمن لشخصيتين متناقضتين، ومن خلالهما، لمنظومة القيم السائدة والتي حلت محل منظومة القيم السابقة، حيث يحضر الوقار والجلال والهيبة والرزانة بوصفها جميعاً إرثاً ثقافياً من المعرفة، والتي يمثلها عيسى بن هشام، الرجل المثقف رمز الأديب العالم، بموازاة انحناءات متعددة أمام ضغط الواقع حيث الخفة والدناءة والحمق والجهل التي يتلبسها أبو الفتح، إذ يتنازل عن أدبه ومكانته، فبدلاً من أن تتهاوى هذه الضغوط أمام قيم الأدب والثقافة، نرى سيادة النموذج المادي على النموذج المعنوي، الأمر الذي أدهش عيسى بن هشام، وعده خرقاً لا يغتفر عندما عرف أن القراد هو أبو الفتح الذي عوده أن يكون عالماً عارفاً ذكياً، وكعادته، يلقي أبو الفتح باللائمة على الأيام ليؤسس خطاباً محايداً يدشن به وعياً جديداً في زمن مختلف. وتعتبر المتاهات اللفظية التي أجاب بها أبو الفتح عيسى بن هشام شعراً حيث سبب ما فيه من نعمة وبسطة العيش حصله عن طريق الجهل، لا العلم، عن طريق الجنون والحمق، الأمر الذي أربك عيسى بن هشام.

فمن وجهة نظر أبي الفتح في هذا الزمن الذي دحر فيه الجهل العلم، والحماسة التعقل، والغباء الذكاء... فلا يمكن أن يعيش العاقل العالم في هكذا مجتمع تحكمه هكذا قيم وسلوكيات، فدار أبو الفتح مع الزمان حيث دار، وتخلّى عن علمه وأدبه). وجاء المثل هنا في مقدمة المقامة ليضع المتلقي في بداية الجو القصصي، والمقدمة خطاب افتتاحي يشكل عتبة لا يمكن تجاوزها، أو تخطيها نظراً لأهميتها، فالهمذاني من خلال المثل يحاول أن ينقل ويحرك الواقع، فضلاً عن أنه ينهض بمهمة توصيلية لوصف الشخصية وضبط حركة إيقاعها، إذ الرجل نبت ينبت في مجرى السيل فيجرها، وتسمى البقلة الحمقاء، وبها يضرب المثل في الحمق (50). وكأن عيسى بن هشام يجري ضد تيار الحياة الذي تبدلت قيمه وأخلاقه، وهو وحده الذي مازال يقاوم قيم الجهل ومتعلقاته، ومازال متمسكاً بالأدب والعلم. تأتي استفادة الهمذاني من المثل في إطار التشبيه للتدليل على السلوك الحركي الذي يمثل الوقار والسكينة والحركة الموزونة لعيسى بن هشام، فقد

استفاد منه في إظهار الفارق بين اتزانه وفقدان أبي الفتح مكانته، مشهد حركة القراد الذي يرقص قرده، ويثير ضحك الآخرين، والمثل هنا يمثل بعد الوصف للسلوك الحركي، المكان الذي تتحرك به الشخصية وتتفاعل أحداث القص فيه حيث مدينة السلام كانت عاصمة الثقافة والعلم، تتحول إلى أماكن للتلهي وملء أوقات الفراغ بالضحك و....، ويستخدم الهمذاني المثل ويجعله مطوعاً في إقامة توازن الجمل باستخدام السجع، وتلك محاولة لإثبات نفسه أمام المتلقي من جهة، ومن جهة أخرى، لتأكيد المسافة بينهما في الحالات التي يضطر فيها المتخاطبان إلى إثبات الفارق في مرتبتيهما⁽⁵¹⁾. فرقصت رقص المخرج، وسرت سير الأعرج⁽⁵²⁾.

في المقامة الشيرازية: يسير السرد بخطين متوازيين لا يلتقيان، هذان الخطان هما خط سير عيسى ابن هشام، وخط سير أبي الفتح، هذا الاختلاف والتوازي يفسر اختلاف وجهة الأدب مع وجهة الحياة، ذات الاهتمامات المادية واللاهات خلفها، ويحضر المثل هنا ليمثل سيادة من نوع ما على النص الحكائي السردى، يقول: (حدثنا عيسى بن هشام، قال: لما قفلت من اليمن، وهممت بالوطن، ضم إلينا رفيق رحله، فترافقنا ثلاثة أيام حتى جذبني نجد، والتقمه وهد، فصعدت وصوب، وشرقت وغرب، وندمت على مفارقتة بعد أن ملكني الجبل وحزنه، وأخذ الغور وبطنه، وكنت فارقتة ذا شارة وجمال، وهيئة وكمال، فبينما أنا يوماً في حجرتي، إذ دخل كهل قد غير وجهه الفقر، وانتزف ماء الدهر، وأمال قناته السقم، وقلم أظفاره العدم، بوجه أكسف من باله، وزى أوحش من حاله، فقلت: أنت أبو الفتح؟ فقال: أنا ذاك، فقلت: شد ما هزلت بعدي، وحلت عن عهدي، فقلت: فانفض لي جملة حالك وسبب اختلالك⁽⁵³⁾). يقال فلان كاسف البال إذا كان سيء الحال رديئه، وقد قال الشاعر:

إنما الميت من يعيش كئيباً كاسفاً باله قليل الرجاء

وقال الشاعر:

لئن كان إياه لقد حال بعدنا عن العهد والإنسان قد يتغير

في هذه المقامة يتداخل الاجتماعي بالفني، ويحرمه من الانتشار، إذ يسيطر الموضوع الاجتماعي على الفني، إذ المثل في المقامة جاء مكملاً لوصف الحال السيئة التي ظهر عليها الإسكندري، والدارس يرى أن المثل هنا يجسد حالة من التلازم بين البعدين الفني والاجتماعي، فعلى الصعيد الفني حاول المثل من خلال الوصف أن يظهر مجمل الحال، إذ جاء المثل في ثنايا السرد، الذي بدأه الهمذاني ليصل بنا إلى هذه الصورة النهائية، وقد عمل المثل بتضافر على ضبط إيقاع السياق شكلاً ومضموناً، فشكلاً مهّد المثل لمواصلة الحديث في عبارة تتبع المثل في سجعه، لتتم معناه ومضمونه في إطار التوصيف الذي أراده الهمذاني، وما يميز المثل هنا بوصفة

خطاباً أدبياً يتماهى مع السرد (على الرغم من بساطته، فإنه قدم مهمات توصيلية توجيهية مهمة، فهو خطاب استباقي يظل الأقدر على إنتاج معرفة لها فاعليتها وخصوصيتها في دفع الأحداث للأمام،⁽⁵⁴⁾ ويتداخل هنا الفني بالاجتماعي من خلال السرد الذي قدمه الهمذاني، لعل الحنين الذي أبداه عيسى ابن هشام على فراق أبي الفتح، يشعر بهذا صدى الكلمات لكل من يجيل النظر، ويمعن الفكر في السياق المقتبس، يلمس أن كليهما يسيران في طريق مختلف، وفي اتجاهات مختلفة، لكن لهذا دلالة فقد فارقوه وهو في أبهى صورته، وبعد أن التقيا فوجئ عيسى بن هشام بأبي الفتح، وقد تبدلت حاله وساءت هيئته، ويذهب الدارس إلى أن هذا قناعاً يلبسه الهمذاني لشرح موقفه من الحاضر الذي لا يراه أبو الفتح إلا مزيفاً، فقد كانت العربية في أحسن أحوالها، ولكن بعد انغماس أبنائها في بهرجة الحياة وهجرهم لها فشوهت. كل هذا السرد في المقامة ليصل إلى النتيجة، وهي أنه سبب ما آل إليه زواجه من خضراء الدمن الحياة التي استنزفت طاقاته واهتماماته، وأصبحت سبباً لشقائه وما وصل إليه.

وفي المقامة الصيمرية ثمة ملمح آخر من ملامح الوظائف التي ينهض بها المثل في المقامات، إذ يحضر المثل لا بل جملة من الأمثال للقيام بإلقاء الضوء على السلوك الاجتماعي المختل، بقصد إصلاح هذا السلوك وتصويبه، ويحاول الهمذاني توظيف الأمثال لمعالجة قضايا اجتماعية في مقاماته. والدارس سيلقي الضوء على هذا بوصفه نموذجاً، يقول: حدثنا عيسى بن هشام: إن مما نزل بي، من إخواني الذين اصطفتهم وادخرتهم للشدائد، ما فيه عظة وعبرة وأدب، لمن اعتبر واتعظ، وكنت عندهم أعقل من عبدالله بن عباس، وأظرف من أبي نواس، وأسخر من حاتم، وأشجع من عمرو، وأبلغ من سحبان وائل، فلما خف المتاع، وفرغ الجراب، تبادر القوم الباب، ودعوني وحيداً فريداً، فأصبحت أشد حزناً من الخنساء على صخر، ومن هند على عمرو، هذه العبارة وردت كثيراً حتى ضرب بها المثل في الحزن والبكاء⁽⁵⁵⁾، إذ تتحسر فيها الشخصية على مصيرها بعد أن آلت إلى الفقر.

يلعب المثل هنا دوراً بارزاً في إظهار الوظيفة الاجتماعية للغة، بالإضافة إلى الدور الأيدولوجي الذي تؤديه الأمثال داخل السياق، من الناحية الموضوعية على اعتبار أنه ليس للقيم الاجتماعية وجود مستقل عن اللغة⁽⁵⁶⁾ وتبدو المقامة الصيمرية استدعاء لرموز الثقافة العربية وأعلام الشعر، ورموز القيم الاجتماعية، فالهمذاني يضع النص داخل التاريخ وداخل المجتمع، أو بلغة أخرى، يضع التاريخ والمجتمع داخل النص⁽⁵⁷⁾؛ لذا أظهر الهمذاني من خلال حشد الأمثال في هذه المقامة إشارات مختلفة لمستويات متعددة من الخطابات، أسخر من حاتم، وأشجع من عمرو، وأبلغ من سحبان وائل، وأدهى من قصير، وأشعر من جرير... إذ إن الجمل تتوالى في النص، لكن الزمن السردى متوقف، وحيث دوال عديدة تعطي نفس المدلول لحظة من المحكي

تعاقد في تكرار نفسها، ولا يقدم النص إلا إجابة مخيبة بلا نهاية⁽⁵⁸⁾ (فالناس هم الناس في كل زمان، وما فسد الناس، وإنما اطرده القياس⁽⁵⁹⁾.. فتتعدد الأصوات من خلال استدعاء الأسماء وتوظيفها يعطي للنص بعداً قيمياً، خاصة عندما تتحمل بدلالات إشارية وإيحائية، عندها يتفاعل النص وينفتح على قراءات متعددة الانتماءات المعرفية ذات الحقول المختلفة.

فالمقامة تطرح موضوعاً اجتماعياً صرفاً، وتكشف الحساسية الاجتماعية تجاه المال وصاحبه وما بينهما من تجاذب بندولي في حركة لا تتوقف، فيحاول الهمداني من خلال أبي الفتح أن يبين تعقد العلاقات الاجتماعية وتفاعلاتها بين مستويات اللغة التي هي انعكاس لتعدد التصرفات الاجتماعية للإنسان، ولا يجد الهمداني طريقة لمعالجة هذا السلوك غير الأمثال، أو بعبارة أخرى بيان موقعه بموازاة شخصيات الأمثال التي قام بعرضها وعرض مضامينها، ثم النص الموازي الذي يبين بعد تبدل الحال لأبي الفتح أيضاً بجملة من الأمثال، تبين الكرب الذي تعانينه مضامين هذه الشخصيات على الصعيد الإنساني، الخنساء وهند و... فنص المقامة يكشف عن السخرية اللاذعة والنقد الاجتماعي الساخر، للسلوك الإنساني عندما يعرض النصان المتقابلان الحاملان لقمم الشخصيات كل في مجاله الذي شهر به، مع بيان المسافة والفارق لشخصية أبي الفتح بعد تبدل حاله، وهذا أسلوب يميز الهمداني، إذ يشعر بواقعية واستمرارية ما يسلط عليه الضوء من قضايا يود معالجتها.

والمقامة الدينارية تدور بشكل من أشكالها في فلك الوظيفة الاجتماعية للمثل، إذ إن مدار الحديث يبقى في الإطار المادي للحياة، إذ يترك الهمداني نهاية المقامة مفتوحة على قراءات متعددة الاحتمالات، يقول الهمداني في معرض وصف دينار من قبل أشحد اثنين يتباريان في ذلك، ويبيدي كل أبلغ ما عنده، ويمارس لعبة البديع وشهوة التقعر في اللغة، كل ذلك في سبيل الحصول على دينار، فيلمس المتلقي ابتذال هيبة اللغة ووقارها، فيحشد من العبارات الجزلة في خدمة دينار واحد، ويرد فيما يرد "يا أقبح من حتى، في مواقع شتى"⁽⁶⁰⁾، ولعل هذا تضمين قول شديد الارتباط بشخصية نحوي معروف قوله: "أموت وفي نفسي شيء من حتى" للتأشير إلى تاريخ الفكر النحوي وشكل من أشكال الحوار معه، وبالرغم من اقتباس الهمداني لكامل القول -المثل-، إلا أن الدارس سيتجاوز القول إلى دلالاته، بمعنى أنه سيعدل عن الراوي الأصلي والمروي عليه أو له، إلى آفاق قرآنية أخرى.

لعل المثل هنا يمثل الصراع بين صوتين: اللغة ونحوها وبين الصراع في الحصول على دينار واحد والمثل يحاول بلورة طبيعة هذا الصراع) وآلياته، بمعنى أوضح بين العلم والمال⁽⁶¹⁾ ويحاول الاستعانة بهذا القول من أجل منح المعنى أبعاداً دلالية لا حد لها، كما أنه يفتح النص على آفاق قرآنية تحليلية تأخذ المتلقي بطريقة ذكية إلى مجال معرفي آخر، فالمثل يضيء لنا ما

يخفيه النص، عبر إحاطة التركيب السردى بهالة تربى عليها وعي المتلقي في احترام الصيغ القديمة للقول الجاهزة، ففي الوقت الذي يصور الهمذاني فيه الحاجة إلى الدرهم والدينار واللهاث خلفها، تعكس عبارة الفراء القلق والجهد المبذول في محاولة حل الإشكالات النحوية التي تحدثها حتى في التراكيب السياقية وانقسام النحاة حيالها شيئاً مختلفاً، لا ييغون من ذلك إلا خدمة اللغة والإبداع، في الوقت الذي يجعل الهمذاني في زمنه شخصيتين تتصارعان وتتهارشان من أجل دينار واحد، ليؤشر على ضالة الهدف، وانحطاط الزمن. فالمثل هو ثروة هذه الشخصية⁽⁶²⁾، وسيشير الدارس إلى نماذج أخرى من الأمثال الموظفة داخل المقامات على سبيل المثال لا الحصر، وأسلوب الهمذاني والهدف الذي تعمل على تأديته.

في المقامة الأرمينية وموضوعها ضياع عيسى بن هشام، والإسكندري في الصحراء، ووقوعهما بأيدي لصوص أخذوا منهما كل ما يملكان يقول: وأناخونا بأرض نعامة⁽⁶³⁾، والمثل (أجبن من نعامة). يحاول المثل، أو الإشارة إليه هنا، وفي مقدمة المقامة أن يضع المتلقي في جو الخوف والرعب الذي سيوطى لظهور شخصية أبي الفتح الجائع، فيعتمد الهمذاني هنا (إلى عناصر التراث بوصفها بنية استعارية في دلالتها والاستفادة منها في موضوع الهمذاني الحالي، ثم يحاول الهمذاني أن يضيف إليه بعض ملامح من راهن الكتابة، سعياً منه في إضفاء واقعية تكون أقرب إلى التصديق)⁽⁶⁴⁾، فهو يحاول الانطلاق من نص سردي قديم كشكل، واعتماده منطلقاً لإنجاز نصه، وتظهر هنا قدرة الهمذاني بوصفه مبدعاً في تلييس لغته بالشكل العام للغة الإطار النصي للخطاب المستلهم⁽⁶⁵⁾.

كذلك جاء في المقامة الناجمية (ما وراءك يا عصام)⁽⁶⁶⁾ وهذا مثل يضرب عند الاستفسار عن أمر مرغوب فيه، ان يلاحظ هنا كيف يصبح المثل مصدراً رسمياً من مصادر الخبر، ولبنة أساسية في السرد لما يمتلكه من متعة المفاجأة والدهشة، وقد وضعه في مكانه وزمانه المناسبين داخل المقامة، وبعده سيأتي الجواب، والحوار هو الذي مهد لمجيء الخبر، ويتحول المثل إلى نقطة الانطلاق في العمل الفني، واستئناف السرد من جديد وأسلوب جديد، في التعبير يتحول به السرد في السياق من خلال المثل فعلاً إنتاجياً، وهناك دائماً روايتان وخبران للنص السردى المتضمن المثل، رواية الهمذاني الخاصة به ووظيفته، ورواية المثل وقصته الخلفية الأصلية.

Proverbs in Maqamat Badee' Al- Zaman Al- Hamadani

Hashem Al-Azam, Irbid University College.

Abstract

This research tried to emphasize the role of proverbs in enhancing psychological, literary and social issues through an artistic study of proverbs in Badee' Al- Zaman Al- Hamadani's Makamat which concentrated on the effective role of proverbs in literary contexts. The study revealed Al- Hamadani's approach of dealing with proverbs whether they were completely included as cited in proverbs' books or referred to through the inclusion of some words of the proverbs. The study also referred to Al- Hamadani's approach of benefiting from the proverbs' artistic function as they imply rhymed prose, shortness, art of good style and the music caused by their words' rhythm as being perfect structures at linguistic and rhetoric levels. Al- Hamadani's skill was evident in his ability to make proverbs as part of his contexts as well as the objective function of the aim and purpose in which the proverbs was originally formed.

Another consideration about al- Hamadani's approach is that it reflected the function of proverbs, making use of them to achieve his aims. He used to express proverbs in poetry in the same way as he used to say proverbs himself. The research noticed that the general nature of proverbs' inclusion was pessimistic as he attributed that to the misfortunes of life. Through his Makamat, he discussed the deteriorating Arab culture at his time. He described that by making a contrast between the past and now. He expressed his longing to the past in his makamat several times. He also discussed the human social behavior and its change due to a lot of influences, the most powerful of which were money and power. In this context, he cast spots of light on those common diseases of his time and proverbs met Al- Hamadani's psychological needs.

قدم البحث للنشر في 2010/7/4 وقبل في 2011/3/23

الهوامش

- (1) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات دار النصر، دمشق، ج1، ص6.
- (2) قطامش، عبد المجيد، الأمثال العربية، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1988، ط1، ص256.
- (3) مجمع الأمثال، ص6.

- (4) الأمثال العربية، ص203.
- (5) ضيف، شوقي العصر الجاهلي، ط8، دار المعارف، مصر، 1978، ص 409.
- (6) مجمع الأمثال، ص20.
- (7) الشكعة مصطفى، بديع الزمان الهمذاني، الدار المصرية اللبنانية، ط4، سنة 2001، ص 350.
- (8) المصدر نفسه، ص20.
- (9) مجمع الأمثال، ص20.
- (10) كيليطو، عبد الفتاح، المقامات السرد والأنساق الثقافية، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال، الدار البيضاء، 1993، ص 20.
- (11) عبد الحميد، محمد محي الدين، شرح مقامات الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، ص57.
- (12) المقامات السرد والأنساق الثقافية ص20
- (13) مجمع الأمثال، ص101.
- (14) شرح مقامات الهمذاني، ص96. وانظر الميداني مجمع الأمثال، ص101.
- (15) الأمثال العربية، ص272.
- (16) المقامات السرد والأنساق الثقافية، ص79.
- (17) شرح مقامات الهمذاني، ص 44.
- (18) مجمع الأمثال، ج1، ص14.
- (19) الطلبة، محمد سالم محمد الأمين، مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 208 ص27.
- (20) شرح مقامات الهمذاني، ص77.
- (21) مجمع الأمثال، ص77.
- (22) ضيف، شوقي، المقامة، دار المعارف، القاهرة، سنة 1987، ط1، ص 5.
- (23) بكار، توفيق، دراسات في القصة العربية من أعماق التراث إلى أقصى المعاصرة، مؤسسة الأبحاث العربية ط1 1986، بيروت لبنان، ص 184.
- (24) شرح مقامات الهمذاني، ص143.
- (25) بو علي، محمد توفيق، الأمثال العربية، والعصر الجاهلي، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1988، ص63.

- (26) ديوان امرئ القيس، ضبطه، مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ص43. وأنظر مجمع الأمثال، ج1، ص295.
- (27) ناصف مصطفى، محاورات مع النثر العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1997، ص189.
- (28) المقامات السرد والأنساق الثقافية، ص15.
- (29) المصدر نفسه، ص182.
- (30) المصدر نفسه، ص187.
- (31) يقطين سعيد، التحويلات الحكائية والسردية، مجلة نزوى، ع17، 1999، ص62.
- (32) شرح مقامات الهمداني، ص184.
- (33) محاورات مع النثر العربي، ص211.
- (34) شرح مقامات الهمداني، ص184.
- (35) الأمثال العربية والعصر الجاهلي، ص66.
- (36) المقامات السرد والأنساق الثقافية، ص16.
- (37) شرح مقامات الهمداني، ص278.
- (38) المصدر نفسه، ص178.
- (39) محاورات مع النثر العربي، ص180.
- (40) المقامات السرد والأنساق الثقافية، ص19.
- (41) المصدر نفسه، ص61.
- (42) الحصامي، محمد يحي خطاب المقدمات في الرواية اليمنية، مجلة نزوى، ع57، 2009، ص91.
- (43) شرح مقامات الهمداني، ص288.
- (44) مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر، ص22.
- (45) المصدر نفسه، ص93.
- (46) شرح المقامات الهمداني، ص133. وانظر الميداني مجمع الأمثال، ص299.
- (47) محاورات مع النثر العربي، ص180.
- (48) المصدر نفسه، ص180.
- (49) المصدر نفسه، ص182.
- (50) المصدر نفسه، ص111.

- (51) المقامات السرد الأنساق الثقافية، ص75.
- (52) شرح مقامات الهمداني، ص112.
- (53) المصدر نفسه، ص228.
- (54) خطاب المقدمات في الرواية اليمنية، ص95.
- (55) شرح مقامات الهمداني، ص333. انظر مجمع الأمثال، ص182، ص28.
- (56) محاورات مع النثر العربي، ص21.
- (57) مستويات اللغة في السرد العربي، ص221.
- (58) المقامات السرد والأنساق الثقافية، ص55.
- (59) محاورات مع النثر العربي، ص209.
- (60) شرح مقامات الهمداني، ص379.
- (61) مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر، ص15.
- (62) محاورات مع النثر العربي، ص485.
- (63) شرح مقامات الهمداني، ص278.
- (64) مستويات اللغة في السرد العربي، ص44 بتصرف.
- (65) المصدر نفسه، ص45.
- (66) شرح مقامات الهمداني، ص294.

المراجع:-

- أبو علي، محمد توفيق، (1988). الأمثال العربية، والعصر الجاهلي، دار النفائس، بيروت - لبنان.
- أشبهون، عبد المالك، (2004). خطاب المقدمات في الرواية العربية، عالم الفكر، مجلد 33، ع2، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- بكار، توفيق، (1986). دراسات في القصة العربية من أعماق التراث إلى أقصى المعاصرة، وقائع ندوة مكتاس، مؤسسة الأبحاث العربية. بيروت - لبنان.
- الحصماني، محمد يحيى، (2009). خطاب المقدمات في الرواية اليمنية، مجلة نزوى، ع57، عُمان.

- الشكعة، مصطفى، (2001). بديع الزمان الهمذاني، الدار المصرية، ط4.
- ضيف، شوقي، (1978). العصر الجاهلي، ط8، دار المعارف، مصر.
- ضيف، شوقي، (1987). المقامة، دار المعارف، ط7، القاهرة.
- الطلبة، محمد سالم محمد الأمين، (2008). مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1.
- عبد الحميد، محمد محي الدين، (د.ت). شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت - لبنان.
- قطامش، عبد المجيد، (1988). الأمثال العربية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1.
- كيليطو، عبد الفتاح، (1993). المقامات السرد والأنساق الثقافية، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط2.
- مبارك، زكي، (1975). النثر الفني في القرن الرابع، دار الجيل.
- المنادي، أحمد، (2005). التلقي والتواصل الأدبي، عالم الفكر، ع1، مج 34، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- موسى، إبراهيم نمر، (2004). توظيف الشخصيات التاريخية في الشعر الفلسطيني، عالم الفكر، مجلد 33، ع2، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، (د.ت). مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار النصر، دمشق.
- ناصر، مصطفى، (1997). محاورات مع النثر العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت عالم المعرفة.
- يقطين، سعيد، (1999). التحويلات الحكائية والسردية، مجلة نزوى، ع17، عُمان.

أسطول البن العماني وتجارته من 1744م- 1832م

ناهد عبد الكريم ويوسف الغيلاني*

ملخص

شكلت سلطنة عمان عبر العصور التاريخية مرتكزا أساسيا للتجارة الدولية لمختلف السلع التجارية. وفي القرن الثامن عشر الميلادي، وبسبب انتشار تجارة سلعة البن وانتشار مشروبه، غدت عمان من أبرز الدول المتاجرة به والناقلة الأولى له. واكتسب أسطول البن العماني شهرة كبيرة. لذلك يأتي هذا البحث للكشف عن دور عمان بهذه التجارة، وقد تضمن مقدمة عن المصادر التي أشارت إلى هذا الموضوع، وتمهيدا عن تجارة البن بشكل عام، ثم جاء العرض ليتناول دور عمان في هذه التجارة وخاصة في عهد الدولة البوسعيدية من عام 1744- 1832 مع شرح الظروف العسكرية والسياسية التي واجهتها للحفاظ على مكانتها. واستعرض البحث دور أسطول البن العماني والطرق التي سلكها. وانتهى إلى مجموعة من النتائج التي يمكن تلخيصها كالتالي:

- 1- قلة الوثائق التي تناولت تجارة البن في عمان وخاصة في الفترة التي سبقت وصول أسرة آل بوسعيد للسلطة عام 1744. وأهمية كتب الرحالة الأجانب في هذا الجانب.
- 2- ازدهار تجارة البن في عمان وخاصة في عهد مؤسس أسرة آل بوسعيد الإمام أحمد بن سعيد بسبب حالة الاستقرار في عمان واهتمامه شخصيا بالتجارة وأبرزها تجارة البن المستورد من اليمن الذي حقق عائدات هامة للدولة.
- 3- أسهم أسطول البن العماني الذي زاعت شهرته في تغطية حاجة عمان والعراق والشام وحتى قسم كبير من حاجة الدولة العثمانية. وتكون من أسطولين أحدهما مسقطي والآخر صوري، نسبة إلى مدينة صور.
- 4- واجهت تجارة البن العمانية تحديات إقليمية ودولية، وتعرض الأسطول العماني للسطو في منطقة الخليج العربي من قبل الفرس وبعض القبائل العربية مما دفع بالإمام أحمد للدفاع عنه بأسطول حربي.
- 5- كانت تجارة البن العماني أحد الأسباب الرئيسية للتقارب العماني- العثماني في مواجهة الخطر الفارسي وخاصة عام 1775.
- 6- بدأت تجارة البن العماني بالتراجع بعد الربع الأول من القرن التاسع عشر لدخول منافسين جدد مثل والي مصر محمد علي. وبريطانيا التي احتلت عدن عام 1939، بالإضافة إلى توجه اهتمام السيد

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2013.

* قسم التاريخ، جامعة السلطان قابوس، عمان.

سعيد بن سلطان حاكم عمان إلى سلعة جديدة هي القرنفل بعد أن نقل عاصمته إلى زنجبار عام 1832.

وأخيرا يمكن القول إن المعلومات التي توصل إليها البحث تجعله إضافة مهمة في الكشف عن تاريخ عمان الحديث.

المقدمة:

حافظت منطقة الخليج العربي عبر التاريخ على مكانتها كأهم طريق تجاري للسلع الاستراتيجية والسلع الأكثر طلبا في العالم عدا أهميتها المتميزة في المواصلات الدولية. ولعبت موانئه دورا هاما في النشاط ذاته.

وتعتبر تجارة البن في فترة البحث واحدة من أشهر أنواع التجارة التي كانت تعبر الخليج قادمة من موانئ اليمن. وكان نصيب الأسطول العماني منها كبيرا بل يتصدرها. ويأتي هذا البحث لتوضيح أهمية هذه التجارة العمانية ودور أسطول البن العماني الذي حاز شهرة لفتت أنظار الرحالة الأجانب الذين مروا في عمان والخليج العربي فأشاروا إليها في كتبهم، وعلقوا على أهميتها؛ مما جعل كتب الرحلات هذه المصدر الرئيسي للمعلومات عن أساطيل البن وتجارته من اليمن إلى باقي مناطق الجزيرة العربية وأوروبا. ويأتي في مقدمة هؤلاء الرحالة الدانماركي كرستين نيبور Niebuhr الذي قام برحلته بتكليف من ملك الدنمارك فردريك الخامس إلى جزيرة العرب اعتبارا من عام 1759 منطلقا من الدنمارك، حيث اعتبرت رحلته وما دونه فيها من مشاهداته في جزيرة العرب الأهم علميا وتاريخيا. وكان من أوائل الغربيين الذين أشاروا وبوضوح إلى أسطول البن العماني حيث اعتمد عليه في التنقل على سواحل شبه الجزيرة العربية.

وارتبط تزايد الرحلات العربية والأوربية والتنافس الغربي في منطقة الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين في أحد أشكاله بتجارة البن وارتفاع أعداد السفن الناقلة له، خاصة بعد ظهور القوى البحرية العمانية وشهرة أسطولها ومهارة بحارتها وعلاقاتها التجارية القديمة مع اليمن. وتحولها إلى أكبر ناقل للبن في البحر الأحمر والخليج العربي. ومن هنا فإن هذا البحث يسعى للكشف عن أهمية هذا النشاط الاقتصادي العماني وإبراز دوره الفعال وذلك من خلال تناوله للمحاور التالية:

- تمهيد عن تجارة البن بشكل عام
- عمان وتجارة البن وأوضاعها زمن حكم اليعاربة
- تجارة البن في عهد دولة آل بو سعيد وخاصة في عهد الإمام أحمد بن سعيد
- أسطول البن العماني والطرق التي سلكها

- أثر الصراع السياسي والعسكري في الخليج العربي والمحيط الهندي على تجارة البن العمانية
- حصار البصرة عامي 1756م و1775م ونتائجه على تجارة البن في عمان
- تجارة البن في عمان بعد وفاة الإمام أحمد بن سعيد
- العوامل المؤثرة في تراجع تجارة البن العماني.

تمهيد:

لم تكن المسافة الزمنية بعيدة بين التعرف على شجرة البن ومشروب القهوة الذي أصبح معروفا منذ حوالي منتصف القرن الخامس عشر في الأديرة الصوفية اليمنية وتحول البن إلى سلعة تجارية عام 1700م¹. ويشير نيبور إلى أن أصل شجرة البن في اليمن من الحبشة وأن هذا ما أكده له اليمنيون أنفسهم². كذلك ذكر وصفي زكريا في كتابه "رحلتي إلى اليمن" أن موطن البن الأصلي هو الحبشة وأنه "لم يزرع في اليمن قبل القرن التاسع الهجري وكان ذلك على يد شيخ اسمه جمال الدين بن أبي الفخر"³. وقد أجمعت المصادر على أن أصحاب الطريقة الشاذلية في اليمن كانوا أول من استعمل القهوة كمنشط لتعينهم على السهر والعبادة بعد أن اكتشف الشيخ أبو بكر العيدروسي الشاذلي المتوفى عام 909هـ تأثير هذه النبتة ونصح بها أتباعه⁴.

وشهد هذا المشروب بعض الاعتراض عليه في بداياته، وتم التعامل معه أحيانا على أنه من المحرمات وأنه كالمسكرات. وهذه النظرة لمشروب البن لم تقتصر على المناطق الإسلامية والعربية بل تعدتها إلى الدول المسيحية⁵. ففي القرن السابع عشر الميلادي تجاوزت القهوة مشاكلها المتعلقة بتحريمها، وغدت أكثر انتشارا في الجزيرة العربية والعالم. ولم تلبث أن أصبحت اليمن أشهر مصدر للبن في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي⁶.

ولا نجد كثيرا من الوثائق عن تجارة البن قبل القرن السابع عشر الميلادي، وهذا يتوافق مع حقيقة عدم انتشار مشروب القهوة قبل ذلك التاريخ، ولكنها (الوثائق) تبدأ بالظهور في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي في السجلات التجارية بل وتتصدر تجارة البن قوائم تلك السجلات. وتذكر باتريشيا ريسو Patricia Risso أنه على الرغم من ظهور تلك الوثائق فإن معرفة حجم تجارة عمان من البن لم يكن أمرا سهلا بسبب إدخال تجارتها مع تجارة الخليج أو مع تجارة البصرة، كما أن تحديد ملاك السفن لم يكن يسيرا أيضا⁷.

ومع أن المعلومات قليلة عن تجارة البن قبل القرن السابع عشر إلا أن التنافس الاستعماري الغربي الذي نشط في المحيط الهندي والخليج العربي بعد تأسيس الشركات التجارية الاستعمارية في الهند بدءا من شركة الهند الشرقية البريطانية عام 1600م حمل معه تنافسا محموما على المادة الجديدة (البن). وكانت بريطانيا قد قامت بمحاولات عديدة للتواصل مع ميناء مخا اليمني

منذ عام 1609، إلا أن خسائرها البشرية بين بحارتها جراء سياسة الدولة العثمانية بمنع القوارب المسيحية من دخول البحر الأحمر حفاظا على المناطق الإسلامية دفعها عام 1611 للتوقف. وبقيت كذلك حتى عام 1618 حين حصلت على موافقة الوالي العثماني لتأسيس تجارة لها مع مخا مقابل 3% من الرسوم⁸. لكن التجارة البريطانية اقتصر في بادئ الأمر على بيع منتجاتها هناك وعلى الرغم من ذلك توقفت تجارتها في البحر الأحمر ما بين 1624 إلى 1628 بسبب تعاملها السيئ مع بعض البحارة اليمنيين. لكنها عاودت تجارتها بعد ذلك بشكل متقطع في بادئ الأمر.

في ذلك الوقت كانت عمان منشغلة في تأسيس دولتها الجديدة عام 1624م بزعامة اليعاربة وفي طرد الاستعمار البرتغالي من أراضيها، بينما كانت السفن الأوربية الهولندية والفرنسية والبريطانية تزدهم في موانئ اليمن وخاصة ميناء مخا للحصول على حمولتها من البن⁹.

ويبدو أن السفن الهولندية كانت أوفر حظا من غيرها في تجارتها على الرغم من المنافسة الفرنسية والبريطانية، حيث قام الهولنديون والبريطانيون بتعيين موظفين وكلاء لهم في ميناء مخا بشكل غير منتظم. وفي الفترة بين 1618-1620م سمح للدولتين بإقامة مقر لوكالتيهما في مخا¹⁰. ونتج عما قامت به هذه الوكالات وتحديدًا الهولندية ما أظهرته السجلات والوثائق بأن شراء أول صفقة من هذه السلعة كان من ميناء مخا عام 1628م تم نقلها إلى مراكزها في شمال غرب الهند وإلى موانئ فارس¹¹. وفي عام 1633م بات ميناء أمستردام من أشهر موانئ البن في أوروبا. واضطرت الدول الأخرى للجوء إلى القرصنة للاستيلاء على البن الذي تحمله السفن. ومع تصاعد أعمال القرصنة في البحر الأحمر أصيبت تجارة ميناء مخا عام 1640م بالكساد، وزاد الأمر سوءا قرار الشركة البريطانية بوقف نشاطها التجاري مع ميناء مخا، والبحث عن البن من موانئ أخرى¹². ولا يبدو أن بريطانيا استغنت عن ميناء مخا نهائيا ففي عام 1660 نقلت منه إحدى السفن البريطانية حمولة كبيرة من البن وأفرغتها في ميناء بندر عباس (جمبرون) حيث تم بيعه هناك¹³.

كما لجأت بريطانيا إلى سياسة الالتفاف أو ما عرف بسياسة "الرحلات الدائرية" بحيث تستخدم سفنا محلية تلقتي بها في سوقطرة فتحملها بالبضائع البريطانية التي يتم نقلها لميناء مخا ويجري هناك مقايضتها بالبن وغيره من منتجات اليمن الذي يتم نقله إلى ميناء بندر عباس والبصرة فتتولى السفن البريطانية مبادلاته تجاريا هناك¹⁴. كل ذلك بهدف الحصول على البن وتجنبًا للمواجهة مع السفن الفرنسية والهولندية. لكن هذه الطريقة كانت مكلفة وغير مجدية لذلك تخلت عنها.

واستمرت بعد ذلك هذه القوى في التنافس بينها دون وجود قوة إقليمية كبيرة تستطيع فرض نفسها على تجارة المنطقة حتى وصول أسرة آل بو سعيد للحكم في عمان عام 1744م

وظهورها كقوة منافسة للأساطيل الغربية في الخليج العربي والمحيط الهندي¹⁵. فاختلقت الحال وأصبح النشاط التجاري العماني علامة مميزة في المنطقة.

عمان وتجارة البن:

ارتبطت علاقة عمان بتجارة البن بمراحل القوة والضعف السياسي والعسكري اللذين مرت بهما. ففي فترة وجود الاحتلال البرتغالي فيها والتي امتدت من 1507م إلى 1650م، لم تكن مقدراتها الاقتصادية بيدها بحكم سيطرة البرتغاليين على جميع منافذها البحرية واحتكارهم لتجارة الخليج العربي والمحيط الهندي. لكن أوضاعها بدأت بالتغير مقتنة بظهور قوى استعمارية بريطانية وهولندية وفرنسية منافسة للبرتغاليين في السيطرة على تجارة المحيط الهندي بعد الاحتكار البرتغالي الذي استمر لعقود.

وخلال التنافس الاستعماري الغربي في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي، تم إضعاف النفوذ البرتغالي، وتزامن هذا الضعف مع قيام أسرة اليعاربة في عمان عام 1624م كأول كيان سياسي في المنطقة، فتهيأت بذلك الظروف للقضاء نهائيا على الوجود البرتغالي في عمان واعتبر عام 1650م عام التخلص من الاستعمار البرتغالي، واسترداد زمام السيطرة على الموانئ العمانية، وانفتاحها على التجارة الإقليمية والدولية، ساعدها في ذلك نمو قوة أسطولها وخاصة في عهد الإمام سلطان بن سيف اليعربي 1648- 1679م.

ويمكن ملاحظة الدور العماني في تجارة البن على مرحلتين، اقترنت كل مرحلة منهما بقوة الدولتين اللتين حكمتا عمان في العصر الحديث، دولة اليعاربة ودولة آل بو سعيد.

ففي عصر اليعاربة 1624- 1744م وعلى الرغم من النمو الذي شهدته عمان في قوتها البحرية وتمكنها من تأكيد نفوذها في المنطقة¹⁶، فإن عوامل مختلفة أثرت على تعاملاتها التجارية من ذلك، صراعها مع بقايا المراكز البرتغالية وتتبعهم لها في الهند أو في شرق إفريقيا الذي استمر حتى عام 1729م¹⁷، كما أن الصراع العماني الفارسي بسبب محاولات الفرس سد الفراغ الذي أحدثه خروج البرتغاليين من الخليج العربي، هذا إلى جانب ظهور التحالفات الدولية ضد عمان نتيجة المخاوف التي أثارها قوة أسطولها البحري. وكان أبرز هذه التحالفات معاهدة عام 1700م التي وزعت مناطق المراقبة بين فرنسا التي أوكل إليها أمن الخليج العربي، وبريطانيا التي تولت الإشراف على بحار الهند الشرقية، أما الهولنديون فكان عليهم حماية سواحل البحر الأحمر الجنوبية، كل هذا تحسبا لقوة اليعاربة البحرية، ولمواجهة نفوذها الأمر الذي استنفر العمانيين وأدخلهم في توتر مستمر مع هذه القوى.

وعلى الرغم من العلاقات المتوترة التي خاضها اليعاربة مع هذه الدول، إلا أنهم على الصعيد التجاري نجحوا وإلى حد بعيد في كسر الاحتكار البرتغالي للتجارة، ونمت مسقط كمرکز تجاري بشكل كبير. كما أنهم فرضوا هيبتهم واتسم عهدهم بالرخاء الاقتصادي. الذي أقر لهم به الانكليز والهولنديون على السواء¹⁸.

وفي عهد الإمام سلطان بن سيف الأول كانت تجارة البن تأتي من مخا وعدن، ويكون وصولها في شهري مايو وأكتوبر، حاملة معها بضائع لحساب الإمام نفسه بالإضافة إلى بضائع أخرى كان يتم إعادة تصديرها إلى بلاد فارس. وكانت تتضمن القهوة والفلفل والنيلة والهيل والزنجبيل...¹⁹.

و نجد إشارات تدل على تجارة العمانيين بالبن في عهد الإمام سلطان بن سيف الأول كذلك التي ذكرها الرحالة وليم هيدجز في مذكراته عام 1675م في حديثه عن سكان مسقط واصفا إياهم بالقرصنة وأنهم يمتلكون " أربع سفن في باب المندب لمهاجمة تجار مخا"²⁰. ويرتبط اتهامه للعمانيين بالقرصنة على سفن ميناء مخا؛ الشهير بتصدير البن بشكل أساسي، بالهيمنة الفرنسية والهولندية والانكليزية، حيث بدأت المنافسة بين هذه الدول الثلاث خلال فترة النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي، واستمرت خلال القرن الثامن عشر حين بلغ إنتاج البن في اليمن ذروته عام 1720م²¹.

ويشير الرحالة الفرنسي دي لاروك De la Roque الذي قام برحلة إلى اليمن عام 1708م ثم عاد ثانية إليها ما بين عامي 1711- 1713م إلى هذا التنافس بأن الفرنسيين تجاوزوا البريطانيين والهولنديين في المنافسة على بن اليمن. وأنه اشترى في رحلته الثانية غالبية بن بيت الفقيه، وبلغ حمولة ثلاث سفن كبيرة بقيمة تتجاوز المائة ألف قرش²². كما أشار إلى ضيق العثمانيين من المنافسة الفرنسية والأوربية التي رفعت أسعار البن. ويظهر ما ذكره حجم التنافس الدولي على تجارة البن ومدى الإقبال على مشروب القهوة. وقد بقيت تجارة البصرة حتى عام 1730م ينقلها الانكليز والفرنسيون بشكل رئيسي.²³

وبسبب المنافسة التي كان يتعرض لها ميناء مخا، وحفاظا على الود بين حاكم عمان الإمام سيف بن سلطان الأول وسلطان اليمن إسماعيل بن القاسم، قدم الإمام سيف بن سلطان ألفي رطل من الرصاص كمساعدة لحاكم مخا، للدفاع عن هذا الميناء ضد محاولات البرتغاليين السيطرة عليه. ويأتي هذا أيضا في سياق حملة التطهير من النفوذ البرتغالي التي قادها اليعاربة²⁴.

وكذلك لدينا إشارات أخرى تفيد أن عمان عرفت تجارة البن في تلك الفترة، ويظهر ذلك فيما ذكره جون فريار في كتابه، معلومات جديدة عن فارس والهند الشرقية، حيث يصف مسقط عند وصوله إليها بأن "التجار يفدون إليها من القاهرة ومخا"²⁵. وفي عام 1715 يقول القبطان الكسندر هاملتون في كتابه، معلومات جديدة عن الهند الشرقية " تصدر مسقط الجياد والبن والأقمشة" وفي ذلك إشارة إلى إعادة تصدير البن القادم من اليمن؛ لأن عمان لا تملك بنا للتصدير²⁶. وإن كان قد ذكر في هذا الصدد أن الإمام سيف بن سلطان الأول اليعربي 1692-1711م الذي تعقب البرتغاليين في شرق إفريقيا "غرس أشجارا مجلوبة من البحر، وأشجارا في الجبل، مثل اللورس والزعفران والبن"²⁷. فإن هذا لا يعني أن البن العماني كان معدا للتجارة حيث لم تذكر أي من المصادر ذلك، ولكن من الممكن تفسير ذلك على أن الإمام سيف بن سلطان كان يحاول تأمين احتياج عمان من البن داخليا في ظل الطفرة الزراعية التي شهدتها بلاده. ولا نستبعد أن تكون أشجار البن التي جلبها للزراعة قد أحضرها معه من أفريقيا.

وتشير تقارير شركة الهند الشرقية البريطانية إلى أن نشاط العمانيين في نقل تجارة البن بدأ يظهر بشكل واضح معطيا زيادة ملحوظة خلال عام 1739م. وهذه أولى الإشارات التي تذكرها مصادر الشركة عن هذا النشاط الخاص بتجارة البن اليمني بواسطة العمانيين إلى البصرة²⁸.

ومن المفيد هنا، تحديد بعض العوامل التي ساهمت في تأخر عمان عن ممارسة دور فاعل في تجارة البن في عهد اليعاربة ومنها:

- 1- الاشتغال بحروب الاستقلال ضد البرتغاليين وتتبعهم شرقا وغربا حتى إفريقيا.
- 2- تأخر انتشار البن كسلعة تجارية لها رواج حتى حوالي عام 1700م، فقد كان الهولنديون أول من تاجر به بكميات محدودة²⁹. وبالتالي لم يكن من السلع الأساسية للتجارة العمانية.
- 3- الاحتكار والمنافسة لتجارة البن اللذان مارستهما الدول الاستعمارية الثلاث بريطانيا وهولندا وفرنسا مما جعل الحصول على هذه السلعة أمرا صعبا، وقد يكون سببا لمهاجمة العمانيين لسفن هذه الدول المغادرة لميناء المخا.
- 4- اعتماد طريق البحر الأحمر إلى السويس لتصدير البن إلى دول البحر المتوسط وأوروبا عامة³⁰، فقد ذكرت باتريشيا ريسو أن سفن شركة الهند الشرقية البريطانية كانت تضع في النصف الأول من القرن الثامن عشر قوائم لتجارة البن من اليمن إلى أسواق جدة والسويس، وأنه جاء فيها أن قيمة تجارة البن إليهما أكبر بحوالي عشر مرات من تجارة الخليج إلى البصرة وبندر عباس، وهذا يفسر حجم الاحتكار الذي مارسه تلك الدول³¹.

أما خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر وهي الفترة التي شهدت فيها أسرة اليعاربة حملات ناجحة على القوى الفارسية أدخلت في قلوبهم الرعب، واستمرت تتصدى لهم حتى ضعف النفوذ الفارسي في الخليج مع الاجتياح الأفغاني عام 1722م لفارس³². وكان لقوة عمان أن تبقى سيدة الخليج لولا الصراعات الداخلية التي نشأت على الحكم، رافقها وصول نادر شاه إلى الحكم في فارس ونمو القوة الفارسية حتى تدخلت في شؤون عمان إلى حد احتلالها في أواخر عهد دولة اليعاربة. ومع أن الأحوال كانت مضطربة في كل من فارس وعمان إلا أن ريسو تذكر أنه لوحظ عام 1739م ولأول مرة ذكر سفن "الترانكي" المسقطية في قوائم الشحن التابعة لشركة الهند الشرقية قادمة من مخا³³. كما ذكر الرحالة نيبور تلك السفن وأشار إلى أنه استخدم إحداها للسفر من جدة إلى ميناء لحية اليمني³⁴.

وعلى الرغم من تميز واحتكار زراعة البن في اليمن إلا أنها وقعت في دائرة المنافسة والتحديات التي كان من أهمها نجاح الهولنديين في زراعة البن في مدينة جاوة الأندونيسية عام 1730م، ومع الفرنسيين عندما قاموا بزراعته في جزيرة بوربون، في حين بقي البريطانيون معتمدين في حصولهم على البن من ميناء مخا³⁵.

وبينما كان البن حتى منتصف القرن السابع عشر الميلادي يزرع في اليمن وإثيوبيا فقط، فإن زراعته واجهت منافسا قويا أيضا في أمريكا الجنوبية والبحر الكاريبي وخاصة في الفترة ما بين 1720-1850م³⁶.

تجارة البن في عهد الدولة البوسعيدية في عمان:

مما لا شك فيه أن العصر الذهبي لتجارة البن في عمان ارتبط بقيام دولة آل بوسعيد عام 1744م، وعلى وجه الخصوص بفترة حكم مؤسس الدولة الإمام أحمد بن سعيد، فقد تحول العمانيون وأسطولهم إلى أشهر ناقلين للبن في منطقة الخليج العربي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. وباتت تجارته النشاط الرئيسي للعمانيين ومصدر ثروتهم.

وإن وصف عمان في عهد آل بوسعيد بأنها "دولة تجارية" لم يكن تقليلا من دورها العسكري الكبير الذي كان استمرارا لقوة دولة اليعاربة التي سبقتها، لكن دولة آل بو سعيد تفوقت بقدراتها التجارية حتى جعلت القوى الاستعمارية التجارية في الخليج والمحيط الهندي تسعى تارة لمعاداتها، وأخرى لكسب صداقتها. وكان الإمام أحمد بن سعيد قد نجح في طرد الفرس من عمان عام 1744م، ثم ما لبث أن التفت إلى إكمال وحدة البلاد وتنمية قدراتها العسكرية والبحرية بشكل خاص، كل هذا لتهيئة الجو للنمو الاقتصادي والسياسي لعمان.

وقد شهدت عمان تطورا اقتصاديا كبيرا، أسهم فيه توفر عوامل مختلفة يمكن إجمالها بالتالي:

- 1- الاستقرار السياسي بعد تخليص عمان من الاحتلال الفارسي والقضاء على المعارضة الداخلية.
- 2- العقلية التجارية لمؤسس الدولة الإمام أحمد بن سعيد الذي اشتهر كتاجر قبل توليه حاكما على صحار من قبل اليعاربة.
- 3- الضعف السياسي والعسكري الذي عانت منه فارس بعد وفاة نادر شاه عام 1747م، وأثره على ضعف الأسطول الفارسي، وانشغال خلفه كريم خان الزند الذي وصل إلى السلطة عام 1756م في توطيد حكمه داخليا.
- 4- تراجع دور الموانئ الفارسية، وتحول ميناء مسقط إلى أهم مركز ترتاده السفن المبحرة في المحيط الهندي والمتجهة إلى الهند والخليج العربي، ففي عام 1752م حدث خلاف بين الهولنديين والعثمانيين غادر على أثره الهولنديون مقيمتهم في البصرة. وفي عام 1759م، أحرقت المقيمة البريطانية في بندر عباس³⁷.
- 5- انشغال بريطانيا وفرنسا بحرب السنوات السبع التي امتدت ما بين 1756- 1763م. وكانتا قبلا محتكرتين لتجارة البن. وتذكر ريسو أن شركة الهند الشرقية البريطانية كانت ترسل في منتصف القرن الثامن عشر خمس سفن سنويا من الهند إلى ميناء مخا. وفي العام الذي زار فيه نيبور اليمين وهو عام 1763م أرسلت شركة الهند البريطانية نفسها سفينة واحدة سنويا أو كل سنتين، أما الفرنسيون فقد تراجع شحنهم للبن وكانوا يرسلون سفنهم بشكل غير منتظم في أوقات السلم، ولكنهم أيضا يتاجرون بالبن من جزيرة بوربون التي نقل الفرنسيون إليها زراعته³⁸.
- 6- والعامل الحاسم في هذا التطور الذي شهدته عمان، كان قوة الأسطول العماني الذي أسسه الإمام أحمد بن سعيد حتى بات الأسطول الأقوى في منطقة الخليج العربي بعد الأسطول البريطاني.

وأدت العوامل السابقة إلى تأثير كبير وتغير في الهيمنة التجارية على تجارة الخليج العربي بشكل عام وتجارة البن بشكل خاص، فقد أصبحت جزءا من النزاعات العسكرية والسياسية في المنطقة لما كانت تحققه من أرباح. ويعتبر عصر الإمام أحمد بن سعيد نموذجا واضحا لها.

تجارة البن في عهد الإمام أحمد بن سعيد 1744-1787م:

على العكس مما لاحظناه من نقص في المصادر عن أوضاع تجارة البن في عمان قبل وصول الإمام أحمد بن سعيد للسلطة، نشهد غزارة في المعلومات عن دور عمان في هذه التجارة في كتب الرحالة الأجانب الذين زاروا الجزيرة العربية في ذلك الوقت مثل الرحالة الدنمركي كرسنتين نيبور الذي بدأ الإشارة إلى أهمية تجارة البن العماني اعتباراً من عام 1763م وهو العام الذي غادر فيه مع بعثته جدة متجهاً إلى اليمن على ظهر أحد المراكب العمانية الناقلة للبن، وحتى عام 1765م وهو العام الذي وصل فيه إلى مسقط وكتب فيها عن مشاهداته لأسطول البن العماني أو ما أسماه "مراكب القهوة".

ومما لاشك فيه أن ما كتبه نيبور عن تجارة البن العماني جاء بعد أن توسعت عمان في هذه التجارة لأن أعداد السفن التي ذكرها وحمولتها التي سنأتي على ذكرها تؤكد أن عمان بلغت في تلك الفترة دوراً متميزاً في نقل هذه السلعة. وقد أشارت تقارير شركة الهند الشرقية الهولندية عام 1756م إلى أن أفضل وقت للقيام بالأعمال التجارية في مسقط هو مع بداية أكتوبر عندما تبدأ الرياح الموسمية من مخا فيكون ممكناً شراء القهوة واللبن³⁹. كما ذكرت التقارير الهولندية نفسها بن مخا في قائمة تجارة عمان عام 1757م⁴⁰. ولابد أن الإمام أحمد بن سعيد ومنذ عام 1749م وهو العام الذي قضى فيه على آخر أشكال المعارضة لحكمه وحتى عام 1765م، العام الذي كتب عنه نيبور، ركز على أهم مصادر دخل عمان وهي التجارة مستفيداً من تحول الحركة التجارية من ميناء بندر عباس، الذي غادره الأوروبيون عام 1763م بسبب الاضطرابات السياسية في إيران إلى ميناء مسقط⁴¹. وبما أن البن في ذلك الوقت كان السلعة الأكثر إغراء في الريح حيث يقول نيبور بعد أن وصل إلى ميناء لحية اليمني عام 1763م: إن زمن تجارة اللبان والبخور قد ولى، وإن العصر هو عصر البن والتبناك (التبغ)⁴². لذلك ركز الإمام أحمد بن سعيد جهوده للاستئثار بتجارته حتى نجح في احتكارها في منطقة الخليج العربي تقريباً. وأصبح ميناء مسقط في عهده "يحتكر توريد البن إلى إيران والعراق"⁴³، بل إن تجارة عمان في معظمها في عهد الإمام أحمد بن سعيد كانت مع العراق⁴⁴.

ويؤكد هولبي أن أكثر ما ميز التجارة في عهد الإمام أحمد بن سعيد كان تجارة البن في عمان⁴⁵، فخلال فترة حكمه انعكست حالة الاستقرار الداخلي على التجار العمانيين وأصبحت تجارة البن تحظى باهتمام واسع وأصبحت في ثمانينيات القرن الثامن عشر الميلادي إحدى وسائل الاستقلال التجاري الذي ميز النشاط التجاري العماني⁴⁶. واستمرت مسقط تتطور في عهده حتى غدت عند وفاته مركزاً رئيسياً لتجارة الهند والخليج العربي من جهة والبحر الأحمر من جهة أخرى⁴⁷.

ويصف نيبور مسقط عند زيارته لها بأنها كانت "تشكل مخزوناً لغالبية البضائع التي تنقل من الخليج الفارسي إلى حضرموت واليمن والحجاز".⁴⁸

كان بن مخا يأتي من سوق البن في بيت الفقيه في الحديدية حيث ينقل إليها البن من المناطق الجبلية المجاورة. وكان هذا البن من أجود أنواع البن اليمني. وفي ميناءي الحديدية والمخا كان التجار من مختلف الدول يتجمعون بما فيهم تجار عمان.⁴⁹

وشكلت تجارة البن في عمان جزءاً من تجارة العبور (الترانزيت) العمانية حيث تنقل حمولة البن إلى عمان، ويتم إعادة تصديرها إلى البصرة بعد وصولها إلى ميناء مسقط. ولتسهيل تجارتها لم تكن الحكومة العمانية تفرض عليها أية رسوم.⁵⁰ ويشير هولي إلى أن مشاركة العمانيين في تجارة البن المزدهرة آنذاك كانت فعالة.⁵¹

كما أن دخل عمان من تجارة البن عام 1765م كما قدره نيبور وصل إلى 100,000 روبية.⁵² وبلغ ثمن البن 55 ريالاً "للبحار الواحد".⁵³ وبلغت أعداد السفن الناقلة للبن في نفس العام حوالي خمسين سفينة كانت تنطلق سنوياً من مسقط إلى البصرة الخاضعة للنفوذ العثماني.⁵⁴

واستمر نمو تجارة البن في عمان حتى بلغ ذروته حوالي عام 1775م. وقد قدر ولستد حمولة بعض مراكب البن في الشحنة الواحدة ما يزيد على مائتين وخمسين طناً من البن.⁵⁵ وبلغ من اهتمام الإمام أحمد بتجارته إلى حد تعيين ابنه السيد طالب مسؤولاً عنها وعن دخل صور منها، وذلك بعد أن أحكم طالب قبضته على ميناء صور معتبراً إياه ضمن أملاكه الخاصة. وترى ريسو أن ذلك أثر سلباً على الأسطول السوري الناقل لهذه السلعة على الرغم من أن مخا والحديدة بقيتا ذات قيمة وأهمية للنشاط التجاري العماني.⁵⁶ إلا أننا ربما لا نوافقها الرأي بتراجع دور أسطول مسقط لأن الإمام كان يسعى لتنمية تجارة البن وليس لإضعافها.

كان التجار العمانيون يشترون البن من ميناء مخا مما حصلوا عليه من أجور نقل الحجاج والمواد التي نقلوها إلى جدة كالتبغ والتمر والسجاد الفارسي، وكانوا يدفعون ثمنه ذهباً.⁵⁷

وعندما تصل المراكب إلى مسقط يقوم التجار ببيع جزء من البن الذي يحملونه إلى السكان المحليين حيث يأتي سكان المناطق المجاورة لمسقط وخاصة من البدو لشراء احتياجاتهم من البن ويتم إعادة تصدير ما تبقى منه على مراكب صغيرة الحجم إلى الخليج العربي.⁵⁸

أما تجار البن في مسقط فكانوا من الهنود البانيان المقيمين فيها، الذين يحتكرون تجارته لما كانت تدره من أرباح مجزية ووفيرة.⁵⁹ كما عمل الفرس الموجودون في مسقط بتجارة البن وماء

الورد إلى جانب سلع الهند. وبلغ ثراء عمان من تجارة البن والسكر عدا باقي السلع ما يجعل أهلها "أغنياء ومرفهين"⁶⁰.

وكان البن القادم من مينائي الحديد ومخا يكفي لسد "حاجة إيران وبلاد العرب والعراق وأرمينيا والأناضول. كما يكفي لسد جزء من الطلب في سوريا والقسم الأوربي من الدولة العثمانية وألمانيا وروسيا وشمال أوربا"⁶¹. كما أصبحت مسقط عام 1775م المركز الرئيس بين الخليج والهند والبحر الأحمر وحتى السنوات العشر الأخيرة من القرن الثامن عشر حيث كانت نصف تجارة اليمن تمر من مسقط وخمسة أثمان تجارة الخليج، وحققت هذه التجارة ثروة طائلة لأهل عمان⁶². ويذكر تقرير لشركة الهند البريطانية أن ثروة تجار مسقط الكبيرة كانت تجمع من تجارة البن الثمينة القادمة من مينائي مخا والحديدة على البحر الأحمر⁶³.

ونقلا عن كتاب "رحلات في آسيا وإفريقيا" لابراهيم بارسونز طبعة لندن عام 1808م، يذكر في حديثه عن تجارة مسقط عام 1775م "وكانت لمسقط علاقة تجارية هامة مع مخا، وكان ملاحو مسقط ينقلون معهم 20,000 بالة من البن من مخا للبصرة، حيث يعاد نقله إلى القسطنطينية، وفي رحلة العودة كانوا يجلبون المنسوجات الحريرية الفارسية....."⁶⁴. وقد شكلت صادرات البن اليمني أهم ما نقلته السفن العمانية.

وعلى الرغم من إعلان بريطانيا الحرب على هولندا عام 1781م، وتراجع دور شركة الهند الشرقية الهولندية، إلا أن تجارة البن العمانية استمرت تحقق الأرباح خاصة بعد استيرادها كميات من البن من جاوة حيث نجح الهولنديون في زراعته هناك بكميات تجارية. ويمكن أن نستنتج حجم الأموال الطائلة التي وفرتها تجارة البن والسكر لعمان من جاوة، من أنه "في عام 1787م كان ويجمان؛ وهو أهم مستثمر هولندي في تجارة مسقط، قد حقق أرباحا طائلة حتى أن الشركة الأم كانت ترغب في الحصول على نصف نصيبه من رحلاته" وكانت تجارته الرئيسية مع عمان⁶⁵.

ومع ذلك حاولت سجلات شركة الهند الشرقية البريطانية التقليل من الدور التجاري العماني في تجارة البن. ففي عام 1788م تذكر تلك السجلات أن البصرة أهم الموانئ بهذه التجارة ولكنها تتجاهل كيفية وصول هذه السلعة إليها⁶⁶.

أسطول البن العماني والطرق التي سلكها:

يذكر الرحالة نيبور أنه على الرغم من أن سكان عمان لم يكونوا من هواة الصراع البحري، لكنهم أشهر وأفضل ملاحى الخليج⁶⁷. وأكد تفوق السفن العمانية على السفن اليمنية، "فأشركة السفن العمانية شبيهة بأشركة السفن الأوربية والهندية"⁶⁸، وكذلك فإن العمانيين يفوقون اليمنيين في المهارة وسعة الخبرة ومعرفتهم بالبحار. حتى أن اليمنيين استفادوا من السفن العمانية المبحرة

عبر بحر العرب والبحر الأحمر لنقل تجارتهم، أو الانتقال بواسطتها⁶⁹. لأن رحلتي السفن اليمنية إلى مسقط والمعروفة برحلات الشحارية؛ نسبة إلى منطقة الشحر، لم تكن كافية لتأمين احتياجات اليمن من البضائع المتوفرة في مسقط؛ فقد كانت الرحلة الأولى تبحر مرة كل سنة قاصدة البصرة وهي خالية من الأحمال بهدف إحضار منتجات من البصرة. أما الرحلة الثانية فتخرج إلى مسقط في أكتوبر وتعرف بالموسم العماني، وهدفها إحضار البضائع من مسقط حيث موطن تجارة العبور⁷⁰. ولم تحمل هذه السفن أية كميات من البن مما يؤكد تفرد السفن العمانية بنقل هذه السلعة.

وينطلق نيبور من فكرة التفوق العماني إلى أن خبرة العمانيين كانت سببا في اشتغالهم بكثرة في نقل البضائع من وإلى الموانئ اليمنية، وأن كثيرا منهم أصبح يعيش على نقل البن من اليمن إلى مسقط ثم إلى موانئ الخليج. ويرى أن نقلهم للبن اعتمد على النقل البحري رغم الجوار البري لكلا البلدين؛ لأنه أكثر سهولة بسبب صعوبة وجود الطرق الجيدة من ناحية والتعرض لمناطق نفوذ قبلية متعددة في اليمن من ناحية أخرى⁷¹.

ويذكر أيضا فيما شاهده في رحلته البحرية بين جدة ولحية أن هناك أعدادا كبيرة من السفن مختلفة الأحجام وكلها محملة بالبن ومتجهة من اليمن إلى جدة، وربما يؤكد هذا ما ذهبنا إليه من أن هنالك طريقين سلكهما الأسطول العماني أحدهما من مخا إلى جدة ثم العودة إلى مخا ثم مسقط فموانئ الخليج العربي والبصرة بشكل خاص ومن هناك إلى حلب فأوروبا. أما الطريق الثاني فهو الطريق الذي سلكه الأسطول السوري والذي سيأتي ذكره لاحقا.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار ما ذكره نيبور عن تميز السفن العمانية ومقدرتها من ناحية، ومهارة البحارة العمانيين ومعرفتهم وخبرتهم البحرية، وكثرة العاملين منهم في تجارة البن يمكننا القول أن عمان؛ بأسطولها المسقطي والسوري، كانت أبرز ناقلي البن بل في مقدمتهم⁷².

كما نعتقد أن مجموع سفن أسطول البن العماني؛ الذي كان يغادر مسقط إلى البصرة، السوري منها والمسقطي، تجاوز 50 سفينة آخذين بعين الاعتبار عددا من سفن أسطول صور البالغ 100 سفينة والتي كانت تنقل البن للخليج العربي. وإذا كان كرستين نيبور قد ذكر عام 1765م أن عدد سفن أسطول البن العماني الذي يذهب سنويا للبصرة خمسون سفينة من نوع الترنكي "حاملة شحنات من البن إليها"⁷³، فأغلب الظن أنه كان يتحدث عن أسطول البن المسقطي فقط. أما أسطول صور فكان يتخذ من مسقط محطة في طريقه من ميناء مخا إلى البصرة⁷⁴.

وبلغ من شهرة أسطول البن العماني عام 1765م أن بريطانيا راحت ترصد تحركاته، وقد أورد أحد تقارير شركة الهند الشرقية البريطانية أن الأسطول العماني يقوم برحلات سنوية إلى

مناطق مختلفة في الشرق منها رحلة شهيرة عرفت باسم "أسطول البن"⁷⁵. وعرفت هذه الرحلة محليا باسم "موسم البصرة"⁷⁶. ويشير لوريمر إلى أهمية هذه الرحلة بأن زيارة "أسطول البن العماني السنوية إلى البصرة كانت حدثا عظيما ومهما"⁷⁷.

بالنسبة لبحارة صور من المؤكد أنهم كانوا يمارسون تجارة نقل البن إلى البصرة من قبل أن تبلغ هذه التجارة ذروتها عام 1775م نتيجة إزدياد قوة الأسطول العماني بشكل عام. وقد اشتهروا بدورهم الأساسي في نقل البن من اليمن إلى البصرة عن طريق مسقط، وذاع صيتهم في هذه التجارة قبل اشتهار ميناء مسقط نفسه بها وذلك لأن ميناء مسقط لم يبلغ ذروة شهرته إلا في عام 1775م وذلك بعد أن تراجع الدور البريطاني في ميناء بندر عباس حيث تم نقل الوكالة البريطانية منه عام 1763، وغدا بعد ذلك ميناء مسقط مستودعا رئيسيا لتجارة البحر الأحمر والخليج العربي والهند⁷⁸.

ومن مقارنة عدد السفن العمانية المسقطية الناقلة للبن فإن ما ذكره نيبور فقط وصل إلى خمسين سفينة، في حين أن شركة الهند الشرقية الانكليزية كانت ترسل سفينة واحدة سنويا لإحضار البن، وكذلك باقي سفن التجار البريطانيين في الهند لم تتعد سفينتين من البنجال، وسفينة من بومبي، وسفينتين من سوارت⁷⁹. إن هذه المقارنة في أعداد السفن تؤكد مدى أهمية دور الأسطول العماني في تجارة البن. ومن الجدير أن نذكر أن السفن الفرنسية والهولندية والبرتغالية، لم تكن أحسن حالا من البريطانية، فهي قد توقفت عن المجيء إلى الموانئ اليمنية قبل عدة سنوات من رحلة نيبور التي تمت عام 1764م.

لكن هذا التفوق العماني في عدد السفن الناقلة للبن تراجع مع تراجع تجارة البن في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي وبلغ عدد السفن التي تنقل البن عام 1835م ما بين ثمانية إلى عشرة سفن من الحجم الكبير إضافة إلى حوالي عشرين مركبا صغيرا⁸⁰.

1- طريق أسطول البن المسقطي:

يرتبط هذا الطريق برحلة الحج السنوية، تبدأها السفن والمراكب العمانية من مسقط حيث تحمل معها التمر والتبغ الفارسي والسجاد والخضار إضافة إلى أعداد كبيرة من الحجاج الفرس الذين يدفعون أجور نقلهم سبائك من الذهب، وكانت تمر في طريقها على طول السواحل الجنوبية للجزيرة العربية ثم تنعطف لتدخل البحر الأحمر مروراً بمخا والحديدة حيث تنقل كميات من البن وتتابع طريقها بعد ذلك إلى جدة حيث ينزل الحجاج لأداء فريضة الحج وقد يرافقهم بعض الربابنة العمانيون لأداء تلك المناسك⁸¹.

تبقى السفن العمانية في ميناء جدة طوال فترة الحج وقد تصل مدة وجودها هناك ما بين شهر إلى شهرين، حيث تبدأ رحلة العودة وتحمل معها الحجاج العائدين. وفي طريقها تمر على موانئ اليمن؛ الحديدة ومخا للحصول على حمولة البن ثم تغادر المراكب بعد ذلك متجهة إلى مسقط في خلال النصف الأول من شهر أيار | مايو وذلك قبل بدء موسم الأمطار الموسمية حاملة معها كميات قيمة وكبيرة من البن⁸².

وعند وصول المراكب إلى مسقط يحصل التجار العمانيون على حاجتهم من البن ويتم نقله برا إلى المناطق العمانية⁸³، ثم يعاد تصدير ما تبقى منه على مراكب صغيرة الحجم إلى الخليج العربي. وفي طريقها إلى البصرة، تمر مراكب البن على شواطئ البحرين⁸⁴.

وهكذا كانت البصرة المحطة الأخيرة لتجارة البن القادم من اليمن، بينما هي من ناحية أخرى المدخل الرئيسي لكل البن الذي يذهب إلى سوريا فأوروبا لسد الحاجة منه.

2- طريق أسطول البن السوري:

يشير مايلز إلى أن صور كانت تخضع للقواسم في الفترة ما بين 1758-1759م، وأن الإمام أحمد قام بعمليات في صور، وأنه أرسل أربع بواخر وعشرة مراكب لمحاصرتها⁸⁵. ومع ضم قوة صور البحرية إلى قوة مسقط، غدت القوة البحرية العمانية مرهوبة الجانب، وازداد تفوقها التجاري.

وأسهل ميناء صور بدور كبير في تجارة العبور بسبب وفرة سفنه العابرة للمحيطات والتي بلغت 100 سفينة بالإضافة عدد كبير من السفن الصغيرة المخصصة لتجارة شرق إفريقيا والخليج العربي⁸⁶. كما ساهم بحارته في دور أساسي في نقل تجارة البن من اليمن إلى البصرة مروراً بميناء مسقط. وجاء تعيين الإمام أحمد بن سعيد ابنه طالب مسؤولاً عن دخل صور كما مرعنا؛ لأن ميناءها كان "المركز الرئيسي والميناء الأساسي لاستجلاب القهوة"⁸⁷. وقد وصفت التقارير الهولندية تجارة صور مع مخا بأنها تجارة هامة⁸⁸.

أما خط سير الأسطول السوري الناقل لتجارة البن فكان يبدأ من صور مع موسم الرياح الشمالية فيأخذ طريقه إلى اليمن مروراً بمرباط، ومن هناك يكمل باتجاه السواحل الإفريقية بما فيها موانئ الصومال والندي وممباسا، كما يمر على جزيرة موريشيوس. ويقوم خلال ذلك بعمليات تبادل تجارية في تلك الموانئ يعود بعدها في أبريل (نيسان) ومع موسم الرياح الجنوبية متجهاً إلى الخليج العربي مروراً بميناء مخا ومسقط ثم يعبر مضيق هرمز ثم إلى ميناء الفاو فميناء البصرة لتفريغ حمولته الأساسية من البن⁸⁹. وبعد وصول السفن إلى البصرة تعود في منتصف سبتمبر/ أيلول وتستغرق فترة العودة مدة تتراوح بين الشهر والشهرين⁹⁰.

ويذكر هولي أن هذا الأسطول كان يحصل على حمولته من البن من ميناء مخا في اليمن ومن جزيرة موريشيوس⁹¹. بينما يشير مايلز إلى تجارة عمان مع جزيرة موريشيوس التي يسيطر عليها الفرنسيون، بأن هذه الجزيرة كانت تستورد السمك المملح والتمر والبن من عمان، ولعل تفسير ذلك أن جزيرة موريشيوس كانت تحصل على البن من جزيرة بوربون إلى جانب ما كان يأتيها من بن مخا. وأن تجار مسقط كانوا يحصلون أحياناً على البن من موريشيوس لرخص أسعاره مقارنة بأسعار بن مخا الأكثر جودة.

ومن اللافت للنظر أن ولستد عندما قام برحلته إلى عمان عام 1835م، والتي زار فيها فيما زار صور وميناءها، لم يشر في حديثه عن تجارة صور إلى دور بحارتها في نقل تجارة البن مع أنه يذكر أن ميناء صور كان فيه ثلاثمائة سفينة من نوع البغلة بأحجام مختلفة⁹² وذكر أن صادرات صور الهامة هي المر والسمك المملح، وأن أهم وارداتها هي الحبوب والأقمشة. لكنه أشار إلى أهمية التجارة البينية بين مختلف المناطق التي كانت مصدر ثراء لأهالي صور⁹³. وربما كان جزء من هذه التجارة هو تجارة نقل البن، عدا تجارة الرقيق.

الصراع السياسي والعسكري في الخليج وجنوب الجزيرة العربية وأثره على تجارة البن العمانية:

1- القوى المحلية:

عانت تجارة الخليج العربي في عهد الإمام أحمد بن سعيد من صراعات القوى المحلية الرئيسية فيه إلى جانب التنافس الغربي، ومع ذلك استمر تدفقها من وإلى موانئ الخليج بسبب أهمية هذا الطريق التجاري الدولي، وتجمعت هذه القوى في جنوب الخليج العربي وشماله. ففي الجنوب كان كل من:

كريم خان الزندي الذي وصل للسلطة في فارس عام 1756م، وكان يحلم في إعادة نفوذ فارس في الخليج كما كان الحال أيام حاكمها السابق نادر شاه. لذلك سعى لإعادة بناء القوة البحرية الفارسية مما أدخله في مواجهة مع عمان⁹⁴. وقد وصف لاندن كريم خان زند بأنه "كان ألد خصم" للإمام أحمد بن سعيد في المنطقة، وأن الإمام أحمد بن سعيد استعاد بعد وفاة كريم خان عام 1779م سيطرة عمان على الخليج العربي بشكل قاطع. كما عاد ميناء مسقط ليصبح أهم الموانئ التجارية الحرة في الخليج⁹⁵.

القواسم في رأس الخيمة وحليفهم ملا علي شاه. وكانت طموحاتهم تتجه للسيطرة على هرمز وجزيرة قشم، وإلى الهيمنة على طريق الملاحة إلى البصرة⁹⁶. وقد تمكنوا عام 1760 م من

الاستيلاء على جزيرة قشم الواقعة في مضيق هرمز. ومع وصول الشيخ صقر بن راشد إلى حكم القواسم عام 1775م أصبح هؤلاء قوة لا يستهان بها يتدخلون في تجارة الخليج العربي⁹⁷.

الإمام أحمد بن سعيد في عمان، وكان الأهم والأكثر احتراماً بين الحكام العرب حسب ما جاء في الوثائق الهولندية⁹⁸. إذ كان يمثل القوة الإقليمية العسكرية والتجارية الصاعدة، فدخل في صراع مع الفرس من ناحية والقواسم من ناحية أخرى حول الحدود وحول تجارة البصرة.

وأما القوة الرابعة فكانت قوة الشيخ عبد الله شيخ بني معين المنافس على حكم هرمز والتابع اسمياً لكريم خان، وفعلياً عدواً للقواسم وحليفاً للإمام أحمد بن سعيد بحكم عداوتهما المشتركة للقواسم.

أما في شمال الخليج:

فكان العثمانيون في البصرة، وقد اجتمعت مصالحهم مع الإمام أحمد بن سعيد في مواجهة الفرس، في حين كانت قبائل المنتفق مستقرة في موانئ الجزر، أما قبائل بني كعب ففي شط العرب⁹⁹، وكان التوتر يسود علاقات عمان بتلك القبائل من حين إلى آخر بسبب تعديها على السفن العمانية الناقلة للبن وغيره، على الرغم من أن عمان أسهمت في عهد الإمام أحمد بن سعيد، في تأسيس أساطيلهم، مما دفع بالدولة العثمانية إلى معاقبتهم عام 1765م لتعديهم على سفن عمان¹⁰⁰. وكان هناك أيضاً المير مهنا حاكم جزيرة خرج وميناء بندر ريق الذي اشتهر بصراعه مع البريطانيين والهولنديين. واشتهرت هذه القبائل جميعاً بالتنافس فيما بينها وبتعدياتها على السفن التجارية حتى أصبحت الظروف التجارية في المنطقة ضرباً من الخيال.¹⁰¹

أما القوى الأجنبية وخاصة الفرنسية والبريطانية والهولندية فإن أثر حروبهما الاستعمارية ظهر وبوضوح في حرب السفن بينهما وخاصة في المحيط الهندي والخليج العربي، وحرب السنوات السبع 1756-1763 بين بريطانيا وفرنسا. ونالت مسقط نصيباً منها مثلما حدث عندما أطلقت السفن الفرنسية عام 1759م النار على سفينة (الميري)؛ وهي سفينة تابعة لأحد تجار البصرة المهمين، معتقدة أنها سفينة إنكليزية وكان ذلك أثناء مرورها بمسقط، الأمر الذي أثار الإمام أحمد ودفعه للرد على السفن الفرنسية بالنار على الرغم من علاقاته الدبلوماسية المتميزة مع فرنسا. مندفعاً بحرصه على الحياض في هذا الصراع الذي قد يجر إليه ويؤثر على تجارته¹⁰².

2- أثر الصراع على تجارة البن في عمان:

على الرغم من كثرة القوى التجارية والعسكرية المتصارعة في منطقة الخليج العربي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي، فإن الإمام أحمد بن سعيد استمر في تسيير

أسطوله التجاري إلى البصرة مما يشهد على القوة الكبيرة التي بلغها أسطوله العسكري حتى بات يمارس دورا إقليميا مهما في استقرار منطقة الخليج وازدهار الحركة التجارية فيه. ويوضح نيبور في تقاريره عام 1765م بأن أمن طرق للسفر في مياه الخليج العربي هي عن طريق ارتياد أحد سفن أسطول البن المغادرة من ميناء مسقط والمتجهة إلى البصرة. ويؤكد على أن تلك السفن التي كانت تخرج من مسقط بالبن اليمني إلى البصرة تميزت بقدرتها على حماية حمولتها لما لها من أهمية كبيرة¹⁰³.

كما يؤكد دور الأسطول العماني ما قام به الإمام أحمد حين أرسل أسطوله بقيادة سفينته الرحماني عام 1756م لفك الحصار الفارسي عن البصرة¹⁰⁴. ومحاولته الثانية لفك الحصار الفارسي عن البصرة عام 1775م في عهد كريم زند خان. وسنفصل لاحقا في هذا الحصار.

كما أكد قوة عمان، إصرار الإمام أحمد بن سعيد على استمرار قيام أسطوله التجاري برحلاته المعتادة إلى البصرة على الرغم من الاعتداءات التي يتعرض لها من الأسطول الفارسي أو من قبائل بني كعب التي كانت تتقلب في ولائها للإمام. وثقته في قدرته على الرد¹⁰⁵.

ويؤكد نمو تجارة البن في تلك الفترة وخاصة في منطقة الخليج العربي أن السفن الناقلة للبن أصبحت جزءا من المنافسة على السيادة، ففي عام 1765م اضطر الإمام إلى إرسال شحنة عمان السنوية من البن إلى البصرة على سفينة حربية بسبب توتر علاقاته مع قبيلة بني كعب التي اعتادت مهاجمة السفن العمانية في شط العرب ونهبها، ومع ذلك لم تتمكن السفينة من الوصول إلى البصرة واضطرت إلى تخزين حمولتها في إحدى الجزر في الخليج العربي حتى يصبح الطريق آمنا¹⁰⁶.

ومع تصاعد العداوة بين عمان وفارس، أقدم الإمام أحمد بن سعيد على حجز أسطول فارسي يحمل بنا متجها إلى البصرة. وقد رد الفرس بأن تعرضوا عام 1767م لأسطول صور الذي ينقل البن إلى البصرة ومصادرة سفينتين من سفنه على يد المير مهنا الفارسي بحجة رسوم جمركية و"انتزع منها 380 بالة"¹⁰⁷ وفي نفس العام 1767م، وبسبب استمرار قرصنة آل مير مهنا "تراكم أكثر من 1000 بالة من البن في مسقط لم يتيسر شحنها عن طريق الخليج إلى البصرة"¹⁰⁸.

ولكن هذا الوضع لم يقلل من قدرة عمان في التعامل مع هذه الأحداث، فقد أصبح واضحا أنها لم تعد ضعيفة كما كانت أيام نادر شاه وأنها قادرة على مواجهة أطماع كريم زند خان في الخليج، ففي عام 1769م وبسبب التوتر العلاقة بين الإمام أحمد بن سعيد والوكيل كريم زند خان الذي طالب الإمام بجزية كانت تدفع سابقا من الإمام إلى الشاه نادر شاه، رفض الإمام دفعها لأنه اعتبرها تبعية لفارس لا تتناسب مع قوته الحربية التي وصل إليها والتي عبر عنها بقوله: إنه لو

أصر كريم خان على مطلبه "فإنه سيلقى الجواب بالقذيفة والمدفع"¹⁰⁹. وتحسبا من الإمام لأي اعتداء قد يقوم به كريم خان "احتجز أسطول صور المحمل بالبن إلى البصرة في مسقط" حتى لا يقع بيد الفرس كما حدث بالسفيتين الصورييتين عام 1767م.

وشهدت الفترة من عام 1770 وما تلاها زيادة في توتر العلاقات العمانية الإيرانية حيث أغار الإمام أحمد بن سعيد على ميناء بوشهر ردا على اعتداء الفرس ونهبهم سفنا عمانية كانت راسية فيه. كما قام بحملة مشتركة مع الشيخ عبد الله، شيخ بني معين، على قوات فارسية كانت مجمعة في لنجة¹¹⁰.

ثم مال الإمام أحمد بن سعيد بعد ذلك إلى تهدئة الأوضاع، وجرت محاولات للتفاوض بين كريم خان زند والإمام أحمد عام 1772م بوساطة ناصر آل مدكور حاكم بو شهر ولكن المفاوضات فشلت وعادت العلاقات إلى التوتر. فكان الرد العماني هو الإعلان عن قيام أسطول البن العماني برحلته المعتادة إلى البصرة بعد توقفه بسبب النزاع القائم مع كريم خان، وقد هاجم الفرس هذا الأسطول واستولوا على بعض السفن المحملة بالبن، لذلك هدد الإمام باستعمال أسطوله العسكري للرد على الاعتداء¹¹¹. عندها حاولت إيران مهاجمة عمان، ونظرا لعدم استجابة شركة الهند الشرقية والعثمانيين لطلب فارس مساعدتها في الهجوم على عمان أفشل محاولتها. بل إن عمان وبمساعدة من القواسم شنوا هجوما على بندر عباس عام 1773م، ثم استأنفت عمان رحلات أسطولها التجاري إلى البصرة¹¹².

ولما فشلت فارس في توجيه ضربة عسكرية لعمان قررت تحويلها إلى ضربة لاقتصادها عن طريق ضرب تجارتها مع البصرة مستغلة الأوضاع السيئة في العراق عامة والبصرة خاصة¹¹³. ففي مطلع سبعينات القرن الثامن عشر الميلادي عانت بغداد والبصرة من انتشار مرض الطاعون، وزاد من سوء الأوضاع، المعارك الكثيرة التي خاضها باشا بغداد مع كريم خان والبريطانيين مع قبائل بني كعب في منطقة شط العرب. مما أثر بشكل كبير على تجارة البصرة واقتصادياتها، فقد حالت هجمات الشيخ سلماننشن شيخ بني كعب، دون وصول الكثير من السفن إلى الميناء يضاف إلى ذلك الحصار المفروض على منطقة شط العرب الأمر الذي أضر بالأعمال التجارية والاقتصادية في البصرة¹¹⁴.

ومع انحسار مرض الطاعون عن بغداد عام 1773م عادت شركة الهند البريطانية الشرقية إلى البصرة لمزاولة عملها التجاري كما عاود أسطول البن رحلاته، وبدأت الأحوال في التحسن إلى أن جاء الغزو الفارسي للبصرة عام 1775م بسبب الحقد الذي ملأ قلب كريم خان بعد خسارة فارس للبحرين¹¹⁵، وضيقه من ازدهار البصرة الاقتصادي في الوقت الذي كانت فيه الموانئ الفارسية تعاني اقتصاديا، فوجد في ضرب ميناء البصرة طريقة لتحويل التجارة إلى موانئه¹¹⁶.

ففي عام 1775 م كانت قوة عمان البحرية الصاعدة قد لاقت ترحيبا وتشجيعا كبيرين من والي بغداد "فالإمام هو الرئيس العربي الوحيد الذي بقي مناوئا للإيرانيين في الخليج"¹¹⁷. كما أن قوة عمان وأسطولها البحري يعني استمرار تدفق تجارة عمان إلى البصرة بما فيها تجارة البن بشكل أساسي. وقد أدت العلاقات التجارية المزدهرة بين البصرة وعمان إلى جعل عمان حليفا قويا للدولة العثمانية وجمع بين الطرفين معاناتهما من آثار الهجمات على تجارة البصرة والسفن الآتية إليها.

حصار البصرة عامي 1756م و1775م:

هناك ما يشير إلى وجود حملتين للإمام أحمد بن سعيد لإنقاذ البصرة من حصار الفرس، وأغلب الظن أن الحملة التي كانت فيها السفينة الرحماني، والتي قيل أنها قطعت السلسلة التي أغلق بها الفرس على البصرة هي تلك التي وقعت عام 1756، وهي التي ذكرها ابن رزيق، أما الثانية فكانت هي الأخرى لفك الحصار عن البصرة ولكنها كانت عام 1775م، وهي الحملة التي أشكلت على المؤرخين المتأخرين فجعلوا الحملتين واحدة وجعلوها عام 1775م، ولدينا ما يحملنا على هذا الاعتقاد من ذلك:

- 1- ما أورده ابن رزيق عن حملة الإمام لفك حصار البصرة عام 1170هـ / 1756م¹¹⁸.
- 2- سكوت ابن رزيق عن تسهيل تجارة العمانيين في العراق، وعن إعفائهم من الضرائب على تجارة البن التي كافأ بها السلطان العثماني الإمام أحمد عام 1775م. فلم يذكرها.
- 3- الإمام أحمد لديه السفينة الرحماني. والقواسم لديهم السفينة فتح رحماني
- 4- السلسلة التي وضعها الفرس على شط العرب والتي قطعها السفينة العمانية الرحماني عام 1756م، تختلف عن السلسلة التي نصبت على شط العرب عام 1775م، فالأخيرة هي فكرة الرحالة برسنز Parsons الذي زار عمان ومنطقة الخليج عام 1775م، وقد نصبت على شط العرب شمال نهر العشار وذلك لمنع دخول إمدادات أسطول بوشهر للجيش الإيراني الذي يحاصر البصرة عام 1775م وكان "هذا الاقتراح يتضمن إقامة جسر من القوارب يربط بعضها ببعض بالسلاسل والحبال....." ويضيف "وقد شعر سكان المدينة بشيء كثير من الغبطة والسعادة..... بفضل وجود هذا الجسر"¹¹⁹. وهذا الوصف يخالف ما قيل في غالبية المصادر من أن السلسلة من صنع فارس لمحاصرة البصرة. ويبدو أن الخطة كان لها أن تنجح لولا تراجع البريطانيين الذين كانوا يدعمون متسلم البصرة وانسحابهم بقطعهم البحرية من شط العرب، وترك أهل البصرة لمصيرهم مما سمح للأسطول بوشهر من قطع الحاجز وإيصال الإمدادات للجيش الفارسي. وقد أحرز وصول الأسطول العماني، والإمدادات

التي حملها، إضافة للمقاومة الباسلة لأهل البصرة ومتسلمها، سقوط البصرة بيد الفرس حتى عام 1776م¹²⁰.

5- السفينة الرحماني قادت غالبية حملات الإمام أحمد، فقد اشتركت في حملة عام 1756م لفك حصار الفرس على البصرة، وكررت قيادتها للأسطول العماني لفك الحصار على البصرة عام 1775م. كما قادت حملة الإمام أحمد ضد القراصنة الذين تسببوا في قطع وصول الأرز القادم من الهند¹²¹.

6- وهناك من يدعي أن السفينة التي قادت الأسطول العماني عام 1775م لنجدة البصرة هي السفينة فتح رباني التي كان قد اشتراها الإمام أحمد بن سعيد من حاكم وزعيم قبائل بني معين، الشيخ عبد الله¹²².

7- عدم وجود إجماع لدى كثير من المؤرخين حول السلطان العثماني الذي منح معونة البصرة فبعضهم ذكر أن السلطان عثمان خان الثالث هو من منح الإمام أحمد معونة البصرة في حين توفي هذا السلطان عام 1171هـ/1757م، وهذا التاريخ يوافق الحملة العمانية الأولى لنجدة البصرة عام 1756م. وبعضهم ذكر السلطان مصطفى خان الثالث، وهذا كانت وفاته عام 1187هـ/1774م، أي قبل حصار البصرة، فلا يعقل أن يكون هو من منح المعونة. وحقيقة الأمر أن السلطان عبد الحميد خان الأول الذي تولى الحكم عام 1774م بعد وفاة مصطفى الثالث مباشرة وتوفي عام 1203هـ/1789م هو من منحها لعمان¹²³.

وقد أشار سيف البطاشي في كتابه الطالع السعيد إلى سبب الخلط بين الحملتين بقوله: "لم يفرقوا بين الحملتين فجعلوهما واحدة. أو أنهم لم يطلعوا على ذلك"¹²⁴.

في عام 1775م دفعت عوامل مختلفة الإمام أحمد بن سعيد لفك الحصار عن البصرة منها: استنجد بعض القبائل العربية الموجودة بالبصرة به. وطلب عمر باشا والي بغداد العون من الإمام¹²⁵. ورغبته في كسب ود العثمانيين للوقوف في وجه أطماع الفرس في عمان وخاصة زمن كريم خان الزندي الذي شبهه الإمام بـ(فرعون شيراز الوكيل)، وقد ذكر الإمام أحمد في رسالته للسلطان العثماني سبب نجدته للبصرة بقوله: "ولأن البصرة وعمان متحدة الأشكال، متناسقة في حالي الفساد وصلاح الأحوال..... وامتثال طاعة المولوية السلطانية، لا لطلب مال نستفيده، أو رقد من طعام نستزيده"¹²⁶. ومن العوامل الأخرى رغبته في إبعاد الفرس عن البصرة وعدم السماح بتعريض النشاط التجاري العماني للخطر وعدم تفريطه في تجارة البن إليها حتى أن الأسطول العماني الذي توجه للبصرة للمساعدة خرج بحمولته السنوية من البن اليمني الذي أحضر من ميناء مخا¹²⁷.

إن حجم القوات التي أرسلها الإمام أحمد بن سعيد تشير إلى مدى اهتمامه بفك الحصار الفارسي عن البصرة، فقد بلغت عشرة مراكب كبيرة "ومن الخشب الصغار كثيرا" وأن عشرة آلاف مقاتل رافقوهم¹²⁸. هذا عدا سفينة الرحماني. فقد أعاق الحصار تجارة عمان بما فيها تجارة البن إلى البصرة. ويذكر لوريمر نقلا عن مشاهدات بارسونز الذي زار مسقط عام 1775م، أن "الميناء كان مكتظا بالبضائع بسبب الحرب حتى أن نصف البضائع كانت مكدسة في الشوارع ومعرضة لتقلبات الطقس"¹²⁹. وهذا يؤكد أهمية الدافع الاقتصادي وراء مشاركة الإمام أحمد بن سعيد في فك الحصار عن البصرة. ويؤكد بارسونز أنه "عام 1775م كانت هناك حروب مستمرة بين مسقط وفارس، وقد شاهد بارسونز أربعاً وثلاثين سفينة حربية كانت تستعد لفك الحصار الفارسي عن البصرة"¹³⁰.

وعلى الرغم من أهمية الدور الذي قامت به الحملة العمانية لدعم البصرة وتأمين الإمدادات لها، إلا أن طول الحصار وتراجع كمية المؤن، دفع الأسطول العماني إلى العودة إلى عمان. يضاف إلى ذلك ما وقع من سوء تصرف والي البصرة مصطفى باشا مع هلال ابن الإمام أحمد بن سعيد وقائد حملته إلى البصرة، والتي اعتذر السلطان العثماني عنها للإمام، وقام بعزل واليه مصطفى باشا لسوء تصرفه¹³¹. وقد أعطى مايلز تحليلاً مختلفاً لانسحاب الأسطول العماني من شط العرب بعد تقديمه المساعدة للبصرة المحاصرة من الفرس عام 1775م، حيث يوعز سبب انسحابه إلى انقطاع الأرز القادم من الهند ورغبة الإمام أحمد بن سعيد في إرسال سفينته الرحماني للاستفسار من الهند عن سبب الانقطاع¹³². لكننا نستبعد ما ذكره مايلز ونرجح الأسباب التي سبق ذكرها.

نتائج الموقف العماني من حصار البصرة على تجارة البن العمانية:

وإذا كانت المساعدة العمانية لم تحل دون الاحتلال الفارسي للبصرة عام 1775م، لكن موقف الإمام أحمد بن سعيد لاقى ترحيباً من السلطان العثماني فأصدر فرماناً أتاح للتجار العمانيين فيه الحق بحرية التجارة مع العراق، وزاد بأن أعفى أهم تجارة عمانية وهي البن من الرسوم الجمركية¹³³. واستمرت علاقات عمان بالدولة العثمانية قوية طوال حكم الإمام أحمد بن سعيد بسبب حاجة عمان للتجارة مع البصرة وحاجة الدولة العثمانية إلى أسطول عمان الحليف القوي في الخليج.

ونلاحظ هنا سكوت بعض المصادر التاريخية تارة عن المعونة، وأخرى عن الإعفاء الضريبي لتجارة البن والسماح للعمانيين بالمتاجرة، فعلى سبيل المثال يذكر المؤرخ العماني سالم بن حمود السيابي أن الدولة العثمانية أجرت للإمام أحمد بن سعيد جزاء نجده للبصرة "أتاوة

قدرها ثلاثون ألف قوصرة من التمر" ولم يشر إلى رفع رسوم البن عن التجار العمانيين¹³⁴. كذلك أيضا فعل المؤرخ العماني ابن رزيق؛ ففي حديثه عن دور الإمام أحمد بن سعيد في فك الحصار عن البصرة عام (السبعين والمئة = 1756م) لم يشر إلى رفع السلطان العثماني الضرائب الجمركية عن تجارة البن العمانية واكتفى بالقول: "فلما علم بذلك ملك الروم سره صنيع الإمام بالعجم، وتعصبه لرعيته، أهل البصرة، فأمر السلطان على واليه الذي في البصرة أن يدفع إلى الإمام الخراج الذي تقرر إلى أيام دولة السيد سلطان بن الإمام أحمد...."¹³⁵. وهذا يؤيد ما ذكر سابقا من أن معونة البصرة ربما تم منحها عام 1756. أما الإعفاء من ضريبة البن، والسماح للتجار العمانيين بحرية التجارة فكان ردا على المساعدة العمانية عام 1775م.

أما المؤرخ العماني نور الدين عبد الله السالمي في كتابه تحفة الأعيان، فإنه لا يشير البتة إلى تلك الحادثة خلال حديثه عن الإمام أحمد بن سعيد¹³⁶.

و قد ذكر بعض المؤرخين أن المكافأة التي منحها السلطان العثماني مصطفى الثالث للإمام أحمد بن سعيد كانت بسبب دوره في حماية الشواطئ الجنوبية والغربية لولاية بغداد، حيث يكاد يكون الأسطول العثماني عديم الجدوى وضعيفا¹³⁷. ونكرر هنا ما ذكرناه سابقا من أن السلطان العثماني الذي منح المكافأة هو عبد الحميد خان الأول.

ومهما كان الأمر فإن تجارة البن العماني مع البصرة عانت كما عانت البصرة تجاريا بعد سقوطها بيد الفرس حيث انقطعت القوافل التجارية الضخمة عن المجرى إلى عمان، وتحولت إلى موانئ أكثر أمنا مثل الكويت حيث تنقل البضائع بعد ذلك برا إلى سورية واسطنبول. مما أسهم في تراجع تجارة البصرة حتى أنها لم تعد ذات أهمية كبيرة لشركة الهند الشرقية ولم تعد ترغب أن تقوم بحمايتها¹³⁸. وهذا أمر منطقي ولو أن بعض المؤرخين يرى أن احتلال الفرس للبصرة عام 1776م كان لأغراض سياسية وأنهم لم يتعرضوا للتجارة¹³⁹.

وخلال استعداد الدولة العثمانية لطرد الفرس أرسل الإمام أحمد للسلطان العثماني يبلغه أنه على استعداد للإسهام في الحركات العسكرية ضد الإيرانيين¹⁴⁰. وبعد انتهاء الاحتلال الفارسي للبصرة وخروج الفرس منها عام 1779م. ونتيجة العلاقة المميزة بين عمان والبصرة وخاصة بعد دور عمان في فك الحصار عن البصرة عام 1775م، عاد النشاط التجاري العماني مع البصرة إلى سابق عهده، كما عاود "أسطول البن العماني السنوي" وصوله إلى البصرة كما كان في السابق وظل يمثل رمزا أساسيا لطبيعة النشاط التجاري القائم بين حكومة مسقط والبصرة.

لكن ظهور الأطماع الفرنسية في السيادة على الخليج على الرغم من العلاقات التي كانت قائمة بين الإمام أحمد وفرنسا مستغلة الظروف الصعبة التي مر بها الإمام عام 1781 نتيجة

خروج ولديه سيف وسلطان عليه أدى إلى توتر العلاقات بين الطرفين، ودليل ذلك ما حدث عام 1781 من استيلاء السفن الفرنسية بقيادة (ديسكن كول دي) والتي كانت في زيارة إلى ميناء مسقط من احتجاز ثلاث سفن سورية محملة بالبن اليمني المنقول من مخا والمتجه إلى لنجة، وذلك ردا حسب زعمها على ما لحق ببعض الفرنسيين من إهانات تعرضوا لها من تجار البن السوريين في ميناء مخا¹⁴¹.

وفي وقت لاحق بدأ والي البصرة يحاول التخلص من دفع معونة البصرة مما دفع بالسيد سلطان بن أحمد عام 1798م إلى الذهاب بنفسه للحصول على المعونة التي انقطعت. وتكرر الأمر في عهد السيد سعيد بن سلطان مما حمله على شن هجوم على البصرة عام 1826 حصل بنتيجته على بعض المتأخرات من معونة البصرة¹⁴².

تجارة البن في عمان بعد وفاة الإمام أحمد بن سعيد:

استمرت تجارة أسطول البن بعد وفاة الإمام أحمد بن سعيد عام 1783م تحقق نموا كبيرا وخاصة في الفترة التي تحولت فيها مسقط إلى عاصمة للدولة على يد حمد ابن الإمام سعيد بن أحمد عام 1784م، وأتبع حركته السياسية هذه بالسيطرة على خورفكان والجزيرة الحمراء على الساحل الشرقي للخليج العربي ليصبح بذلك متحكما بتجارته. كما خفض التعرفة الجمركية من 9% إلى 6,5% لإغراء التجار بالتعامل مع مسقط¹⁴³. وغدت مسقط عام 1790م الممول الأول للخليج وبعض مناطق الشرق من تجارة السكر، والمتحكم بتوزيع نصف إنتاج البن من اليمن. ويذكر ويلكنسون أن مسقط بقيت تلعب دورا أساسيا في تجارة البن كلما دعت الحاجة إلى ذلك¹⁴⁴. وفي ذلك الوقت أيضا كانت شركة الهند الشرقية تتابع تطورات هذه التجارة حيث ورد في تقرير لها عام 1790م بأن "البن الذي يستورده العمانيون يقارب نصف الكمية المنتجة سنويا في اليمن كلها"¹⁴⁵.

وفي عهد السيد سلطان بن أحمد 1792-1804م، حافظت على أهميتها ويتضح ذلك مما تمتع به قائد أسطول البن العماني من حظوة عند ولاية البصرة العثمانية جعلته يقوم عام 1798م بدور هام في إنهاء مشكلة مطالب عمان بمعونة البصرة التي انقطعت، حيث نجح هذا القائد في حل القضية سلميا مع حاكم البصرة أثناء وجوده في بوشهر. ويشير لوريمر إلى أن البن اليمني كان من ضمن تجارة الخليج زمن السيد سلطان بن أحمد، وأنه المادة الرئيسية المستوردة من البحر الأحمر¹⁴⁶.

و في هذا السياق يورد جون كيلي أنه "في كل عام كان جفيل من السفن يبحر من عمان إلى البحر الأحمر وعليه شحنات من البن والتوابل"¹⁴⁷.

وعلى الرغم من نجاح السيد سلطان بن أحمد في الوقوف على الحياد في علاقاته مع كل من بريطانيا وفرنسا، إلا أن ارتفاع حدة المواجهة بين الأخيرتين في أعقاب قيام الثورة الفرنسية عام 1789 وامتدادها إلى المحيط الهندي والحصار الذي فرضه الأسطول البريطاني على جزيرتي موريشيوس وبوربون، أسهم في تعطيل تجارة عمان مع هاتين الجزيرتين بما فيها تجارة البن.

وبسبب المركز الذي احتلته مسقط في تجارة الخليج كان يتحتم على السفن المبحرة الحصول على إذن من السيد سلطان بن أحمد قبل القيام برحلاتها التجارية، وعليها "أن تبحر تحت حماية أسطول السفن العمانية التي كانت تحمل شحنات البن كل صيف إلى البصرة وشط العرب"¹⁴⁸.

ومع تزايد العلاقات العمانية الفرنسية سارعت بريطانيا للحد منها بعقدها معاهدة مع السيد سلطان بن أحمد في عام 1798م؛ في أعقاب الحملة الفرنسية التي قامت بها على مصر من العام نفسه، وكان هدف بريطانيا تقليص النفوذ التجاري الفرنسي في المنطقة، وإبعاد مخاوفها من التوسع التجاري العماني في اتجاه البحر الأحمر وشرق أفريقيا الذي نشط مع نهاية القرن التاسع عشر مدفوعا بالرغبة العمانية في تنشيط تجارة البن في تلك المنطقة¹⁴⁹. وبالتالي تراجعت تجارة البن مع جزر المحيط الهندي. فيما استمرت مع البصرة لفترة أطول.

غدت مسقط في عهد السيد سلطان بن أحمد حامية لتجارة الخليج بسبب القوة التجارية البحرية التي بلغتها. واستمر الاعتماد على الأسطول العسكري العماني لحماية الأسطول العماني التجاري وللسفن الزائرة التي استخدمت مسقط كميناء تفريغ ومستودع لبضائعها. وكانت عمان حوالي عام 1800 مستمرة في استيراد القهوة من الحديدة ومخا في اليمن، وفي توزيعها في الجزيرة العربية وإيران وأرمينيا وبلاد الأناضول وسوريا وروسيا وبولونيا وألمانيا ومناطق أوربية أخرى¹⁵⁰.

ثم لم تلبث أن عانت تجارة البن نسيبا في عهد السيد سعيد بن سلطان 1804-1856م بسبب هجمات القواسم والسعوديين؛ التي شكلت خطرا حقيقيا عليها من جهة¹⁵¹، واهتمام السيد سعيد بأفريقيا من جهة أخرى، لكنها (أي مسقط) استمرت في إعادة تصدير البن كواحد من أهم الأنشطة التجارية فيها، فقد أشار الرحالة جيمس بكنجهام في كتابه "رحلات إلى أشوريا وميديا وبلاد الفرس" إلى أن مسقط عام 1816م كانت تصدر البن والقطن إلى جزر موريشيوس¹⁵².

وفي ظل تلك التحولات التي أشرنا إليها فإن حجم تجارة البن العمانية بدأت تشهد انخفاضا في كميتها مقارنة مع عام 1775م والذي بلغت فيه 20,000 ألف بالة، فقد ذكر اللفتناننت وليم هود في كتابه "رحلة عبر الخليج" أنه قدر صادرات مسقط ب 7000 إلى 8000 بالة من البن¹⁵³. كما ذكر تقرير هولندي عام 1829م أن البن القادم من مخا كان يخلط في مسقط بكميات

قليلة من البن الأخضر ثم يباع على أنه بن مخا، وهذا يؤكد انخفاض كمية البن القادمة من اليمن¹⁵⁴.

ونقل بيدويل عن "مجلة بومباي الجغرافية" للكولونيل ليويس عام 1863م كشفا بواردات بوشهر السنوية من مسقط حيث يذكر فيها أن وارداتها من مسقط بلغت 4000 رطل من البن وقدر قيمتها ب 10,000 روبية هندية¹⁵⁵.

ومع كل الصعوبات وبفضل الأسطول التجاري الهائل الذي امتلكه السيد سعيد بن سلطان، والوضع الاقتصادي القوي بعد انتقال عاصمته إلى زنجبار عام 1832م حافظت مسقط على نشاطها التجاري في البصرة إذ بلغت تجارة مسقط في الأربعينات من القرن التاسع عشر حوالي خمسة أثمان تجارة الخليج¹⁵⁶.

كما يشير كوبلاند إلى أن تطور العلاقات بين فرنسا وحكومة السيد سعيد بن سلطان عام 1843م سهل اتصال فرنسا بميناء مخا للحصول على البن دون الوساطة التي كانت تعاني منها قبل ذلك¹⁵⁷.

لكن تجارة البن العمانية تراجعت كثيرا في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر حتى بلغت عام 1870م نسبة 1 إلى 12 من تجارة الخليج العربي¹⁵⁸.

العوامل المؤثرة في تراجع تجارة البن العماني:

إلى جانب ما مر ذكره من تعرض السفن الفرنسية للسفن السورية الناقلة للبن كانت هناك جهات أخرى تتعرض للسفن السورية المتجهة للبصرة وتقوم بمصادرتها مثل القواسم وبني كعب. ويبدو أن هجمات قبائل بني كعب على السفن العمانية الناقلة للبن قد أثارت حتى الدولة العثمانية لما تسببه هجماتهم من نقص في عائداتها من سفن عمان ومن إخلال في أمن الخليج حتى إن العثمانيين "انجروا إلى الحرب مع قبائل بني كعب" عام 1791م¹⁵⁹.

كذلك لم يكتف القواسم بالمصادرة لكن الأمر تطور إلى قيام صقر بن راشد القاسمي بتهديد البصرة عسكريا ومحاصرتها على إثر الخلافات التي نشبت بينه وبين متصرف البصرة في أعمال متبادلة حول مصادرة سفن البن المتجهة إلى الميناء¹⁶⁰.

وفي نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، تراجعت تجارة بريطانيا من البن. فقد تحول طريق نقله وباتت القوافل تنقله من جدة إلى مكة ثم استانبول، أو ينقل إلى مصر، ودخلت المنافسة الأمريكية على تجارته حتى أن السفن الأمريكية اشترت بين عامي 1798-1801م "وهي فترة الحملة الفرنسية على مصر، كميات كبيرة من البن"¹⁶¹.

ويشير كوبلاند إلى تحول الولايات المتحدة إلى منافس قوي للنشاط التجاري البريطاني في المحيط الهندي وخاصة تجار بوسطن للحصول على البن من مخا مما يؤكد على مدى الأهمية التي اكتسبتها هذه التجارة مع تزايد اهتمام الأوروبيين بها¹⁶².

كما كان تزايد النفوذ التجاري الأمريكي في ميناء مخا؛ والذي بلغ أشده عام 1821م، من أسباب رغبة بريطانيا في السيطرة على هذا الميناء¹⁶³.

وهناك دليل آخر على ما بلغه الاهتمام العالمي بتجارة البن وهو ما أشار إليه كوبر Coper حين أوضح أن تجارة البن كانت واحدة من بين الأسباب التي عملت على تنشيط تجارة الرقيق إلى أمريكا الجنوبية وإلى البرازيل بشكل خاص ليساهموا بزراعته بعدما شهدت زراعة البن فيها نموا كبيرا في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي¹⁶⁴.

كذلك أصبحت مدغشقر تشكل جزءا هاما من النشاط التجاري للبن مع مخا وذلك بهدف تمكين السفن العربية والأوربية والأمريكية من الحصول على تلك السلعة عن طريق غير مباشر¹⁶⁵.

في عام 1806م قام ديفيد ستون بزيارة لعدن بهدف إحياء المعاهدة التجارية التي وقعها السير هيوم بوفام مع السلطان (سلطان لحج)، وخلالها عمل ترتيبات مع السلطان بحيث يتم تزويد البريطانيين بالبن مقابل المنسوجات الصوفية والمعادن والذخائر العسكرية¹⁶⁶. وهذا يؤكد الصعوبات التي واجهتها بريطانيا في مخا، وبالتالي حرصها على تحويل تجارة البن إلى عدن مما أسهم لاحقا في إضعاف تجارة البن العمانية من ميناء مخا.

كما أسهم عامل مهم آخر في الضغط على تجارة البن في مخا وهو الصراع بين بريطانيا ومحمد علي حاكم مصر بسبب توسعات الأخير في الجزيرة العربية. ومما لاشك فيه أن بريطانيا كانت تسعى للسيطرة على تجارته في مخا، إلى جانب أهمية هذا الميناء لها كمركز لمواجهة توسعات محمد علي، لذلك أثارت عام 1820 بعض المشاكل في وكالتها التجارية في مخا لتحصل على مزيد من الحقوق هناك¹⁶⁷.

ولكن محمد علي نجح عام 1833 في السيطرة على ميناء مخا، واحتكر محصول البن، وصدر معظمه إلى مصر، وسمح للتجار الأمريكيين بالحصول على المتبقي منه، الأمر الذي أدى إلى حرمان بريطانيا من هذه التجارة¹⁶⁸.

وكان هذا من أسباب اهتمام بريطانيا بالسيطرة على عدن عام 1839م وبالتالي السيطرة على تجارة البن. إلى جانب مخاوفها الأساسية من توسعات محمد علي في شبه الجزيرة العربية، والمنافسة الأمريكية والفرنسية هناك¹⁶⁹.

ويذكر جاد طه أن الكابتن البريطاني جيمس ماكنتزي (James Mackenzie) بعد عودته من رحلة إلى الجزيرة العربية قدم تقريراً إلى حكومة الهند عام 1837م ذكر فيه أن "المصريين كانوا يحتلون ينبع والمدينة وجدة ومكة والقنفذة وجيزان والحيّة والحديدة والمخا..... وأن امتلاك محمد علي لهذه الأماكن قد أعطى للباشا سيطرة على كافة التجارة في الحجاز واليمن"¹⁷⁰. وهذا يدفعنا إلى الاعتقاد بأن تراجع تجارة البن في عمان وبشكل كبير يعود إلى أن انتقالها إلى مصر عبر تلك المراكز أصبح أكثر سهولة.

وقد تراجعت أهمية بن ميناء مخا بعد احتلال بريطانيا لعدن عام 1839م واعتمادها كمركز رئيسي لها في المنطقة، وتخلصت بذلك من المنافسة الأمريكية في مخا كما مارست ضغطاً على حكومة إبراهيم باشا في الجزيرة العربية بسيطرتها على تجارة البن وتحويلها إلى ميناء عدن وحرمان محمد علي من عائداته المادية من هذه التجارة حتى أن "القائد المصري لمخا اشتكى من النقص الشديد في جمارك ذلك الميناء"¹⁷¹. ورافق تحول تجارة البن إلى عدن هجرة تجار البن وغالبيتهم من غير اليمنيين، تحولوا إلى ميناء عدن سعياً وراء هذه التجارة. ويبدو أن بريطانيا عملت على حرمان عمان من عائداتها من أرباح هذه التجارة كجزء من سياسة الاحتكار لها في المنطقة.

كما كان من أسباب تضائل أهمية تجارة نقل البن من مخا إلى البصرة وتقويضها تماماً هو وصول كميات من البن قادمة من الغرب إلى سواحل الشام مباشرة مما جعلها تستغني عن البن المنقول من البصرة¹⁷². وتراجعت تجارة البن مع تراجع تجارة عمان بشكل كبير وخاصة في الفترة من 1862-1872 بسبب ظهور السفن البخارية من جهة واعتماد تجارة عمان على السلع الضرورية والرئيسية من جهة أخرى.

ويذكر لاندن عن تأثير عمان بالتطورات الاقتصادية أنه: "لا يوجد قطر في الخليج أضرت به التطورات الاقتصادية لأواخر القرن التاسع عشر كعمان"¹⁷³. ويؤكد أن هذه التطورات قوضت البيئة الاقتصادية السائدة في الساحل العماني آنذاك.

كما يعتبر لاندن أن أول تحول حقيقي أثر بشكل عميق على نمط الحياة الاقتصادية التقليدية للخليج حصل نتيجة التغلغل الكبير للشركات والمؤسسات الاقتصادية الغربية في المنطقة، ونتيجة استخدام الوسائل والتقنيات الحديثة وفي مقدمتها السفن البخارية، الأمر الذي أدى إلى "تدهور في أوضاع الطبقة التجارية والملاحية..... واكتشف البحارة العرب أن السفن البخارية الجديدة إنما جاءت لتقضي على تجارة النقل القديمة التي كانوا يزاولونها"¹⁷⁴.

وفي أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر تراجع النفوذ العماني في منطقة الخليج العربي مقابل النمو الواضح للسيطرة البريطانية عليه وخاصة بعد معاهدات الحماية التي فرضتها على مشيخات الخليج عام 1820 بعد قضائها على قوة القواسم، مما أثر سلباً على أوضاع عمان السياسية والاقتصادية وخاصة حرمان عمان من العديد من مصادر دخلها المختلفة، إضافة إلى الحروب الداخلية والخطر السعودي الذي استمر يهددها حتى عام 1870م¹⁷⁵. مما دفع بالسيد سعيد بن سلطان إلى نقل عاصمته إلى زنجبار عام 1832م بحثاً عن الأمان ولتنمية اقتصاد دولته وبعيدا عن النفوذ المهيمن لقوى الدول الغربية على الحركة التجارية. لكن هذا الإجراء أسهم ولحد بعيد في تراجع أهمية تجارة مسقط بما فيها تجارة البن.

وعلى الرغم من أن تجارة القرنفل أصبحت تنصدر قائمة البضائع التي تتاجر بها عمان. إلا أننا نعتقد أن السيد سعيد إضافة إلى بن مخا، بدأ يحصل على قسم من تجارة البن من بعض الموانئ الإفريقية بعد أن غدت جزر القمر من المنافسين عالمياً على تجارة البن والقطن والسكر في فترة العشرينات من القرن التاسع عشر¹⁷⁶.

إضافة إلى ذلك يمكن اعتبار تقسيم الإمبراطورية العمانية بعد وفاة السيد سعيد بن سلطان على يد بريطانيا مثل آخر المساعي البريطانية للإجهاد على الأسطول العماني الذي طالما أقلقها، فقد بقي الجزء الأعظم من هذا الأسطول في زنجبار، في حين فقدت مسقط نهائياً أسطولها وخاصة بعد بيعها البقايا القليلة جداً منه في أعقاب التقسيم وفقدان قيمة هذه البقايا القديمة وغير العصرية.

وزاد من التراجع في أهمية ميناء مسقط افتتاح قناة السويس عام 1869م، وانعدام الحاجة إليه كمركز لتجميع البضائع حيث لم يتبق من تجارتها إلا "نقل الملح من بندر عباس والبلح من عمان"¹⁷⁷، إضافة إلى الليمون المجفف والأسماك المملحة. وغادر عدد كبير من تجار مسقط إلى مناطق أخرى بسبب ضيق الحال فيها. ودفع هذا الركود العديد من البحارة وملاك السفن إلى الذهاب إلى صور لتوفر الحرية التجارية فيها.

الخاتمة:

إن الأهمية التاريخية للدول الواقعة على الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية لا يمكن فصلها بأي حال عن الأهمية الاقتصادية للتجارة الدولية. وعلى الرغم من تنوع البضائع العابرة في هذه المنطقة فإنه مما لا شك فيه أن الطلب الدولي عليها كان يدفع بتلك السلعة أو غيرها لتصبح في مقدمة المواد المحققة للثراء. وقد تم التوصل في هذا البحث؛ الذي أُمّط اللثام عن سلعة هي الأشهر حتى وقتنا الحاضر ألا وهي البن ومشروبه (القهوة)، إلى مجموعة من النتائج وأبرز الدور الريادي الذي مارسه عمان في تجارته. ومن هذه النتائج:

- 1- إن تجارة البن لم تظهر بشكل واضح إلا في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، وفي الفترة التي سبقت ذلك كان مشروب القهوة مختلفا عليه دينيا من قبل المسلمين والمسيحيين على السواء.
- 2- إن عمان عرفت هذه التجارة في عهد اليعاربة ولكنها لم تكن بكميات تجارية معروفة وذلك بسبب الاحتكار الذي مارسه الاستعمار البرتغالي لتجارة الخليج العربي والمحيط الهندي. وبسبب الظروف السياسية التي مرت بها عمان.
- 3- لم تظهر الوثائق المختلفة للدول الاستعمارية المتنافسة في هذه المنطقة معلومات محددة عن كمية وحجم تجارة البن التي نقلها العمانيون قبل فترة حكم آل بوسعيد لأنها ظهرت مجتمعة مع باقي أنواع السلع.
- 4- أن معظم معلوماتنا عن تلك التجارة جاءت بالدرجة الأولى من كتب الرحالة الأجانب ومن تقارير الدول الأجنبية (البريطانية والهولندية والفرنسية والعثمانية)
- 5- وأن تجارة البن في فترة حكم دولة آل بوسعيد التي بدأت عام 1744م كانت مزدهرة جدا، وخاصة في عهد مؤسس الدولة الإمام أحمد بن سعيد حتى إنها غدت أشهر سلعة اقترن بها اسم عمان في ذلك الوقت. وترتب على ذلك تحقيق أرباح مالية حققها تجار البن العمانيين، وثروة كبيرة تحدثت عنها تقارير الدول الأجنبية.
- 6- كان لدى عمان أسطولان يعملان في تجارة البن، الأسطول المسقطي والأسطول السوري، وكانا أشهر ناقلين للبن من مينائي مخا والحديدة اليمنيين إلى البصرة، بسبب شهرة الربانة العمانيين بالمعرفة الملاحية، إضافة لتفوق السفن العمانية على السفن اليمينية من حيث القوة والصنع.
- 7- تعرضت هذه التجارة لتحديات كبيرة كان من أبرزها نتائج الصراعات الإقليمية والدولية عليها والتي بلغت حد السطو على السفن العمانية الناقلة للبن. مما جعل الإمام أحمد يرسل سفنه الحربية للحفاظ عليها وحمايتها من الفرس على وجه الخصوص بعد أن تراجع دور موانئهم، وأصبحت الموانئ العمانية وميناء البصرة الأكثر ثراء، بالإضافة إلى القيام بمنع التعديات التي مارستها سفن بعض القبائل العربية في منطقة الخليج العربي.
- 8- وتوصل البحث إلى أن عمان شاركت دائما في الدفاع عن البصرة لاعتبارات مختلفة من أبرزها العامل الاقتصادي، وعامل الارتباط العرقي القبلي، إلى جانب العامل السياسي الذي وحد مصالح الإمام أحمد بن سعيد بالدولة العثمانية في مواجهة الأطماع الفارسية ربطهما بالهيمنة على عمان خاصة والخليج العربي بشكل عام. وأن هنالك محاولتين عمانيتين لفك

الحصار الفارسي عن البصرة جرت الأولى عام 1756، والثانية عام 1775 يمكن لنا ربطهما بأهمية تجارة البن العمانية مع هذا الميناء.

9- استمرت عمان بدورها كناقل رئيسي للبن حتى الربع الأول من القرن التاسع عشر، لكنها شهدت منافسة حادة على تجارته في مينائي مخا والحديدة، وجاءت هذه المنافسة من سيطرة محمد علي، حاكم مصر، على بن مخا عام 1833 وتصديره مباشرة إلى مصر ومنها إلى دول البحر المتوسط. كما أن اعتماد بلاد الشام على البن القادم من الغرب لسهولة وصوله أثر سلبا على تجارة البن من عمان. وزاد الأمر سوءا سيطرة بريطانيا على عدن عام 1839 وبالتالي سيطرتها على تجارة البن مما دفع بعدد من تجار هذه السلعة للذهاب من عمان إلى عدن. كما أن انتقال مركز ثقل التجارة العمانية إلى زنجبار والتركيز على تجارة القرنفل وغيرها أثرا كثيرا على هذه التجارة. أما الأثر الأكبر فكان للتطورات الاقتصادية والتقنية، وخاصة السفن البخارية التي أضرت بالتجارة التقليدية العمانية. وفي الختام لابد من القول: إن هذا البحث يأتي في إطار إلقاء الضوء على قضايا وأحداث في تاريخ عمان لا زالت تحتاج إلى الكشف عنها لاستكمال معرفتنا التاريخية حول دولة عربية محورية في تاريخ الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية.

The Omani Coffee Fleet and its Trade 1744-1832

Nahed Abdelkareem and Yousef Al-Gelany, Department of History, Sultan Qaboos University, Oman.

Abstract

In previous different historical eras Oman had become a real figure in the international trade activities in the region during the 18th century when the coffee trade spread out. And she was among one of these famous countries which gave herself the opportunity to be the first in dealing with this trade. So this research is an attempt to expose that role which was played by the Omani's, and the fame of the Omani fleet among all traders in this traffic. Moreover the research consist of an introduction for the main sources delt with the issue, a full background of the trade in the area, and explaining this Omani's commercial activity and involvement especially during the reign of the Al-bu-Saidi Dynasty from 1744-1832, with special reference to the political and military difficulties which faced this country in keeping her position intact.

The research ended with the following results:

1. The shortage of documents relating to this trade in Oman specially before the reign of the Al-bu-Saidi Dynasty 1744.
2. The flourishing of this trade in Oman during the Al-bu-Saidi Dynasty rule, helped by the political stability of this country and the importance of the trade.
3. It shows the large contribution of the Omani fleet carrying coffee not only to Oman, but for many other countries, like the Ottoman Empire and Iraq. This fleet was divided into two, one called Muscati's fleet and the second Suri's fleet.
4. The Omani coffee trade had faced many difficulties in the region such as piracy from Persia and some Arab tribes in the Persian Gulf.
5. The trade had played a good role in building strong relationship between Oman and the Ottoman Empire directed against the enmities of Persia toward these two nations particularly in 1775.
6. The Omani-Coffee trade declined by the first quarter of the 19th century, due to the computation of the rising power of Muhammad Ali, Great Britain after the occupation of Eden in 1839, and the interest showed by Sayyid Said bin Sultan in East Africa, when he established his new Capital Zanzibar in 1832, and started planting cloves there.

قدم البحث للنشر في 2010/6/27 وقبل في 2011/3/23

الهوامش

- 1- الصايدي، أحمد قايد، المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1990م، ص 167.
- 2- الصايدي، المصدر السابق ص153، وانظر نيبور ص 143-145.
- 3- زكريا، وصفي، رحلتي إلى اليمن، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1986م، ص 137، كما يمكن العودة للمصدر نفسه ص 136، 137، للاطلاع على أنواع البن في اليمن.
- 4- الطريقة الشاذلية، هي إحدى الطرق الصوفية، وتنسب إلى أبي الحسن الشاذلي؛ نسبة إلى مدينة شاذلة في اليمن. توفي مؤسسها عام 656هـ/ 1258م.
- 5- حول ذلك يمكن العودة إلى كتاب القهوة العربية، البن. لمؤلفه خلفان بن سليمان النعماني، مؤسسة حورس الدولية، الاسكندرية، ط1، 2008م، ص 15-21.
- 6 - Risso, Patrician, Oman & Muscat an early Modern History, Croom Helm, London, 1986. p 77.
- 7 - Risso, op.cit. p 15.

من الجدير بالذكر أن باتريشيا اعتمدت في كتابة كتابها، عمان ومسقط في بدايات العصر الحديث، على نخبة من الباحثين في تاريخ عمان مثل لاندن، ويلكنسون Robert Landen & John (Wilkinson)، مما أعطى كتابها تميزاً في غنى معلوماته.

8- عوض، عبد العزيز، دراسات في تاريخ الخليج العربي، ج1، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م، ص 156-157.

9- ميناء مخا أو المخا، ميناء يماني يقع على البحر الأحمر بالقرب من باب المندب.

10 - Risso, op.cit, p 77 .

دائرة الملك عبد العزيز، الرحالة والرحلات مصدراً لتاريخ تجارة البن www.Yemencoffee.org - 11 وانتشار شرب القهوة العربية، العدد 7، 1425.

12- عوض، مصدر سابق، ص 158.

13- عوض، المصدر السابق، ص 158.

14- عوض، المصدر السابق، ص 154-155.

15 - ND 3|1 pm 22-29, Outline of the History of Oman from 1728 to 1883, p 23.

16- للاطلاع على قوة عمان البحرية يمكن العودة إلى اسماعيل نوري الربيعي، نشاط عمان البحري خلال القرن الثامن عشر، مجلة الوثيقة، العدد 24، مركز الوثائق التاريخية، البحرين، 1994م. ص 78-79.

17- وزارة الإعلام، عمان في التاريخ، دار إميل للنشر، لندن، 1995، ص 384-385.

18- الربيعي، مصدر سابق، ص 78.

19- العجمي، خليل بن عبد الله بن سليمان، أوضاع عمان الداخلية وعلاقاتها الخارجية في عهد اليعاربة خلال الفترة من 1649-1711م، رسالة ماجستير، جامعة السلطان قابوس، مسقط، 2006م، ص 45.

20- بيدويل، روبيين، عمان في صفحات التاريخ، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1985، ص 25.

21 - www.Yemencoffee.org , op.cit.

22 - www.alaslam.org , op.cit.

23 - Risso op.cit, p 77.

24- الضوياني، حمد بن محمد اليعاربة عائلة أباضية حاكمة، 1624-1741م، ص 232.

25- بيدويل، مصدر سابق، ص 24.

26- بيدويل، المصدر السابق، ص 29.

- 27- مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان، ت، سعيد عاشور، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1980م، ص 148.
- 28 - Risso, Op.Cit, p 77.
- 29- الصايدي، مصدر سابق، ص 167.
- 30 - L/ P & S/ 20/ C- 227, V,1, The East India Company,s Connection with The Persian Gulf with a Summary of Events, 1600-1800, Personnel and Trade Arrangements, للاطلاع على تجارة الخليج العربي والبحر الأحمر في النصف الثاني من القرن السادس عشر.
- 31 - Risso, Op.Cit, p 77.
- 32- عمان في التاريخ ص 414.
- 33 - Risso, op.cit, p 77.
- 34 - Niebuhr, M, Travels through Arabia and other Countries in the East, translated in to English by Robert Heron, vol, 2, Edinburgh, 1792. p 123.
- 35 - Risso, op.cit, p 77. - كما يمكن العودة إلى أروى أحمد الخطابي، تجارة البن اليمني من القرن 11- 19، رسالة ماجستير، 2004، www.yemen-nic.inf/contents/studies/detail.php 13هـ / 17-19م، رسالة ماجستير، 2004.
- 36 - Coper, Frederick, Plantation Slavery on the East coast of Africa, Yale University Press, 1977, p 14.
- 37 - Risso, op.cit, p 76.
- 38 - Risso, op.cit, p 77.
- 39 - DUCH ARCHIVE, VOC 2885/ 5, CDRAD, From Masquetta , 27 Janury, 1756 AD.
- 40 - DUCH ARCHIVE, VOC 9100, op.cit, 6 May 1757.
- 41- لاندن، روبرت جيران، عمان منذ 1856م مسيرا ومصيرا، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، د.ت، ص 73.
- 42 - www.alaslam.org/showthread.php , op.cit.
- 43- لاندن، مصدر سابق، ص 73.
- 44- العقاد، صلاح، التيارات السياسية في الخليج، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت، ص 59.
- 45- هولي، دونالد، عمان ونهضتها الحديثة، مؤسسة ستايسي الدولية، لندن، ترجمة عبد الله الحراصي ومحمد البلوشي وفوزية السيابي، 1998م، ص 237.
- 46 - Risso, op.cit, p 99.
- 47- فيليبس، وندل، تاريخ عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1983م، ص 82.
- 48- نيبور، كارستن، رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها، ج2، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2007م، ص 83.
- 49- الصايدي، مصدر سابق، ص 166-167.

- 50- ولستد، مصدر سابق، ص 32.
- 51- هولي، مصدر سابق، ص 98.
- 52- بيدويل، مصدر سابق، ص 31.
- 53- الصايدي، مصدر سابق، ص 171. البهار هنا وحدة وزن ربما قصد بها الباله الواحدة.
- 54- هولي، ص 237.
- 55- ولستد، مصدر سابق، ص 32.
- 56- الفارسي، تركية بنت حمد، العلاقات العثمانية العمانية 1744 - 1856م، رسالة ماجستير، جامعة السلطان قابوس، 2006 م، ص 96. وانظر Risso, op.cit, p 99.
- 57- ولستد، مصدر سابق، ص 33.
- 58- ولستد، المصدر السابق، ص 33.
- 59- ولستد، المصدر السابق، ص 29، 33. وانظر Wilkinson, op.cit, p 65.
- 60- عمان في التاريخ، مصدر سابق، ص 508.
- 61- عمان في التاريخ، المصدر السابق، ص 508.
- 62- هولي، مصدر سابق، ص 237، وانظر الحراصي، سعود بن حارث، دور العمانيين في الملاحة والتجارة في المحيط الهندي منذ 1741 - 1856م، رسالة ماجستير، جامعة القديس يوسف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، معهد الآداب الشرقية، بيروت، 2008م، ص 155.
- 63 - L/ P & S/ 20/ C- 227, V,11, The East India Company,s Connection with The Persian Gulf with a Summary of Events, 1600-1800, Appendix F, Report on The Commerce of Arabia and Persia by Samuel Manesty and Harford Jones, 1700, p 407.
- 64- بيدويل، مصدر سابق، ص 33. وانظر فنسنت ماكيرايرتي ومحمد بن الزبير، عمان حضارة عريقة: دولة حديثة نحو اقتصاد مبني على المعرفة والخدمات، الناشران باز ومؤسسة بيت الزبير، دبلن، أيرلندا، مسقط 2004م، ص 45.
- 65- سلوت، ب.ج، عرب الخليج في ضوء مصادر شركة الهند الشرقية الهولندية 1602 - 1784م، ت عايدة الخوري، ط 1، شركة أبو ظبي للطباعة والنشر، 1993، ص 359.
- 66 - Risso, op.cit, p 99.
- 67 - Niebuhr. Op.cit, p 123. 31. وانظر بيدويل، مصدر سابق، ص 31.
- 68- Niebuhr,op.cit, p 123. 180. وانظر الصايدي، مصدر سابق، ص 180.

- 69- الغيلاني، حمود بن حمد بن محمد، التبادل التجاري بين الموانئ العماني- اليمنية وأثرها في الملاحة العالمية، بحث غير منشور مقدم للندوة الدولية حول التبادل الحضاري العماني اليمني، جامعة السلطان قابوس، مسقط، 7-8/ 2 /2010.
- 70- الملاحي، عبد الرحمن عبد الكريم، الطريق التجاري البحري بين مسقط والمخا في مرشدات الربان با طابع، بحث غير منشور مقدم للندوة الدولية حول التبادل الحضاري العماني اليمني، جامعة السلطان قابوس، مسقط، 7-8/ 2 /2010.
- 71 - Nhebuhr, op.cit, p 123 .
- 72- الصائدي، مصدر سابق، ص 181.
- 73 - Niebuhr,op.cit, p 123. يصف نيبور سفن الترنكي بأنها مصنوعة من الخشب المثبت بواسطة . الحبال دون استخدام المسامير.
- 74- الفارسي، مصدر سابق، ص 95.
- 75- عمان في التاريخ، مصدر سابق، ص 333.
- 76- الفارسي، مصدر سابق، ص 94.
- 77- لوريمر، ج.ج، السجل التاريخي للخليج وعمان وأواسط الجزيرة العربية، ج1، تاريخ، م2، ترجمة جامعة السلطان قابوس، دار غاريت للنشر، لندن، 1995م، ص 150.
- 78- لوريمر، مصدر سابق، ص 154. وانظر فاضل محمد عبد الحسين جابر، عمان في عهد الإمام أحمد بن سعيد 1744-1783م دراسة في التاريخ السياسي المعاصر، وزارة الاعلام، سلطنة عمان ومسقط، ط2، 1994، ص 116.
- 79- الصائدي، مصدر سابق، ص 182.
- 80- ولستد، مصدر سابق، ص 32.
- 81- ولستد، المصدر السابق، ص 33.
- 82 - L/ P & S/ 20/ C- 227, V,11, Op.Cit, Report on The Commerce of Arabia and Persia by Samuel Manesty and Harford Jones, 1700, p 407.
- 83 - L/ P & S/ 20/ C- 227, V,11, Op.Cit, p 407.
- 84- ولستد، المصدر السابق، ص 33.
- 85- مايلز، مايلز، س.ب، الخليج بلدانه وقبائله، ت محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1983م، ص 225.
- 86- الفارسي، مصدر سابق، ص 90.
- 87- الفارسي، المصدر السابق، ص 96.
- 88 - DUCH ARCHIVE, ARA/ Aanw. 1889- 23b, Op.Cit,1755.

- 89- لوريمر، مصدر سابق ص 150. وانظر تركية الفارسي ص 95. وأغلب الظن أن البن الموجود في موريشيوس مصدره أفريقيا.
- 90- الحراصي، مصدر سابق، ص 138.
- 91- هولي، مصدر سابق، ص 98.
- 92- ولستد، مصدر سابق، ص 45.
- 93 - ولستد، المصدر السابق الصفحة نفسها.
- 94- الوسمي، خالد ناصر، عمان بين الاستقلال والاحتلال، دراسة في التاريخ العماني الحديث وعلاقاته الدولية، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، ط1، 1993.. ص 151.
- 95- لاندن، مصدر سابق، ص 71.
- 96- سلوت، مصدر سابق، ص 372.
- 97- عبد الرحمن، عبد الوهاب، الخليج العربي والمحرمات البريطانية الثلاث 1778- 194، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة، 1997. ص 26.
- 98 - Dutch ARCHIVE, VOC 2864, 1754, Letter to Jacob Mossel, Governor, General of Dutch India, from Tido Frederik, van Knipphausen....., VOC Residents on Khrk.
- 99- بنو كعب قبائل نجدية زاع صيتها بعد نزوحها واستقرارها على شط العرب في أواخر القرن السابع عشر وقامت دولتهم في القرن الثامن عشر واتخذوا قوبان عاصمتهم.
- 100- الحاج، عزيز، العلاقات العمانية- العراقية عبر التاريخ من سومر وأكاد حتى الحرب العالمية الأولى، دار الحكمة، لندن، ط1، 2003م، ص 234-235.
- 101- الربيعي، مصدر سابق، ص 81.
- 102- الحسيني، فاضل، علاقات عمان الخارجية، التجارة في عمان خلال عهد أحمد بن سعيد 1749- 1783م، مجلة الوثيقة، العدد 24، مركز الوثائق التاريخية، البحرين، 1994م، ص 98.
- 103- Risso, op.cit, p 84.
- 104- ابن رزيق، حميد بن محمد، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسي عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط4، 1994م، ص 327.
- وانظر يوسف بديوي، تاريخ عمان بين القديم والحديث، مكتبة الصفاء، أبو ظبي، الإمارات، 2008م، ص 463.
- 105- زكريا، قاسم، دولة البوسعيد، ص 73. وانظر الوسمي، مصدر سابق، ص 152.
- 106- لوريمر، مصدر سابق، ص 148.

- 107- لوريمر، المصدر السابق، ج1، ص 148. وانظر الوسمي، مصدر سابق، ص 151-152. البالة وحدة وزن تتراوح بين 150 إلى 250 كغ، والبالة الاقتصادية؛ المستخدمة في التجارة وزنها 500كغ.
- 108- لوريمر، المصدر السابق، ص 148.
- 109- لوريمي، المصدر السابق، ص 148، وانظر الوسمي ص151.
- 110- سلوت، مصدر سابق، ص 375.
- 111- جابر، مصدر سابق، ص 139-140.
- 112- الحاج، مصدر سابق، ص 236.
- 113- سلوت، مصدر سابق، ص 375.
- 114- أمين، عبد الأمير محمد، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، الوراق للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ص72.
- 115 - ND 3| 1 P. 22-29, op.cit, p 23.
- 116- أمين، المصدر السابق، ص 80.
- 117- أمين المصدر السابق، ص 81.
- 118- ابن رزيق، مصدر سابق، 327.
- 119- أمين، مصدر سابق، ص 91.
- 120- حول دور الأسطول العماني في فك الحصار عن البصرة يمكن العودة إلى عبد الأمير أمين، ص 97.
- 121- مايلز، مصدر سابق، ص 227.
- 122- سلوت، مصدر سابق، ص 375.
- 123- انظر حول تواريخ وفاة السلاطين العثمانيين كتاب محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ت إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط8، 1998م، ص 328، 340، 362.
- 124- البطاشي، سيف بن حمود، الطالع السعيد نبذة من تاريخ الإمام أحمد بن سعيد، مكتبة صالح بن عامر الخروصي، ط1، 1997م، ص 169. وانظر كلا من، بديوي، مصدر سابق ص 463. و خالد القاسمي، عمان تاريخ وحضارة، دار الشام، دمشق، ط1999، ص62.
- 125- دقترنامة همايون 9، رسالة من السلطان العثماني إلى إمام مسقط، الأرشيف العثماني في استانبول، جمادى الآخر 1191هـ/ 1777، ص 79- 80. الوثيقة موجودة في المركز الوطني للوثائق والبحوث أبو طبي برقم(د9، ص 79- 80)، رقم الملف 2 / 23، 110047421.

- 126- دفترنامة همايون 9، رسالة من إمام مسقط إلى السلطان العثماني حول احتلال البصرة، الأرشيف العثماني في استانبول، شعبان 1193هـ/ 1777، ص 104-106، الوثيقة موجودة في المركز الوطني للوثائق والبحوث أبو طي برقم(د9، ص 104-106)، رقم الملف 2/ 23، 110047429.
- 127 - Risso, op.cit, p 60.
- 128- ابن رزيق، مصدر سابق، ص 327.
- 129- لوريمر، مصدر سابق، ص 150.
- 130- بيدويل، مصدر سابق، ص 33.
- 131- دفترنامة همايون 9، رسالة من إمام مسقط إلى السلطان العثماني حول احتلال البصرة، الأرشيف العثماني في استانبول، شعبان 1193هـ/ 1777، مصدر سابق.
- 132- مايلز، مصدر سابق، ص 227.
- 133- أوبنهايم، ماكس، رحلة إلى مسقط عبر الخليج، مراجعة وتدقيق محمود كيبو، دار الوراق، بغداد، 2007، ص 83. وانظر الفارسي، مصدر سابق، ص 96. وانظر علي عبد الله فارس، العلاقات العمانية الفارسية في عهد دولة آل بو سعيد، المسار للدراسات والاستشارات والنشر، الشارقة، 1871م، ص 15. وانظر الحاج، مصدر سابق، ص 243. وانظر محمود علي الداود، محاضرات عن التطور السياسي الحديث لقضية عمان، القاهرة، 1964م، ص 22.
- 134- السيابي، سالم بن حمود، العنوان عن تاريخ عمان، نشر على نفقة أحمد بن محمد بن عيسى الحارثي، د.م، د.ط، د.ت، ص 316.
- 135- ابن رزيق، مصدر سابق، ص 327.
- 136- السالمي، نور الدين حميد بن محمد، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان، ج2، 1997م، ص 183.
- 137- العقاد، العقاد، صلاح، التيارات السياسية في الخليج العربي من بداية العصور الحديثة حتى أزمة (1990-1991)، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1991م، ص 49. وانظر سلطان القاسمي، الاحتلال البريطاني لعدن 1839م، ط2، د.ن، 1922، ص 62.
- 138- أمين، مصدر سابق، ص 100، 103.
- 139- الداود، محمود علي، الخليج العربي والعلاقات الدولية، ج1، 1890-1914م، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، 1977م، ص 18.
- 140- دفترنامة همايون 9، رسالة من إمام مسقط إلى السلطان العثماني حول احتلال البصرة، الأرشيف العثماني في استانبول، شعبان 1193هـ/ 1777، 23 | 2 | ID، 18- AID، 110013936، مصدر سابق، د.ت.

- 142- لوريمر، مصدر سابق، ص 190.
- 143 - Wilkinson.J. The Imamate Tradition of Oman. Cmbridge University, press,London 1987, p 53.
- 144 - Wilkinson, op.cit, p 63.
- 145- الفارسي، مصدر سابق، ص 96.
- 146- لوريمر، مصدر سابق، ص 159، 175.
- 147- كيللي، جون، بريطانيا والخليج 1792-1870م، ج2، ت محمد أمين، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، د.ت، ص 31.
- 148- كيللي، المصدر السابق، ص 31.
- 149 - Wilkinson,op.cit, p 51.
- 150- ماكبرايرتي، فنسنت والزبير، محمد، عمان حضارة عريقة: دولة حديثة نحو اقتصاد مبني على المعرفة والخدمات، الناشران باز ومؤسسة بيت الزبير، دبلن، أيرلندا، مسقط 2004م، ص 46.
- 151 - ND 3|E p. 20- 37, Biographical Sketch of Seed bin Sultan Al Bu Saidi, Imam of Muscat, by Lt. Col S.B. Miles (Appendix to the Administration Report of the Persian Gulf Political Residency and Muscat Political Agency for 1883- 1884), p 23.
- 152- بيدويل، مصدر سابق، ص 47.
- 153- بيدويل، المصدر السابق، ص 46.
- 154 - DUCH ARCHIVE, CDRAD, Ladberg 1829. p 18.
- 155- بيدويل، المصدر السابق، ص 70.
- 156- لاندن، مصدر سابق، ص 145.
- 157 - Coupland, R, East Africa and its Invaders, from the earliest time to the death of Seyyid Said in 1856. Oxford, clarendon Press. First Edition 1938, p 425.
- 158- لاندن، مصدر سابق، ص 145.
- 159- لوريمر، مصدر سابق، ص 150. ويمكن العودة إلى الحاج، مصدر سابق، ص 237 حول دور بني كعب في البصرة.
- 160 - Risso, op.cit, p 64.
- 161- طه، جاد، سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1969، ص40. وللإطلاع على المحاولات البريطانية لإعادة نفوذها على تجارة بن مخا في مطلع القرن التاسع عشر يمكن العودة إلى ص 40- 44 من الكتاب نفسه.
- 162 - Coupland, op.cit, p 362.

163- عبد الرحيم، عبد الرحمن، من تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث، محمد علي وشبه الجزيرة العربية، ج2، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ط2، 1986، ص 229.

164 - Coper p, op.cit, 14.

165 - Coupland, op.cit, p 365.

166- القاسمي، سلطان، مصدر سابق، ص 77.

167- عبد الرحيم، مصدر سابق، ص 56، 227- 229.

168- عبد الرحيم، المصدر سابق، ص 231- 232.

169- طه، جاد، التنافس الدولي في الخليج... ص 22

170- طه، سياسة بريطانيا، مصدر سابق، ص 65.

171- طه، سياسة بريطانيا، مصدر سابق، ص 130-131.

172- ولستد، مصدر سابق، ص 33. وانظر هولي، مصدر سابق، ص 243.

173- لاندن، مصدر سابق، ص 128.

174- لاندن، مصدر سابق، ص 94.

175- لاندن، المصدر السابق، ص 82.

176 - coupland, op.cit, p 22.

177- لاندن، مصدر سابق، ص 135.

المصادر والمراجع

الوثائق الأجنبية:

أولا- وثائق بريطانية غير منشورة:

- 1- ND 3|1 pm 22-29, Outline of the History of Oman from 1728 to 1883.
- 2- ND 3|E p. 20- 37, Biographical Sketch of Seed bin Sultan Al Bu Saidi, Imam of Muscat, by Lt. Col S.B. Miles (Appendix to the Administration Report of the Persian Gulf Political Residency and Muscat Political Agency for 1883- 1884).
- 3- L/ P & S/ 20/ C- 227, V,11, The East India Company,s Connection with The Persian Gulf with a Summary of Events, 1600-1800, Appendix F, Report on The Commerce of Arabia and Persia by Samuel Manesty and Harford Jones, 1700.

- 4- L/ P & S/ 20/ C- 227, V,1, The East India Company,s Connection with The Persian Gulf with a Summary of Events, 1600-1800, Personnel and Trade Arrangements.

ثانيا- وثائق عثمانية غير منشورة:

- 1- دفترنامة همايون 9، رسالة من السلطان العثماني إلى إمام مسقط،، الأرشيف العثماني في استانبول، جمادى الآخر 1191هـ/ 1777، ص 79- 80. الوثيقة موجودة في المركز الوطني للوثائق والبحوث أبو طيبي برقم(د9، ص 79- 80)، رقم الملف 2/23، 110047421.
- 2- دفترنامة همايون 9، رسالة من إمام مسقط إلى السلطان العثماني حول احتلال البصرة، الأرشيف العثماني في استانبول، شعبان 1193هـ/ 1777، ص 104-106، الوثيقة موجودة في المركز الوطني للوثائق والبحوث أبو طيبي برقم(د9، ص 104- 106)، رقم الملف 2/23، 110047429.
- 3- دفترنامة همايون 9، رسالة من إمام مسقط إلى السلطان العثماني حول احتلال البصرة، الأرشيف العثماني في استانبول، دون تاريخ، الوثيقة موجودة في المركز الوطني للوثائق والبحوث أبو طيبي برقم(د9، ص 489)، رقم الملف 2/23، 110013936.

ثالثا: وثائق هولندية غير منشورة: DUCH ARCHIVE :

- 1- VOC 2864, 1754, Letter to Jacob Mossel, Governor, General of Dutch
 - 2- India, from Tido Frederik, van Kniphausen....., VOC Residents on Khrk.
 - 3- VOC 2885/ 5, CDRAD, From Masquetta , 27 Janury, 1756 AD.
 - 4- ARA/ Aanw. 1889- 23b, 1755
 - 5- VOC 9100, CDRAD, From Masquetta , 6 May 1757.
 - 6- CDRAD, Ladberg, 1829.
- الوثائق السابقة جميعها من المركز الوطني للوثائق والبحوث في ابو ظبي_ الإمارات العربية المتحدة.

المصادر والمراجع العربية والمترجمة:

- ابن رزيق، حميد بن محمد، (1994م). **الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين**، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسي عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط4.
- أمين، عبد الأمير محمد، (2007م). **القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر**، الوراق للنشر، بيروت، لبنان، ط1.
- أوبنهايم، ماكس، (2007م). **رحلة إلى مسقط عبر الخليج**، مراجعة وتدقيق محمود كبيبو، دار الوراق، بغداد.
- بديوي، يوسف، (2008م). **تاريخ عمان بين القديم والحديث**، مكتبة الصفاء، أبو ظبي، الإمارات.
- البطاشي، سيف بن حمود، (1997م). **الطالع السعيد نبذة من تاريخ الإمام أحمد بن سعيد**، مكتبة صالح بن عامر الخروصي، ط1.
- بيدويل، روبين، (1985م). **عمان في صفحات التاريخ**، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.
- جابر، فاضل محمد عبد الحسين، (1994م). **عمان في عهد الإمام أحمد بن سعيد 1744-1783م دراسة في التاريخ السياسي المعاصر**، وزارة الاعلام، سلطنة عمان ومسقط، ط2.
- الحاج، عزيز، (2003م). **العلاقات العمانية- العراقية عبر التاريخ من سومر وأكاد حتى الحرب العالمية الأولى**، دار الحكمة، لندن، ط1.
- الحراصي، سعود بن حارث، (2008م). **دور العمانيين في الملاحة والتجارة في المحيط الهندي منذ 1741-1856م**، رسالة ماجستير، جامعة القديس يوسف، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، معهد الآداب الشرقية، بيروت.
- الحسيني، فاضل، (1994م). **التجارة في عمان خلال عهد أحمد بن سعيد 1749-1783م**، مجلة الوثيقة، العدد 24، مركز الوثائق التاريخية، البحرين.
- الحسيني، فاضل، (1995م). **علاقات عمان الخارجية خلال عهد أحمد بن سعيد 1749-1783م**، مجلة الوثيقة، العدد 28، مركز الوثائق التاريخية، البحرين.

الداؤد، محمود علي، (1964م). محاضرات عن التطور السياسي الحديث لقضية عمان، القاهرة.

الداؤد، محمود علي، (1977م). الخليج العربي والعلاقات الدولية، ج1، 1890-1914م، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر.

زكريا، وصفي، (1986م). رحلتي إلى اليمن، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1.

السالمي، نور الدين حميد بن محمد، (1997م). تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان، ج2.

سلوت، ب.ج، (1993م). عرب الخليج في ضوء مصادر شركة الهند الشرقية الهولندية 1602-1784م، ت عابدة الخوري، ط1، شركة أبو ظبي للطباعة والنشر.

السيابي، سالم بن حمود، (د.ت). العنوان عن تاريخ عمان، نشر على نفقة أحمد بن محمد بن عيسى الحارثي، د.م، د.ط.

الصايدي، أحمد قايد، (1990م). المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1.

الضوياني، حمد بن محمد، (2004م). اليعاربة عائلة أباضية حاكمة 1624-1741، رسالة دكتوراة، جامعة تونس.

طه، جاد، (1969م). سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة.

العابد، فؤاد سعيد، (د.ت). سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، دار ذات السلاسل، الكويت.

عبد الرحمن، عبد الوهاب، (1997م). الخليج العربي والمحرمات البريطانية الثلاث 1778-194)، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة.

عبد الرحيم، عبد الرحمن، (1986م). من تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث، محمد علي وشبه الجزيرة العربية، ج2، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ط2.

العجمي، خليل بن عبد الله بن سليمان، (2006م). أوضاع عمان الداخلية وعلاقاتها الخارجية في عهد اليعاربة خلال الفترة من 1649- 1711م، رسالة ماجستير، جامعة السلطان قابوس، مسقط.

العقاد، صلاح، (1991م). التيارات السياسية في الخليج العربي من بداية العصور الحديثة حتى أزمة (1990- 1991)، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.

عوض، عبد العزيز، (1991م). دراسات في تاريخ الخليج العربي، ج1، دار الجبل، بيروت، ط1.

الفيلايني، حمود بن حمد بن محمد، (2010م). التبادل التجاري بين الموانئ العماني- اليمنية وأثرها في الملاحة العالمية، بحث غير منشور مقدم للندوة الدولية حول التبادل الحضاري العماني اليمني، جامعة السلطان قابوس، مسقط، 7-8 / 2.

فارس، علي عبد الله، (1871م). العلاقات العمانية الفارسية في عهد دولة آل بو سعيد، المسار للدراسات والاستشارات والنشر، الشارقة.

الفارسي، تركية بنت حمد، (2006م). العلاقات العمانية العثمانية 1744- 1856م، رسالة ماجستير، جامعة السلطان قابوس.

فيليبس، وندل، (1983م). تاريخ عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

القاسمي، خالد، (1999م). عمان تاريخ وحضارة، دار الشام، دمشق، ط1.

القاسمي، سلطان، (1922م). الاحتلال البريطاني لعدن 1839م، ط2، د.ن.

كلي، جون، (د.ت). بريطانيا والخليج 1792- 1870م، ج2، ت محمد أمين، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

لاندن، روبرت جيران، (د.ت). عمان منذ 1856م مسيرا ومصيرا، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

لوريمر، ج.ج، (1995م). السجل التاريخي للخليج وعمان وأواسط الجزيرة العربية، ج1، تاريخ، م2، ترجمة جامعة السلطان قابوس، دار غاريت للنشر، لندن.

مؤلف مجهول، (1980م). تاريخ أهل عمان، ت، سعيد عاشور، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

ماكبرايرتي، فنسنت والزبير، محمد، (2004م). عمان حضارة عريقة: دولة حديثة نحو اقتصاد مبني على المعرفة والخدمات، الناشران باز ومؤسسة بيت الزبير، دبلن، أيرلندا، مسقط.

مايلز، س.ب، (1983م). الخليج بلدانه وقبائله، ت محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

المحامي، محمد فريد بك، (1998م). تاريخ الدولة العلية العثمانية، ت إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط8.

الملاحي، عبد الرحمن عبد الكريم، (2010م). الطريق التجاري البحري بين مسقط والمخا في مرشدات الربان با طابع، بحث غير منشور مقدم للندوة الدولية حول التبادل الحضاري العماني اليمني، جامعة السلطان قابوس، مسقط، 7-8 / 2.

النعمان، خلفان بن سعيد، (2008م). القهوة العربية- البن، مؤسسة حورس الدولية، الاسكندرية، ط1.

نيبور، كارستن، (2007م). رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها، ج2، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1.

هولي، دونالد، (1998م). عمان ونهضتها الحديثة، مؤسسة ستايسي الدولية، لندن، ترجمة عبد الله الحراسي ومحمد البلوشي وفوزية السيابي.

وزارة الإعلام، (1995م). عمان في التاريخ، دار إميل للنشر، لندن.

الوسمي، خال ناصر، (1993م). عمان بين الاستقلال والاحتلال، دراسة في التاريخ العماني الحديث وعلاقاته الدولية، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، ط1.

ولستد، جيمس ريموند، (2002م). تاريخ عمان رحلة في شبه الجزيرة العربية، ترجمة عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، دار الساق، بيروت، لبنان، ط1.

المصادر والمراجع الأجنبية:

- Coper, F. (1977). *Plantation Slavery on the East coast of Africa*, Yale University Press.
- Coupland, R. (1938). *East Africa and its Invaders, from the earliest time to the death of Seyyid Said in 1856*. Oxford, clarendon Press. First Edition.
- Landen, R. G. (1967). *Oman since 1856*. Disruptive Modernization in Traditional Arab Society, New jersey.
- Naiebuhr. M. (1792). *Travels through Arabia and other Countries in the East*, translated in to English by Robert Heron, vol, 2, Edinburgh.
- Risso, P. (1986). *Oman & Muscat an early Modern History*, Croom Helm, London.
- Wilkinson, J. (1987). *The Imamate Tradition of Oman*. Cmbridge University, press, London.

مصادر الانترنت:

- 1- www.Yemencoffee.org
- 2- www.yemen-nic.inf/contents/studies/detail.php أروى أحمد الخطابي، تجارة البن اليمني من القرن 11 - 13هـ / 17-19م، رسالة ماجستير، 2004.
- 3- www.alaslam.Org
- 4- دارة الملك عبد العزيز، الرحالة والرحلات مصدرا لتاريخ تجارة البن وانتشار شرب القهوة العربية، العدد 7، 1425.

حركة الترجمة والتعريب في الوطن العربي: تاريخها ومعطياتها

رجحان عبدالخالق التميمي*

ملخص

بدأ الأهتمام بالترجمة والتعريب منذ القرن الثاني للهجرة نتيجة لاحتكاك العرب بغيرهم من الشعوب لأسباب سياسية واقتصادية وتجارية، إلا أن قرونا من الحكم العثماني ووقوع الدول العربية تحت الاستعمار أدّى إلى قلة المصطلحات العلمية والتقنية في اللغة العربية. وفي الوقت الحاضر أصبح تعريب العلوم والمعارف حاجة ملحة للحاق بالعلم ومواكبة تطوره في الغرب مما حدى بالمفكرين والباحثين إلى بذل الكثير من الجهود لحياء الترجمة والتعريب، وخاصة تعريب العلوم البحتة لإثراء اللغة العربية في جميع المعارف وسد حاجات الجامعات في الوطن العربي، فقاموا بترجمة العديد من الكتب وإنشاء المجامع اللغوية ليكونوا على قدم المساواة مع اللغات الغربية، إلا أن الجهود المبذولة للترجمة والتعريب كانت ولا تزال تواجه العديد من المشاكل اللغوية منها ازدواجية اللغة واستخدام الألفاظ الأجنبية وغيرها من المشاكل، لذا توجب إيجاد الحلول المناسبة للتغلب على جميع المشاكل التي تعيق عملية الترجمة والتعريب نظرا للحاجة الماسة لنقل وتعريب العلوم لمواكبة التقدم العلمي السريع واللاحق بركب الحضارات الإنسانية الأخرى في الوطن العربي.

تمهيد:

تمثل اللغة العربية جوهر وحدة الأمة العربية في تاريخها وأمتدادها الجغرافي من المحيط الى الخليج العربي. إنها لغة القرآن الكريم الذي خلّدها ولولاه لأصاب اللغة العربية ماأصاب لغات أخرى من موت وفناء، ولما كانت هنالك أمة تسمى أمة العرب في حضارتها وقيمها وتاريخها.

بهذه اللغة استطعنا أن نخلد تراثنا المجيد ونفخر بالعلماء الذين أنجبتهم الأمة العربية وعملوا على رفعتها وصانوا وحدة لغتها.

إن اللغة العربية في الوقت الحاضر من حيث كونها وسيلة للاتصال والتعبير عن أشد الأفكار تعقيدا، والأداة التي تساعدنا على نقل المعلومات قد مزّقتها الاستعمار وكاد يقضي عليها عداة اللغات الأجنبية لها، لذا أصبح علينا الأخذ بيدها من جديد لتكون لغة البحث العلمي والتقنيات

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2013.

* قسم اللغة الانجليزية والترجمة، كلية الآداب، جامعة جرش الاهلية، جرش - الاردن.

الحديثة وأن تكون لغة الحياة في كافة مناحيها، وبذلك تكون أمتنا قادرة على المشاركة في بناء الحضارة الإسلامية ومواكبة التقدم.

نظرة تاريخية على حركة الترجمة والتعريب في الوطن العربي

كان للعرب علاقات قديمة مع الشعوب الأخرى والبلدان المجاورة منذ العصر الجاهلي، فأدى ذلك إلى قيام مبادلات متنوعة من بينها المبادلات اللغوية. وقد استعمل شعراء ذلك العصر مفردات أجنبية من لغات أخرى في قصائدهم، فمثلاً استعمل طرفة بن العبد الألفاظ الأجنبية في معلقته كقوله

وفي الحي أحوى ينفض المرء شادن مظاهر سمطي لولو وزبرجد

كان البرين والدمالج علقت على عشر أو خروج لم ينضد

على الرغم من أصالة اللغة العربية ورسوخها فقد تأثرت بالألفاظ الأجنبية. ولم يخش العرب من دخول الألفاظ الأجنبية في اللغة العربية فقربوها ووضعوها على أوزان عربية وأخضعوها لقواعد اللغة العربية أصبحت فيما بعد ألفاظاً معربة.

بدأ التعريب في العصر الأموي، على وجه الخصوص يرى النور وأخذ طابعا رسمياً حيث أخذ العلماء بنقل العلوم من اليونانية والسريانية إلى اللغة العربية، وعمل الأمويون على فرض اللغة العربية سياسياً في الأقطار التي فتحوها وأتاحوا لها بذلك نشر الحضارة الجديدة فيما بعد، ويمكن القول: إنه من خلالها انطلقت الطريقة العلمية في الحضارة الغربية.

واصل العباسيون حركة الترجمة والتعريب ونقل المعارف الأعجمية إلى اللغة العربية وأنشأوا بيت الحكمة الذي يعدّ أول مؤسسة تهتم بالترجمة والتعريب، وبدا ذلك واضحاً في حركة التعريب اللفظي والفكري* حيث تم نقل العديد من العلوم اليونانية إلى العربية، ولكن العرب لم يكتفوا بنقل العلوم اليونانية ولم يقفوا موقفاً سلبياً، بل جربوا أفكارهم الناقد ومارسوا التجربة العلمية وحوروا العلوم اليونانية وأضافوا إليها وأثبتوا باختراعاتهم ومؤلفاتهم العلمية أن اللغة العربية قادرة على نقل العلوم.

لقد زها العصران الأموي والعباسي بوجود علماء وفلاسفة ومفكرين تأثروا بحركة ترجمة وتعريب المعارف القديمة وكتبوا رسائل ومؤلفات ووضعوا المصطلحات لمواكبة ما وصلت إليه المعرفة الإنسانية في مختلف مجالات العلوم واجتهدوا في إغناء اللغة وتطويرها لتصبح لغة البحث

* التعريب اللفظي والفكري يقصد به تعريب المصطلحات العلمية، أما التعريب الفكري يعني تعريب المؤلفات اليونانية وغيرها وليس الأقتصار على المصطلحات العلمية.

العلمي والتدريس على جميع المستويات، ومنهم عبد الله ابن المقفع الذي نقل إلى العربية كتاب (كليلة ودمنة) وأبو يعقوب حنين بن اسحاق الذي ترجم العديد من الكتب العلمية والطبية من اليونانية إلى العربية وثابت بن قرة الحراني ويوحنا بن البطريق وغيرهم.

شارك اللغويون مثل البحتري وابن الرومي وابن المعتز وغيرهم العلماء والفلاسفة والمفكرين وساروا معهم جنباً إلى جنب، من أجل تنقية اللغة العربية من الألفاظ الغريبة واللحن بعد أن اختلط العرب بالأعاجم، عندئذ بدأت حركة ترجمة جميع المعارف.

جاء عصر الانحطاط وهي تلك الفترة الزمنية الممتدة بين سنة 1258 م تاريخ سقوط بغداد وسنة 1798م تاريخ حملة نابليون بونابرت على مصر، وامتد عصر الضعف إلى سنة 1916م تاريخ سقوط الخلافة العثمانية. فتراجعت اللغة العربية وانكمشت في المساجد والكتاتيب، واقتصرت على العلوم الدينية وأصبحت اللغات الأجنبية اللغات الرسمية والدارجة بين الجماهير نتيجة السيطرة الاستعمارية العسكرية والفكرية ومحاولتهم محو اللغة العربية وإحلال لغاتهم محلها، إلا أنهم لم يستطيعوا تحقيق غايتهم لوقوف بعض المخلصين الذين نادوا بأن وحدة كلمتهم بوحدة لغتهم والحفاظ عليها يعني الحفاظ على عروبتهم، ولكونها لغة الإسلام أي لغة القرآن الكريم فإنه حفظها وأعطى أمتنا العربية وجودها الحضاري والإنساني.

عند ظهور اليقظة العربية 1800-1950 وهي حركة عمت البلاد العربية بدأت النهضة العربية تنشر إشعاعاتها وعادت اللغة العربية إلى تماسها مع لغات الحضارات العلمية المتقدمة وخاصة اللغة الإنكليزية والفرنسية والألمانية فتأثرت بهم وأخذت عنهم مئات الألفاظ في كافة وجوه العلم والأدب مما حدا باللغويين والعلماء والمفكرين إلى الاتجاه نحو التعريب والترجمة.

في هذا العصر بدأت حركة الترجمة في بلاد الشام في مطلع القرن التاسع عشر، ولكنها اقتصرت في البداية على الكتب الدينية والأدبية، أما في مصر فقد اهتم محمد علي باشا بحركة الترجمة كوسيلة من وسائل تحديث الدولة المصرية فأسس مدرسة للألسن عام 1835، وتولى الشيخ رفاعة الطهطاوي الإشراف عليها، وأصبحت إحدى الدعامات للحركة العلمية في عصره، وأثبتت أن عصره عصر الترجمة والتعريب لجميع العلوم البحتة منها والطبيعية.

وقد لعب الرواد الأوائل من المترجمين في العصرين الأموي والعباسي وعصر النهضة مثل الشيخ الطهطاوي والكاتب اللبناني بطرس البستاني وإبراهيم اليازجي ونجيب حداد الذي نقل إلى العربية مأساة شكسبير "روميو وجوليت"، والأدباء العرب مثل أحمد حسن الزيات، خليل مطران، الدكتور طه حسين، مصطفى لطفي المنفلوطي وغيرهم دوراً عظيماً في مسيرة حركة الترجمة، وفي ترسيخ اللغة العربية وتنقيتها بفضل دأبهم وعملهم المتواصل لصيانة اللغة العربية وتطويرها إذ بذلوا جهوداً محمودة ووضعوا مصطلحات تعبر عن الجديد وأصدروا مجلات تخدم العلم

وأهدافه. وستظل هذه الأسماء وغيرها ممن خدم اللغة العربية خالدة ما خلدت الأمة العربية واستمر أبنائها في البناء. وستظل المجالات التي حملت عبء النهضة العلمية كاللسان العربي والمشرق والبيان والضيء وغيرها منارا يهدي الباحثين ويدفع العلماء إلى العمل والبناء.

التعريب واتجاهاته

نشط العرب منذ أواخر القرن الماضي في الترجمة والتعريب، وكان التعريب أهم قضية شغلت المفكرين والمخلصين لأن التعريب والترجمة يشكلان رافدا من روافد اللغة في زيادة ثروتها وتمكينها من التطور في وسائل تعبيرها، وقد اتخذ مصطلح التعريب اتجاهات عديدة:

الاتجاه الأول: التعريب بمعناه القديم وهو نقل اللفظة الأجنبية إلى اللغة العربية وهو ما يسمى "المعرب"، وقد اختلف اللغويون قديما وحديثا في دلالة هذه الكلمة، ففي قاموس الصحاح تعني "صنع الكلمة بصيغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى العربية"⁽¹⁾ وفي لسان العرب المحيط تعني "تعريب الاسم الأعجمي، أن يتفوه به العرب على منهاجها"⁽²⁾ وفي المعجم الوسيط "صنع الكلمات بصيغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى العربية"⁽³⁾. وقد عرّفها الكثير من الباحثين واللغويين المعاصرين إلا أنهم لم يخرجوا عن المعنى العام للكلمة وهو نقل اللفظة الأعجمية إلى العربية بما يتفق والملائم العامة لها كأوزانها وأبنيتها وصيغها وصرفها، فالتعريب إذا يخص الكلمة الأعجمية التي أدخلت إلى اللغة العربية وهو عملية صرفية وصوتية قياسية تعتمد لفظة أصلها غير عربي.

الاتجاه الثاني: الترجمة وهو نقل العلوم والمعارف من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وهذا قد يطرح سؤالاً عن الفرق بين المفهومين. الواقع أن الترجمة غير التعريب وقد ميز الكثير من العلماء بينهما "فالمعرب هو الدخيل الذي جرى على الأبنية العربية، والمترجم هو اللفظ العربي المميز لمعنى من المعاني الجديدة التي جرت فيها العربية"⁽⁴⁾. وميز اللغويون منهم اللغوي يوجين نايدا في كتابه "نحو علم الترجمة" (Nida, E. Toward A Science Of Translation, 1964:22) نوعين من الترجمة التحريرية: الترجمة الحرفية (literal translation) والترجمة الحرة (free translation). الترجمة الحرفية تعتمد على التكافؤ في الشكل من حيث النحو والدلالة، أما الترجمة الحرة فإنها تعتمد على التكافؤ في الدلالة فقط.

يعتبر عمل ناقل الكتاب الأجنبي ترجمة إذا التزم بأسلوب الأصل وتعابيرها، أما إذا عبر عن الفكرة بأسلوبه كان عمله تعريباً. وقد يكون التعريب آخر ما يلجأ إليه في النقل عندما لا يكون للكلمة الأجنبية كلمة عربية تترجم بها، أو يشتق منها اسم أو فعل أو ينحت منها، ويتصل

بالمعرب لفظتا الدخيل والمولد، فالمعرب ما سبق ذكره، وقد وضعت قواعد للتفريق بينه وبين الأصل، فما الفرق بين الدخيل والمولد؟

لقد عرّف اللغويون الدخيل بأنه "ما دخل اللغة العربية من مفردات أجنبية سواء كان ذلك ما استعمله العرب الفصحاء في جاهليتهم وإسلامهم وما استعمله من جاء بعدهم من المولدين"⁽⁵⁾، أو هو "اللفظ الأجنبي الذي دخل دون تغيير"⁽⁶⁾، وقد أدخل العرب الألفاظ الأجنبية إلى لغتهم دون أن يحوروا من بنيتها أو يغيروا صيغتها ووزنها الصرفي لحاجتهم للتعبير بها، ثم جرت على الألسنة والأقلام وسميت الألفاظ الدخيلة كالألفاظ المستخدمة في العلوم البحتة مثل راديو وتلفون وكمبيوتر وماوس وغيرها. أما المولد فقد اختلف العلماء في تحديد مفهومه كما اختلفوا في تحديد مصطلح الدخيل، إلا أنهم لم يختلفوا حول ماهيته، وهو أن المولد "لفظ عربي البناء أعطي في اللغة الحديثة معنى مختلفا عما كان العرب يعرفونه."⁽⁷⁾، أو هو "لفظ كان عربي الأصل ثم غيرته العامة تغييرا ما بأن كان ساكنا فحركته أو متحركا فسكنته أو مهموزا فحركته همزة أو بالعكس، أو قدمت بعض حروفه على بعض أو حذفت وما إلى ذلك."⁽⁸⁾.

وطرق التوليد ثلاث: التعريب وهو ما ذكر سابقا والاستعمال التشبيهي، ويقصد به التشبيه بالكناية، والاشتقاق ويقصد به تلك العملية التي يتم بها توليد صيغة من أخرى عن طريق استخدام العمليات الصرفية المختلفة مع اتفاق الصيغتين معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها ليبدل بالثانية معنى الأصل بزيادة حروف اللفظ الأصلي.

نستخلص من هذا أن المولد إنما هو لفظ أو تركيب ذو معنى، ثم جاء المولدون واستعملوه في معنى آخر مختلف عما كان يعرف به في اللغة العربية مثل القطر وصنية.

أما الاتجاه الثالث للتعريب فيعني التأليف والتدريس باللغة العربية ووضع المصطلحات العلمية بإحدى الوسائل المعروفة في تنقية اللغة. فالتعريب بمفهومه الحديث بات يدل على جعل اللغة العربية لغة التعليم في جميع المستويات، ولغة البحث العلمي والتقنيات الحديثة في الوطن العربي، وهو مفهوم لا يقتصر على التعبير عن جميع أنواع المعرفة باللغة العربية فحسب، بل يتعداه إلى تأصيل هذه العلوم وتلك المعارف في الفكر العربي وفي البيئة العربية والمجتمع العربي. وهذا ما يميز مصطلح التعريب في مفهومه الحديث عن مصطلح الترجمة أو النقل إلى اللغة العربية.

نشوء المصطلح العلمية ودورها في حركة الترجمة والتعريب

بدأت حركة الترجمة والتعريب في العصر الحديث في مصر في حملة نابليون على مصر (1798-1801)، وكان للحملة الفرنسية دور كبير في إحيائها رغبة من الاستعمار الفرنسي في إحكام السيطرة على البلاد والتحكم بالشعب. وقدم المستشرقون معه لمعرفة ما يكتنزه الشرق من

قيم ومفاهيم وثقافات، وكان اهتمامهم في بادئ الأمر منصباً على ترجمة الأعمال الإدارية والعسكرية، وقد بدأ المستشرقون بترجمة تلك الأعمال الإدارية والعسكرية والوثائق لفهم طبيعة تركيبة المجتمع المصري وما تتطلبه شؤون الحكم والإدارة، منهم على سبيل المثال إدوارد لين (1876م)، وريتشارد بيرتن (1890م)، وساسي (1838م)، ورينان (1892م)، وجوبير (1847) وغيرهم

أما المترجمون الشرقيون فلم يكن عددهم كبيراً وكانوا من "المترجمين البارزين من الشرقيين المقيمين في إيطاليا، وكان منهم: (إلياس فتح الله) و(يوسف مسابكي) و(الراهب انطون مشحرة) ومن السوريين أيضاً.... هناك عدد كبير من القبط والمسلمين ومن بلاد الشام."⁽⁹⁾

عندما تولى محمد علي باشا الحكم (1805-1848) أدرك أن كل حركة إصلاحية توجه إلى تكوين أمة وإنشاء حكومة أهلية لن تقوى وتستمر إلا إذا امتدت أصولها في الشعب ذاته، فنشر العلم وأنشأ المعاهد العلمية التي نهض خريجوها بكثير من الأعمال الإدارية والفنية وكان السبب الحقيقي لاهتمام محمد علي باشا بإنشاء المدارس والمعاهد يرجع إلى رغبته في تزويد جيشه الناشئ بالضباط والأطباء والمهندسين والفنيين، وإن حركة التعليم هذه أدت إلى نمو حركة الترجمة، ووصف الكاتب جاك تاجر عصره بعصر الترجمة والتعريب قائلاً "لا غلو إذا وصفنا عصر محمد علي من جهة النهضة العلمية أنه عصر الترجمة والتعريب."⁽¹⁰⁾

لقد مرت حركة الترجمة والتعريب في عهده بعدة مراحل ففي بادئ الأمر استعان محمد علي بعدد من الأجانب لتنفيذ البرامج التي وضعها من أجل نهضة مصر، إلا أنه لم يستطع الاستمرار على هذه الحالة فأرسل المصريين في بعثات إلى أوروبا سنة 1806 إلى 1816 ليتعلموا وليحلوا محل الأجانب حتى إذا عادوا جعلهم أعواناً ومساعدين للأجانب، ثم قلدهم إدارة المصانع والمدارس والدواوين وطلب إليهم ترجمة الكتب النافعة، ثم بدأ بتشيد المدارس وكان لها دور كبير في حركة الترجمة ومنها مدرسة الألسن التي أسسها عام 1836، وقام بإدارتها رفاعة رافع الطهطاوي من أجل تخريج مترجمين لخدمة المصالح الأجنبية. وكانت هذه أول البوادر العربية في القرن الثامن عشر والتاسع عشر لإرساء قواعد الترجمة والتعريب.

في عام 1892 تم إنشاء المجمع اللغوي للترجمة والتعريب، وقد ضم نخبة من علماء مصر ثم تأسس مجمع اللغة العربية الملكي عام 1932 ثم أبدل اسمه إلى مجمع فؤاد الأول للغة العربية، وفيما بعد أصبح يسمى مجمع اللغة العربية، ودأب مجمع اللغة العربية في مصر منذ نشأته على نشر مجموعة من المصطلحات العلمية التي أقرها في دوراته المتتالية والتي كانت موزعة بين محاضر جلساته، وهي مصطلحات تناولت العلوم البحتة والعلوم التطبيقية كما تناولت من نحو لآخر ألفاظ الحياة وشؤون الحضارة.

وفي القرن العشرين وفي الشام بالتحديد تم إنشاء أول مجمع علمي عربي في دمشق عام 1919، وأول ما قام به المجمع تعريب كتب العلوم والصناعات والفنون عن مختلف اللغات الأجنبية وتعريب كثير من الألفاظ والمصطلحات الفنية والإدارية بالتعاون مع الجامعيين لغرض سد حاجات دوائر الدولة وجميع الكليات العلمية، وكذلك تم إنشاء جامعة دمشق عام 1923 وهي أول جامعة عربية تضع تعريب العلوم موضع التنفيذ، فليس هناك الآن علم من العلوم التي تدرس في الجامعة إلا وله كتاب عربي يتضمن في خاتمته مسارد بالمصطلحات التي استخدمت فيه وهي مسارد تؤلف في مجملها مادة المعاجم العلمية التي يتطلع إليها المجمع لتحركاته المعجمية.

مهد إنشاء مجمع اللغة العربية في دمشق الى تأسيس مجامع في بلدان عربية أخرى، ففي العراق تم تأسيس المجمع العراقي عام 1947، وتصدى المجمع للمصطلحات العلمية في العلوم الجديدة التي انبثقت عن التقدم العلمي، ونشر المصطلحات الأخرى التي أقرها او اقترحها في علمي الإلكترونيات والفضاء إلى جانب المصطلحات الأخرى في هندسة سكك الحديد والطيران والملاحة، كما دفعته ظروفه البيئية للعناية بمصطلحات البترول ومصطلحات العلوم التي تتصل به مثل علم الأرض وعلوم الحياة والري. ومن مهامه إصدار المعاجم، أيضا. وفي بغداد تم إنشاء بيت الحكمة وكان أول مجمع للغة العربية ويضم علماء من مختلف التخصصات، ومن أنشطته اللغوية الترجمة والتعريب من اللغات اليونانية والفارسية والسريانية والهندية واللاتينية.

وفي لبنان شهدت حركة الترجمة والتعريب ركودا في النصف الأول من القرن التاسع عشر بسبب الاضطرابات وانعدام الاستقرار السياسي، إلا أنه شهد تحولا في النصف الثاني منه إذ ازدهرت حركة الترجمة بسبب انتشار الصحف والمجلات التي كانت تعتمد على الترجمة في نقل الأخبار السياسية والعلمية والمعلومات.

وفي الأردن تم إنشاء مجمع اللغة العربية الأردني عام 1976، وقد اختار موقف المواجهة وكأنه رأى التحرك في نطاق المصطلحات تحركا رأسيا وليس أفقيا ينعش اللغة العربية في نطاق المناهج والمصطلحات، ولكنه لا ينعشها في نطاق اللغة العلمية من حيث مفرداتها وتراكيبها ومادتها وأساليبها في التعبير العلمي، وخاصة بعد أن انقطع ما بين اللغة العربية وبين العلم هذا الدهر الطويل. ولعل ظروفنا الداخلية هي التي دفعت بالمجمع الأردني إلى هذا الاتجاه، فاتجه المجمع إلى تقديم الكتاب العلمي الجامعي العربي في سلسلة متصلة بدأت بكتب المرحلة الجامعية الأولى ثم تمضي إلى المراحل الجامعية التي تليها.

وفي السودان بدأت الدعوة إلى التعريب في السبعينات من القرن العشرين ثم نمت خلال عقد الثمانينات، وفي عام 1990 بدأ تعريب العلوم في جامعة الخرطوم وجعل اللغة العربية لغة التعليم،

أقدمت على هذا وهي تعلم أن معظم المراجع العصرية المفيدة حقا غير ميسرة في اللغة العربية، كما أنها تعلم أن التعريب الأشمل للمصطلحات وتعايير بيانها لا يزال في أشواطه الأولى.

أما في المغرب العربي فقد تركّز الصراع بين الوطنيين المغاربة وبين المحتلين الأجانب طيلة أربعة وأربعين عاما على قضية التعليم، وفي عام 1930 شهد تاريخ المغرب أخطر محاولة قام بها المستعمر لضرب وحدة المغرب من أجل أن يقلص الحرف العربي الذي استمر طيلة أحقاب التاريخ، فالمغرب وبعد استرجاع حريته واستقلاله بدأ يهتم بحركة التعريب، وقد كان المشرفون على الأجهزة المهمة بالتعريب يختلفون أحيانا حول الطريقة التي يمكنهم بها تحقيق أملهم المنشود من التعريب، هل يأخذون التعريب سنة بعد أخرى وهو ما يعبر عنه بالتعريب العمودي أم يأخذون به مادة بعد أخرى وهو ما اصطلح عليه بالتعريب الأفقي، وفي عام 1960 تم انشاء معهد باسم معهد الدراسات والأبحاث بخصوص التعريب ضمّ عددا كبيرا من أقطاب اللغة العربية الذين جاؤوا إلى المغرب من مختلف أقطار المشرق شاركوا في المؤتمر الأول للتعريب الذي انعقد في مدينة الرباط عام 1961.

لم يبق أمر حركة التعريب في المغرب مقتصرًا على تخطيط المغرب بمعناه الجغرافي، ولكن الأمر تجاوز ذلك إلى نطاق المغرب العربي، وخاصة بعد استقلال الجزائر، فقد شعر قادة المغرب الكبير بالحاجة الماسة إلى التعاون فيما بينهم للقضاء على رواسب الاستعمار، ومن هنا اجتمع أول مؤتمر في تونس عام 1966 ضمّ وزراء التعليم، وقد انبثقت لجنة استشارية من هذا المؤتمر، وكان من أهدافها الرئيسية دراسة الطرق الكفيلة بنشر اللغة العربية بمجموع أقطار المغرب العربي الكبير. واليوم تخطى المغرب المراحل الصعبة وما بقي له إلا أن يجني ثمار الجهد الذي بذله في هذا السبيل.

لقد صدرت عن هذه المجامع اللغوية برمتها طائفة كبيرة من قوائم المصطلحات ومشاريع المعاجم، وقد استفادت من هذه المشاريع المعاجم التجارية المعاصرة التي صدرت فيما بعد في هذا البلد أو ذلك من البلدان العربية، وهذه الجهود تبين قدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم والبرهان الذي لا ينقض على إمكاناتها، ولكن هذه الجهود ظلت متسمة بالتناقض في ايجاد المفردات والمصطلحات، ولعل هذا التناقض هو الذي كان وراء فكرة التنسيق وبعث بفكرة إنشاء مكتب لتنسيق التعريب، لذا تم إنشاء جهاز لتنسيق التعريب في الرباط بناء على توصيات مؤتمر التعريب الأول عام 1961 في الرباط، وألحق هذا الجهاز بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية عام 1969، ثم ألحق بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1972، وقد رأب هذا المكتب على إصدار المؤلفات والمعاجم في كافة حقول المعرفة والعلوم التطبيقية منها والبحث، ومن هذه المعاجم:

- 1- المعجم السياحي
- 2- معجم مصطلحات السيارة
- 3- معجم المصطلحات في التربية البدنية
- 4- مجموعة الألفاظ الأجنبية المهجورة في الغرب مع مقابلاتها في اللغة العربية
- 5- معجم الفيزياء والرياضيات
- 6- الطريقة المعمارية في الطباعة
- 7- معجم العلوم الرياضية
- 8- معجم العلوم الكيميائية
- 9- معجم العلوم الطبيعية
- 10- المعجم الحضاري
- 11- الفصحى في العامية المغربية
- 12- معجم المعاني
- 13- المعجم المدرسي
- 14- المعجم المصور للأدوات والأجهزة في مجلدين
- 15- اللوحات الإيضاحية وهي مجموعة تشمل على مائة لوحة مصورة
- 16- كتب في المحادثة ودروس الأشياء.

إن جميع المعاجم الصادرة عن المكتب ثلاثية اللغة وهي اللغات العربية والإنكليزية والفرنسية، وما زال المكتب يصدر مجلته الدورية "اللسان العربي" الغنية عن التعريف التي تنشر كل ما يتعلق بنشاط الترجمة والتعريب والأبحاث اللغوية والمعاجم في العالم العربي.

المشاكل والحلول

هذا ما كان من أمر العربية وحركة الترجمة والتعريب قديما وحديثا، ولا ريب أن حركة تعريب العلوم خطوة رائدة تحقق إيصال المعرفة عامة والأمور التقنية خاصة لأوسع الجماهير وتساند القائمين على مشاريع الدولة وتساهم في تطور المجتمع العربي للعمليات والبحوث والمشاريع التقنية المثلى، وقد يظن البعض بأن عملية التعريب عملية سهلة يمكن أن يزاولها أي فرد يتكلم العربية؛ سبق أن درس أو تعلم اللغة الأجنبية التي يروم التعريب منها، إلا أن الواقع والتطبيق غير الخيال لأن عملية التعريب سواء كانت لمواضيع أدبية أو علمية تحتاج إلى خبرة جيدة وإطلاع واسع في كلتا اللغتين إضافة إلى فهم عميق للمادة المراد تعريبها، وقد يكون

التعريب ترجمة أو إعدادا أو تأليفا لكتاب ما. ولغرض القيام بهذه العملية لابد من تهيئة كتب ومراجع باللغة العربية يمكن للقارئ فهمها والأخذ منها.

مؤخرا أخذت عملية الترجمة والتعريب شكلا رسميًا في الوطن العربي مما يستوجب تنسيق هذه العملية وتنظيمها لتؤدي الغرض المنشود منها بكفاءة عالية والاستغلال الأمثل للطاقات المتوفرة، إلا أن هناك الكثير من المشاكل والمعوقات التي تواجه هذه الحركة، وقبل عرض هذه المشاكل نشير بإيجاز إلى العناصر المشتركة في هذه العملية.

إنّ العنصر الأساسي الذي تستند عليه عملية الترجمة والتعريب هو المعرب (الشخص الذي يقوم بعملية التعريب والترجمة)، لذا يجب بذل الجهود لاختيار المعرب الناجح وتدريبه التدريب الكافي لضمان المستوى الرفيع للكتب العربية من ناحيتي المستوى العلمي وسلامة الأسلوب، والعنصر الثاني هو المتلقي أي القارئ الذي سيستفيد من الكتاب المعرب سواء كان الكتاب في حقل اختصاصه أم كان ثقافيا عاما أم أدبيا.

إنّ توفر هذين العنصرين غير كاف لنجاح حركة الترجمة والتعريب لأن هناك العديد من المشاكل التي تقف حائلا دون تحقيق هذه العملية بشكل منسق ومنظم وفعلي في الوطن العربي، ويمكن إيجازها كالتالي:

1- إن أهم مشكلة تواجه مكتب تنسيق التعريب التابع للجامعة العربية ومقره في مدينة الرباط هي قلة الكادر الوظيفي من المترجمين فيها إضافة إلى قلة المعدات، وكذلك فإن الدول العربية لم تكن مقتنعة بأن مثل هذا التنسيق أساسي، عدا عن الخلافات السياسية والاختلاف في الآراء بين الدول العربية التي ساهمت باستمرار في عرقلة هذه العملية⁽¹¹⁾.

2- مشكلة تقرير المصطلح الواحد والشكل الواحد والرمز الواحد في ترجمة وتعريب المصطلحات والرموز، فالمصطلحات والرموز العلمية تتداخل بعضها ببعض وخاصة في الرياضيات والفيزياء وعلوم الأرض والأحياء، فقد لوحظ أن المصطلحات التي أصدرتها المجمع العلمية المختصة متباينة مع تلك التي أصدرها العلماء غير المجمعين، هذه من جهة ومن جهة أخرى "فإن الأقطار التي تأثرت باللغة الإنكليزية وضعت مصطلحاتها متطابقة بين الألفاظ الإنكليزية ومقابلاتها بالعربية، بينما سلكت الأقطار العربية المتأثرة بمناهج اللغة الفرنسية طريق وضع المصطلح انطلاقا من اللغة الفرنسية"⁽¹²⁾.

إن تراكم وتنوع الألفاظ العلمية المعربة التي تنتقل فكرة واحدة أدى الى وضع شائك، فالخبير المتخصص في علم من العلوم عالج وضع المصطلحات من منظور مغاير لذلك الذي اعتمده

اللغوي مما أدى إلى اتساع دائرة النقاش فأصبح وضع المصطلحات مشكلة برمتها بعدما كان ينظر إلى هذه العملية نظرة فنية صرفة لا يمكن أن تعوق التعريب.

إن العملية المتسارعة لتعريب هذه المصطلحات العلمية لا يوازئها في الأهمية إلا قضية توحيدها في الوطن العربي لكي لا تنشأ لغات علمية مختلفة نتيجة استعمال مصطلحات علمية مختلفة، وهذا خطر كبير على اللغة العربية.

3- عدم وجود معجم موحد للحضارة، وبات من الضروري إيجاد معجم موحد لأن حاجات العصر وطبيعة الظروف التي تمر بها الأمة العربية والثروة العلمية التي تتسارع تسارعا هائلا تفرض علينا واجبات ضخمة تهدف إلى جعل اللغة العربية لغة العلوم والفنون والحياة في الوطن العربي، وإذا كان النص القرآني يتكفل دوما بتوحيد اللغة الأدبية فإن جهودا حثيثة يجب أن تبذل من أجل توحيد اللغة العلمية والتقنية ولغة أصحاب المهن إضافة إلى متطلبات الحياة الأخرى.

إن تكامل وحدة اللغة في جميع المجالات الحضارية إضافة إلى تكاملها في العلوم والأدب يقتضي بأن تكون هناك لغة حضارية موحدة، ويتساءل خليفة (1987) "أليست ظروف الحياة ومقتضياتها وقوانين الطبيعة ونواميس الاجتماع تحتم وجود معجم ضخم موحد للألفاظ الحضارية يشمل جميع الألفاظ التي يستعملها المواطن العربي في حياته اليومية ومعاشه، كما تحتم وجود لغة علمية تقنية موحدة كما هو الشأن في لغتنا الأدبية الواحدة؟" (13)

إن وضع معجم واحد في اللغة العربية لا يزال في أزمة فليس هناك "معجم حديث ليس فقط لكي يستجيب لحاجات العصر الحديث، ولكن لكي يوحد أسماء الأشياء والأدوات والآلات وجميع ما يستعمله الإنسان العربي من مأكّل وملبس وأثاث وجميع ما يخص حياته في عالم الحيوان والنبات وفي شتى أنواع المهن من فلاحية ونجارة وصناعة... الخ." (14)

4 - إن عملية الترجمة والتعريب تسير بطريقة عفوية وغير محددة لا في موضوعها ولا شكلها ولا زمانها وإن الجهود تتضاعف ونشاط المترجمين والمعرّبين والمجامع اللغوية يشتد.

إن تخلف اللغة العربية لن يتدارك بغير خطة علمية وتقنية مرسومة بإحكام وتكون أهدافها محددة بدقة وتفصيل ووسائلها العملية معينة بوضوح، وهي خطوة صالحة لتكون إطارا لجميع ما يجري من أعمال في ميدان الترجمة والتعريب، وما يبذل من جهود في إصلاح اللغة العربية.

إن التخطيط ضروري لعملية الترجمة والتعريب، وهو بالتالي لازم للقيام بمهمة التنسيق ما دام التنسيق يعني جعل العمل يسير على نسق محدد نحو غاية معينة، فإذا انعدم التخطيط انعدم التنسيق وهدرت طاقات وأصبح عقبة كأداء في وجه مسيرة حركة الترجمة والتعريب.

5- تعتبر مشكلة ازدواجية اللغة العربية واحدة من أهم المشاكل اللغوية التي تقف عائقا في وجه الترجمة والتعريب، وقد ترجم زغلول (1980) تعريف فيرجسون لمصطلح الازدواجية بأنه

حالة لغوية ثابتة نسبيا، يوجد فيها فضلا عن اللهجات الأساسية (التي ربما تضم نمطا محددا أو أنماط مختلفة باختلاف الأقاليم) نمط آخر في اللغة مختلف، عالي التصنيف (وفي غالب الأحيان أكثر تعقيدا من الناحية القواعدية)، فوقى المكانة وهو آلة لكمية كبيرة ومحترمة من الأدب المكتوب لعصور خلت أو لجماعة سالفة، ويتعلم الناس هذا النمط بطرق التعليم الرسمية، ويستعمل لمعظم الأغراض الكتابية والمحادثات الرسمية ولكنه لا يستعمل من قبل أي قطاع من قطاعات الجماعة المحلية للمخاطبة أو المحادثة العادية.⁽¹⁵⁾

لقد أدى الاختلاط بالأعاجم والاتصال بلغات أجنبية مختلفة ومتعددة الأصول إلى زيادة الفجوة بين اللهجات وبين الفصحى، وقد زادت الفجوة اتساعا بعد وقوع البلاد العربية تحت سيطرة الحكم العثماني ومحاولته لتتريك العرب، ثم جاء الاحتلال الفرنسي ومحاولات الاحتواء والضم للقضاء على اللغة العربية، وأخيرا الاستعمار الانكليزي ومحاولات التجزئة وضرب اللغة العربية الفصحى وإحلال لغته بدل اللغة القومية لأنه أدرك أن وحدة كلمة العرب هي وحدة لغتهم فأراد القضاء عليها وتمكين اللغة الأجنبية ونشرها في البلاد.

6- إن إحدى المشاكل التي تواجهها اللغة العربية والتي لا تزال قائمة استعمال الألفاظ الأجنبية الذي لا يزال شائعا بين عامة الناس وبين المثقفين والسبب هو تهافت أقوامنا على إدخال الألفاظ الأجنبية إلى لغتنا؛ إما بسبب افتقار اللغة إليها ولا سيما في الأمور المستجدة أو مستنبطة حديثا أو التباهي بمعرفة لغة أجنبية أو نتيجة لجلب البضائع والمصنوعات والآلات الأجنبية التي تدخل مسمياتها الأجنبية معها ويشيع استعمالها في المجتمع. وهناك جانب خطير من جوانب التمزق اللغوي مصدره أن شيئا من الأشياء يدخل البلاد العربية يطلق عليه في كل بلد اسم، فمثلا كلمة "قدح" العربية يطلق عليها مصطلح "كلاص" في العراق، ومصطلح "كباية" أو "كاسة" في الأردن، والمصطلح الأنكليزي steering plug يطلق عليه مصطلح "بوجيه" في الأردن أما في العراق فيطلق عليه مصطلح "بلك"، لذا لابد من أن تواكب المجامع اللغوية دخول المخترعات والمصنوعات والآلات الأجنبية وترجمة أو تعريب أسمائها الأجنبية.

7- إن تعريب التعليم العالي ليس ضرورة ومتطلبا قوميا فحسب بل إنه خدمة للغة العربية لأن أبناءها بين نارين: نار جهلهم بلغتهم الأم ونار ولعهم باللغة الأجنبية التي لا يجيدونها، ومع

ذلك عليهم أن يتعلموا بها، ومن البديهيات في التعليم أن الطالب يستوعب ويفكر بشكل أفضل وأسلم بلغته الأم، لا بلغة فرضت عليه، ولا يتم ذلك إلا إذا بدأنا به (أي التعليم بلغة الأم).

تلك هي مشكلات الترجمة والتعريب وهي ليست مما يستعصي حلها، فقد سبقنا العرب الأوائل في ذلك ووضعوا لمتطلبات عصرهم كل ما يحتاجون إليه، وسعى العرب في إبان نهضتهم الحديثة إلى مجازاة التقدم العلمي واللاحق به وانصرف الكثيرون إلى إيجاد السبل الكفيلة بتذليل العقبات، وكانت المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية في طليعة الحركة.

الحلول المقترحة

في الوقت الحاضر نحن قادرون على الاستفادة مما عمله القدماء والمحدثون وإضافة الجديد الذي نبني به حاضرنا ومستقبلنا ولن نقدم حلولاً لم نعرف ومنهاجا لم يسلك، وانما نلم بتلك الجهود، ونقف عند حلول عملية يرجع إليها الدارسون ومنها:

1- أن موضوع الترجمة والتعريب يشكل رافدا مهما من روافد اللغة في زيادة ثروتها، ويمكنها من التطور الخصب في وسائل تعبيرها. ولهذا الموضوع عدة جوانب، منها ما يتعلق بتعريب المصطلحات العلمية، ومنها ما يتعلق بنقل أمهات الفكر الإسلامي إلى اللغة العربية، وقد قام العديد من المترجمين واللغويين بترجمة الكتب العلمية والأدبية وكان الأمر لا يتعدى حد الانتقاء من هنا وهناك. ولغرض تنظيم وتنسيق الجهود بين المترجمين لابد من إيجاد اتحاد للمترجمين العرب تشد فيه الكفاءات العلمية، ويكون هدفه ترجمة الكتب الأدبية والعلمية والتقنية والمعارف الإنسانية، وليس الاقتصار على ترجمة كتاب في هذا العلم أو مصدر في ذلك، وتكون مهمته ترجمة جميع البحوث العلمية التي تظهر في المجالات والدوريات العلمية ذات الشهرة العالمية، أيضا. ويعتقد أن مثل هذا الاتحاد للمترجمين العرب سيكون منطلقا تاريخيا في حياة أمتنا العلمية والحضارية. وبالفعل تم تأسيس اتحاد للمترجمين العرب عام 2001 ومقره في بيروت وكان إحدى ثمار جهوده عقد المؤتمر الثاني للترجمة عام 2007 في عمان.

2- الإسراع في تعريب التعليم العالي واستعمال اللغة القومية في التدريس في جميع مراحل التعليم العام والمهني والعالي لتيسير سرعة الفهم دون عائق لغوي، وبذلك تزداد حصيله الطالب الدراسية ويرتفع مستواه العلمي ويتأصل الفكر العلمي في البلاد وتتمكن اللغة العربية من الازدهار والقيام بدورها في التعبير عن حاجات المجتمع وألفاظ الحضارة ومصطلحات العلوم وتكون وسيلة للاطلاع على تطور العلم والانفتاح على العالم.

- 3- يجب أن لا يغيب عن بالنا أنه مهما نشطت عملية الترجمة والتعريب وعلى مدى عدة سنين فما تزال الحاجة إلى اللجوء إلى بعض الكتب الأجنبية سواء الإنكليزية أو الفرنسية أو الألمانية قائمة، ويعود السبب في الأساس إلى أن هذه اللغات هي اللغات العلمية المعتمدة، وأن ما يتوفر من كتب ومراجع بهذه اللغات لا يمكن أن يجاريها أي لغات أخرى في العلم وعلى المستوى العالمي، لذلك فإن عزل الأمة بوجه عام والطالب بوجه خاص عزلا كاملا ليس هو هدف الترجمة والتعريب، وعليه فإن توجيه الطلاب إلى مطالعة الكتب باللغات الأجنبية وإعطاء بعض التمارين لتقويتهم وتدريبهم عليها له أثر كبير، وحتى إلقاء بعض المحاضرات بتلك اللغات خلال السنة الدراسية له مردود حسن في زرع الثقة في نفوس الطلاب لكي يدركوا أن لغة العلم إنما هي لغة بسيطة مهما كانت اللغة المستخدمة.
- 4- توحيد المصطلحات توحيدا معياريا يبنى على أساس الاتفاق على المفاهيم وأنظمتها؛ أي على المعاني وحقولها الدلالية، وتقوم بهذه المهمة الجامعات العربية بالتعاون مع المجاميع العلمية ومكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي في الرباط ودعمه بالخبرات والمشاركة في الندوات والمؤتمرات التي ينظمها من أجل وحدة الوطن العربي لغويا وعلميا انطلاقا من العمل الذي تقوم به اللجان الجامعية في هذا الحقل، وتكونت هذه اللجان في عدد كبير من الجامعات العربية لتجميع الحصيلة من المصطلحات لكل دائرة علمية وموافاة المكتب بها لتفريغها في معجم موحد، ثم يعاد إلى الجامعات لوضع اللمسات الأخيرة عليه.
- 5- وضع معجم عام للغة العربية يفيد الدارسين إلى جانب المعاجم المتخصصة التي يستفيد منها الباحثون والمتخصصون في العلوم الحديثة لافتقارنا الشديد إلى المنهجية العلمية لوضع الحاجات الجديدة على ألا ننبد ما احتوت عليه المعاجم القديمة التي نتلمس بعض معالمها من خلال المعاجم الحديثة، ويتناول المعجم الجديد ما يتصل بالحياة المعاصرة، ويمكن أن يرجع إليه المتخصصون وغيرهم من المثقفين والدارسين، وهذا ما درجت عليه الأمم للعناية بلغتها.

كلمة أخيرة

إن الترجمة والتعريب ليس قضية لغوية تعنى بالنقل والترجمة بين لغتين فحسب، بل هي قضية حضارية تواجهنا حاليا، فاللغة العربية تتميز بعناصر أساسية في بنيتها الصرفية وهي:

- 1- مرونة النظام الاشتقاقي
- 2- النحت
- 3- الاقتراض
- 4- التركيب

هذه العناصر تجعلها مطوعة قادرة على استيعاب ما يستجد من معرفة في تطوير المجتمع العربي واستيعاب حضارة العصر، وذلك لا يتم الا عبر اللغة كوسيلة وأداة. وإن إيجاد الشخصية العربية يكون عبر لغتها الخاصة. وإن أي لغة لها عمق تاريخي وتراث ضخم من حقها أن تكون مثل اللغات الأخرى، فما بالك والعربية مرتبطة بتراث قديم وعريق وديني هو التراث الإسلامي. إننا نعيش في عصر تحدد فيه معايير تقدم الأمم بما لديها من عطاء علمي ومعرفة تكنولوجية ومدى قدرتها في التعبير عن الحركة العلمية، وقد واجهت اللغة العربية هذا التحدي وأثبتت قدرتها على استيعاب العلوم ومواكبة الحضارة، والذي شدّ من أزرها في مسيرتها هذه اعتزاز الأمة بها وجهود الرواد والمحدثين في دفع حركة الترجمة والتعريب الى الأمام.

Movement of Translation in the Arab World: History and Contributions

Richhan A. Al-Tamimi, *English and Translation dep., college of arts, Jerash private university, Jerash - Jordan.*

Abstract

Interest in translation and Arabization started in the second century of Hegira when the Arabs mixed with other nations for political, economic, commercial and cultural reasons. However, the Ottoman, Western colonists and the domination of the foreign language, specifically English and French, have led to a serious lack of a large number of scientific and technical terms in Arabic. Nowadays the need for translation and Arabization has become quite urgent to catch up with Western scientific development. So Arab researchers and thinkers have exerted their utmost efforts to revive Arabization and translate books in all fields of knowledge into Arabic, particularly in pure and applied sciences to enrich Arabic in all the fields of knowledge and meet the needs of universities in the Arab world for such knowledge. So, Arab thinkers and translators have worked side by side and translated books and set up academies and institutions of Arabic language to be on equal footing with the Western languages. Yet, efforts exerted in Arabization have been and still face many problems, most important of which are linguistic ones such as diaglossia and using foreign terms. Thus, adequate solutions must be found and suggested to overcome all the problems that hinder Arabization and the translation process due to the need to translate all knowledge into Arabic to cope with the fast scientific development and catch up with other human cultures in the Arab world.

قدم البحث للنشر في 2010/12/22 وقبل في 2011/3/23

الهوامش

- 1- الجواهري، الصحاح، بيروت: الحضارة العربية، المجلد الثاني، ص 95 (بدون تاريخ).
- 2- ابن منظور، لسان العرب المحيط، بيروت: دار لسان العرب (1970)، الجزء الثاني، ص 724.
- 3- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة: مجمع اللغة العربية، الطبعة الثالثة (1972)، الجزء الثاني.
- 4- ابراهيم السامرائي، العربية تواجه العصر، بغداد: دار الجاحظ للنشر (1982)، ص 14.
- 5- علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، القاهرة: دار النهضة، الطبعة الرابعة (1956) ص 193.
- 6- عبد الحميد حسن، الألفاظ اللغوية: خصائصها وأنواعها، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية (1971) ص 69.
- 7- حسن ظا، كلام العرب، بيروت، دار النهضة العربية (1976) ص 79.
- 8- طه الراوي، تاريخ علوم اللغة، بغداد: مطبعة الرشيد (1949) ص 47.
- 9- سالم العيس، الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية، اتحاد الكتاب (1999) ص 30.
- 10- جاك تاجر، حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر، مصر: دار المعارف (1945) ص 14.
- 11- عبد العزيز بن عبد الله، مشاكل تعريب العلوم، الرباط: اللسان العربي، المجلد الرابع عشر، الجزء الأول (1976) ص 7.
- 12- محمد المنجي العبادي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية (1980) ص 42.
- 13- عبد الكريم خليفة، اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، عمان: مجمع اللغة العربية الأردني (1987) ص 278.
- 14- المصدر السابق نفسه، ص 273.
- 15- محمد راجي زغلول، ازدواجية اللغة: نظرة في حاضر العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية، الرباط: اللسان العربي، المجلد الثامن عشر، الجزء الأول (1980).

المصادر العربية

- ابن منظور. (1970). **اللسان العربي المحيط**، الجزء الثاني بيروت: دار لسان العرب.
- أنيس، ابراهيم. (1963). **دلالة الألفاظ**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية.
- تاجر، جمال. (1945). **حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر**، مصر: دار المعارف.
- الجواهري، (د.ت). **الصاحح**، المجلد الثاني، بيروت: دار الحضارة العربية.
- حسن، عبد الحميد. (1971). **الألفاظ اللغوية: خصائصها وأنواعها**، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية.
- خليفة، عبد الكريم. (1987). **اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث**، عمان: مجمع اللغة العربية الأردني.
- الراوي، طه. (1949). **تاريخ علوم اللغة العربية**، بغداد: مطبعة الرشيد.
- زغول، محمد راجي. (1980). **ازدواجية اللغة: نظرة في حاضر العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية**، الرباط: اللسان العربي، المجلد 18، الجزء الأول.
- السامرائي، ابراهيم. (1982). **العربية تواجه العصر**، بغداد: منشورات دار الجاحظ للنشر.
- ظاظا، حسن. (1976). **كلام العرب**، بيروت: دار النهضة العربية.
- العبادي، محمد المنجي. (1980). **التعريب وتنسيقه في الوطن العربي**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- العيس، سالم. (1999). **الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية**، اتحاد الكتاب.
- القرشي، خضر بن عليان. (1984). **تعريب العلوم ووضع المصطلحات**، الرباط: اللسان العربي، العدد 22.
- كتاب المورد. (1956). **دراسات في اللغة**، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة في وزارة الثقافة والأعلام.
- مجمع اللغة العربية. (1972). **المعجم الوسيط**، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، القاهرة.

- مطلوب، أحمد. (1975). *دعوة الى تعريب العلوم في الجامعات، الكويت: دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع.*
- مطلوب، أحمد. (1983). *حركة التعريب في العراق، الكويت: مؤسسة الفليح للطباعة والنشر.*
- المغربي، عبد القادر بن مصطفى. (1947). *الأشتقاق والتعريب، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية.*
- ندوة الرباط. (1985). *تعريب التعليم العالي والجامعي في القرن الأخير، الرباط: اتحاد المجامع اللغوية العلمية والعربية.*
- وافي، علي عبد الواحد. (1956). *فقه اللغة، القاهرة: دار نهضة مصر، الطبعة الرابعة.*
- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. (1980). *مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي، بغداد: المديرية العامة لمركز التعريب.*

المصادر الأجنبية

- Ibn Abdallah, Abdel-Aziz. (1976). *Problems of Arabization in Science*. Al-Rabat: Al-Lssan Al-Araby. Part 1. Volume 14.
- Nida, Eugene. A. (1964). *Toward a Science of Translating*. Netherlands: E.J. Brill.

العلاقات التركية السورية (2002-2010)

صداح أحمد الحباشنة*

ملخص

هدفت هذه الدراسة إلى البحث في العلاقات التركية السورية، وتحليلها وتفحصها منذ وصول حزب العدالة والتنمية للسلطة عام 2002م في موضوعاتها الرئيسية، وكذلك الاحتمالات، والتطورات المستقبلية لهذه العلاقات. باستخدام المنهجين التاريخي والتحليلي؛ فقد بينت الدراسة ما يلي:

أولاً: لقد شهدت العلاقات التركية السورية تطوراً ملحوظاً منذ تولي حزب العدالة والتنمية ذي الجذور الإسلامية للسلطة عام 2002م؛ بسبب تبنيه سياسة تعدد البعد التي كان لها نتائج طيبة على علاقة تركية مع العالمين العربي والإسلامي، كما قام الحزب بتبني سياسة تصغير المشكلات مع الدول المحيطة بتركية وبأن تخرج تركية من كونها بلداً طرفاً، إلى أن تكون بلداً مركزاً؛ أي تقف على مسافة واحدة من كل الأطراف وتحولها إلى نقطة جذب لا تنفير. ويتم التركيز هنا على العمق الجغرافي التاريخي لتركية والمقصود هنا تحديداً - العلاقات مع العالم العربي وإيران. ومن هذا المنطلق جاء افتتاح حكومة العدالة والتنمية على سورية - حيث تدرك أن سورية حليف محتمل، وأداة مهمة للتأثير في مستقبل أوضاع المنطقة، ومستقبل العراق، والصراع العربي الإسرائيلي.

ثانياً: الملاحظ أن سورية كانت تعاني منذ احتلال العراق من عزلة دولية، فوجدت بالانفتاح التركي عليها فرصة لتتخلص من عزلتها الدولية؛ فقد لعبت تركية دوراً مهماً في فك العزلة الدولية عن سورية، وتهيئة المناخ لعودة العلاقات السورية الأمريكية، والحيولة دون الاستهداف الأمريكي حيث حثت تركية الولايات المتحدة على استقطابها والحوار معها. وقد نجحت المساعي التركية للوساطة بين سورية وإسرائيل لرعاية مفاوضات سلام غير مباشرة بين الجانبين والتي أجريت عام 2008م. ومن جانب آخر تدرك تركية أن سورية هدف محتمل وأداة مهمة للتأثير في مستقبل أوضاع المنطقة، ومستقبل الصراع العربي - الإسرائيلي.

ثالثاً: الملاحظ أنه تزامن مع تطور وتحسن العلاقات التركية السورية تفاقم واستمرار التوتر في العلاقات التركية الإسرائيلية، كما كان توتر العلاقات بين أنقرة ودمشق أحد الروافد المغذية للتلاقي التركي الإسرائيلي فيما مضى؛ حيث كان الخلاف العميق بين تركية وسورية حول المياه وحزب العمال الكردستاني خلال فترة التسعينيات من القرن الماضي من أبرز العوامل التي أدت إلى التقارب العسكري بين تركية وإسرائيل.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2013.

* قسم العلوم السياسية، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن.

رابعاً: على الرغم من التحسن الملحوظ في العلاقات التركية السورية فإن هناك العديد من القضايا العالقة، مثل: مشكلة المياه ولواء الاسكندرونة والتعاون العسكري بين تركيا وإسرائيل. وعلى ما يبدو فإن السيناريو المحتمل للعلاقات التركية السورية هو استمرار تطور وتحسن العلاقات التركية السورية ولكن ليس على حساب العلاقات مع الغرب وإسرائيل. الكلمات الدالة: العلاقات التركية السورية، رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان، حزب العدالة والتنمية، مستقبل العلاقات التركية السورية.

المقدمة:

لقد اتسمت العلاقات التركية السورية منذ استقلال سورية عام 1946م حتى عام 1998م بحالة من العداء والتأزم مجمل هذه الفترة؛ وذلك على خلفية أسباب عديدة أهمها: مسألة لواء الإسكندرونة الذي تم اقتطاعه وضمه إلى تركيا عام 1939م، ومشكلة مياه دجلة والفرات، والتحالف التركي الإسرائيلي. إلا أنه في عام 1998م وقعت كلتا الدولتين على اتفاقية "أضنه" حيث تم التوصل إلى ما كان يسمى الورقة الكردية الحدودية.

وحقيقة الأمر، لقد شهدت العلاقات التركية تطوراً ملحوظاً وفي مختلف الجوانب منذ وصول حزب العدالة والتنمية ذي الجذور الإسلامية إلى السلطة عام 2002م، حيث أنشأت تركيا وسورية المجلس الاستراتيجي الأعلى للتعاون بين الدولتين، كما ألغتا تأشيرات السفر بينهما. والأهم أنهما شرعتا في توثيق تعاونهما الدفاعي إلى حد إجراء المناورات العسكرية المشتركة، حتى أنهما اختارتا الإعلان عن إجراء مناورتهما في عام 2009م مع إلغاء المناورات الدولية التي كان من المقرر أن تشترك فيها إسرائيل؛ وهو ما تعتبره الأخيرة تعزيزاً لمكانة سورية وتقوية لموقفها التفاوضي.

وحقيقة الأمر، بالرغم من حرص حزب العدالة والتنمية على الوصول إلى درجة ممكنة من التوازن في علاقاته الإقليمية والدولية؛ فإن علاقات أنقرة مع تل أبيب تعاني تراجعاً ملحوظاً وتوتراً ملموساً. وقد تزامن تفاقم واستمرار التوتر في العلاقات التركية الإسرائيلية مع تنامي التقارب التركي مع سورية حيث كان توتر العلاقات بين أنقرة ودمشق أحد الروافد المغذية للتلاقي التركي الإسرائيلي فيما مضى.

من ناحية أخرى، بالرغم من تطور العلاقات التركية السورية فإن هناك العديد من القضايا العالقة مثل: قضية لواء الإسكندرونة وقضية المياه والتحالف العسكري بين تركيا وإسرائيل.

من ناحية أخرى، بالرغم من تحسن العلاقات مع العالمين العربي والإسلامي إلا أن ذلك لن يكون على حساب العلاقات مع الغرب وإسرائيل؛ فتركية تحتفظ بعلاقات ممتازة مع الولايات

المتحدة والإتحاد الأوروبي، كما أن حزب العدالة والتنمية لم يتنازل عن حلم الانضمام للاتحاد الأوروبي، ولا عن العلاقات المميزة مع واشنطن، كما أن تركيا لا تسعى إلى استبدال تحالفاتها وعلاقاتها الخارجية، بل تعمل على تنويع وتوسيع تحالفاتها وعلاقاتها الخارجية مع منح قدر من الاهتمام للمحيطين العربي والإسلامي اللذين تم تجاهلهما لفترة من جانب أنقرة.

أهداف الدراسة وأهميتها:

تهدف هذه الدراسة إلى: توضيح الأسباب والعوامل التي أدت إلى التقارب التركي السوري، وذلك بالتركيز على القضايا الأساسية التي تشكل محور هذه العلاقة، وخاصة بعد وصول حزب العدالة والتنمية ذي الجذور الإسلامية إلى السلطة عام 2002م حيث كان لتبني هذا الحزب سياستي تعدد البعد وتصغير المشكلات اللتين انتهجهما نتائج طيبة ليس على علاقة تركيا بسوريا فحسب بل على علاقة تركيا مع العالمين العربي والإسلامي.

كما تهدف الدراسة إلى: الوقوف على أهم القضايا العالقة في العلاقة التركية السورية والتطورات الأخيرة لهذه العلاقات.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من كونها: تبحث الكثير من المسائل والقضايا ومدى تأثيرها في تحديد العلاقات التركية السورية، وكذلك تأثير التطورات الدولية والإقليمية التي أحدثت تطوراً في علاقات كلا البلدين خلال الفترة (2002 - 2010).

وكذلك تنبع أهمية الدراسة من كونها: تركز على أهمية التطورات الخاصة بالبلدين وبخاصة بعد وصول حزب العدالة والتنمية التركي إلى دفة الحكم.

مشكلة الدراسة:

تتمثل إشكالية هذه الدراسة، المعنية بالعلاقات التركية السورية، فيما بين عامي (2002 - 2010م)، في: التنقيب في عمق المصالح ذات الصلة بالقضايا الأساسية لتلك العلاقات، والتدقيق في مدى حدوث تحول نوعي نتيجة المتغيرات الثلاث الكبرى المستحدثة، وهي: اعتلاء حزب العدالة والتنمية سدة الحكم في تركيا، وتداعيات الغزو الأمريكي للعراق، والتوتر الناشئ في العلاقات بين تركيا وإسرائيل، على خلفية التوتر بينهما بخصوص الموقف من الحصار غير الإنساني على قطاع غزة.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على منهجين: المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، حيث يهتم المنهج الوصفي بوصف تلك العلاقات بخصوص القضايا والمسائل التي تشكل المحاور الأساسية لها فيما يتعلق بأبعادها المختلفة. أما المنهج التحليلي، فيقوم بتحليل تلك العلاقات والعوامل والتطورات التي أثرت فيها خلال فترة الدراسة.

أسئلة الدراسة:

تحاول الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس التالي: ما أسس وموضوعات ومرتكزات العلاقات التركية السورية خلال الفترة (2002- 2010م) فيما يتعلق بالقضايا والمسائل التي شكلت محاور تلك العلاقات؟

تقسيم الدراسة:

بناءً على أهداف الدراسة ومشكلتها وأسئلتها سيصار إلى تقسيم الدراسة إلى المحاور التالية:

أولاً: لمحة تاريخية موجزة عن العلاقات التركية السورية.

ثانياً: أسس ومرتكزات العلاقات التركية السورية وأهم قضاياها.

ثالثاً: أهم الملفات العالقة في العلاقات التركية السورية.

رابعاً: التطورات الأخيرة في العلاقات التركية السورية.

خامساً: الخاتمة والسيناريوهات المستقبلية للخلافات التركية السورية.

الفصل الأول: لمحة تاريخية موجزة عن العلاقات التركية السورية:

لم تكن العلاقات التركية السورية في حالة طبيعية منذ استقلال سورية عام 1946م وصولاً إلى عام 1998م، بل سادت حالة من العداء والتأزم مجمل هذه الفترة؛ وذلك على خلفية أسباب عديدة أهمها: مسألة لواء الإسكندرونة (هاتاي) حيث وضعت هذه المنطقة تحت إدارة الإنتداب الفرنسي كجزء من الأراضي السورية، وبقيت خارج الحدود التي حددتها معاهدة "لوزان" عام 1923م. لكن مع ارتفاع حدة التوتر في أوروبا وصعود النازية في ألمانيا دخلت فرنسا في صفقة مع تركية تؤيد خلالها الأخيرة الأولى في أي حرب عالمية جديدة في مقابل ضم لواء الإسكندرونة إلى تركية. وهذا ما حصل في (22/حزيران/يونيو/1939م)⁽¹⁾.

وقد أحدث ضم لواء الإسكندرونة إلى تركيا ردود فعل واسعة في سورية والعالم العربي، واعتبرت دمشق أن اتفاقية الضم غير قانونية لأنها لم تقترن بموافقة وتوقيع الطرف المعني أساساً وهو سورية، وذلك بخلاف اتفاقية 1926م في الموصل التي وقعتا الدولتان المتنازعتان تركية والعراق والدولة المنتدبة (بريطانيا). وبقيت قضية لواء الإسكندرونة حتى الآن إحدى أهم القضايا الخلافية الجوهرية التي تؤثر سلباً في محاولة تطوير العلاقات بين تركيا وسورية⁽²⁾.

ومن ناحية أخرى، كان سبب الخلاف بين تركيا وسورية هو اختلاف الخيارات والتحالفات الإستراتيجية لكلا البلدين، حيث اختارت تركيا السياسات والتوجهات الأطلسية في حين اختارت سورية سياسة عدم الانحياز والحياد الإيجابي.

وحقيقة الأمر، أنه خلال هذه المرحلة تأسست نمطية العلاقات التركية - العربية بشكل عام والعلاقات التركية السورية بشكل خاص؛ من خلال المشاكل التي كانت تعيشها منطقة الشرق الأوسط، وبخاصة الصراع العربي - الإسرائيلي. فبعد أن وقفت تركيا إلى جانب العرب في الأمم المتحدة ضد قرار تقسيم فلسطين عام 1947م، انضمت في العام التالي بتأثير الضغط الغربي إلى عضوية لجنة التوفيق الدولية للقضية الفلسطينية، مع بريطانيا وفرنسا، واعترفت بإسرائيل اعترافاً واقعياً، ثم اعترافاً قانونياً كاملاً عام 1950م وفي (1955/2/2م) أعلن عن قيام حلف بغداد بتوقيع العراق وتركيا اتفاقية دفاعية. وسرعان ما انضمت إلى الاتفاقية بريطانيا وباكستان وإيران. وقد وافقت تركيا على أن تشارك الولايات المتحدة في مواجهة الأنشطة التخريبية، والمقصود بالأنشطة التخريبية: هو امتداد التيار العربي الوحدوي إلى المشرق العربي⁽³⁾.

ففي عام 1957م، نشبت أزمة كبيرة بين تركيا وسورية بسبب رفض سورية حلف بغداد؛ حيث كان هذا الحلف ينوي جر سورية إليه للوقوف معه ضد المديّن الشيوعي بزعامة الإتحاد السوفيتي، والقومي بزعامة جمال عبد الناصر. وحينما أعلنت سورية عن موقفها المؤيد للخط القومي، أخذت تركيا تحشد جيوشها على الحدود السورية، تمهيداً لعدوان واسع كانت ستشنه. وما كان من الرئيس جمال عبدا لناصر حينها إلا أنه وقف مع سورية وأرسل قوات مصرية إليها، وانتشرت في شمال سورية؛ الأمر الذي جعل الأتراك يتراجعون عن تهديداتهم وتسحب تركيا القوات التي حشدتها. أضف إلى أن هذا الموقف ساعد في رفع وتيرة المد القومي في صفوف الشعب العربي؛ كما أنه أصبح من أحد الأسباب التي أدت إلى قيام الوحدة بين مصر وسورية في (1958/2/22م)⁽⁴⁾.

ولم يمض وقت طويل حتى عادت تركيا وتحرشت بسورية والعراق؛ إثر قيام ثورة (14/تموز/يوليو/1958م) في العراق. ومع إعلان الثورة بدأ الجيش التركي بالتحرك باتجاه الحدود مع العراق وسورية مصحوباً بإنزال على الشواطئ اللبنانية، وتحرك مظلي بريطاني في

الأردن. ومن المعروف أن التقدم والتحرك الأمريكي البريطاني لم يوقفا إلا بفعل الموقف السوفيتي الذي هدد بالتدخل. كما عاد التأزم إلى العلاقات التركية السورية بعد انقلاب عام 1960م العسكري في تركيا ومجيء عصمت اينونو إلى رئاسة الوزراء التركية؛ لأن خط الأخير السياسي كان يتمثل بالتعصب إلى الأتاتورية والنهج الغربي. وبلغ هذا التأزم مداه عندما تفجرت الأزمة القبرصية، وجرى التصويت عليها في الأمم المتحدة عام 1964م، وصوتت الدول العربية بما فيها سورية لصالح الحكومة القبرصية ضد تركيا.

كما زادت حدة التوتر في العلاقات بين كلا البلدين عندما صدر عن الحكومة السورية عام 1966م بيان وزاري بخصوص مسألة لواء الإسكندرونة جاء فيه: "أنه يعتبر لواء الإسكندرونة من الأراضي العربية السورية المغتصبة ويجب العمل على تحريره"⁽⁵⁾.

وحقيقة الأمر، أنه بعد هذا التوتر وسياسة الأحلاف في العلاقات التركية السورية، أتت مرحلة السبعينيات لتشهد نوعاً من الانفراج في هذه العلاقات كانت محطاتها الأبرز إبان وخلال حرب (حزيران/يونيو/1967م)، حيث بادرت تركيا إلى التنديد بعدوان إسرائيل على مصر وسورية والأردن، ووقفت في هيئة الأمم المتحدة مطالبة بانسحاب إسرائيل من الجولان وسيناء والضفة الغربية التي احتلتها. وفي عام 1973م رفضت تركيا طلباً لرئيس الولايات المتحدة ريتشارد نيكسون لاستخدام أراضيها لإقامة جسر جوي لإمداد إسرائيل بالأسلحة اللازمة لها.

كما بلغ التعاون التركي العربي ذروته عندما اعترفت تركيا في عام 1979م بمنظمة التحرير الفلسطينية على أنها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وأيدت تركية القرار الصادر عن الأمم المتحدة في (تشرين الثاني/نوفمبر/1975م) باعتبار الصهيونية " شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري"⁽⁶⁾.

وقد شهدت العلاقات التركية السورية مطلع الثمانينيات تطوراً ملحوظاً ففي (حزيران/يونيو/1981م) قام وزير الخارجية السورية بزيارة رسمية إلى تركيا تباحث خلالها مع نظيره التركي في وسائل تطوير العلاقات بين البلدين الجارين. وتجدر الإشارة هنا إلى أن علاقة تركية الدبلوماسية بإسرائيل، في هذه الآونة تدنت إلى الحضيض حتى مستوى سكرتاري.

وفي عام 1981م وصلت العلاقات الاقتصادية التركية السورية والتركية العربية إلى أوجها، ففي آب/أغسطس عام 1981م بلغ حجم المقاولات مع البلدان العربية ومنها سورية 7 مليار دولار أمريكي بينما كانت 4 مليار دولار في نهاية عام 1980م و1.5 مليار دولار في بدايته. كما أدى تطور العلاقات والعمل في هذه المقاولات مع البلدان العربية إلى التوسع في الصادرات التركية،

حيث تضاعفت الصادرات إلى هذه البلدان 3 مرات عام 1981م بالمقارنة مع عام 1980، وفاقَت الصادرات إلى السوق الأوروبية المشتركة مجتمعة.

لكن في عام 1983م أقدمت تركيا على خطوة مفاجئة غير مفهومة، حينما أقدمت على حشد جيوشها على الحدود السورية؛ بحجة أن صواريخ "سام-5" الموجودة في سورية، تشكل تهديداً للأمن التركي، وسارعت إلى عقد اتفاق مع الولايات المتحدة لنصب صواريخ "بيرشنگ" الأمريكية لمواجهة الصواريخ السوفيتية في الأراضي السورية⁽⁷⁾.

كما تآزمت العلاقات بشأن توزيع مياه الفرات حيث بدأت تركيا عام 1983م في إقامة عدد من السدود وعددها 21 سداً على مياه الفرات تحت مسمى مشروع جنوب شرق الأناضول مما سوف يهدد الأمن المائي السوري. ثم زادت من حدة التوتر في العلاقات السورية التركية في الفترة ما بين (1984م / أغسطس - نوفمبر/ 1987م)؛ وذلك على أثر تصاعد العمليات العسكرية لحزب العمال الكردستاني في الأراضي التركية حيث وجهت أنقرة اتهاماً مباشراً لدمشق بمساعدة هذا الحزب سياسياً ودعائياً ومالياً. وتوترت العلاقة بين تركيا وسورية توتراً شديداً في أواخر عام 1987م لهذا الاعتبار المذكور؛ حيث طلب رئيس الوزراء التركي تورغوت أوزال أثناء زيارة رسمية له لدمشق، في أول زيارة لرئيس وزراء تركي لسورية منذ سنوات عديدة آنذاك، الحكومة السورية بإبعاد الزعيم الكردي عبدا لله أوجلان الذي يحتفظ بمقر له في دمشق⁽⁸⁾.

إلا أنه في (13/7/1987) توصلت كلتا الدولتين إلى اتفاق تضمن عدداً من البرتوكولات للتعاون الاقتصادي والأمني بين البلدين بما فيها بنود تنص على: حذف منطقة لواء الإسكندرونة من الخرائط السورية ومن الكتب المدرسية نهائياً وإيقاف كافة محاولات الدعاية العدائية الموجهة ضد تركيا؛ وذلك مقابل موافقة تركية على تسوية مشكله معدلات تدفق المياه في نهر الفرات من المنابع التركية إلى السهول السورية. ورغم ملامح التهدئة العامة بخصوص مشكلة لواء الإسكندرونة بين تركيا وسورية إلا أنه في أواخر عام 1989م وأوائل عام 1990م اشتد تأزم العلاقات بين البلدين حول مياه الفرات وأعلن وزير الإعلام السوري: أن لواء الإسكندرونة يجب أن يعود للأراضي السورية، وأن دمشق لن تتنازل قط عن الأصل العربي للواء الإسكندرونة. واستؤنفت الحرب الدبلوماسية بين أنقرة ودمشق لفترة محدودة ثم توقفت ولكن إلى حين⁽⁹⁾.

ولكن في 13 يناير 1990 تفجرت أزمة شديدة بين الدولتين حين أعلنت الحكومة التركية قطع منسوب نهر الفرات لمدة شهر عن سورية وعن العراق بهدف تسريع المياه للوصول إلى سهل أتا تورك في إطار مشروع جنوب شرق الأناضول. ولكن لم تتجاوز أزمة مياه الفرات يناير 1990م حدود القنوات الدبلوماسية بين تركيا وكل من سورية والعراق حيث تعهدت الحكومة التركية بأن

لا تفكر مطلقاً بمعاودة قطع مياه الفرات عن سورية والعراق وأنه فيما يتعلق بالأزمة التي حدثت مؤخراً بسبب مياه الفرات فإن المشكلة الجوهرية تكمن في ضرورة الاتفاق على توزيع أو اقتسام حصص كافية من الفرات⁽¹⁰⁾.

ولكن منذ خريف 1993م بعد الموت المفاجئ لرئيس الجمهورية التركية تورغوت أوزال واستلام سليمان ديميريل رئاسة الجمهورية وتانسو تشيللر رئاسة الوزراء. وبعد أن تبين للأتراك أنهم لم يحصدوا شيئاً جراء وقوفهم مع الغرب في حرب الخليج الثانية وكذب الوعود الأمريكية والابتعاد الأوروبي المتصاعد عن تركيا؛ يظهر في أفق السياسة التركية نهج جديد تجلى في تغيير تعاملها مع دول الجوار كافة بما فيها سورية. وكان عراب هذا النهج التركي الجديد هو وزير الخارجية ممتاز سويسال، فهذا الأخير كان يحمل نظرة جديدة للعلاقات مع سورية. وتعتمد هذه النظرة على: أسلوب الحل المتدرج للمشاكل العالقة بين البلدين؛ لتعزيز الثقة المتبادلة بينهما، وفي مقدمتها: مسألة المياه ومسألة حزب العمال الكردستاني. وفي (20/تشرين الثاني/ نوفمبر/ 1993م) تم توقيع اتفاق أمني بين كلا البلدين والذي نص على ما يلي:-

- 1- يدين الطرفان الإرهاب بكل أشكاله ومصادره.
- 2- يوافق الطرفان على عدم السماح للنشاطات الإرهابية.
- 3- تعلن سورية أن حزب العمال الكردستاني (pkk) هو منظمة إرهابية وتتعهد بتسليم عناصره عند اعتقالهم إلى تركيا⁽¹¹⁾.

إلا أنه في عام 1998م وصلت العلاقات بين أنقرة ودمشق إلى نقطة صدام ومواجهة كان من الممكن أن تفضي إلى حرب بين البلدين على خلفية اتهام أنقرة لدمشق بتقديم الدعم والحماية لحزب العمال الكردستاني وقيادته، حيث قامت سورية بطرد عبد الله أوجلان من سورية كما طلبت أنقرة إذ تم التوقيع على إتفاقية "أضنه" حيث تم التوصل حول ما كان يسمى الورقة الكردية والحدود.

وحقيقة الأمر أن العلاقات التركية السورية بدأت بالتغير بعد انتهاء أزمة 1998م، فبرز توجه نحو الحوار والتفاهم لدى الحكومتين التركية والسورية يحدده السعي نحو إقامة علاقات أفضل وأكثر استقراراً بين البلدين. وأعطت زيارة الرئيس التركي السابق أحمد نجت سيزر لدمشق في (يونيو/ حزيران 2000م) دفعة قوية في اتجاه تغيير علاقة أنقرة بدمشق، وعززتها زيارة الرئيس بشار الأسد الأولى لتركيا عام 2004م. لكن فوز حزب العدالة والتنمية في الانتخابات التركية عام 2002م والمواقف السياسية والمواقف التي اتخذها قادته في السياسة الخارجية كان له الدور الأكبر في تحول العلاقات التركية السورية نحو التفاهم والتعاون⁽¹²⁾.

ثانياً: أسس ومرتكزات العلاقات التركية السورية وأهم قضاياها:

حكمت العلاقات التركية السورية خلال فترة ثماني السنوات الماضية مجموعة من الأسس والمرتكزات؛ والتي أفضت إلى الاتفاق فيما يتعلق بعدة قضايا أساسية كان لها دور واضح في مسيرة العلاقات بين البلدين؛ هذا إضافة إلى الإرث التاريخي والمناخ العام الذي ساد منطقته الشرق الأوسط لمدة ليست قصيرة، والذي شكل محدداً هاماً للعلاقات التركية السورية.

وحقيقة الأمر أن العلاقات التركية السورية شهدت توتراً متزايداً بسبب مشاكل قديمة متجددة فرضها الثابت الجغرافي، والحدود المشتركة، والاتفاقات الدولية التي رسمت الحدود بين الدولتين بعد الحرب العالمية الأولى⁽¹³⁾.

وتتمثل هذه المشاكل بلواء الإسكندرونة، وقضية حزب العمال الكردستاني (pkk)، وقضية المياه، ولكن وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم في تركيا ساعد على تحقيق تحول جذري في العلاقات التركية السورية، وفي توثيق علاقة شعبي البلدين بعضهما ببعض. في دمشق، كانت سورية تعيد قراءة وضعها الإقليمي، وعلاقاتها الدولية وسط تغيرات وانقلابات كبرى في أوضاع المشرق العربي.

وفي أنقرة كان حزب العدالة والتنمية يبدأ مراجعة غير مسبقة في تاريخ الجمهورية لموقع تركية، ودورها في كل جوارها العثماني القديم. وقد وجد البلدان كلاهما أمام تحديات لم تكن في الأغلب من صنعهما، سواء بفعل الاحتلال الأمريكي للعراق، أو ارتفاع درجات حرارة التوتر الإقليمي الذي ولدتها سياسات الهجوم العالمي لإدارة المحافظين الجدد، والتنكر الإسرائيلي للحد الأدنى من المطالب الفلسطينية. كل ذلك أدى إلى: تشكيل مرتكزات ومحددات للعلاقات التركية السورية خلال فترته (2002 - 2010م)، سنتحدث عنها بإيجاز كما يلي:⁽¹⁴⁾

أولاً: الأيديولوجية وخلفية حزب العدالة والتنمية، حيث تبنى حزب العدالة والتنمية عدة سياسات والتي شكلت مرتكزاً رئيساً في العلاقات التركية السورية منذ عام 2002م. فقد حدد المفكر الإستراتيجي وزير الخارجية التركي داوود أوغلو مهندس السياسة الخارجية التركية ملامح هذه السياسة الجديدة والتي تعتمد على: سياسة تعدد البعد التي انتهجها الحزب في سياسته الخارجية؛ حيث كان لها نتائج طيبة على علاقات تركية مع جميع الدول العربية والإسلامية من دون استثناء وخاصة سورية.

كما اتبع الحزب سياسة خارجية جديدة تقوم على تصفير المشكلات مع الدول المحيطة بتركية، وإنزال درجه الخلاف إلى الصفر إن أمكن. وتهدف تركية من تبني هذه السياسة بأن تخرج من كونها بلداً طرفاً إلى أن تكون بلداً مركزاً؛ أي الوقوف على مسافة واحدة من كل الأطراف،

وتحولها إلى نقطة جذب، لا نفور. وهنا الأهمية التركيز على العمق الجغرافي والتاريخي لتركية؛ والمقصود هنا تحديداً - العلاقات مع العالم العربي وإيران⁽¹⁵⁾.

ثانياً: الملاحظ أن سورية تعرضت إلى عزلة وضغوطات متزايدة منذ أحداث (11/ سبتمبر/ 2001م)، ووجهت بسلسلة اتهامات أمريكية تراوحت من: ممارسة ورعاية الإرهاب إلى التقصير في التعاون مع العالم لمكافحة؛ وذلك على خلفيه التعاون السوري - الإيراني، وتأييد دمشق ودعمها لحركة المقاومة للاحتلال في فلسطين والعراق واعتراضها العلني تارة، والعملية تارة أخرى على احتلال العراق. واتسعت دائرة الضغط الدولي على دمشق لتمتد إلى مختلف مجالات الحركات السورية وساحات نفوذها بعد النقلة النوعية التي شهدتها السياسة الأمريكية في المنطقة باحتلال العراق، وبذلت واشنطن وباريس جهداً مكثفاً ومتواصلًا لضرب النفوذ السوري في لبنان لكونه مصدر قوة الرئيس لدمشق وتجسيداً بليغاً لمعارضة سورية سياسات ومصالح القوى العالمية الكبرى في الشرق الأوسط. وتعددت خطوط الضغط الأمريكية والفرنسية على دمشق، فجمعت بين الاقتصادي والسياسي والقانوني، وأصبحت سورية تعاني من عزلة دولية وإقليمية شبه كاملة⁽¹⁶⁾.

وقد وجدت دمشق فرصة ذهبية لكسر الدائرة المغلقة أمامها، وفرتها رغبة تركية الحثيثة في لعب دور فاعل وجديد في ساحة الشرق الأوسط لتعوض إخفاقها المتكرر في مساعيها للانضمام الكامل للاتحاد الأوروبي، ولتوازن الخسائر الاستراتيجية التي تكبدتها بفعل احتلال العراق، وتزايد قوة أكراد شمال العراق، إضافة إلى الاحتمالات المتزايدة بالاتجاه نحو التقسيم؛ لذا كانت تركية بمثابة طوق النجاة لسورية من الحصار العالمي المفروض عليها⁽¹⁷⁾.

ثالثاً: من أهم مرتكزات العلاقات التركية السورية التعاون في المجال العسكري والأمني. ففي يونيو لعام 2002م، وقع الجانبان التركي والسوري اتفاقية التعاون العسكري. وعلى الرغم من أن نصوص هذه الاتفاقية لم تنشر علناً فإن تصريحات مسؤولي الجانبين تشير إلى: أن هذه الاتفاقية تمثل في إطار للتعاون في المجال العسكري، وبالذات في مجال التدريبات العسكرية بين الجانبين. وقد نظرت سورية إلى اتفاقية التعاون العسكري مع تركية بوصفها خطوة هامة لتحديد علاقات التعاون العسكري بين تركية وإسرائيل عام 1996م، مما يعني: أن اتفاق التعاون العسكري التركي - السوري يلغي أو يقلل من فاعليه علاقات التحالف العسكري بين تركية وإسرائيل.

وحقيقة الأمر كان الخلاف العميق بين تركية وسورية حول المياه وحزب العمال الكردستاني، خلال التسعينيات من القرن الماضي من أبرز العوامل التي أدت إلى التقارب العسكري بين تركية وإسرائيل⁽¹⁸⁾، حيث أتاح الاتفاق العسكري التركي الإسرائيلي في (23 / 2 / 1996م)، لإسرائيل

جمع المعلومات الاستخبارية عن المنشآت العسكرية والاقتصادية في سورية من خلال الوجود العسكري الإسرائيلي المكثف في الأراضي التركية. إلا أن حكومة حزب العدالة والتنمية بدأت في التخلي عن سلسلة المعاهدات السرية التي تكبلت بها تركيا منذ بداية الاتفاق العسكري لعام 1996م بين البلدين. ففي يوليو 2003م قررت الحكومة التركية في أول اجتماع تولى فيه رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان رئاسة الهيئة العليا للصناعات العسكرية قرر إلغاء كل الاتفاقات العسكرية الموقعة أو قيد التوقيع مع الشركات الإسرائيلية، وقدرت قيمتها بحوالي 20 مليار دولار؛ وذلك بحجة أن مشروعات التصنيع العسكري المشتركة لم تحقق نقل التكنولوجيا التي تسعى تركيا إليها بالإضافة إلى ارتفاع تكلفتها⁽¹⁹⁾.

كما سارعت كل من تركيا وسورية في توثيق تعاونهما الدفاعي إلى حد إجراء مناوراتهما الأخيرة بالتزامن مع إلغاء المناورات الدولية التي كان من المقرر اشتراك إسرائيل فيها، وهو ما تعتبره الأخيرة تعزيزاً لمكانة سورية وتقوية لموقفها التفاوضي.

من ناحية أخرى، أدى الاحتلال الأمريكي للعراق عام 2003م إلى نشوء فدرالية كردية متنامية في شمال العراق حركت النشاط الكردي في الدول المجاورة، وزودته بالحافز المناسب والدعم الملموس والملاذ الأمن. بالإضافة إلى انتخاب زعيم الإتحاد الوطني الكردستاني جلال طالباني رئيساً للعراق وتوقيع قانون الإدارة الانتقالية الذي أثار أكراد سورية وأدى إلى انتفاضة خطيرة في سورية خلفت 45 قتيلاً. وارتفعت معدل عمليات حزب العمال الكردستاني في تركيا مما شكل تهديداً جديداً للاستقرار الداخلي في تركيا؛ وقد حفز هذا التحدي إلى التعاون والتنسيق الاستخباراتي والعمليات بين أنقرة ودمشق⁽²⁰⁾.

وفي (17/ سبتمبر/ 2009م) اتفقت سورية وتركيا على إبرام اتفاقيات عدة في مجالات أمنية وعسكرية، وذلك في ختام أعمال مجلس التعاون الإستراتيجي التركي السوري. وتم التحضير خلال المجلس لعقد ما يزيد على 30 اتفاقية و10 بروتوكولات ومذكرة تفاهم تشتمل مجالات الدفاع والأمن والاقتصاد والصحة.

كما تم توقيع العديد من الاتفاقيات بين الجانبين حول مسائل تبادل المعلومات وضبط الحدود والهجرة غير المشروعة وتجارة المخدرات ومكافحة الإرهاب حيث وصل عدد الإرهابيين الذين سلمتهم سورية لتركيا 122 بينهم 77 من حزب العمال الكردستاني⁽²¹⁾.

وقد طرأ ملف جديد على جدول أعمال البلدين الثنائي، وهو ما يتعلق بها يوصف تركيا بخطة "الانفتاح على الأكراد" أو خطة الانفتاح الديمقراطي. ومن عناصر هذه الخطة كيفية إيجاد حل لمسألة وجود أكثر من 5 آلاف مقاتل من حزب العمال الكردستاني المعادي لتركيا في منطقة

قنديل في شمال العراق. وتقوم الخطة التركية كما يطلق عليها "إنزال المقاتلين من الجبال"؛ أي تسليم مقاتلي حزب العمال الكردستاني أسلحتهم والاندماج بالمجتمع. وهذا يتطلب عفواً عاماً أو شبه عام يطال أولئك الذين يوجدون في الداخل التركي والذين يتحصنون في جبال قنديل وربما أنه يوجد بين هؤلاء أكثر من 1500 مقاتل من الأكراد السوريين. فإن أنقرة تريد لسورية أن تكون شريكاً مساعداً في الحل فهؤلاء في حال صدور عفو عام لن يعودوا إلى تركيا، بل إلى موطنهم الأصلي سورية.

ولقد كان واضحاً أن سورية مستعدة لاستقبال هؤلاء في حال أعلنوا تخليهم عن الإرهاب "لأن الدولة لا تنتقم من مواطنيها بل تحتضنهم"، كما صرح الرئيس الأسد إلى الإعلام التركي برسالة واضحة وتشجيعية إلى الرأي العام التركي تفيد بأن سورية تريد استقرار تركيا من خلال مساهمتها (سورية) في حل المشاكل الكردية⁽²²⁾.

رابعاً: لم يقتصر تطور العلاقات التركية السورية على المجال السياسي فقط، بل تجاوز ذلك وتناول المجالين الاقتصادي والثقافي؛ فمن الناحية الاقتصادية تطورت العلاقات بين البلدين تطوراً ملحوظاً خلال السنوات الأخيرة، حيث وصل حجم التبادل التجاري بين البلدين إلى 1.7 مليار دولار العام 2008م، وملياري دولار في عام 2009م ومتوقع منه أن يتجاوز الـ 5 مليارات خلال الأعوام القليلة القادمة بما يحول تركيا إلى الشريك التجاري والاقتصادي الأول لسورية.

وبلغ حجم الصادرات التركية إلى سورية عام 2008 1.1 مليار دولار بنسبة زيادة 40% عن 2007م، بينما بلغت قيمة الواردات التركية من سورية 239 مليون دولار بنسبة زيادة 70% عن 2007، ذلك أن حجم الاستثمارات التركية المشمولة وفق قانون تشجيع الاستثمار الأجنبي فاقت 500 مليون دولار في 2008م⁽²³⁾.

وذلك أن العلاقات الاقتصادية بين الجانبين في تطوير مضطرد منذ دخول الشراكة المؤسسة لمنطقة تجارية حرة بين البلدين حيز التنفيذ في مطلع العام 2007م الذي يسمح بتدفق البضائع في الاتجاهين وإقامة مشاريع مشتركة في مختلف المجالات الصناعية والبنى التحتية والخدمات.

أما في المجال السياحي فقد جاء اتفاق إلغاء التأشيرات، الذي يسمح بدخول الأتراك والسوريين دون الحاجة إلى الإجراءات القنصلية، والذي ينعكس بشكل إيجابي على السياحة فيها؛ وذلك من خلال ازدياد عدد السياح الأتراك القادمين إلى سورية أو العكس. حيث زاد عدد السياح الأتراك الوافدين إلى سورية عام 2009م بنسبه 18%، مقارنة بالعام 2008م.

وقد اتفق البلدان على البرنامج التنفيذي للتعاون السياحي للأعوام (2009م - 2011م) من خلال المشاورات المشتركة، ووفق القوانين والأنظمة النافذة في كلا البلدين. ويشمل تنشيط الحركة السياحية، والتعاون في مجال الدعاية والترويج السياحي، والتعاون في مجال التدريب والتأهيل والاستثمار السياحي⁽²⁴⁾.

أما بالنسبة للتعاون الثقافي فقد شرع بتدريس اللغة التركية في دمشق وحلب، واللغة العربية في أنقرة واسطنبول، وتأسست جمعيات ثقافية مثل الجمعية العربية للعلوم، والثقافة والفنون في أنقرة. وقامت شركات سورية بدبلجة المسلسلات التركية وعرضها للمشاهدين العرب⁽²⁵⁾.

ثالثاً: أهم الملفات العالقة في العلاقات التركية السورية:

رغم الانفتاح في العلاقات التركية السورية إلا أن هناك العديد من القضايا التي لم يشملها التفاهم، أو تم تجاهلها من قبل ساسة كلا البلدين لأن إثارتها تعني إعادة الأجواء المضطربة إلى العلاقات بينهما مرة أخرى، ومن ثم لم تفتح هذه الملفات رغم أهميتها وقدرتها على تغيير العلاقات التركية السورية بالمستقبل.

1- قضية المياه:

إن قضية المياه تشكل إحدى القضايا الهامة والمسائل الشائكة في العلاقات التركية السورية، حيث إن نهري دجلة والفرات ينبعان من تركيا وبعض الفروع تصل إلى إيران. وتعد سورية دولة المرور والعراق هي دولة مصب، وتتنظر تركيا إلى نهر الفرات باعتباره نهراً وطنياً وليس نهراً دولياً تشترك فيه الدولتان الأخريان سورية والعراق. فتركية ترفض حتى الآن قبول تقسيم المياه المشتركة وفقاً لمبادئ القانون الدولي للمياه، وتهدد بين الحين والآخر باستخدام المياه كورقة ضغط سياسية واقتصادية على كل من سورية والعراق، كما حدث في عهد الرئيس التركي السابق تورجوت أوزال الذي أكد على أن المياه هي سلعة اقتصادية وليست حقوقاً مكتسبة للأقطار التي تمر فيها. ولذلك قامت تركيا ببناء السدود على مجرى نهري دجلة والفرات، وخاصة سد أتاتورك الضخم الذي افتتح في (26/يوليو/1992م). إضافة إلى بناء تركيا ثلاثين سداً آخر لحجز المياه في أراضيها دون استشارة دول الجوار المستفيدة من المياه⁽²⁶⁾.

وحقيقة الأمر عقدت الكثير من الاتفاقيات والمعاهدات من أجل تحديد وتوزيع نصيب كل دولة من المياه. كانت أولى هذه المعاهدات معاهدة باريس بين بريطانيا وفرنسا عام 1920م، ثم عقدت معاهدة لوزان عام 1923م.

لقد عقد العديد من اللقاءات بين كل من تركية وسورية كان أربع منها خلال فترة الستينيات، ولكنها لم تؤدِ إلى التفاهم بين الطرفين بشأن حال كل من النهرين وطبيعة المشروعات التي يسعى كل طرف إلى تنفيذها؛ الأمر الذي جعل الأطراف الثلاثة تركية، سورية، العراق عاجزين عن وضع قواعد حاكمة فيما بينهم تنظم استخدام مياه نهري دجلة والفرات.

انضمت سورية إلى بروتوكول تم توقيعه بين تركية والعراق عام 1980م ينص على إنشاء لجنة فنية مشتركة للمياه الإقليمية التركية السورية العراقية مهمتها دراسة الشؤون المتعلقة بالمياه الإقليمية خصوصاً أحواض نهري دجلة والفرات⁽²⁷⁾.

وقد بدأت هذه اللجنة بالإجتماع منذ ذلك التاريخ ولو على نحو غير دوري لمناقشة الأمور العامة، وتبادل البيانات الخاصة بالمسائل الهيدروليكية، ولكن اللجنة لم تتفق حتى الآن على حل المشكلة.

وفي (تموز/يوليو/1987م) تم التوقيع بين تركية وسورية على بروتوكول للتعاون الاقتصادي شمل سلسلة واسعة من المسائل. وكانت المياه مسألة أساسية فيها؛ إذ قبلت تركية بضخ 500³ م³ من المياه في الثانية الواحدة إلى سورية لكن يجب أن نقول: إن هذه الاتفاقية كانت معالجة مؤقتة.

وفي بداية عام 1990م تجدد سوء التفاهم بين تركية وجارتها الجنوبية، وتطور ذلك إلى مواجهة خطيرة؛ فقد قامت تركية بتحويل مياه الفرات لغرض ملء سد أتاتورك ابتداءً من (13/كانون الثاني/يناير/1990م) إلى (12/شباط/فبراير/1990م)، وأكدت تركية بأنها ستقوم بضخ 509 م³ إلى سورية في الثانية الواحدة وفق بنود البروتوكول⁽²⁸⁾.

غير أن سورية احتجت بأن مستوى مياه الفرات بين الحدود التركية - السورية وبين سد الأسد قد انخفض بمقدار 3 أمتار في (كانون الثاني/يناير/1990م)، كما اتهمت تركية بالإضرار بالمحاصيل الشتوية وبعرقلة تجهيز المياه إلى مدينة حلب، وبأنها لم تزود سورية بأية معلومات فنية حول ضخها. غير أن تركية أكدت أنها فعلت كل ما يمكن لتقليل الأضرار إلى الحد الأدنى ثم بعثت نجاتي أوتكان، المدير العام للدائرة الاقتصادية في وزاره الخارجية التركية إلى الأقطار العربية المعنية لكي يوضح أن قطع المياه المؤقت في (كانون الثاني/يناير/1990م) لملء سد أتاتورك لم يكن مناورة سياسية للضغط على جيرانها. وذكر الدبلوماسي التركي بأن تركية قد زودت سورية بضعف كميات المياه قبل عملية قطع المياه لتمكنها من تخزين مقادير كافية لتعويضها عن نقص المياه خلال عملية حجب المياه، وبأن تركية قد تأثرت هي أيضاً بنقص المياه إذ أصاب الضرر ذاته الأتراك المزارعين، الذين يعيشون على امتداد 130 كم على ضفاف نهر الفرات قبل دخوله سورية⁽²⁹⁾.

وحقيقة الأمر، يكمن الموقف التركي من مسألة المياه في تصريحات المسؤولين الأتراك، فقد أعلن قمران إنان الذي كان حينذاك وزير دولة ومسؤولاً عن مشروع الأناضول الـ (GAP) "أنه يجب ألا يكون هنالك مشكلة.....، فالأنهر المعنية لا تخضع للقوانين الدولية، بل لديها أهدافها في إتباع قوانين حسن الجوار والإنصاف لمساعدة سورية والعراق على مواجهة حاجاتها" وأضاف "ولكن هذه مياها". وعندما كان ديميريل رئيساً للوزراء صرح "أن المياه هي مورد للدولة المنبع، أما دول العبور المستفيدة منه فلا تستطيع أن تملي علينا كيفية استخدام مواردها. وبالمثل يشكل النفط في بلدان عربية عديدة مورداً بعيد المجرى ونحن لا نقول لها كيف يجب أن تستخدمه"⁽³⁰⁾.

وغالباً ما تكررت التأكيدات من الوزراء الأتراك. ففي (آب/ أغسطس/1992م) وأثناء قيام حكمت شتين وزير الخارجية التركي بزيارة رسمية إلى سورية، وكذلك عصمت سيزجين وزير الداخلية التركي بعد أسبوعين من ذلك أدلى كل منهما بتصريحات مماثلة. وعلاوة على ذلك، فقد أوضح الرئيس سليمان ديميريل خلال زيارته دمشق في (كانون الثاني/يناير/1993م)، للرئيس الأسد الشعور التركي بشأن قضية المياه.

ويظن الأتراك أن الدعم المتزايد الذي تقدمه سورية إلى حزب العمال الكردستاني الذي يسعى جاهداً إلى إقامة دولة كردية مستقلة عن تركيا الشرقية دعم موجه إلى المشاريع التنموية التركية، والضغط على تركيا للاستجابة لطلبات سورية بحصة أكبر من مياه نهري الفرات ودجلة⁽³¹⁾.

أما الموقف القانوني السوري بالنسبة إلى حقوقها في المياه فهو موقف متردد بين هذا الرأي أو ذاك، كما أنه موقف متناقض جداً. فكون سورية دولة منبع وعبور لشبكات أنهر مختلفة، وهي التي تشكل دولة منبع لنهر اليرموك؛ أدى تشييدها مجموعة من السدود على أعلى مجراه إلى تخفيف جريانه بشكل ملحوظ إلى الأردن وإسرائيل. وفي هذا السياق يندرج نهر العاصي إذ إنه يجري بشكل أساسي في الأراضي السورية ليصب في البحر الأبيض المتوسط في منطقة هاتاي وترفض سورية أن تعتبره نهراً دولياً. وعبثاً حاولت تركيا أن تجعل المفاوضات بشأن الفرات مرتبطة بموضوع العاصي. ونتيجة سياستها التحررية الوحدوية اعترضت سورية على أساس أن ذلك سيكون في الواقع وببساطة إقراراً بسيادة تركيا على هاتاي⁽³²⁾.

من ناحية أخرى على الرغم من تحسن العلاقات التركية السورية في عهد حكومة حزب العدالة والتنمية إلا أنه لم تأت هذه الحكومة بجديد ملموس لتسوية قضية المياه حيث أعلن رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان بأنه أمر بزيادة ضخ المياه التركية إلى سورية لتصل إلى 550³ م³ في الثانية. لم يكن خطوة على طريق التسوية الدائمة للقضية؛ إذ توقف هذا الضخ بعد ذلك ليعود

إلى مستويات أقل، إذ وصل الضخ فيها إلى نحو نصف الكمية المتفق عليها. وعادت حكومة العدالة والتنمية مجدداً للاستعانة عن زيادة حصة البلدين من المياه بمطالبتها بإعادة تأهيل شبكات الشرب والري والصرف فيهما لتقليل الفاقد من المياه⁽³³⁾.

2- مشكلة لواء الإسكندرونة:

لا تزال مشكلة لواء الإسكندرونة إحدى المشاكل القائمة بين تركيا وسورية والتي تطفو على السطح من وقت إلى آخر وتلقي بظلالها على العلاقات بين البلدين.

وحقيقة الأمر كان هذا اللواء تابعاً إدارياً في الماضي إلى ولاية حلب حتى عام 1920م، وفي الأول من سبتمبر من نفس العام ألحق بحكومة حلب مع منحه استقلالاً في الشؤون الإدارية. وقد كان التوزيع السكاني للواء الإسكندرونة في تلك الفترة يعطي العرب نسبة 72.48% مقابل 27.52% للأتراك⁽³⁴⁾.

وفي عام 1924م أعيد ربط اللواء برئيس الدولة السوري مع استمرار احتفاظه بالاستقلال الإداري. وقد أقرت هذا الوضع إتفاقية (أيار/1926م) بين تركيا وسورية؛ كما أن نظام اللواء الأساسي الصادر عام 1930م بربط اللواء بصورة واضحة بسورية. وعندما قسمت سورية عام 1936م إلى تسع محافظات كان لواء الإسكندرونة أحدها. وفي تلك الفترة قامت تركيا بالمطالبة بضم اللواء لوجود كتلة كبيرة من الأتراك فيه، وقد أحيلت المسألة إلى عصبة الأمم المتحدة عام 1937م حيث قررت وضع نظام خاص للواء، ووافقت عليه تركيا وفرنسا ويقضي بربط اللواء بسورية في الشؤون الداخلية. ودعت عصبة الأمم المتحدة إلى انتخابات نيابية لأربعين عضواً يؤمن لكل فئة كحد أدنى ما يلي: 1-8 نواب أتراك 2-6 نواب للعلويين و2 للعرب وللأرمن و2 لليونانيين. وقد أرسلت عصبة الأمم المتحدة لجنة دولية في (9/ نيسان/ 1938م) للإشراف على الانتخابات؛ ولكن اللجنة غادرت اللواء في (28/ حزيران) غاضبة بعدما رفعت تقريراً اتهمت فيه تركيا وفرنسا بعمليات تزوير، وتبع ذلك احتلال الجيش التركي اللواء في (5-6/ تموز/ 1936م).

وفي ظل هذا التطور وقعت تركيا وفرنسا إتفاقية في عام 1939م أكسبت مواطني اللواء الجنسية التركية، وضمته نهائياً إلى تركيا التي قد أصدرت نظاماً أساسياً، وأجرت إنتخابات نيابية في عام 1938م أسفرت عن فوز الأتراك بـ22 مقعداً مقابل 18 مقعداً للعرب والأرمن⁽³⁵⁾.

وكان هذا الموقف الفرنسي المفاجئ المؤيد لتركيا هو نتيجة لرغبة في كسب حليف لها في مواجهة ألمانيا، التي أخذت في البروز في نهاية الثلاثينيات؛ وحاولت بذلك كسب تركيا بجانبها لما

لذلك من أهمية كبيرة بحكم موقع تركيا الجغرافي، وإشرافها على المضائق المهمة في تلك المنطقة⁽³⁶⁾.

وهكذا فإن الاعتبارات الفرنسية هي التي حسمت مصير لواء الإسكندرونة لمصلحة تركيا، ومع أنه تم التنازل عن اللواء لاعتبارات استعمارية، إلا أن ذلك قد ترك بؤرة توتر بين تركيا وسورية. فمنذ تلك السنة ما زالت مسألة لواء الإسكندرونة معلقة بين تركيا وسورية، وهذا ما توضحه الخرائط التي تصدرها سورية حيث تظهر أن اللواء مازال جزءاً من الأراضي السورية، وأن الحدود الحالية بين سورية واللواء هي حدود مؤقتة، وأن حدود اللواء القديمة مع تركيا هي الحدود الدولية ولا تزال سورية تعاني من وجود هذه المشكلة حول ترسيم الحدود بينها وبين تركيا⁽³⁷⁾.

وفي مؤتمر نظمه معهد السلام الأمريكي في واشنطن عام 1994م وشارك فيه خبراء من تركيا وسورية والولايات المتحدة أعلن السوريون المشاركون في المؤتمر عن رغبتهم في تجديد المطالبة بلواء الإسكندرونة عن طريق الأمم المتحدة؛ وقد أبدت تركيا ردوداً غاضبة اتجاه الإعلان السوري هذا؛ بل أعلنت تركيا أن سورية تحتل مناطق حدودية تقدر بنحو خمسين كيلو متراً على طول الحدود بين البلدين⁽³⁸⁾.

وخلال الأزمة السورية التركية في عام 1998م على خلفية الإتهامات التركية لسورية بدعم حزب العمال الكردستاني عادت قضية لواء الإسكندرونة لتطرح نفسها كقضية خلافية بين البلدين. وقد طلبت تركيا من سورية التوقف عن المطالبة بحقوقها في اللواء. وفي (19/10/1998م) وجه الرئيس التركي سليمان ديمريل خطاباً من لواء الإسكندرونة حذر فيه سورية من أية مطالبة باللواء. وذكرت مصادر تركية آنذاك أن تركيا سعت إلى الحصول على تعهد سوري باعتراف بالسيادة التركية على لواء الإسكندرونة⁽³⁹⁾.

وفي (2/2/2004م) صرح الرئيس بشار الأسد بأن هذه المشكلة هي مشكلة تاريخية بين تركيا وسورية، وأنها موجودة منذ ستين سنة وهي مسألة مهمة كالقضايا الأخرى التي تستدعي التباحث مع الجانب التركي كقضية المياه، وعلى الجانبين التركي والسوري عدم إهمال هذه القضية⁽⁴⁰⁾.

وحقيقة الأمر، أن الأراضي المتنازع عليها من كلا الجانبين التركي والسوري جاهزة في أي مشروع للتقارب بين البلدين⁽⁴¹⁾.

3 - العلاقات التركية الإسرائيلية:

تميزت العلاقات التركية الإسرائيلية منذ قيام دولة إسرائيل بالتحسن المستمر بكافة المجالات؛ فقد كانت تركية أول دولة إسلامية تعترف بإسرائيل في (آذار/1949م)، بعد أسبوع واحد من اعتراف الولايات المتحدة بها، وأقامت علاقات دبلوماسية معها عام 1950م⁽⁴²⁾.

ومنذ ذلك الحين تطورت هذه العلاقة على كافة الأصعدة، وخاصة في المجال الأمني؛ فقد تم التوقيع على اتفاقية الرمح الثلاثي المبرمة عام 1958م بين تركيا وإسرائيل وإيران ونصت تلك الاتفاقية على تبادل المعلومات الأمنية، وعقد اجتماعات دروية بين رؤساء أجهزة الاستخبارات للبلدان الثلاثة. وبموجب هذه الاتفاقية أنشأ "الموساد الإسرائيلي" مركزاً استخبارياً في تركيا ازدهر نشاطه، بشكل خاص في الأشهر القليلة السابقة لإنقلاب أيلول 1980م في تركيا. ومقابل التدريبات، والمعونات التقنية المقدمة آنذاك من الموساد إلى هيئة الاستخبارات التركية (mit) كانت إسرائيل تستفيد من وضع تركيا، وعلاقتها بالدول العربية، والإسلامية في اختراق الحصار العربي المفروض عليها⁽⁴³⁾.

من ناحية أخرى، لقد زاد نمط التعاون العسكري التركي الإسرائيلي خلال فترة التسعينيات، وعمل الطرفان على توسيع قاعدة التعاون العسكري، حيث بلغت الاتفاقيات العسكرية والأمنية بين البلدين قرابة 13 اتفاقية كان من بينها إتفاقية الأمن المشترك فيما بين الدولتين، والتي عقدت في عهد (تانسو تشلر) في (13 مارس/ آذار/ 1994م) وكذلك اتفاق التعاون العسكري التركي الإسرائيلي والذي وقع في (23/فبراير/شباط/1996م)⁽⁴⁴⁾.

وحقيقة الأمر أن توقيع هذا الاتفاق العسكري يحمل العديد من المخاطر الأمنية على دول المنطقة لاسيما سورية؛ فالاتفاق يسمح للطيران الحربي الإسرائيلي باستخدام الأجواء والقواعد التركية حيث صرح شمعون بيريز عقب توقيع الاتفاق الإسرائيلي التركي "بأن إسرائيل تهدف من هذا الاتفاق إلى: تطويق سورية من الخلف وممارسة الضغوط عليها، والقيام بدور عسكري اتجاه سورية والعراق وإيران"⁽⁴⁵⁾، فهذا الاتفاق أعطى لإسرائيل قدرة إستطلاعية هائلة في سبر أجواء المنطقة وجمع المعلومات عن بلدانها.

وحقيقة الأمر تخشى الدول العربية وخاصة سورية من هذا التطور في العلاقات التركية الإسرائيلية، والتي بلغت مستوى "الحلف" كما تخشى هذه الدول من البعد الإسرائيلي والأمريكي في السياسة الخارجية التركية. وتعتقد هذه الدول لاسيما سورية بأن الاتفاق العسكري التركي الإسرائيلي في (23/شباط/1996م) يشكل مقدمة لغرض ترتيبات أمنية إقليمية في منطقة الشرق الأوسط خاصة في ظل توقف عمليه السلام بفعل السياسة المشددة لحكومة بنيامين نتنياهو،

ورفض هذه الحكومة لمرجعية مؤتمر مدريد وصيغة الأرض مقابل السلام. فيما حاولت تركيا التقليل من المضامين الاستراتيجية للاتفاق وتقول: "إنه لا يشكل تحالفاً عسكرياً، وأنه ليس موجهاً ضد أي طرف ثالث"⁽⁴⁶⁾.

إلا أن الثابت أن هناك مجموعة من الأهداف الاستراتيجية تسعى تركيا إلى تحقيقها وفي مقدمتها جعل تركيا الأقوى عسكرياً في المنطقة، كدولة مصنعة للأسلحة وتقوم بتصدير الأسلحة بأنواعها إلى دول المنطقة ومنها الدول العربية، وكذلك تتقاسم هي وإسرائيل مسؤولية وضع الترتيبات الأمنية للنظام الإقليمي الشرق أوسطي؛ وذلك على قاعدة تحالفهما الإستراتيجي مع الولايات المتحدة.

أما الموقف السوري من هذا التحالف، فقد عملت سورية على حشد دعم عربي ضد التحالف التركي الإسرائيلي، وضد سلوك أنقرة بشأن المياه وشمال العراق، كما عملت على توطيد علاقاتها مع إيران وبدرجة أقل مع اليونان وأرمينيا كخطوات "كابحة" أو "موازنة" لتطور التحالف التركي الإسرائيلي. وقد اتهمت تركيا سورية بالوقوف وراء الحملة المعارضة لها في العالم العربي بشأن تحالفها مع إسرائيل⁽⁴⁷⁾.

رابعاً: التطورات الأخيرة في العلاقات التركية السورية:

يمكن وصف العلاقات التركية السورية حالياً بأنها في قمة تطورها الإيجابي وبشكل لم تتوقعه قيادتا كلا البلدين، حيث باتت هذه العلاقات أقرب إلى التحالف الاستراتيجي بين الجانبين منها إلى علاقة صداقة وتعاون واعتماد متبادل؛ وخصوصاً بعد توقيع البلدين اتفاقية التعاون الإستراتيجي عام 2009م، والتي عبرت عن تطور أوسع في علاقات البلدين من مجرد التعاون الأمني الذي كان محور اهتمام البلدين منذ عام 1998م، إضافة إلى ظهور العديد من مؤشرات التعاون العسكري بينهما والتي كان أبرزها المناورات العسكرية التي أقامتها تركيا وسورية في ربيع عام 2009م، وأيضاً في ربيع 2010م، كما تطورت العلاقات الاقتصادية بينهما بشكل واضح منذ عام 2004م، وقد تم تعزيز ذلك من خلال توقيع اتفاقية التجارة الحرة بين البلدين والتي دخلت حيز التنفيذ في عام 2007م، وساهمت في إعطاء زخم للجهود الموجهة نحو دفع العلاقات الثنائية⁽⁴⁸⁾.

وحقيقة الأمر، كان عام 2004م عاماً تاريخياً في ملف العلاقات التركية السورية، ففي الأيام الأولى من هذا العام قام الرئيس بشار الأسد بزيارة تاريخية إلى تركيا في (6/يناير/2004م) التقى فيها الرئيس التركي أحمد نجديت سيزار ورجب طيب أردوغان زعيم حزب العدالة والتنمية ورئيس الوزراء عبد الله غول، ورئيس البرلمان بولنت أربيج. ومباشرة بعد انتهاء زيارة الرئيس الأسد تسارعت خطوات التقارب بين الدولتين، فبعد هذه الزيارة بأسبوعين بدأت أنقرة بإزالة الألغام عن

الحدود التركية - السورية، في حين سلمت دمشق أنقرة 70 عضواً من حزب العمال الكردستاني⁽⁴⁹⁾.

أما بالنسبة للملف المائي الذي شغل حيزاً كبيراً في تفاعلات العلاقات التركية السورية خلال العقود الأخيرة السابقة، فيلاحظ أنه في خضم هذه التطورات المتسارعة في العلاقات بين البلدين قد بدأ هذا الملف يتراجع في أهميته إلى درجات دنيا على سلم أولوية العلاقات الثنائية. فمنذ بداية التوجه السوري إلى تحسين العلاقات مع تركيا ظهرت محاولات واضحة لتغيب الملف المائي عن المحاور الأساسية للعلاقات نظراً لحساسية هذا الملف؛ والخشية من كونه قد يمثل عائقاً أمام تطور العلاقات. وهذا ما أكدته الرئيس السوري بشار الأسد في (يناير/ 2004م) في حديث إلى محطة (سي أن أن تورك) التلفزيونية عشية زيارته إلى تركيا. ورداً على سؤال حول أهمية الملف المائي في العلاقات السورية التركية، قال الرئيس السوري:

"إن موضوع المياه هو إحدى النقاط التي كنا نعتبرها نقطة خلافية لعقود؛ وكلما تطورت علاقاتنا تراجعت تدريجياً موضوعات الخلاف، ويجب أن تحل هذه القضية بصورة تخدم مصالح كلا البلدين؛ لكن يجب أن نعطي لكل موضوع حقه من الوقت، إذ توجد قضايا تحتاج إلى مزيد من الوقت. أنا متفائل بأنه يمكن حل قضايانا؛ لأنه يوجد عندنا نية طيبة بالقدر الموجود لدى المسؤولين الأتراك والشعب التركي"⁽⁵⁰⁾.

وعلى الجانب التركي أيضاً، نلاحظ التقليل من أهميته التنازع حول المياه مع سورية على تطور العلاقات بين البلدين؛ فقد أشار رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان أثناء زيارته إلى سورية في (22/ديسمبر/2004م) لصحيفة الثورة السورية إلى أنه يمكن لسورية أن تزيد من استخدام المياه بين البلدين.

وكذلك تضمنت مذكرة التفاهم التي تم توقيعها في (17/أكتوبر/2007م) ضرورة إقامة تعاون على حوض دجلة والفرات على أساس التنمية المائية المستدامة وزيادة الزيارات المتبادلة وتبادل الآراء والأفكار في مجال المياه لتحقيق هذا الهدف. إضافة لبذل الجهود وتحقيق المشروع المقترح لبناء سد مشترك على نهر العاصي، واستكشاف الفرص لتطوير مشروعات ري مشتركة في المنطقة بالاستفادة من مياه نهر الفرات⁽⁵¹⁾.

كما أكد الرئيس التركي عبد الله غول في كلمته خلال المنتدى الدولي الخامس للمياه الذي عقد في اسطنبول في (17/مارس/2009م) أن جميع التطورات بشأن المياه بين تركيا وسورية والعراق ستكون إيجابية. وظهر تطور العلاقات التركية السورية وكأنه تجاوز الكثير من العراقيل التي كانت سبباً للتوتر في العلاقات بين الجانبين وخاصة فيما يتعلق بملف المياه. وهذا ما أكدته

الاتفاق الذي وقعه وزير الخارجية التركي أحمد داوود أوغلو ووزير الخارجية السوري وليد المعلم خلال زيارة الرئيس بشار الأسد إلى اسطنبول في (سبتمبر/2009م)، وهو الاتفاق الذي يتضمن إعلاناً لتأسيس "تعاون إستراتيجي رفيع المستوى" يشمل كل المجالات عبر اجتماعات دورية برئاسة رئيس الوزراء ومشاركة ثمانية وزراء بينهم وزيراً الدفاع والداخلية⁽⁵²⁾.

أما بالنسبة للقضية الخلافية الأخرى والتي تتمثل في قضية لواء الإسكندرونة؛ ففي الوقت الحالي لم تعد تؤثر هذه القضية على مجرى العلاقات البينية؛ باعتبار سورية لم تعد تطرح قضية لواء الإسكندرونة كقضية من قضايا سياستها الخارجية، وإن كان ذلك لا يزال ممكناً. كما سبق لتركيا أن طالبت سورية مراراً وتكراراً بالكف عن اعتبار اللواء (أرضاً سورية)، إلا أنها لم تلح على "تقنين" مطالبها تلك في أي نص اتفاقي بين الدولتين. ويمكن تفسير ذلك على أنه تفهم تركي لحساسية قضية الإسكندرونة لدى السوريين الذين يرفضون هذا المطلب بشكل قاطع. ويبدو أن الطرفين قد توصلا إلى مقاربة ضمنية للموضوع بأن افترض كل منهما أنه قابل للتأويل أو التقييم من منظور مختلف، وأن تكون المقاربة "إيجابية" لجهة جعل المسألة الحدودية حيزاً للتلاقي والتفاعل المتبادل وليس حيزاً للنزاع.

أما فيما يخص مسألة الحدود في جانبها الأمني؛ فقد انتهت حالياً بعض الاتفاقيات الأمنية والبروتوكولات الأخرى الخاصة بإجراءات التبادل التجاري، وتسهيل تنقل الناس والبضائع.. الخ، فيمكن أن يشهد هذا المجال تطوراً هاماً خلال السنوات القادمة، بشرط استمرار الإرادة السياسية للتقارب بين الدولتين⁽⁵³⁾.

أما بالنسبة للمخاوف السورية بخصوص العلاقات التركية الإسرائيلية، ففي وسع المتأمل أو المتابع للشأن التركي أن يستشعر مسحة من عدم الثقة من جانب تركية اتجاه إسرائيل وحلفائها الغربيين تدفعها بالحاح للبحث عن خيارات وبدائل إقليمية ودولية لسياستها وتحركاتها؛ حيث سعت أنقرة إلى تذويب الخلافات، وتعزيز التقارب مع دوائر إقليمية ودولية معينة، كسوريا وإيران، والعراق، وأرمينيا، ودول الخليج، وروسيا، لكنها في الوقت ذاته أتاحت الفرصة لأن يتسلل شيء من التوتر والجفاء إلى علاقتها الوثيقة مع إسرائيل؛ والتي تعد إحدى الركائز الأساسية لعلاقات أنقرة مع الولايات المتحدة وأوروبا، حيث تزامن تفاقم واستمرار التوتر في العلاقات التركية الإسرائيلية مع تنامي التقارب التركي من سورية؛ والتي كان توتر العلاقات بينهما أحد الروافد المغذية للتلاقي التركي الإسرائيلي فيما مضى⁽⁵⁴⁾.

أما اليوم فالتوجه يبدو معاكساً، حيث توثقت العلاقات التركية السورية وخاصة في المجال الدفاعي إلى حد إجراء المناورات العسكرية المشتركة، وهو ما يمكن وصفه بأنه رد على إلغاء مشاركة إسرائيل في مناورات نسر الأناضول.

ويمكن الادعاء بأن التوتر الراهن في العلاقات التركية- الإسرائيلية لم يكن وليد اليوم؛ وإنما هو نتاج لتراكمات من المد والجزر والاحتقان المكتوم بين البلدين ازدادت وطأته إثر بعض التطورات المحلية والإقليمية المهمة التي بدأت بوصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة في نوفمبر من عام 2002 وتشكيله الحكومة التركية منفرداً، ومن بعد ذلك الغزو الأمريكي للعراق عام 2003م وما استتبع من تداعيات على العلاقات بين أنقرة وواشنطن عقب افتضاح المخططات الأمريكية والإسرائيلية حيال إنشاء كيان كردي مستقل في شمال العراق مما يشكل تهديداً للأمن القومي التركي مروراً بتصعيد تل أبيب لخروقاتها ضد الفلسطينيين على نحو أفرز ضغوطات هائلة على حكومة العدالة والتنمية ذات الجذور الإسلامية، وعزز من فرص تفجر الخلافات بين أنقرة وواشنطن على أكثر من صعيد. أضف إلى ذلك فشل تركية مراراً وتكراراً في الانضمام للاتحاد الأوروبي⁽⁵⁵⁾.

ونتيجة لذلك قام رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان بالتوجه صوب العالم العربي لتعزيز موقفه، وجذب المسلمين في تركية لتأييد حزبه الحاكم، حيث قام بشجب الغزو الإسرائيلي لقطاع غزة في ديسمبر 2008م، بل وذهب إلى أبعد من ذلك عندما عبر عن غضبه من إسرائيل خلال مشاركته في منتدى دافوس الاقتصادي بأن غادر جلسة نقاش مشتركة كان يحضرها الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز متهماً إسرائيل بأنها احترفت الإجرام في تقتيل الفلسطينيين.

وفي ضربة مدوية للإسرائيليين تلقى التعاون العسكري بين البلدين والذي يسير بخطى واثقة منذ عام 1996م صفة قوية بإقدام السلطات التركية على تجميد عمليات التنسيق والتشاور مع الإسرائيليين في مجال الاستخبارات، ثم إلغائها مناقصات وعقوداً كانت قد أبرمتها مع الصناعات الحربية الإسرائيلية، فضلاً عن صفقة أخرى في مجال الأقمار الاصطناعية⁽⁵⁶⁾.

وعندما أبحرت قافلة الحرية نحو غزة لكسر الحصار الإسرائيلي عليها هاجمت القوات الإسرائيلية القافلة فجر يوم (31/مايو/ 2010م)، وعندما حاولت قوات البحرية الإسرائيلية الصعود إلى السفينة التركية "مرمره الزرقاء" (قائدة أسطول الحرية) عن طريق الزوارق البحرية ولكنها فشلت. لجأت بعد ذلك لاستخدام الطائرات المروحية والحيال. وقبل أن ينزل الجنود على سطح السفينة ألقوا القنابل الصوتية وقنابل الغاز، كما أطلقوا النيران بشكل عشوائي؛ الأمر الذي أدى لمقتل تسعة عشر ناشطاً، منهم تسعة أتراك وإصابة ستة وعشرين آخرين، وتم الاستيلاء على السفينة وإرغامها على التوجه إلى ميناء أسدود⁽⁵⁷⁾.

حيث احتجت تركية بشدة على العدوان الإسرائيلي، واتهم رجب طيب أردوغان إسرائيل بممارسة إرهاب الدولة ووصفه بأنه عمل يتعارض مع مبادئ القانون الدولي. وقد بادرت تركية بسحب سفيرها من تل أبيب محذرة من أن الحادث يمكن أن يترتب عليه عواقب لا يمكن إصلاحها

في العلاقات الثنائية. ودعت تركية مجلس الأمن للانعقاد، ودعت أيضاً لاجتماع طارئ لحلف الناتو لبحث العدوان. كما ألغت تركية مناورات عسكرية مشتركة، كما فعلت من قبل لتكون هذه المرة الثالثة على التوالي التي تؤجل فيها أنقرة مناورات عسكرية مع إسرائيل⁽⁵⁸⁾.

وحقيقة الأمر، رغم كل هذا التقارب والتجاذب الحاصل في العلاقات التركية السورية إلا أن كلا البلدين لم يستطيعا إيجاد حلول جذرية للملفات العالقة بينهما؛ أي أن احتمالات التنافس بينهما يمكن أن تبقى قائمة وتقود العلاقات بين الجانبين مرة أخرى إلى حالة من الخلاف والتعقيد في العلاقات.

فيالنسبة لمشكلة مياه دجلة والفرات لم تقم حكومة العدالة والتنمية بإدخال أية تغييرات إيجابية ملموسة على إستراتيجية تركية في هذا الخصوص والقائمة على زيادة حصة سورية من المياه بشكل رمزي ومحدود لا يرقى إلى حصصها القانونية، مثلما لا يليب احتياجاتها منها بقدر ما ترمي إلى مساعدتها وتأهيلها لتحرير السبل الكفيلة بتحقيق الاستغلال الأمثل لتلك الحصص القائمة بالفعل من دون إعادة النظر فيها حسبما تقضي الموثائق والأعراف الدولية التي تنظم استغلال المياه بين الدول المشتركة في أنهار دولية كدجلة والفرات⁽⁵⁹⁾

أما القضية الشائكة الثانية؛ فتتمثل في الطموحات السورية في استعادة الأراضي المحتلة من قبل تركية (لواء الإسكندرونة) فصحيح أن سورية عملت على تجنب إثارة هذا الملف مع الجانب التركي لأنها تداركت أن إثارته تعني إعادة حالة التوتر إلى العلاقات بين كلا البلدين، لكن هذا لا يعني إغلاق هذا الملف.

وبخصوص العلاقات التركية الإسرائيلية، والتي تشكل هاجساً لسورية وحذرها من التحالف الاستراتيجي بين تركية وإسرائيل؛ فعلى الرغم من أن تركية في ظل حزب العدالة والتنمية قد أظهرت الكثير من الابتعاد عن خطوط التحالف الاستراتيجي التركي - الإسرائيلي تمثل ذلك بإلغاء العديد من الصفقات في المجال العسكري وكذلك التعاون المائي بين تركية وإسرائيل⁽⁶⁰⁾

إضافة إلى الموقف التركي من العدوان الإسرائيلي على غزة أواخر 2008م، وبداية العام 2009م، ومن ثم قيام البحرية الإسرائيلية بقتل 9 ناشطين مدنيين من الأتراك في البحر المتوسط في قافلة الحرية لفك الحصار عن غزة، إلا أن تركية ستظل حتى ولو بقي حزب العدالة والتنمية الحاكم ذلك صديقاً لإسرائيل ولن تتم قطيعة بين البلدين ونجد ذلك ترجمته في:

أولاً: اللقاء السري الذي جرى في 2010/6/30م بين وزير الخارجية التركي أحمد داود أوغلو ووزير الصناعة والتجارة الإسرائيلي بنيامين بن اليعازر في مدينة أمستردام.

ثانياً: إرسال 20 عسكرياً تركياً للتدريب في النقب على استخدام طائرات تعمل من دون طيار.

ثالثاً: أعلن رئيس الأركان الإسرائيلي أنه تمت مناورة بين جيشي البلدين في أعقاب حادث أسطول الحرية.

رابعاً: سريان اتفاقية قيمتها 190 مليون دولار لشراء طائرات من دون طيار، كما لم تلغ التعاملات التجارية المدنية بين البلدين امتداداً من قطاع المنسوجات وصولاً إلى نظم الري التي كانت تمثل قرابة 3 مليارات دولار خلال العام 2009م.

كما أن هناك العامل الأمريكي وهو عامل رئيس في هذا الموضوع؛ فقد أبدت واشنطن قلقاً متزايداً من تردي العلاقات التركية مع إسرائيل وكلتاهما من حلفائهما وتؤديان لها أدواراً إستراتيجية هامة في المنطقة لكنها انزعجت من التوجهات التركية الجديدة بإعلانها أن السلوك التركي يؤثر بالسلب على علاقتها مع الولايات المتحدة وحلفائها في "الناطو". وفي هذا السياق أيضاً، حذر "فيليب جوردون" مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية " من "أن التصرفات التركية"، قد وضعت حقيقة "توجهاتها" موضع الشك؛ وهو ما يزيد من درجة الصعوبة التي تواجهها الولايات المتحدة في تلبية بعض المطالب التي تحتجها تركيا من الولايات المتحدة، ويجب على تركيا أن تثبت إخلاصها وولاءها للناطو" (61).

ولذا في أعقاب تعكير صفو العلاقات مع إسرائيل والذي رافقه الموقف التركي رفض التصويت على حزمة رابعة من العقوبات على إيران ما أغضب واشنطن بشدة؛ سارعت الحكومة التركية إلى إرسال وفد رفيع المستوى من كبار المستشارين السياسيين الأتراك بهدف الحوار مع إدارة أوباما والكونغرس والأوساط السياسية الأمريكية. وقد بدا ذلك واضحاً من قلق الحكومة التركية على حدوث قطيعة تامة بين تركيا والولايات المتحدة. بل أبدى الوفد حرصاً على أن يقدم بلاده بصورة القوى الدولية المسؤولة، وليس مجرد دولة منحرفة عن مسارها ومؤيدة للجماعات الإسلامية المتطرفة. وهناك من أعضاء الوفد التركي من يحاجج بأن اتساع شعبية تركية مؤخراً في أوساط الفلسطينيين يتم على حساب إيران. وفي نظرهم أن هذا التطور إيجابي يجب تشجيعه والوقوف إلى جانبه بدلاً من معاداته. كما أن حزب العدالة يعرف حق المعرفة أنه لا تكفي الثقة الشعبية فيه، وأن العلمانية المتجذرة المتمثلة في الجيش الذي مس الحزب هيئته، وفي المحكمة العليا التي يريد الحزب تقليص أظافرها قادرة على إسقاطه وواشنطن هي من يمنع ويصد. ففي (2010/9/12م) أيد الرئيس أوباما والاتحاد الأوروبي التعديلات الدستورية التي قام بها حزب العدالة والتنمية والتي نجحت بعد عرضها على الاستفتاء من قبل الشعب التركي، والتي تحد من صلاحيات الجيش والمحكمة العليا.

حزب العدالة والتنمية يثمن موقف واشنطن تجاهه فهي التي منعت الجيش من حظره قبيل الإنتخابات البرلمانية التي قادته إلى الحكم في (نوفمبر/2002م). وبعد فوز الحزب في الانتخابات

كان الاحتضان الأمريكي والغربي لحزب العدالة والتنمية باعتباره مثلاً تطبيقياً لما تقول أمريكا عن الإسلام السياسي في لحظة تبرير غزو العراق، والتهويل على الأنظمة العربية بتغييرها إن لم تنسجم بشكل كامل مع المشروع الأمريكي في العراق والشرق الأوسط هي من يمنع ويصد. كما تلقت الولايات المتحدة عرضاً من القادة في الجيش التركي عام 2006م للقيام بانقلاب على الحكومة التركية لحزب العدالة والتنمية إلا أن إدارة الرئيس جورج دبليو بوش رفضت ذلك⁽⁶²⁾.

وواشنطن تدعم تركية في معركة انضمامها للاتحاد الأوروبي وخاصة أن حزب العدالة والتنمية الذي جاء للحكم لأول مرة عام 2002م ببرنامج انتخابي يتصدره تعهد الحزب بدفع مفاوضات الإنضمام مع الاتحاد الأوروبي وإجراء الإصلاحات اللازمة من أجل تحقيق هذا الهدف العزيز⁽⁶³⁾.

خامساً: الخاتمة والسيناريوهات المستقبلية للعلاقات التركية السورية:

بعد محاولة الإجابة عن سؤال الدراسة (ما هي أسس وموضوعات ومرتكزات العلاقات التركية السورية خلال الفترة الزمنية 2002 – 2010م فيما يتعلق بالقضايا والمسائل التي شكلت محاور تلك العلاقات؟) التي بُني على فرضيتها، لا بد من عرض ما يلي:

1. لقد اتسمت العلاقات التركية السورية بحالة من العداء والتأزم منذ استقلال سورية عام 1946م حتى عام 1998م، وذلك نتيجة عدة أسباب كان من أهمها مسألة لواء الإسكندرونة، والإتهامات التركية لسورية بدعم حزب العمال الكردستاني المعارض لتركية، ومشكلة المياه⁽⁶⁴⁾.
2. لقد بدأت مشاهد العلاقات التركية السورية بالتحسن بعد انتهاء أزمة عام 1998م، حيث تم التوقيع على اتفاقية "أضنه" وتم التوصل إلى ما يسمى الورقة الكردية الحدودية.
3. شهدت العلاقات التركية السورية تطوراً ملحوظاً منذ وصول حزب العدالة والتنمية إلى الحكم عام 2002م، وكان من أهم أسباب تحسن هذه العلاقات تبني الحزب سياسة جديدة والتي تعمل على: سياسة تعدد البعد التي انتهجها الحزب في سياسته الخارجية؛ حيث كان لها نتائج طيبة على علاقات تركية مع جميع الدول العربية والإسلامية دون استثناء وخاصة سورية. كما تبني الحزب سياسة خارجية تقوم على تفسير المشكلات مع الدول المحيطة بتركية. وتهدف تركية من تبني هذه السياسة بأن تخرج من كونها بلداً طرفاً إلى أن تكون بلداً مركزاً؛ أي الوقوف مسافة واحدة من كل الأطراف، وتحويلها إلى نقطة جذب لا نفور، وهنا الأهمية التركيز على العمق الجغرافي والتاريخي لتركية، والمقصود هنا تحديداً العلاقات مع العالم العربي⁽⁶⁵⁾.

4. الملاحظ، أنه تزامن مع تطور وتحسن العلاقات التركية السورية تفاقم واستمرار التوتر في العلاقات التركية الإسرائيلية؛ حيث كان توتر العلاقات بين أنقرة ودمشق أحد الروافد المغذية للتلاقي التركي الإسرائيلي فيما مضى، حيث كان الخلاف العميق بين تركيا وسورية حول المياه وحزب العمال الكردستاني خلال فترة التسعينيات من القرن الماضي من أبرز العوامل التي أدت إلى التقارب العسكري بين تركيا وإسرائيل.

أما اليوم، فالتوجه يبدو معاكساً، حيث أنشأت تركيا وسورية المجلس الاستراتيجي الأعلى للتعاون بين الدولتين، كما ألغتا تأشيرات السفر بينهما. والأهم أنهما شرعنا في توثيق تعاونهما الدفاعي إلى حد إجراء المناورات العسكرية المشتركة، حتى أنهما اختارتا المناورات الدولية التي كان من المقرر أن تشترك فيها إسرائيل؛ وهو ما تعتبره الأخيرة تعزيزاً لمكانة سورية وتقوية لموقفها التفاوضي⁽⁶⁶⁾.

5. رغم التطور والانفتاح في العلاقات التركية السورية إلا أن هناك العديد من القضايا العالقة التي لم يشملها التفاهم، أو تم تجاهلها من قبل سياسيي كلا البلدين؛ لأن إثارتها تعني إعادة الأجواء المضطربة إلى العلاقات بينهما مرة أخرى، ومن ثم لم تفتح هذه الملفات رغم أهميتها وقدرتها على تغيير العلاقات التركية السورية في المستقبل كمشكلة المياه ولواء الإسكندرون والتعاون العسكري بين تركيا وإسرائيل.

6. الملاحظ أنه على الرغم من أن توجه سياسة تركيا نحو الشرق الأوسط ونحو العالمين العربي والإسلامي إلا أن ذلك لا ينعكس على علاقاتها مع الغرب وإسرائيل، فهي تحتفظ بعلاقات ممتازة مع الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي. لكن تركيا قررت ممارسة ضغوط على إسرائيل بسبب الضغط الشعبي على حكومة أردوغان، لكنها لا تدبر ظهرها للغرب، فأردوغان لم يتنازل عن حلم الانضمام للاتحاد الأوروبي، ولا عن العلاقات المميزة مع واشنطن⁽⁶⁷⁾.

فلا شك أن ارتباطات تركيا الاستراتيجية بالغرب وأمريكا وحلف الأطلسي تحول دون قطع هذه العلاقات. وكما هو معروف فإن اللوبي اليهودي يسيطر على أروقة صناعة القرار في الولايات المتحدة، وأن الساسة الأتراك يدركون أن خطب ودّه سيعود في صورة دعم أمريكي في الملف القبرصي والأرمني والكرد، وهي المعوقات التي تحول دون تحقيق الرغبة التركية في الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي⁽⁶⁸⁾.

وبناءً على المعطيات والمؤشرات السابقة يمكن توقع السيناريوهات المستقبلية للعلاقات التركية السورية في ظل التطورات الجديدة كما يلي:

1- السيناريو الأول:

من المتوقع أن تتطور العلاقات التركية السورية بحيث تصل إلى مستوى التحالف الاستراتيجي، إلا أن هذا السيناريو مستبعد؛ وذلك لأنه في حال حدوث ذلك فإنه سوف يكون على حساب العلاقات التركية الإسرائيلية حيث أن الارتباطات التركية الاستراتيجية بالغرب وأمريكا وحلف الإطنطي تحول دون ذلك. ناهيك عن أهمية علاقات التعاون التركي الإسرائيلي في الجانبين العسكري والاقتصادي. فعلى الرغم من أجواء التوتر التي شابت العلاقات بينهما، إلا أن أنقرة تدرك مدى أهمية العلاقة مع إسرائيل.

2- السيناريو الثاني:

من المحتمل تردي العلاقات التركية السورية بسبب القضايا والملفات العالقة بين كلا الدولتين مثل: مشكلة المياه ولواء الإسكندرونة، إلا أن هذا السيناريو مستبعد؛ خاصة أن هناك تفهم من ساسة كلا البلدين بتجاهل هذه القضايا الخلافية، وعدم إثارتها على المدى القصير على الأقل، لأن كلتا الدولتين تدركان أن مجرد إثارتها تعني إعادة الأجواء المضطربة إلى العلاقات بينهما مرة أخرى.

3- السيناريو الثالث:

استمرار تطور والمحافظة على العلاقات التركية السورية مع المحافظة على علاقاتها مع الغرب وإسرائيل، وهذا السيناريو محتمل؛ فكلما البلدين يدركان مدى أهمية المحافظة على علاقاتهما فهما بحاجة إلى التنسيق في العديد من القضايا والتي تهم كلا البلدين خاصة بعد خروج القوات الأمريكية من العراق.

إلا أن تطور العلاقات التركية السورية بشكل خاص، والتركيب العربية والإسلامية بشكل عام لن تكون بديلاً عن إلزام تركيا بتحالفها مع الغرب وإسرائيل. لكن على الرغم من تمسك أنقرة بتحالفها مع الغرب إلى حد بعيد. فإنه لم يعد التحالف الوحيد الذي تسعى أنقرة إلى توطيده، وفي الوقت نفسه لا تسعى إلى استبداله بآخر.

ولكن تركيا في عهد حزب العدالة والتنمية تعمل على تنويع وتوسيع تحالفاتها الخارجية مع منح قدر من الاهتمام إلى المحيطين العربي والإسلامي اللذين تم تجاهلهم لفترة من جانب أنقرة؛ فوفق نظرية "العمق الاستراتيجي" التي يتبناها حزب العدالة والتنمية فإن تركيا يمكنها التحول إلى لاعب مستقل يشكل حلقة الوصل بين مختلف التحالفات على الساحة الدولية بدلاً من أن يصبح مجرد جزء من تحالف ضد آخر أو بعبارة أخرى - وكما قال وزير الخارجية التركي في تصريحات لمجلة إيكونوميست - "إن تركيا يمكنها أن تكون أوروبية في أوروبا، وشرقية في الشرق؛ لأنها كلتاها معاً"⁽⁶⁹⁾.

وهذا ما يفسر أسباب الانفتاح التركي على سورية.

The Turkish-Syrian Relations (2002-2010)

Saddah El-Habashneh, *Department of Political Science, Muatah University, Al-Karak, Jordan.*

Abstract

This study has aimed at addressing and discussing the main aspects and envisaged future scenarios of the Turkish-Syrian relation since the ascension to power in Turkey of the Justice and Development Party (AKP) in 2002. The study used analytical and descriptive approaches and has concluded that:

First: the Turkish-Syrian relations have witnessed a remarkable development after the coming to power in Turkey of the Justice and Development Party, with its Islamic background. AKP has adopted a multiple-dimension policy which has had influential effect on the Turkish relation with the Islamic and Arab worlds. The party policy has been concentrated on minimizing controversial issues with neighboring countries, working on making Turkey as an attractive core, not marginal, country through emphasizing the historical and geographic importance of Turkey and its relations with the Arab countries and Iran. For these considerations the AKP has adopted a policy of openness towards Syria realizing its implicit importance as a proper ally, with its influential role in the future of the region, the future of Iraq and the Arab-Israeli conflict.

Second: on the other side, it is noted that Syria, since the occupation of Iraq in 2003, has found itself in political isolation. Syria found its opportunity to end this situation by enhancing its relation with Turkey. Turkey, therefore, has played crucial role to put and end to the international isolation of Syria and, furthermore, helped with refining the American-Syrian relation, and prevented USA from targeting Syria and encourage negotiation between the two countries. Turkey succeed in mediate between Syria and Israel and patronized indirect negotiations between the two countries in 2008. Also, Turkey realizes the Syrian importance and role in the future of the region and the Arab Israeli conflict.

Third: the improvement of the Turkish-Syrian relation has coincided with deprecation in the Turkish-Israeli relation. Formerly, Turkish-Syrian discord had been source of Turkish-Israeli accord. Turkish-Syrian dispute during the 1990s resulted from conflict over water and disagreement over the militant Kurdistan Workers' Party presence in Syria, these factors led to Turkish-Israeli corroboration during that period.

Fourth: Turkish-Syrian relation has improved, yet, there are some controversial issues between the two countries as the water issue, the Iskenderun question and the Turkish-Israeli military corporation.

It seems that the anticipated the Turkish-Syrian relation will improve, yet not at the expense of the Turkish relations with the West and Israel.

Key words: Turkish-Syrian relations, Rajab Tayyip Erdoan, Justice and Development Party, future of the Turkish-Syrian Relations.

قدم البحث للنشر في 2010/12/16 وقبل في 2011/3/23

الهوامش

- 1 Seyfi Tashan, Contemporary Turkish Policies in the Middle East :Prospects and Constraints, Middle East Review, 17(3), spring 1985, p.p .12-13.
- 2 U . C .Hwiwit Diplomalny in the Near and Middle East, Documentary Records 1914-1965, vol .II, pp.214-215.
- 3 سعيد، عبد المنعم، العرب ودول الجوار الجغرافي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1987م، ص74.
- 4 الكيلاني، هيثم، تركيا والعرب، دراسات في العلاقات العربية التركية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الطبعة الأولى، 1996م، ص26.
- 5 الجهماني، يوسف إبراهيم، تركيا وسورية، دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق/ الطبعة الأولى، 1999، ص27
- 6 nachmani, A .Israel, Turkey and Greece .Un easy, relations in the east mediteranean London :frank cass, 1987.
- 7 الجهماني، يوسف إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص49.
- 8 أبو العز، محمد صفي الدين، العلاقات العربية التركية من منظور عربي، معهد البحوث والدراسات العربية، الجزء الأول، 1991، ص 334.
- 9 المرجع السابق، ص 336-337.
- 10 U.S Department of state, strobe Talbott, Deputy secretary Turgut ozal memorial lecture /US-Turkish Relations in an age of interdependence, Washington Near Fast policy .October .14/1998.
- 11 الجهماني، يوسف إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص 58-59.
- 12 كوشي، عمر، العلاقات السورية التركية من التأزم إلى التعاون، 12 / 11 / 2009م، متوفر عبر الموقع www.aljazeera.net.
- 13 سري الدين، عايد العلي، العرب والفرات بين تركيا وإسرائيل، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1997 ص 43.

- 14 مجلة العصر، تقدم إستراتيجي حثيث في العلاقات الاسرائيلية التركية في مهب الريح، متوفر عبر الموقع الإلكتروني www.alasr.ws/index.
- 15 أوغلو، أحمد داود، العمق الاستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، مركز الجزيرة للدراسات، الطبعة العربية الأولى، 2009، ص 65.
- 16 راشد، سامح، سورية وإسرائيل.. التفاوض لأهداف أخرى، السياسة الدولية، العدد 174، أكتوبر 2008م، المجلد 43، ص 171.
- 17 المرجع السابق، ص 173 - 174.
- 18 كوشي، عمر، مرجع سبق ذكره، متوفر عبر الموقع www.aljazeera.net.
- 19 أبو الحسن، خالد محمد، العلاقات التركية الإسرائيلية بين التوتر والإستقرار، مجله دراسات شرق أوسطية، العدد، السنة 13، خريف 2009م، ص 70.
- 20 جريدة السياسة، إتباع إستراتيجية أمن إقليمي أمريكية تعترف بأفضليات محلية في التطويق والإحاطة، 2010/7/22م، متوفر عبر الموقع الإلكتروني www.syassah.com.
- 21 شرعان، عمار، هل تستثمر تركيا علاقاتها بإسرائيل لضمان تخلي سورية عن لواء الإسكندرون؟، المركز العربي الديمقراطي العربي للدراسات السياسية والإستراتيجية والإقتصادية، 2010/10/1، متوفر عبر الموقع الإلكتروني www.annidaa.org.
- 22 نور الدين، محمد، العلاقات التركية السورية: مرتكزات "نظام إقليمي" جديد، 19/سبتمبر/2009م، متوفر عبر الموقع الإلكتروني www.ara.ch.swissinfo.
- 23 بكرو، نجلاء، حجم التبادل التجارة السورية التركية يتجاوز 2 مليار دولار في 2009، 12/ديسمبر/2009، موقع الرؤية الإقتصادية، متوفر عبر الموقع الإلكتروني alroya.com.
- 24 المرجع السابق.
- 25 كوشي، عمر، مرجع سابق، متوفر عبر الموقع www.aljazeera.net.
- 26 Sylvia kedorie, f.d, seventy –riveyears of the Turkish, middle eastern studies, special edition, frankcass publications, volume 35, October 1999, p.p.132-133.
- 27 شرعان، عمار، مرجع سبق ذكره، متوفر عبر الموقع الإلكتروني www.annidaa.org.
- 28 John kolars. << problems of international River management :The Case Of Euphrates >> paper presented a:t Middle East Water Forum, cairo, 7-10 february, 1993, pp.9-10.
- 29 Transboundary Water Disbutes In The Middle East, prospects for regional cooperation, Ankara, Bilkent University, 2-3 september, 1,1992, p.15.

- 30 G.Hafner, The Application of optimum utilization principle to the Euphrates and Tigri Drainage basin report delivered at: Bilkent university ,Ankara, September, 1994.
- 31 كولوغو، أورهان وآخرون، العلاقات العربية التركية حوار مستقبلي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت كانون الثاني/ يناير/ 1995، ص، ص 179.
- 32 المرجع السابق، ص 180.
- 33 عبد الفتاح، بشير، أبعاد التحول في علاقات تركية الإقليمية، السياسة الدولية، العدد 179، يناير 2010، المجلد 45، ص136.
- 34 shaw.s .Ahistory of the ottoman empire and modern Turkey.cambridge, 1977, vol.I, p51.
- 35 سعيد، عبد المنعم، العرب ودول الجوار الجغرافي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1987، ص ص75-76.
- 36 دليل المعلم، سورية 1916-1946م، دمشق: دار طلاس، الطبعة الأولى، 1998م، ص313.
- 37 نور الدين، محمد، العلاقات التركية السورية، شؤون الأوسط، مركز الدراسات الإستراتيجية، العدد 113، 2004، ص213.
- 38 Nageeb Essa, proceeding of the centre for arab unity studies, on Turkish-Arabic Relations, 1993, p385.
- 39 صحيفة الحياة اللندنية، 18/حزيران/ 1998، العدد 12889.
- 40 نور الدين، محمد، العلاقات التركية السورية، مرجع سبق ذكره، ص213.
- 41 المرجع السابق، ص213.
- 42 مسلم، طلعت، متطلبات الأمن العسكري العربي في مطلع القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين، الطبعة الثانية، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994، ص 242.
- 43 عبد الله، جلال معوض، العلاقات التركية الإسرائيلية حتى نهاية الثمانينيات، شؤون عربية، القاهرة، العدد 88، ديسمبر، كانون الأول، 1996، ص127.
- 44 العزاوي، وصال، تطورات التحالف التركي الإسرائيلي والأمن العربي، دراسات شرق أوسطية، السنة الخامسة، العدد 12، صيف 2000م، ص16.
- 45 دلي، خورشيد، المناورات التركية - الإسرائيلية في المتوسط، مجله الأوج، العدد 7، 1998، ص16.
- 46 نور الدين، محمد، القمة التركية الأولى، ارتجال وانقسام، شؤون تركية، 1992، العدد 4152، أنقرة، ص31.

- 47 المرجع السابق، ص31.
- 48 Mona yacoubain, Dealing with Damascus :seeking a greater return on u.s. syria relations, newyork :council on foreign relations, 2009.
- 49 رضوان، وليد، مشكلة المياه بين سورية وتركيا، شركه المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2006، ص37.
- 50 نيوف، حيان، مشكلة المياه السورية التركية، تحليلات سياسية، 2004/10/2م، متوفر عبر الموقع الإلكتروني www.elaph.com.
- 51 نور الدين، محمد، العلاقات العربية - التركية، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر القومي العربي، (2-3) تشرين أول/أكتوبر، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، بيروت، 2009، ص5.
- 52 المرجع السابق، ص66.
- 53 محفوظ، عقيل، سورية وتركيا:الواقع الراهن واحتمالات المستقبل،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،2009، ص121.
- 54 عبد الفتاح، بشير، أبعاد التحول في علاقات تركيا الإقليمية، مرجع سبق ذكره، ص134.
- 55 عبد الفتاح، بشير، الجوار الإقليمي ومستقبل السلام في المنطقة، جريدة عمان، 2010/1/3م متوفر عبر الموقع الإلكتروني www.daily.oman.com.
- 56 المرجع السابق.
- 57 الدسوقي، أبو بكر، العدوان على قافلة الحرية، قرصنة إسرائيلية وإدانة عالمية، السياسة الدولية، العدد181، يوليو 2010، المجلد 45 ص174.
- 58 المرجع السابق، ص ص 176-177.
- 59 عبد الفتاح، بشير، أبعاد التحول في علاقات تركيا الإقليمية، مرجع سبق ذكره، ص 136.
- 60 هويدي، فهمي، حين وجدت أنقرة أن إسرائيل هي الحل، صحيفة الشرق الأوسط، السعودية، 11/مايو 2005/.
- 61 أسطول الحرية: أزمة جديدة في العلاقات التركية الإسرائيلية المتعثرة، 2010/6/15، متوفر عبر الموقع الإلكتروني net.aljazeera.com.
- 62 المرجع السابق.
- 63 نجاح حكومة العدالة والتنمية في إجراء التعديلات الدستورية، 2010/9/13، متوفر عبر الموقع الإلكتروني net.aljazeera.com.
- 64 كوشي، عمر، مرجع سبق ذكره، متوفر عبر الموقع الإلكتروني net.aljazeera.com.
- 65 ديمتري، هاني عادل، مرجع سبق ذكره، ص145.

- 66 عبد الفتاح، بشير، أبعاد التحول في علاقات تركيا الإقليمية، مرجع سبق ذكره، ص 134.
- 67 وتد، نضال، تركيا وإسرائيل عراك وتعاون أمني وثيق، جريدة إيلاف الإلكترونية، 2009/12/17، متوفر عبر الموقع الإلكتروني www.elaph.com.
- 68 الشيمي، أحمد حسن، أنقرة وتل أبيب.. أهداف مشتركة أم مصالح متناقضة!!، 20 فبراير 2008، متوفر عبر الموقع الإلكتروني www.islamonline.net.
- 69 Cordesman, Anthon y H., "The Armenian Genocide Bill and The Turkish Reaction in Iraq", CSIS, October 15, 2007

المراجع باللغة العربية

- أبو الحسن، خالد محمد. (2009). العلاقات التركية الإسرائيلية بين التوتر والإستقرار، مجله دراسات شرق أوسطية، العدد، السنة 13، خريف، ص70.
- أبو العز، محمد صفي الدين. (1991). العلاقات العربية التركية من منظور عربي، معهد البحوث والدراسات العربية، الجزء الأول، ص 334-337.
- أوغلو، أحمد داود. (2009). العمق الاستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة محمد جابر ثلجي وطارق عبد الجليل، مركز الجزيرة للدراسات، الطبعة العربية الأولى، ص65.
- بكرو، نجلاء. (2009). حجم التبادل التجارة السورية التركية يتجاوز 2 مليار دولار في 2009، 12/ديسمبر، موقع الرؤية الاقتصادية، متوفر عبر الموقع الإلكتروني www.alroya.com.
- جريدة السياسة. (2010). إتباع إستراتيجية أمن إقليمي أمريكية تعترف بأفضليات محلية في التطويق والإحاطة، 7/22، متوفر عبر الموقع الإلكتروني www.syassah.com.
- الجهماني، يوسف إبراهيم. (1999). تركيا وسورية، دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق/ الطبعة الأولى، ص، ص27-49.
- الدسوقي، أبو بكر. (2010). العدوان على قافلة الحرية، قرصنة إسرائيلية وإدانة عالمية، السياسة الدولية، العدد 181، يوليو، المجلد 45 ص174.

- دليل المعلم، (1916-1946) سورية ، دمشق: دار طلاس، الطبعة الأولى، 1998م، ص313.
- دلي، خورشيد. (1998). المناورات التركية - الإسرائيلية في المتوسط، مجله الأوج، العدد 7، ص16.
- ديمتري، هاني عادل. (2003). معضلات سياسة تركية الخارجية اتجاه الأزمة العراقية، السياسة الدولية، العدد 152، ابريل، ص145.
- راشد، سامح. (2008). سورية وإسرائيل.. التفاوض الأهداف أخرى، السياسة الدولية، العدد 174، أكتوبر 2008 م، المجلد 43، ص، ص 171 - 174.
- رضوان، وليد. (2006). مشكلة المياه بين سورية وتركيا، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ص37.
- سري الدين، عايد العلي. (1997). العرب والفرات بين تركيا وإسرائيل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص 43.
- سعيد، عبد المنعم. (1987). العرب ودول الجوار الجغرافي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص ص74-76.
- شرعان، عمار. (2010). هل تستثمر تركيا علاقاتها بإسرائيل لضمان تخلي سورية عن لواء الإسكندرون؟، المركز العربي الديمقراطي للعربي للدراسات السياسية والإستراتيجية والإقتصادية، 10/1، متوفر عبر الموقع الإلكتروني www.annidaa.org.
- الشمي، أحمد حسن. (2008). أنقرة وتل أبيب.. أهداف مشتركة أم مصالح متناقضة!!، 20 فبراير، متوفر عبر الموقع الإلكتروني www.islamonline.net.
- صحيفة الحياة اللندنية، (1998). 18/حزيران، العدد 12889.
- عبد الفتاح، بشير. (2010). الجوار الإقليمي ومستقبل السلام في المنطقة، جريدة عمان، 1/3، متوفر عبر الموقع الإلكتروني www.daily.oman.com.
- عبد الفتاح، بشير. (2010). أبعاد التحول في علاقات تركيا الإقليمية، السياسة الدولية، العدد 179، يناير، المجلد 45، ص136.

- عبد الله، جلال معوض. (1996). العلاقات التركية الإسرائيلية حتى نهاية الثمانينيات، شؤون عربية، القاهرة، العدد 88، ديسمبر، كانون الأول، ص127.
- العزاوي، وصال. (2000). تطورات التحالف التركي الإسرائيلي والأمن العربي، دراسات شرق أوسطيه، السنة الخامسة، العدد 12، ص16.
- قناة الجزيرة. (2010). أسطول الحرية: أزمة جديدة في العلاقات التركية الإسرائيلية المتعثرة، 6/15، متوفر عبر الموقع الإلكتروني www.aljazeera.net.
- قناة الجزيرة. (2010). نجاح حكومة العدالة والتنمية في إجراء التعديلات الدستورية، 9/13، متوفر عبر الموقع الإلكتروني www.aljazeera.net.
- كوشي، عمر. (2009). العلاقات السورية التركية... من التأزم إلى التعاون، 11/12، متوفر عبر الموقع الإلكتروني www.aljazeera.net.
- كولوغو، أورهان وآخرون. (1995). العلاقات العربية التركية حوار مستقبلي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت كانون الثاني/يناير، ص ص 179.
- الكيلاني، هيثم. (1996). تركيا والعرب، دراسات في العلاقات العربية التركية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الطبعة الأولى، ص26.
- مجلة العصر. (د.ت). تقدم إستراتيجي حثيث في العلاقات الإسرائيلية التركية في مهب الريح، متوفر عبر الموقع الإلكتروني www.alasr.ws/index.
- محفوظ، عقيل. (2009). سورية وتركيا: الواقع الراهن واحتمالات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص121.
- مسلم، طلعت. (1994). متطلبات الأمن العسكري العربي في مطلع القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين، الطبعة الثانية، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 242.
- نور الدين، محمد. (1992). القمة التركية الأولى، ارتجال وانقسام، شؤون تركية، العدد 4152، أنقرة، ص31.
- نور الدين، محمد. (2004). العلاقات التركية السورية، شؤون الأوسط، مركز الدراسات الإستراتيجية، العدد 113، ص213.

- نور الدين، محمد. (2009). *العلاقات التركية السورية: مرتكزات "نظام إقليمي" جديد*، 19/سبتمبر، متوفر عبر الموقع الإلكتروني swissinfo.ch/arawww.
- نور الدين، محمد. (2009). *العلاقات العربية - التركية*، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر القومي العربي، (2-3) تشرين أول/أكتوبر، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، بيروت، ص5.
- نيوف، حيان. (2004). *مشكلة المياه السورية التركية، تحليلات سياسية*، 10/2، متوفر عبر الموقع الإلكتروني www.elaph.com.
- هويدي، فهمي. (2005). *حين وجدت أنقرة أن إسرائيل هي الحل، صحيفة الشرق الأوسط*، السعودية، 11/مايو.
- وتد، نضال. (2009). *تركية وإسرائيل عراك وتعاون أممي وثيق، جريدة إيلاف الإلكترونية*، 12/17، متوفر عبر الموقع الإلكتروني www.elaph.com.

المراجع باللغة الإنجليزية:

- Cordesman, A. Y. H. (2007). "The Armenian Genocide Bill and The Turkish Reaction in Iraq", *CSIS*, October 15.
- Essa, N. (1993). *proceeding of the center for arab unity studies*, on Turkish-Arabic Relations, p385.
- Hafner, G. (1994). *The Application of optimum utilization principle to the Euphrates and Tigri Drainage basin report delivered at: Bilkent university, Ankara*, September.
- kolars, J. (1993). *problems of international River management: The Case Of Euphrates*, paper presented at *Middle East Water Forum*, cairo, 7-10 february, pp.9-10.
- Nachmani, A. (1987). *Israel, Turkey and Greece. Un easy, relations in the east mediteranean* (London: frank cass).
- Shaw, S. (1977). *Ahistory of the ottoman empire and modern Turkey*. cambridge, vol.I, p51.

- Sylvia Kedorie, F .d. (1999). seventy –riveyears of the Turkish, *Middle Eastern Studies*, special edition, frankcass publications, volume 35, October, p.p.132-133.
- Tashan, S. (1985). Contemporary Turkish polities in the middle East: prospects and constraints, *middle East Review*, 17(3), spring, p.p. 12-13.
- Transboundary Water Disbutes In The Middle East*. (1992). prospects for regional cooperation, Ankara, Bilkent University, 2-3 september, 1, p.15.
- U.C. Hwiwit Diplomaly in the near and middle East. (n.d.). *A documentary Records 1914-1965*, vol. II, pp.214-215.
- U.S Department of state. (1998). strobe Talbott, Deputy secretary Turgut ozal memorial lecture / US-Turkish Relations in an age of interdependence, *Washington Near Fast policy*. October. 14.
- Yacoubain, M. (2009). Dealing with Damascus: seeking a greater return on u.s. syria relations, *newyork: council on foreign relations*.

التضمنين النحوي في تفسير "التحرير والتنوير" لابن عاشور

(1296هـ = 1879م - 1393هـ = 1973م)

مأمون تيسير مباركة*

ملخص

يُعَدُّ تفسير ابن عاشور المسمى تفسير "التحرير والتنوير" أشهر ما عرف به، وتظهر فيه البلاغة القرآنية في أوج صورها، ويتميز هذا التفسير بأنه جاء جامعاً لما سبقه من تفاسير، فأتى شاملاً في تناوله لما يعرضه السابقون من آراء ناظرًا فيها محصاً ومرجحاً، ولقد عُني ابن عاشور باللغة وفنونها في تفسيره أيما عناية، وتنبه إلى ما في القرآن من لفتات بيانية وأساليب لغوية حوت في نظمها وتركيبها، إعجازاً لغوياً قصر عنه العرب الفصحاء أصحاب الفصاحة والبلاغة الذين نزل القرآن بلغتهم وبين ظهراينهم، ومن أبرز القضايا النحوية التي عالجها ابن عاشور في تفسيره كانت قضية التضمنين النحوي في أي القرآن الكريم، ولقد اتسمت معالجته لهذه القضية بالغزارة والتنوع والتوسع في التحليل وعرض الآراء، غير أن دراسته للتضمنين النحوي شابها كثير من الخلط والاضطراب والتناقض الذي بدا واضحاً في كثير من شواهد التضمنين التي تعرض لها.

المقدمة

التضمنين النحوي في الدرس اللغوي:

لقد بحث علماء اللغة والنحو ومفسرو القرآن التضمنين النحوي، وفصلوا الحديث في تعريفه ومفهومه وأقسامه وعلاقته بقضيتي اللزوم والتعدي، والأصل والفرع، واللافت في الأمر أن درجة العناية الكبرى بالتضمنين النحوي درساً وتحليلاً إنما كانت في سياق الدراسات القرآنية وما يتصل بالنص القرآني من شروح وتوضيحات، ولقد جاءت المساحة الكبرى من دراسة التضمنين ضمن تفسير القرآن الكريم، وتوضيح ما يتصل بالنص القرآني من جوانب بلاغية ولغوية وإعجازية.

ومعنى التضمنين النحوي في العربية: "إشراب اللفظ معنى لفظ آخر وإعطاؤه حكمه، لتؤدي الكلمة معنى كلمتين". (1)

و يُعرّف مجمع اللغة العربية في القاهرة التضمين بما يلي: "التضمين أن يؤدي فعل - أو ما في معناه - مؤدّى فعل آخر أو ما في معناه فيُعطى حكمه في التعدية وال لزوم".⁽²⁾

ويعتمد التضمين النحوي أساساً على قضية اللزوم والتعدي استناداً إلى الأصل والفرع في الاستعمال اللغوي، وقد تحدّث محمد حسن عواد عن تأثر النحاة بقضية الأصل والفرع في تضمين الأفعال، ورأى أن النحاة "كانوا يصدرون في هذه المسألة عن اعتقاد بالأصالة والفرعية... لذلك لا غرابة أن يقولوا: إن الفعل اللازم كذا قد تضمّن معنى المتعدي؛ لأن الأصل فيه هو اللزوم، وأن الفعل المتعدي كذا قد تضمّن معنى اللازم؛ لأن الأصل فيه هو التعدي، وأن الفعل المتعدي كذا قد تضمّن معنى المتعدي كذا؛ لأن الأصل أن يتعدى بحرف لا يتعدى به الآخر"⁽³⁾⁽⁴⁾ ومثال ذلك أن الفعل (لان) لازم في أصل الاستعمال اللغوي، غير أنه جاء في القرآن الكريم متعدياً بحرف الجر (إلى) في قوله - تعالى - {الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} [الزمر: 23]، ويعلّل ابن عاشور في "التحرير والتنوير" هذا التعدي على غير الأصل بتضمين الفعل لأن معنى الفعل اطمأن، يقول في ذلك: "وعدي فعل (تَلَيْنَ) بحرف (إلى) لتضمين (تَلَيْنَ) معنى: تطمئن وتسكن".⁽⁵⁾

مفهوم التضمين النحوي عند ابن عاشور:

إنّ المتتبع لشواهد التضمين النحوي في تفسير "التحرير والتنوير" لابن عاشور، لا يبذل جهداً كبيراً لإدراك حقيقة اعتداده بالتضمين النحوي وتخريجه بعضاً من استعمالات اللغة في شواهد القرآن على هذا التوجيه، ولقد زخر تفسيره بعشرات شواهد التضمين التي اعتمد - في توجيهها - على آراء العلماء السابقين في كثير من شواهد التضمين التي تعرّض لها بالتحليل والتفسير، غير أنّ هذا لا يعني أنه لم يتفرّد ببعض التوجيهات دون غيره فيما انبرى لتفسيره من أي الذكر الحكيم.

ولم يخرج مفهوم التضمين النحوي عند ابن عاشور عما أجمع عليه علماء اللغة والنحو من أنه "إشراب فعل معنى فعل آخر فيأخذ حكمه"⁽⁶⁾ غير أنّ ابن عاشور أضاف مصطلح (الوصف) كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وغيرها ليفرّق بينها وبين الفعل في الشكل لا في العمل؛ فكلّهما يقع فيه التضمين النحوي وتتحقق فيه شروطه، يتّضح هذا من تعريف التضمين بقوله: "والتضمين أن يضمّن الفعل أو الوصف معنى فعل أو وصف آخر، ويشار إلى المعنى المضمّن بذكر ما هو من متعلقاته من حرف أو معمول فيحصل في الجملة معنيان".⁽⁷⁾

غير أنَّ مفهوم التضمين النحوي عند ابن عاشور كان أكثر شمولاً؛ إذ لم يقتصر في تعريفه للتضمين على التضمين في الأفعال وما أشبهها، بل تعداه إلى التضمين في الأسماء، ومنها الأسماء المبنية التي يرى فيها - كما رأى غيره من النحاة - أنها مبنية لتضمينها معاني أخرى، ومن ذلك قوله: إنَّ (إذا) ظرف الزمان إنما بُنيَ لِتَضَمُّنِهِ معنى الشرط، ورأى أنَّ دليل ذلك اقتران جملة الشرط معها بالفاء، يقول ابن عاشور في (إذا) الواردة في قوله تعالى {فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صدَّقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ}، [محمد: 21]: "و(إذا) ظرف للزمان المستقبل وهو الغالب فيها فيكون ما بعدها مقدراً وجوده، أي: فإذا جد أمر القتال وحدث، وجملة (فلو صدَّقُوا اللَّهَ) دليل جواب (إذا) لأن (إذا) ضمنت هنا معنى الشرط، أي كذبوا الله وأخلفوا فلو صدَّقوا الله لكان خيراً لهم، واقتران جملة الجواب بالفاء للدلالة على تضمين (إذا) معنى الشرط، وذلك أحسن من تجريده عن الفاء إذا كانت جملة الجواب شرطية أيضاً".⁽⁸⁾

ومما يدلُّ على شمول مفهوم التضمين عند ابن عاشور أنَّه لم يقتصر على الحديث عن التضمين في النحو العربي، بل تعداه إلى معناه في مباحث أخرى من العربية، فتحدث عن التضمين البياني وأثر التضمين في بلاغة التركيب اللغوي كما سيمرُّ لاحقاً، ثمَّ إنَّه تحدَّث عن التضمين البلاغي في دائرة علم المعاني، وهو التضمين الذي يُوازي مفهوم الاقتباس من حيث تضمين الشاعر أو المتحدث كلامه كلام غيره مع العلم أنَّ الاقتباس يختلف عن التضمين البديعي في تغيير النص المُقتبس، ويشترك معه في عدم الإحالة إلى المصدر الأصل، ومن هذا القبيل استخدام ابن عاشور عبارة "ومن رام ذلك فقد رام والجوزاء دون مرامه"⁽⁹⁾ وقد أخذها من بيت للمعري وضمَّنها كلامه، ثمَّ أشار في الحاشية إلى وقوع التضمين في كلامه وإلى مصدر التضمين بقوله تعقيباً على العبارة السابقة: "تضمين لمصرع بيت المعري"⁽¹⁰⁾:

يَرُومُكَ وَالْجُوزَاءُ دُونَ مَرَامِهِ عَدُوٌّ يَعْيبُ الْبَدْرَ عِنْدَ تَمَامِهِ^{(11)»(12)}

وفي مبحث آخر من مباحث العربية تطرَّق ابن عاشور إلى مفهوم التضمين العروضي، وحاول الربط بينه وبين بعض آي الذكر الحكيم، وتمثل ذلك في تفسيره للعلاقة بين الآية الخامسة من سورة الفيل والآية الأولى من سورة قريش، وما بينهما من ترابط معنوي، فقد رأى ابن عاشور أنَّ معنى الآية الأولى مرتبط بالآية الثانية، متبنيّاً آراء لعلماء ربطوا بين هذه الآية ومفهوم التضمين العروضي الذي يعني: تعلق معنى البيت الأول بالبيت الثاني فلا يتمُّ إلا به، جاء في "التحرير والتنوير": "وجوز الفراء"⁽¹³⁾ وابن إسحاق⁽¹⁴⁾ في (السيرة) أن يكون {لِيلِافٍ قُرَيْشٍ} [قريش: 1]، متعلقاً بما في سورة الفيل من قوله: {فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ} [الفيل: 5]، قال

القرطبي⁽¹⁵⁾: وهو معنى قول مجاهد ورواية ابن جبير عن ابن عباس. قال الزمخشري⁽¹⁶⁾: وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقاً لا يصح إلا به"⁽¹⁷⁾.

اضطراب مفهوم التضمين عند ابن عاشور:

إنَّ المتتبع لآراء ابن عاشور حول التضمين النحوي يلحظ اضطراباً واضحاً في مفهوم التضمين عنده، على الرغم من أنَّ تفسيره يزخر بعشرات من شواهد التضمين التي أشار إليها في أثناء تفسيره لأيّ الذكر الحكيم، وقد حاول ابن عاشور قدرَ جهده أن يسلب الضوء على هذه الظاهرة في كثير من شواهد القرآن الكريم، غير أنَّ معنى التضمين وأساسه التي يبنّي عليها لم تكن بذلك الثابت أو بذلك الوضوح في ذهن صاحب التحرير التنوير، لذا فقد شابَ توجيهه لشواهد التضمين النحوي كثير من الخلط والاضطراب، وأحياناً التناقض.

ويظهر في تفسير ابن عاشور تأثره بمن سبقه من العلماء فيما يتعلّق بمفهوم التضمين ووقوعه في اللغة العربيّة قرآناً وشعراً ونثراً، فهو يرى أنَّ التضمين النحوي ضربٌ من التوسّع اللغوي الذي تتيحه اللغة العربيّة لما تتمتع به من خصائص وميزات تمكّنها من إيقاع فعل موقع فعلٍ آخر، فهو يرى أنَّ الأصل في الفعل (استبَق) في قوله تعالى: { فَاسْتَبَقُوا الْخَيْرَاتِ } [البقرة: ١٤٨]، أن يتعدّى بحرف الجر اللام، غير أنه تعدّى إلى المفعول بنفسه لتضمّنه معنى الفعل اغتنموا من قبيل التوسّع الذي تتيحه اللغة، يقول في توجيه الفعل السابق: "والاستباق افتعال والمراد به السبق وحقه التعدية باللام إلا أنه توسع فيه فعدي بنفسه كقوله تعالى: {وَاسْتَبَقَا الْبَابَ } [يوسف:25] أو على تضمين استبقوا معنى اغتنموا".⁽¹⁸⁾

وهذا الرأي في مفهوم التوسّع اللغوي الواقع في التضمين هو عينه ما قال به ابن جني: "اعلم أنَّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدّى بحرف والآخر بآخر فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر".⁽¹⁹⁾

غير أنَّ ابن عاشور خلط حين فرّق بين الاتساع في اللغة والتضمين الذي هو أثر ذلك الاتساع الذي عناه ابن عاشور ومقصوده، وكأنّهما مصطلحان مختلفان، وهذا واضح في قوله السابق: (إلا أنه توسع فيه فعدي بنفسه... أو على تضمين استبقوا معنى اغتنموا)، وليس هذا ما وجّه به ابن جني⁽²⁰⁾ رأيه في تعريفه للتضمين؛ لأنّ تخريج ابن عاشور تعدّي الفعل للمفعول على غير الأصل بتوجيه التضمين أو التوسّع يوهّم أنَّ التضمين النحوي يخرج من دائرة التوسّع اللغوي، وأنّهما مفهومان منفصلان، وهذا الأمر يتناقض مع تعريف ابن جني الذي يرى أنَّ التضمين إنّما هو ضرب من ضروب التوسّع اللغوي الذي تجيزه استعمالات اللغة العربية.

موقف ابن عاشور من قرينة التضمين النحوي:

التضمين البياني يشتمل على إرادة المعنيين: معنى الفعل المضمَّن مضافاً إلى معنى الفعل الوارد ذكره، ولعل في هذا الأمر زيادة في تأكيد المعنى وتثبيته، ولا بُدَّ من وجود قرينة في السياق تجمع بين المعنيين وتؤكد وقوع التضمين في الكلام، وإنما قالوا قرينة لأنه يشترط أن يُستدلَّ على المعنى الملحوظ بحرف وصلّة، فقد يُضمَّن الفعل اللازم معنى فعل متعدي، أو يضمَّن الفعل المتعدي إلى مفعوله الثاني بالحرف معنى فعل متعدي إلى مفعولين، وهنا لا تكون صلة تجمع بين الفعل المذكور والفعل المضمَّن، وإنما يشترط أن تقوم ثمة قرينة للتضمين وهذا ما ذهب إليه ابن كمال⁽²¹⁾ باشا⁽²²⁾ من أن ذكر الصلة التي هي قرينة التضمين غير لازم للتضمين لأن الفعل اللازم قد يتضمَّن معنى المتعدي، فتكون التعدية حينئذ هي القرينة الموجبة للتضمين، ويُستدلُّ على هذه القاعدة بتفسير الزمخشري لقوله تعالى: {فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ} [يس:66]، وهنا قدر أن الفعل وصل إلى المفعول من خلال حذف الجار أو على أساس أن الفعل تضمَّن معنى ابتدر.⁽²³⁾

والقرينة في التضمين قد تكون بتقدير حال من أحد الفعلين لتوجيه ورود التضمين بين الفعلين، وتحديد العلاقة اللغوية والنحوية التي تنتظمها، ولا يشترط في كل تضمين أن تقدَّر حال فتتعلّق بالفعل المذكور أو المحذوف، فهناك أمثلة من التضمين لا يجري عليها تعلّق الحال، وإنما يتم المعنى بوقوع التضمين تعدياً أو لزوماً أو اختلافاً في التعدي بحرف الجر؛ ففي تفسير الزمخشري لقوله - تعالى -: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ} [الزمر:53]، يورد في "الكشاف": "أسرفوا على أنفسهم، جنوا عليها بالإسراف في المعاصي والغلو فيها"⁽²⁴⁾ وهنا لم يقدر الزمخشري حالاً لتأويل التضمين، فلم يؤولها بقوله: جنوا على أنفسهم مسرفين فيها.⁽²⁵⁾

وليس تقدير الحال منفصلاً عن وقوع التضمين النحوي، كما أنه ليس أثراً لغوياً قائماً بذاته واقعاً في التركيب بحيث يصحّ توجيه الاستعمال اللغوي عليه دون إيقاع التضمين بالفعل وكأنه يختلف عن التضمين النحوي، وليس تقدير حال في أثناء توجيه التضمين مرتبطاً بعامل محذوف، ومن قال بذلك فقد وهم وأوقعه في ذلك أن أوائل العلماء قدرّوا حالاً لإجراء التضمين في التركيب وتوجيهه، فظنّ من جاء بعدهم أن هذا التقدير مرتبط بعامل محذوف، وقد عاب ابن كمال باشا على السعد التفتازاني وقوعه في هذا الوهم، ورأى أن هذا الوهم ساقه إليه سوء فهمه لتقدير الزمخشري للحال، يقول ابن كمال باشا: "الحق أن التضمين البياني هو التضمين النحوي وإنما جاء الوهم للسعد من عبارة "الكشاف" حيث قدر خارجين عن أمره فتوهم أنه تقدير لعامل آخر وليس كذلك بل هو تفسير للفعل المضمَّن".⁽²⁶⁾

فما تقدير الحال إلا تقدير لغوي يُعتمد إليه من أجل ضبط وقوع التضمين النحوي وتوجيهه في الفعل دون أن يكون له أثر في تركيب الاستعمال أو في التوجيه الإعرابي للتركيب، وبعبارة موجزة فإنَّ تقدير الحال في شواهد التضمين النحوي هو تقدير معنى لا تقدير إعراب، غير أنَّ ابن عاشور وهم فعلاً أنَّ تقدير حال للفعل توجيه إعرابي للاستعمال اللغوي يُعلِّل خروج الفعل عن أصل الاستعمال، ولم يعد هذا التوجيه جزءاً من تعليل التركيب على التضمين، والدليل على ما يذهب إليه الباحث أنَّ ابن عاشور وجَّه أحد التراكمات اللغوية على التضمين تارة وعلى تقدير حال تارة أخرى مما يوحي بأنَّ كلا التوجيهين منفصل عن الآخر، يقول في تفسير أحد شواهد التضمين النحوي الواردة في سورة آل عمران: "وقوله: {قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ}، [آل عمران: 52]، لعله قاله في ملأ بني إسرائيل إبلاغاً للدعوة، وقطعاً للمعذرة. والنصر يشمل إعلان الدين والدعوة إليه. ووصل وصف أنصاري بإلى إما على تضمين صفة أنصار معنى الضم؛ أي: مَنْ هم ضامون نصرهم إياي إلى نصر الله إياي؟، الذي وعدني به؛ إذ لا بد لحصول النصر من تحصيل سببه كما هي سنة الله: قال تعالى: {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ} [محمد: 7] على نحو قوله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ} [النساء: 2]: "أي ضامينها"⁽²⁷⁾ فهو ظرف لغة، وإما على جملة حالا من ياء المتكلم والمعنى في حال زهابي إلى الله، أي إلى تبليغ شريعته، فيكون المجرور ظرفاً مستقراً".⁽²⁸⁾

فالوصف (نصير) وجمعه أنصار لا يتعدى بحرف الجر (إلى) في أصل الاستعمال اللغوي، ولتعليل هذا الخروج عن أصل الاستعمال لجأ ابن عاشور إلى توجيهين اثنين: أولاً: تضمين (أنصار) معنى الضم، وتقدير المعنى: من أنصاري المنضمين إلى الله، وثانياً: تقدير حال محذوفة دلُّ عليها الجار والمجرور (إلى الله)، ويكون تقدير المعنى: من أنصاري حال زهابي إلى الله، وبذلك يكون الجار والمجرور متعلقين بالحال المحذوفة، وبذلك يكون ابن عاشور قد فصل بين مفهوم التضمين النحوي والحال المحذوفة المقدرة في التركيب.

فنحن - مثلاً - نقول في توجيه التضمين في الفعل (تأكلوا) في الآية السابقة: الأصل في الفعل أن يكون متعدياً إلى المفعول دون الحرف، غير أنه ورد في الآية متعدياً بحرف الجر (إلى) لتضمُّنه معنى الفعل ضم، وتقدير المعنى: ولا تأكلوا أموالهم ضامِّها إلى أموالكم، غير أنَّ هذا التقدير لا يعني وقوع هذه الحال حقيقة في التركيب، بل تمَّ تقديرها لِيُسْتَدلَّ على الفعل المحذوف (ضم) الذي تضمَّن الفعل المذكور (أكل) معناه.

وبناءً على وهم ابن عاشور في تحديد طبيعة الحال المقدرة في سياق التضمين، فقد كان موقفه من بلاغة التضمين وأثره الدلالي قاصراً عن تحديد طبيعة التضمين والأثر البلاغي المقصود منه، فتحديد ابن عاشور للحال مع التضمين واعتباره عامل النصب للحال محذوفاً جعله

يعتقد أن للتضمين بلاغة تتمثل في إيجاز الحذف، وهو إذا قال بذلك فإنه يخرج السياق اللغوي من دائرة التضمين إلى دائرة الحذف، لأن التضمين يستلزم بالضرورة وجود فعلين بينهما علاقة يكونان مقصودين في سياق الكلام مما يزيد المعنى قوة، أما القول بإيجاز الحذف فهو يرى أن الفعل الوارد مفرد في معناه ودلالته، وأن الفعل المحذوف المقدر لا علاقة له بالمذكور، بل إن المحذوف إنما هو عامل النصب في الحال المقدرة، وبالتالي فليس هو قرينة وقوع التضمين في الفعل المذكور، والغريب أن ابن عاشور جمع - في إحدى تعريفاته للتضمين - بين متناقضين: إرادة المعنيين في التضمين، وبلاغة إيجاز الحذف في هذا التضمين، يقول في تعريفه للتضمين: "ومن بديع الإيجاز في القرآن وأكثره ما يسمى بالتضمين، وهو يرجع إلى إيجاز الحذف، والتضمين: أن يضمن الفعل أو الوصف معنى فعل أو وصف آخر ويشار إلى المعنى المضمن بذكر ما هو من متعلقاته من حرف أو معمول فيحصل في الجملة معنيان". (29)

فابن عاشور يعد التضمين من مجاز الحذف، ويعتمد في رأيه على التعليق بحال محذوفة لا بالفعل المذكور، وهذا يعني أنه لا يوجد لفظ قد أشرب معنى لفظ آخر، وهذا يؤدي - في المحصلة - إلى الخروج عن التضمين، أي أن ما يعلق بحال محذوفة هو في دائرة مجاز الحذف، ولكنه خارج عن التضمين.

غير أن توجيهات ابن عاشور لكثير من مواضع التضمين النحوي في القرآن الكريم تناقض تعريفه لبلاغة التضمين النحوي، وتنافي قوله بأن التضمين النحوي يدخل في دائرة مجاز الحذف، وتنافي تعليقه الحال المقدرة بعامل محذوف يلغي العلاقة بين الفعلين، ففي بعض الشواهد أوضح ابن عاشور تلك العلاقة بين الفعلين، وأشار إلى أن معنى كلا الفعلين المذكور والمحذوف مقصود في المعنى، وبهما يتم قصد المقال، فانظر إلى توجيهه للتضمين في قوله - تعالى -: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ}، [البقرة: 173]، فهو يرى أن الفعل (أهّل) تضمن هنا معنى الفعل (تقرب)، ويرى أن كلا المعنيين مطلوب ومراد في السياق، بل إن السياق يحتاج المعنى الثاني لإيصال مدلول الآية المبني على تخصيص تحريم الذبح ليكون محصوراً فيما تقرب بذبحه لغير الله - تعالى -.

ومن أجل ذلك وجد ابن عاشور في التضمين في هذا الموضع فائدة بلاغية دلالية تزيد في تقوية المعنى وتوكيده وتوضيحه في ذهن السامع، ولا تقف فقط عند حدود بلاغة إيجاز الحذف كما رأى في مواضع أخرى؛ يقول في تفسير الآية: "فأهّل في الآية مبني للمجهول أي ما أهّل عليه المهل غير اسم الله، وضمن (أهّل) معنى تقرب فعدي لمتعلقه بالباء وباللام مثل تقرب، فالضمير المجرور بالباء عائد إلى ما (أهّل)، وفائدة هذا التضمين تحريم ما تقرب به لغير الله - تعالى - سواء نودي عليه باسم المتقرب إليه أم لا، والمراد بغير الله الأصنام ونحوها". (30)

ومما يدلُّ على اضطراب تعريف بلاغة التضمين النحوي عند ابن عاشور أنه لا يقف عند مفهوم معين لهذه البلاغة، فمن ناحية سبق أن رأى بلاغة التضمين تتمثل في إيجاز الحذف، ثم بيّن أنه رأى في التضمين معنى بلاغيًا يتمثل في توكيد المعنى وتثبيته في نفس السامع من خلال إرادة معنى الفعلين المذكور والمحذوف معًا في أن، ولم يقف ابن عاشور عند هذا الحد بل وجّه البلاغة في بعض نماذج التضمين على رأي ثالث له يتمثل في تخريج بعض شواهد التضمين على الاستعارة التمثيلية، وهو في ذلك يردُّ قول من سبقه من العلماء بتخريج هذه الشواهد على التضمين النحوي، ففي أحد توجيهاته لشاهد التضمين الوارد في قوله - تعالى - من سورة آل عمران: {وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ} [آل عمران: 176]، إذ الأصل في الفعل سارع أن يتعدّى بحرف الجر (إلى)، غير أنه تعدّى بحرف الجر (في) لأنه تضمّن معنى الفعل (وقع)، على تقدير معنى: يسارعون إلى الوقوع في الكفر، فقد علّل الألوسي التركيب بقوله: "ومعنى: {يسارعون في الكفر} يقعون فيه سريعاً لغاية حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه، ولتضمن المسارعة معنى الوقوع تعدت بـ (في) دون (إلى) الشائع تعديتها بها"⁽³¹⁾ غير أن ابن عاشور ردّ هذا الرأي ووجّه المعنى في الآية على الاستعارة التمثيلية، إذ يقول في هذا: "ومعنى (يسارعون في الكفر) يتوغلون فيه ويعجلون إلى إظهاره وتأبيده والعمل به عند سنوح الفرص، ويحرصون على إلقائه في نفوس الناس... ومعنى (يسارعون في الكفر): يتوغلون فيه ويعجلون إلى إظهاره... فقليل (32): (33) ذلك من التضمين، ضمن يسارعون معنى يقعون، فعدي بفي، وهي طريقة "الكشاف" وشروحه، وعندي أن هذا استعارة تمثيلية: شبه حال حرصهم وجدهم في تكفير الناس وإدخال الشك على المؤمنين وتربصهم الدوائر وانتهازهم الفرص بحال الطالب المسارع إلى تحصيل شيء يخشى أن يفوته وهو متوغل فيه متلبس به، فلذلك عدي بفي الدالة على سرعتهم سرعة الطالب التمكين، لا طالب الحصول، إذ هو حاصل عندهم".⁽³⁴⁾

وفي موضع آخر من مواضع التضمين النحوي، يعرض ابن عاشور رأياً يوجه الشاهد على التضمين، ثم يعدل عن هذا الرأي مفضلاً تعليل الشاهد على الاستعارة، ثم يفاضل بين الرأيين مفضلاً توجيهه على الاستعارة التي رأى فيها توجيهها أفضل وأحسن من القول بالتضمين النحوي، وردّ هذا في توجيهه للتضمين الواقع في تعدّي الصفة (حقيق) بحرف الجر (على) في قوله - تعالى - {حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ}، [الأعراف: 105]، يقول في ذلك: " قيل: ضمن (حقيق) معنى حريص فعدي بعلى إشارة إلى ذلك التضمين، وأحسن من هذا أن يضمن (حقيق) معنى مكين وتكون (على) استعارة للاستعلاء المجازي".⁽³⁵⁾

التضمين والتطور اللغوي:

وفي اتجاه آخر عاب ابن عاشور تحول التضمين النحوي إلى نماذج من التطور اللغوي بحيث تحولت هذه النماذج من استعمال خارج عن أصل الاستخدام اللغوي إلى استعمال مألوف، تداوله المتكلمون بالعربية حتى صار كأنه الأصل، ولم يعد الباحثون يلتفتون إلى ما في شواهد التضمين من لفتات لغوية ودلالية؛ لوضوح معناه المجازي الوارد على غير الأصل، وارتباط هذا المعنى الجديد بالتطور اللغوي الذي فرضته ظروف البيئة الاجتماعية، أو الحضارية، أو الدينية السائدة في عصر الاستعمال للتركيب، يظهر هذا الموقف في تفسيره لقوله - تعالى -: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ} [البقرة: 130]. يقول في التضمين الواقع في تعدّي الفعل (رغب) بحرف الجر (عن): "والرغبة طلب أمر محبوب: فحق فعلها أن يتعدى بفي، وقد يعدى بعن إذا ضُمَّن معنى العدول عن أمر، وكثر هذا التضمين في الكلام حتى صار منسياً". (36)

غير أن ابن عاشور نفسه وقع في الأمر عينه الذي نبه إليه حين عدّ أحد شواهد التضمين تطوراً لغوياً تبعاً لدلالته على حقيقة شرعية أصبحت واقعاً في الاستعمال، مُقرّاً أن هذا الاستعمال أضحى استعمالاً على الأصل، بحيث لا يرى ضرورة إلى استعمال الفعل على غير أصله لا بعلّة الحذف ولا بعلّة التضمين النحوي، وقد ورد رأيه هذا في أثناء توجيهه لتعدّي الفعل (يؤلي) بحرف الجر (من) مع أن أصل الاستعمال أن يتعدى الفعل بحرف الجر (على) في قوله - تعالى -: {لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ} [البقرة: 226]. يقول في هذا التعدّي: "أي على أن يؤتوا وقال - تعالى - هنا: (لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ) فعداه بمن، ولا حاجة إلى دعوى الحذف والتضمين. وأيا ما كان فالإيلاء، بعد نزول هذه الآية، صار حقيقة شرعية في هذا الحلف على الوصف المخصوص". (37)

التضمين وما يقابله ويعارضه من توجيهات:

ليس الاعتداد بالتضمين واحداً بين علماء اللغة والنحو، فكما وجد من العلماء من يقول به ويرى التعليل به على ما جاء عليه من شواهد اللغة، وجد من العلماء من لم يعتقد به ويُغلط من قال به، ولتعليل شواهد التضمين فسر المعارضون له هذه الشواهد على أوجه أخرى غير التضمين، فقالوا بتناوب الحروف عوضاً عن القول بتضمين فعل يتعدى بحرف معنى آخر يتعدى بآخر، وفسروا على نزع الخافض ما فسره غيرهم على تضمين فعل يتعدى بالحرف معنى فعل آخر يتعدى إلى المفعول وهكذا.

وعليه فمن اعتدّ بالتضمين ردّ القول بالتناوب أو نزع الخافض أو الزيادة وما إلى ذلك، والعكس صحيح، غير أن بعض النحاة والمفسرين كانوا - في أثناء شرحهم لبعض شواهد

التضمين - يعرضون الآراء المتعددة للقائلين بالتضمين وللقائلين بما يقابله من قضايا، وهم حين يفعلون ذلك إنما يعرضونه من قبيل تعدد الآراء والتوسع بالبحث، وهم - في هذا كله - يحتفظون برأيهم الشخصي في توجيه الشواهد ويعرضونه ويوضحونه، غير أن أمانتهم العلمية تستلزم منهم عرض الرأي وما يقابله أو يعارضه من وجهات نظر، وهم يلفتون النظر إلى أن ما يعرضونه من آراء إنما هي آراء متعددة لغيرهم من النحاة ولما ربما لا يتوافقوا معه من مواقف نحوية ولغوية.

فهذا أبو حيان الأندلسي⁽³⁸⁾ في "البحر المحيط" يقول بالتضمين ويعلل شواهد الآيات عليه، وهو إلى جانب ذلك يعرض الآراء التي تعارض القول بالتضمين، موضحاً أن القول بها غير القول بالتضمين، بل مقابل له، ثم بعد ذلك ينتصر للتضمين على غيره معللاً رأيه في هذا المجال. ففي تفسيره لقوله - تعالى -: {وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ} [البقرة: ١٤]، يقول: "و(إلى) هنا على معناها من انتهاء الغاية على معنى تضمين الفعل، أي صرفوا خلاهم إلى شياطينهم... وزعم قوم، منهم النضر بن شميل: أن (إلى) هنا بمعنى (مع)، أي: وإذا خلوا مع شياطينهم... ولا حجة في شيء من ذلك، وقيل: إلى بمعنى الباء، لأن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض، وهذا ضعيف، إذ نيابة الحرف عن الحرف لا يقول بها سيبويه، والخليل".⁽³⁹⁾

ومثل هذا الموقف نجده كذلك في الدر المصون، إذ لا يكتفي السمين الحلبي بعرض الآراء على أنها آراء متقابلة لوجهات نظر مختلفة في تعليل ما يعرضه من شواهد، بل يعرض رأيه منتصراً للتضمين على ما يقابله من قضايا، حدث هذا في أثناء تفسيره لقوله - تعالى - كذلك: {وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ} [البقرة: ١٤]، أورد في تفسير الآية: "ضَمَّنْ خَلاً معنى صَرَفَ فتعدى بالي، والمعنى: صرفوا خلاهم إلى شياطينهم، أو تضمَّن معنى ذهبوا وانصرفوا... وقيل: هي هنا بمعنى مع... وقيل: هي بمعنى الباء، وهذان القولان إنما يجوزان عند الكوفيين، وأما البصريون فلا يجيزون التجوز في الحروف لضعفها. وقيل: المعنى وإذا خلوا من المؤمنين إلى شياطينهم، ف (إلى) على بابها، قلت: وتقدير (من المؤمنين) لا يجعلها على بابها إلا بالتضمين المتقدم".⁽⁴⁰⁾

يتضح مما سبق أن القول بالتضمين لا يوافق القول بالتناوب أو نزع الخافض أو الحذف أو الزيادة، وهنا وقع الخلط عند ابن عاشور الذي لم يفرق بين التضمين وما يقابله من قضايا عرضناها سابقاً، بل تعامل مع هذه التوجيهات المتناقضة المتقابلة على أنها توجيهات يجوز قبول أحدها، دون أن يكون له موقف محدد من الآراء المتعددة لبعض شواهد التضمين التي انبرى لتفسيرها، يلحظ ذلك في أثناء تعليقه لتعدّي الفعل (استبقوا) إلى المفعول بنفسه مع أن الأصل أن يتعدى بحرف الجر اللام؛ فقد ظهر هذا الخلط عند ابن عاشور عند قوله بالنصب على نزع الخافض إلى جانب توجيه الشاهد على التضمين مقدماً النزاع على التضمين في تفسير قوله -

تعالى -: {فَاسْتَبِقُوا الصِّرَاطَ} [يس:66] "والاستباق: افتعال من سبق والافتعال دال على التكلف والاجتهاد في الفعل أي فبادروا، و(الصِّرَاطُ): الطريق الذي يمشى فيه، وتعدية فعل الاستباق إليه على حذف "إلى" بطريقة الحذف والإيصال، قال الشاعر:

تمرون الديار ولم تعوجوا⁽⁴¹⁾

أراد: تمرون على الديار، أو على تضمين "استبقوا" معنى ابتدروا، أي ابتدروا الصراط متسابقين، أي مسرعين لما دهمهم رجاء أن يصلوا إلى بيوتهم قبل أن يهلكوا فلم يبصروا الطريق، وتقدم قوله - تعالى -: {إِنَّا ذَهَبْنَا} في سورة يوسف [17]."⁽⁴²⁾

فهو إلى جانب تقديمه القول بنزع الخافض على القول بالتضمين، فإنه لم يفرّق بين الرأيين، ولم يوضّح آراء القائلين بالرأيين، ولم يلفت إلى أنّ هذين الرأيين متقابلان، وأنّ مصدرهما مختلف، لذا فقد ظهر الرأيان على أنّهما في السياق نفسه، ويجوز الأخذ بأيّهما أراد القارئ، كما أنّه لم يوضّح رأيه الشخصي من وجهتي النظر وعلى أيّهما يوجّه الشاهد.

ولعلّ تقديم ابن عاشور لنزع الخافض على القول بالتضمين يدل على ميله للنزع وتفضيله إياه على القول بالتناوب في هذا الموضع وإن لم يُصرّح بذلك، يؤيد ما نذهب إليه أنّ ابن عاشور استدّل بهذا الشاهد دليلاً على نزع الخافض في موضع آخر من مواضع تفسيره أي الذكر الحكيم، دون أن يورد إمكانية التعليل على التضمين النحوي؛ ورد هذا في تفسير قوله - تعالى -: {هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ} [ص: ٤٢]: يقول في الصّفة (مُغْتَسَلٌ) "وَمُغْتَسَلٌ اسم مفعول من فعل (اغتسل) أي مغتسل به فهو على حذف حرف الجر وإيصال المغتسل القاصر إلى المفعول مثل قوله:

تمرون الديار ولم تعوجوا"⁽⁴³⁾

الخاتمة

اتّضح مما تقدّم أنّ التضمين النحوي عند ابن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" لم يخرج عمّا قرّره النحاة في تعريفهم له، وهو يعني في حقيقته تضمين لفظ معنى لفظ آخر فيأخذ حكمه، وقد كان ابن عاشور أكثر شمولاً في تناوله لموضوع التضمين في مواضع التفسير المختلفة، وظهر أنّ التضمين النحوي عنده لا يقتصر على الأفعال فقط، بل يتعدّها إلى الأسماء والصفات، ويتّسع التضمين ليشمل مباحث أخرى غير التضمين النحوي فيدخل في البلاغة والبيان والعروض كذلك.

غير أنّ مفهوم التضمين عند ابن عاشور شابه كثير من الخلط والاضطراب الذي دلّ على عدم رسوخ المفهوم عند ابن عاشور، كما دلّ على عدم قدرته على التفريق بين التضمين النحوي

وما يقابله ويعارضه من قضايا اللغة كتناوب الحروف ونزع الخافض وزيادة الحروف، فخلط في كثير من الأحيان بين هذه المفاهيم وقدمها على أنها مترادفات للإطار القواعدي نفسه لا على أنها قضايا متقابلة متعارضة يستدعي الاعتقاد ببعضها ورداً سواها من المتقابلات.

أما فيما يتعلق بالجانب البلاغي المتصل بالتضمن النحوي فلعل أهم ما يميز عدم وضوحه عند ابن عاشور قضية وجود قرينة التضمن في السياق؛ ففي حين يضع العلماء للتضمن قرينة يُقدِّرون بها الفعل المحذوف خلط ابن عاشور في مفهوم الحال المقدرة التي تدل على الفعل المضمن في التركيب في سبيل تعيينها حالاً مناسباً من الفعل المقدّر، فهو عدّ هذه الحال المقدرة واقعة في التركيب دلالة وإعراباً، وعدّ عامل النصب فيها محذوفاً، وهو بهذا يُخرج التركيب عن أسلوب التضمن النحوي.

وقد ظهر اضطراب ابن عاشور وتناقض آرائه في التضمن من خلال عدم ثباته في موقفه من بلاغة التضمن النحوي، ففي حين صرّح أن التضمن من مجاز الحذف الذي يُخرجه من دائرة التضمن النحوي كما أسلفنا، فقد عدّه في كثير من الأحيان من قبيل بلاغة توكيد المعنى وتثبيته في ذهن المتلقّي، عاداً أن معنيي الفعلين المذكور والمحذوف مقصودان في السياق مما ينافي بإيجاز الحذف، ثم يأتي في اتجاه ثالث ويرى أن التضمن ما هو إلا من قبيل الاستعارة التمثيلية فلا داعي هنا إلى تقدير معنيين في السياق.

ومما يؤيد هذا التناقض والخلط أن ابن عاشور الذي انبرى لشواهد التضمن في القرآن بالدرس والتحليل عاب على الدرس اللغوي أن تتحول بعض شواهد التضمن النحوي إلى نماذج من التطور اللغوي، فيغفل القائلون بها آثارها البلاغية والدلالية والأسلوبية المقصودة لذاتها، ثم يصرّح في شواهد أخرى أنه لا حاجة إلى القول بالتضمن في هذه الشواهد لأنها أصبحت مفهومة الدلالة فصارت كالأصل الذي لا يُسأل عن علّة خروجه عن الأصل اللغوي.

غير أن هذا الاضطراب لا ينفي اجتهاد ابن عاشور في بحثه في التضمن النحوي، ومعالجته لعشرات من نماذجه عبر صفحات كتابه، إلى جانب معالجته لكثير من قضايا اللغة في مباحثها المختلفة.

نتائج البحث وتوصياته

خلص البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات يجملها الباحث في النقاط التالية:

- 1_ تفسير التحرير والتنوير من التفاسير المهمة للقرآن الكريم لما يشتمل عليه من مواضيع ومعالجات تتخطى التفسير القرآني إلى معالجة قضايا اللغة وعناصر الجمال والبلاغة والإبداع فيها

التضمين النحوي في تفسير "التحرير والتنوير" لابن عاشور (1296هـ = 1879م - 1393هـ = 1973م)

- 2_ كان التضمين النحوي أحد عناصر اللغة التي عالجها ابن عاشور، ويُعد التضمين وسيلة لإيصال قارئ القرآن الكريم إلى بلاغة النص القرآني، ودلالات الألفاظ والتراكيب بأبهى صورة.
- 3_ معالجة ابن عاشور لموضوع التضمين اتّسمت بالشمول والتقليد لمن سبقه إلى دراسة هذه الظاهرة.
- 4_ شاب معالجة ابن عاشور للتضمين الخلط والاضطراب، فجانّب في كثير من معالجاته للموضوع معنى التضمين النحوي كما فهمه السابقون وقعدوا له، وكانت هذه حقيقة التضمين فعلا في التركيب اللغوي.
- 5_ ظهر التناقض أحيانا على ابن عاشور في تناوله لشواهد التضمين في القرآن الكريم، فكان يتبنّى الرأي في موضع، ثم يتبنّى نقيضه في موضع آخر.
- 6_ يزخر تفسير التحرير والتنوير بطائفة كبيرة من اللفات اللغوية والمعالجات البلاغية التي تستحقّ الدراسة والبحث إلى جانب موضوع التضمين النحوي.

Embedding Grammar in Interpretation "Liberation and Enlightenment" to Ben Achour

Ma'moon Mobarakh, Department of Arabic, Domascos University, Domascos, Syria.

Abstract

The commentary of the Qur'an by Ibn 'Ashur, titled "*Tafsir al-Tahrir wa al-Tanwir*" (The Exegesis of Liberation and Enlightenment) is the most well-known book ever written by this scholar. It is considered one of the best books that studied the Qur'anic style and eloquence. One of the unique aspects of this Exegesis is its interest in collecting arguments and narrations of previous exegetes and critically analyzing and evaluating them. Ibn 'Ashur was very much concerned of linguistic issues related to the Qur'an, and he managed to discover and point out numerous rhetoric and linguistic approaches that clearly show the inimitability of the Qur'anic text that made the Arabs, in whose language the Qur'an was revealed, incapable of forming such a similar text. *Al-Tadmin* (inclusion of meanings) in the Qur'anic text was one of the main issues studied by Ibn 'Ashur. The way how he dealt with this issue in his Exegesis was rich, diverse, and wide, especially in presenting numerous arguments and discussing them. Yet it should be pointed out that his dealing with this matter in particular suffered from confusion, and sometimes contradictions in many of the examples of *al-Tadmin* that he examined and analyzed in his commentary.

قدم البحث للنشر في 2010/1/11 وقبل في 2011/3/23

الهوامش

- 1 _ انظر: الصبان، محمد بن علي، حاشية الصَّبَّان: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد (القاهرة: المكتبة الوقفية، ط1، د.ت)، ج2 ص138.
- 2 مجلة مجمع اللغة العربية القاهري، (القاهرة: المطبعة الأميرية ببولاق، 1936م). ج2 ص13.
- 3 عواد، محمد حسن، تناوب حروف الجر في لغة القرآن، (عمان، دار الفرقان، 1982م)، ص64.
- 4 عواد، محمد حسن، تناوب حروف الجر في لغة القرآن، (عمان، دار الفرقان، 1982م)، ص64.
- 5 ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م)، ج23 ص391.
- 6 انظر أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، معجم الكليات (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1419هـ، 1998م) ص575.
- 7 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1 ص123.
- 8 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج26 ص110.
- 9 المصدر السابق، ج30 ص636.
- 10 (363 هـ / 973 م - 449 هـ / 1057م)
- 11 المعري، أبو العلاء، سقط الزند (بيروت: دار بيروت / دار صادر، ط1، 1957م)، ص100.
- 12 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30 ص636 في الهامش.
- 13 (144هـ/761م - 207هـ/822م)
- 14 (85هـ/703م - 151هـ/768م)
- 15 (578هـ/1173م-671هـ/1273م)
- 16 (476 هـ / 1074 م - 538 هـ / 1143 م)
- 17 المصدر السابق نفسه، ج30 ص555.
- 18 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2 ص43.
- 19 بن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1952م)، ج2 ص308.
- 20 (320هـ/932م - 392هـ/1001م)
- 21 (873هـ/1468م - 940هـ/1534م)

- 22 ابن كمال باشا، رسالة في التضمين (القاهرة: دار الكتب المصرية برقم 389 مجاميع)، ص 322.
- 23 انظر الزمخشري، محمود بن عمر، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (بيروت: دار إحياء التراث العربي) ج 4 ص 27.
- 24 الزمخشري، الكشف، ج 4 ص 138.
- 25 انظر الزعبلوي، صلاح الدين، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق / بحث التضمين (دمشق: المجلد 55، 1980): ص 67.
- 26 الصبان، محمد بن علي، حاشية الصبّان، ج 2 ص 138.
- 27 الأصل أن يقول ابن عاشور (ضامّيها) على حذف النون للإضافة ولعلّه سقط من النسخ الطباعي.
- 28 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 3 ص 255.
- 29 المصدر السابق نفسه، ج 1 ص 123.
- 30 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 2 ص 120.
- 31 الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت) ج 3 ص 329.
- 32 هنا يشير ابن عاشور إلى تفسير الزمخشري للآية على تضمين الفعل (سارع) معنى (وقع)، يقول الزمخشري: "يسارعون في الكفر: يقعون فيه سريعا" ينظر: الكشف: 1 | 471
- 33 هنا يشير ابن عاشور إلى تفسير الزمخشري للآية على تضمين الفعل (سارع) معنى (وقع)، يقول الزمخشري: "يسارعون في الكفر: يقعون فيه سريعا" ينظر: الكشف: 1 | 471
- 34 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 4 ص 172.
- 35 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 9 ص 39.
- 36 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1 ص 725، وانظر تفسيره لقوله تعالى: {لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا} ج 4 ص 64.
- 37 المصدر السابق نفسه، ج 2 ص 385.
- 38 (654 هـ / 1256م، 745 هـ - 1344م)
- 39 الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، تفسير البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض (بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، 1993م)، ج 1 ص 201.

- 40 الحلبي، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط (دمشق: دار القلم، ط1، د.ت) ج1 ص145.
- 41 بن الخطفي، جرير، ديوان جرير، بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه (القاهرة: دار المعارف، ط3، د.ت)، ص278، ورواية البيت في الديوان: أتمضون الرسوم ولا تحيا كلامكم علي إذا حرام
- 42 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج23 ص52.
- 43 المصدر السابق نفسه، ج23 ص270.

المصادر والمراجع:

- ابن الخطفي، جرير. (د.ت). ديوان جرير، بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه (القاهرة: دار المعارف، ط3).
- ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984م). تفسير التحرير والتنوير (تونس: الدار التونسية للنشر).
- ابن كمال باشا. (د.ت). رسالة في التضمين (القاهرة: دار الكتب المصرية برقم 389 مجاميع).
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. (د.ت). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)
- الأندلسي، أبي حيان محمد بن يوسف. (1993م). تفسير البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1).
- بن جني، أبو الفتح عثمان. (1952م). الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2).
- الزعللوي، صلاح الدين. (1980م). مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق / بحث التضمين (دمشق: المجلد 55).
- الزمخشري، محمود بن عمر. (د.ت). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

التضمين النحوي في تفسير "التحرير والتنوير" لابن عاشور (1296هـ = 1879م - 1393هـ = 1973م)

- السمين الحلبي، ابن يوسف أحمد. (د.ت). الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط (دمشق: دار القلم، ط1).
- الصبان، محمد بن علي. (د.ت). حاشية الصَّبَّان: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد (القاهرة: المكتبة الوقفية، ط1).
- عواد، محمد حسن. (1982م). تناوب حروف الجر في لغة القرآن، (عمان، دار الفرقان)، ص64.
- الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى. (1419هـ، 1998م). معجم الكليات (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2).
- مجلة مجمع اللغة العربية القاهري، (القاهرة: المطبعة الأميرية ببولاق، 1936م).
- المعري، أبو العلاء. (1957م). سقط الزند (بيروت: دار بيروت / دار صادر، ط1).

مدى تقبل الأردنيين لإعلان الإنترنت

إبراهيم خصاونه*

ملخص

تناولت الدراسة إعلان الإنترنت في الأردن، إذ لم تعد الإنترنت وسيلة لتبادل المعلومات ورسائل البريد الإلكتروني وقراءة الأخبار والتسليّة وحسب، بل أصبحت منبراً لبناء أعمال تجارية إلكترونية تعمل على استقطاب المعلنين والعاملين في الحقل الإعلاني وتؤثر على متصفح الشبكة العنكبوتية.

وتطرقت الدراسة للإعلان الإلكتروني من زوايا متعددة، فعرفت الإعلان وميزاته، والإنترنت وتاريخه، ومن ثم عرضت العوامل التي أدت إلى ظهوره على الإنترنت، وميزات الإعلان عبر هذا النوع من وسائل الإعلان، وكذلك نشأته عالمياً ومحلياً ومن ثم تحدثت عن فائدته الاقتصادية.

وللتعرف على واقع الإعلان الإلكتروني في الأردن باعتباره نموذجاً يمكن من خلاله معرفة مستوى حضوره ومدى الإقبال عليه في ظل وجود وسائل إعلانية أخرى أعمدت الدراسة المسح الميداني فاستخدمت الاستبانة معتمدة العينة العشوائية للخروج بنتائج علمية.

وتكون مجتمع الدراسة من رواد مراكز الإنترنت في إربد- شارع الجامعة الذي يحظى بأعداد كبيرة من مراكز الإنترنت حيث دخل موسوعة جنس لكثرة مقاهي الإنترنت المنتشرة فيه حيث تعتبر هذه المنطقة حيوية لكونها تزخر برواد مراكز الإنترنت.

الدراسة وضعت فروضاً رئيسية وفرعية لقياس اتجاهات المجتمع حيال الإعلان الإلكتروني ومدى ارتباطه بالتصميم واللغة المستخدمة في صياغته وأسلوب إخراجه.

وهدفَت الدراسة إلى تقديم وصف حول الإعلان الإلكتروني والتعرف على العلاقة بين الإعلان الإلكتروني وأثره في اتخاذ القرار الشرائي للمستهلك، عبر دراسة ميدانية تم التوصل فيها إلى نتائج وعلى ضوءها وضعت توصيات ومقترحات لمتخذ القرار التسويقي.

وأشارت الدراسة إلى أن الإعلان الإلكتروني يأخذ طريقه نحو التطور المتزايد من عام لآخر، وتسعى الشركات لأن تكون رائدة في مجال الإعلان الإلكتروني واستقطاب أكبر عدد ممكن من المعلنين لكي يعلنوا في صفحاتهم الإلكترونية لكسب الأرباح بوضع إعلانات لمنتجات الشركات على اختلاف أنواعها.

وأكدت الدراسة ضرورة قيام الشركات باستثمار هذا النوع من الإعلانات للاستفادة من معطيات هذه الوسيلة الحديثة بالترويج لإعلانات السلع بصورتها الحقيقية دون تضليل للزبائن أو خداع للعملاء حتى لا تفقد هذه الشركات مصداقيتها وتخسر عملاءها وزبائننها. وخلصت إلى العديد من المقترحات التي تسهم في تحسين استخدام هذه الوسيلة في هذا الميدان.

مقدمة:

كان من أبرز نتائج ثورة المعلومات دخول الإنترنت إلى العالم من أوسع أبوابه حيث تنامي دوره وتعاظمت أهميته كوسيلة اتصال تفاعلية مبتكرة ليس فقط بالنسبة للأفراد؛ وإنما أيضاً بالنسبة للشركات والمؤسسات على اختلاف أنواعها وغيرها من الجهات المعنية بالاتصال والتواصل المعلوماتي والمعرفي عبر هذه التقنية الراقية.

الإعلان (Advertising)، هو أحد الأنشطة الإعلامية التي لا غنى عنها للأعمال الاقتصادية من صناعة وتجارة وخدمات وغيرها، وكذلك بالنسبة للمؤسسات والمنظمات الخيرية غير الربحية والتي بدون الإعلان عن مجهوداتها فلن تحصل على الدعم المجتمعي والتمويل المادي اللازم لاستمرارها في عملها وأدائها لرسالتها. (1)

وإذا كان الإعلان وسيلة لنقل الأفكار والمعلومات إلى الناس بهدف تغيير آرائهم أو تعزيزها، فليس من المستغرب إطلاقاً أن نجد شبكة الإنترنت تعج بالإعلانات على اختلاف أنواعها، فالإمكانيات الكبيرة التي توفرها هذه الخدمة للمعلنين بشكل خاص تجعلها من أكثر وسائل الترويج جاذبية وحضوراً خصوصاً إذا ما أحسن استخدامها وعرفت أسرارها وآلياتها. فالإعلان عبر الموقع الإلكتروني يختلف عن الإعلان التقليدي وإن كان جوهر وهدف الإعلان واحد وهو التأثير في المتلقين في محاولة لإقناعهم باتخاذ قرار أو إجراء معين مثل شراء سلعة أو الانتفاع من خدمة أو طلب معلومة معينة. (2)

إن الإنترنت من دون شك ثورة حقيقية وسوف تستمر في التطور والتقدم غير أن الأزمة الحالية سوف تتطلب اختراع شكل إعلاني أقوى تأثيراً وأقل تدخلاً من طرف المعلنين، إذ إن جل العلامات التجارية تستعمل اليوم عامل الإثارة خصوصاً عبر المنتديات والمدونات، فيما تؤكد بعض الدراسات أن الإنترنت سوف يصبح الوسيط الأول والأكثر تأثيراً على قرارات الأفراد الشخصية المرتبطة بعاداتهم الاستهلاكية. (3)

لقد فتحت شبكة الإنترنت مجاًلاً جديداً للمعرفة سوف تغير طريقة عمل معظم الشركات وتعطي التجار فرصة أكبر للتنافس والإعلان والانتشار والنجاح. فأصبح بإمكان الشركات أن توصل منتجاتها إلى السوق المحلية والإقليمية والعالمية بأسهل الطرق الممكنة. ويعتبر سوق الإعلان

والخدمات الترويجية على شبكة الإنترنت من أكثر المجالات التسويقية تأثراً في عصر المعلوماتية بعد انتشار الانترنت على نطاق واسع بما يوفره من فرصة للاستفادة من مزاياه التي ربما لا توفرها وسائل الإعلان الأخرى.

تمهيد

تتناول الدراسة موضوعاً حيوياً يتعلق بـ (مدى تقبل الأردنيين لإعلان الإنترنت)، وذلك لمعرفة مدى تقبل السوق الأردنية لهذا النوع من الإعلانات فقد أصبح أحد النشاطات التسويقية، ويسهم مع بقية أنواع الإعلانات في تقديم خدمات جلية للمستهلك والمعلن على حد سواء.

وتهدف الدراسة إلى التعرف على الأسباب التي تكمن وراء التوسع باستخدام إعلان الإنترنت كوسيلة ترويجية فعالة تخدم طرفي النشاط التسويقي المعلن والمستهلك وذلك بهدف الاستفادة من مزاياه بعد انتشار الإنترنت الذي بدأ يأخذ مداه في العالم بشكل عام والأردن بشكل خاص.

وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسته التي طبقت على مرتادي مقاهي الإنترنت في شارع الجامعة بمدينة أربد، حيث وضعت فرضية رئيسة وأربع فرضيات أخرى فرعية تم الاعتماد عليها في عملية التقويم إلى جانب استبانة اختيار لها عينة عشوائية مكونة من (180) مستهلكاً، تم إرجاع (150) استبانة، أي أن (30) استبانة منها لم تُعد ممن جرى استطلاعهم، بحيث تم استخراج النسب في الدراسة الميدانية على هذا الأساس.

وجرى تطبيق منهج التحليل الاحصائي (spss) لإدخال البيانات وتحليلها فهو مستخدم في جميع البحوث العلمية التي تشتمل على البيانات الرقمية والاختبارات الإحصائية (تقريباً) ولديه قدرة فائقة على معالجة البيانات وتحليلها لغايات تفريغ نتائج الدراسة الميدانية وجدولتها، وذلك من أجل وضعها في صورة واضحة يسهل فهمها وتفسيرها. وقد تم التوصل الى نتائج وجرى وضع توصيات قد تسهم في خدمة هذا النوع من النشاط التسويقي.

الفصل الاول

إشكالية الدراسة: سهل الإعلان الإلكتروني عملية الاتصال بين المعلن والجمهور الأردني من خلال استخدام موقع الشركة على الإنترنت، الأمر الذي يساعد المستهلك على اتخاذ قراراته الشرائية من خلال ما يتم توفيره من معلومات عن السلع والخدمات والأفكار. ولكن إلى أي مدى يمكن أن يؤثر الإعلان الإلكتروني على قرارات المستهلكين الشرائية، وكيف يمكن للشركات المحلية الاستفادة من هذه الوسيلة في تطوير عملها بما يساعد على زيادة نسب مبيعاتها، إضافة إلى معرفة مدى تقبل الأردنيين لهذه الوسيلة الإعلانية الحديثة التي أصبحت

تنتشر على نحو لافت في بيوتهم وأماكن عملهم ومدى التوافق بينها وبين الوسائل التقليدية الأخرى.

تساؤلات الدراسة: تحاول الدراسة الإجابة على التساؤلات التالية:-

- ما هي مكونات الإعلان الإلكتروني؟

- هل يوجد علاقة بين الإعلان الإلكتروني واتخاذ القرارات الشرائية للمستهلك؟

- ما هي طبيعة العلاقة بين الإعلان الإلكتروني واتخاذ القرارات الشرائية للمستهلك؟

- ما هي أهم عناصر الإعلان الإلكتروني المؤثرة في القرارات الشرائية للمستهلك؟

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في كونها تسلط الضوء على الإعلان الإلكتروني ودوره في التأثير على نفسية المستهلك وسلوكه الشرائي. فقيام المستهلك بالشراء لسلعة ما لا ينطلق هذا السلوك الشرائي من فراغ بل يكون محصلة مؤثرات وإعلانات شاهدها وتأثر بها. ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث كون الإعلان الإلكتروني يؤثر بشكل مباشر على القرار الشرائي للمستهلك. ويمكن تحديد أهمية الدراسة بما يلي:

1. محاولة إلقاء الضوء على أحد الأساليب الإعلانية الحديثة المستخدمة بهدف تطويرها مستقبلاً وزيادة تأثيره على القرارات الشرائية للمستهلكين.

2. إن الإعلان الإلكتروني يعد وسيلة إعلانية حديثة ومن الضروري أن تتوفر القدرة لدى الشركات المحلية للاستفادة منها في تطوير عملها بما يساعد على زيادة نسب مبيعاتها.

أهداف الدراسة: يعد الإعلان الإلكتروني من عناصر المزيج الترويجي غير التقليدي الذي سهل عملية الاتصال على الجمهور من خلال استخدام موقع الشركة، وتسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

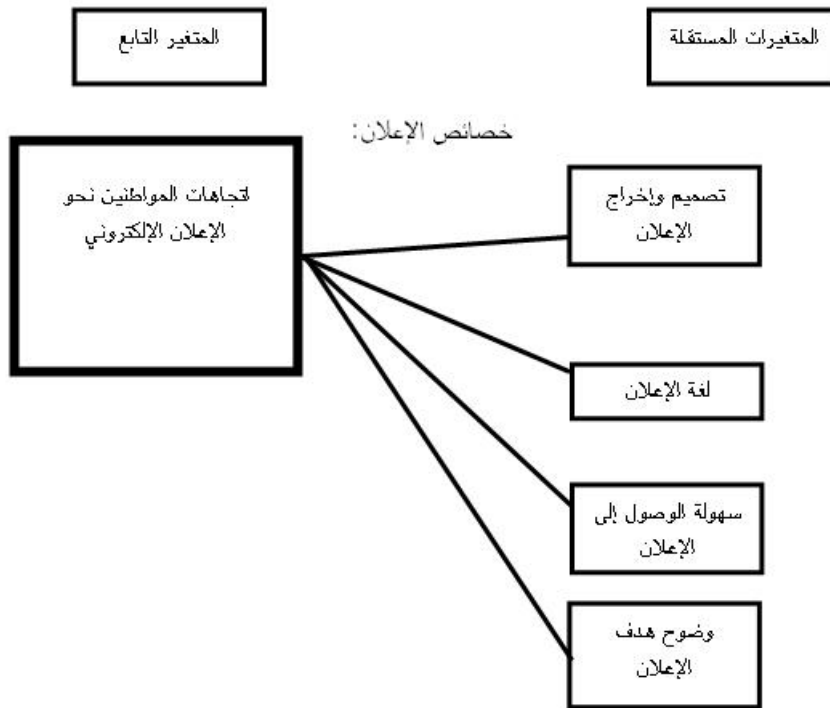
*تقديم وصف للإعلان الإلكتروني والقرار الشرائي للمستهلك.

*التعرف على العلاقة بين الإعلان الإلكتروني واتخاذ القرار الشرائي للمستهلك.

*تحديد أكثر العوامل تأثيراً والمرتبطة بالإعلان الإلكتروني وقدرته على التأثير الشرائي للمستهلك.

*تقديم توصيات ومقترحات لمتخذ القرار التسويقي على ضوء نتائج الدراسة.

متغيرات الدراسة:



التعريفات الإجرائية: اعتمدت الدراسة على المتغيرات التالية وهي:

المتغيرات المستقلة: وتشمل:

1- تصميم وإخراج الإعلان: ويعني الشكل الذي يظهر به الإعلان في صورته النهائية وهو يحقق القيم الجمالية وعنصر الجذب والانتباه بمخاطبة الفرد بلغة المحسوسات التي يفهمها المجتمع. ويعود نجاح الإعلان الإلكتروني إلى تصميمه وإخراجه باستخدام الألوان وفق الدلالات الخاصة بكل لون.⁽⁴⁾

2- لغة الإعلان: هي التعبير الواضح عن الفكرة الإعلانية لكي تحدث تأثيرها على نفسية المتلقي حيث إنها يجب أن تكون على درجة عالية من الناحية التحريرية والإخراجية متمثلة بالصيغ التالية: صيغة الشعار، النداء، التهويل، التركيز، الحاجة، الاستمالة والإغراء، والصيغة المركبة باشتمال الإعلان الواحد على عدة صيغ.⁽⁵⁾

3- سهولة الوصول إلى الإعلان: يتميز الإعلان الإلكتروني بسهولة الوصول إليه من خلال عدة خدمات يمكن استخدامها للترويج للشركة أو السلعة.⁽⁶⁾

4- وضوح هدف الإعلان: يشتق هدف الإعلان الإلكتروني من الأهداف التسويقية للمعلنين باختلاف طبيعة الهدف ويهتم هدف الإعلان بإثارة البواعث وتحسين معتقدات المستهلك عن السلعة وزيادة الطلب عليها.⁽⁷⁾

المتغير التابع: اتجاهات المواطنين نحو الإعلان الإلكتروني

هذه الدراسة ستحدد مدى قدرة الإعلان الإلكتروني على مساعدة المسوقين في تحسين علاقاتهم بالمستهلكين من خلال تمكينهم من تفهم الحاجات والرغبات والطموحات الحقيقية للمستهلكين بشكل أفضل من أي وقت مضى، ودور هذا النوع من الإعلانات في تحديد القرار الشرائي الذي سيعتمد على تحسين استخدامات التكنولوجيا وتعظيم تأثير الإعلان عبر الموقع الإلكتروني.

إن هذه الآلية التسويقية التفاعلية الجديدة سيكون لها دور مستقبلاً في توجيه وكالات الإعلان وشركات التسويق التقليدية لأن تدعن لضغوط التغيرات التكنولوجية الهائلة وتسارع إلى تبني أساليب جديدة من أجل زيادة نسب الشراء وأعداد المستهلكين بوسائل ابتكارية جديدة للاتصالات التسويقية.

فرضيات الدراسة:

الفرضية الرئيسية: اتجاهات المجتمع الأردني إيجابية نحو الإعلان الإلكتروني.

الفرضية الفرعية الأولى: يوجد علاقة بين تصميم الإعلان الإلكتروني وإخراجه والعمل على تكوين اتجاه إيجابي نحوه.

الفرضية الفرعية الثانية: يوجد علاقة بين لغة الإعلان الإلكتروني وتكوين اتجاه إيجابي نحوه.

الفرضية الفرعية الثالثة: يوجد علاقة بين سهولة الوصول إلى الإعلان الإلكتروني وتكوين اتجاه إيجابي نحوه.

الفرضية الفرعية الرابعة: يوجد علاقة بين وضوح هدف الإعلان الإلكتروني وتكوين اتجاه إيجابي نحوه.

صعوبات الدراسة: تعرض الباحث أثناء إجراء الدراسة لعدة معوقات كان أبرزها ما يلي:

موضوع الدراسة متغير وسريع نابع من واقع العصر التكنولوجي الذي نعيشه، لذلك من الصعوبة بمكان الإحاطة بكافة الجوانب المتعلقة بهذا الموضوع وذلك للأسباب التالية:-

1. عدم توفر دراسات كافية تتناول هذا الموضوع بشكل مفصل ودقيق.
2. التكلفة العالية لإجراء الدراسة سواء كانت مالية أم غير مالية.
3. الصعوبة أثناء توزيع الاستبانة وجمعها.

الدراسات العربية السابقة:

1- دراسة أبو فارة (2004)، بعنوان: العلاقات بين خصائص المشتري عبر الإنترنت وخصائص المتجر الإلكتروني وبين حجم التسوق الإلكتروني. تسعى الدراسة إلى تحليل العلاقة بين مجموعة من خصائص المشتري عبر الإنترنت (ممثلة في الجنس والعمر والحالة الاجتماعية والمستوى التعليمي والدخل ومكان السكن وحياسة جهاز حاسوب وخط هاتف) ومجموعة من خصائص المتاجر الإلكترونية (ممثلة في أسلوب الدفع وتوفر خدمات ما بعد البيع والخدمات الاستثمارية وخدمة البحث وخدمة مقارنات الأسعار).

أظهرت نتائج التحليل أن هناك فروقاً معنوية عند مستوى الدلالة في حجم التسوق الإلكتروني بتأثير خصائص المشتري عبر الإنترنت وخصائص المتجر الإلكتروني.⁽⁸⁾

2- دراسة هويدي (2002)، بعنوان: "سياسات تسويق الإنترنت في الأردن"، الجامعة الأردنية، رسالة ماجستير غير منشورة، هدفت الدراسة إلى تحليل واقع السياسات التسويقية المتبعة في الشركات العاملة في تقديم خدمة الإنترنت في الأردن، وذلك من خلال دراسة عناصر المزيج التسويقي لقطاع خدمة الإنترنت التي تتضمن سياسة تطوير الخدمة، سياسة التسعير، سياسة التوزيع، سياسة الترويج وكذلك سياسة تقسيم السوق.⁽⁹⁾

3- دراسة عبد القادر (2001)، بعنوان: اتجاهات المستهلكين نحو الإعلان الإلكتروني، هدفت الدراسة إلى معرفة وجود اتفاق بين المستهلكين عن تأثير الإعلان عبر شبكة الإنترنت، وقد بنيت الدراسة على عينة احتمالية من مستخدمي الإنترنت في جمهورية مصر، وخلصت إلى عدم قبول الفرضية التي تنص بوجود اتفاق بين مستخدمي الإنترنت حول تأثير الإعلان الإلكتروني على السلوك الشرائي للمستهلك.⁽¹⁰⁾

4- دراسة الكاملي والحسيني (1998)، بعنوان: السوق الإلكترونية العربية حاضراً ومستقبلاً. حيث تناولت الدراسة استخدام الإنترنت في التجارة الإلكترونية وبحثت في فئات متعددة ذات علاقة بمستخدمي الإنترنت العرب والمتاجر الإلكترونية ومزودي الخدمة الإلكترونية في الوطن

العربي وشركات الحاسوب التي تصمم وتبيع المواقع العربية وكان من نتائجها أن أهم معوقات السوق الإلكترونية هي انخفاض معدل مستخدمي الإنترنت (وفق آراء 50% من أفراد عينة الدراسة) وعدم أهلية وكفاءة المستخدمين إضافة إلى التكاليف العالية لإنشاء متاجر الكترونية فضلا عن شبكات الاتصال البطيئة في الوطن العربي.⁽¹¹⁾

5- دراسة الحسيني (1997)، بعنوان: أفضل المتاجر الإلكترونية العربية. حيث بينت الدراسة أن نسبة المتاجر من خارج الوطن العربي بين 14% - 98%، ونسبة الزبائن من داخل الوطن العربي بين 1%-58% ونسبة الزبائن المحليين بين 0-85% وقد بلغت نسبة المتاجر التي تمتلك تكنولوجيا الفحص الآلي بخصوص توفر المنتج لدى المتجر حوالي 50% وخلصت الدراسة إلى أن أغلب عينة الدراسة تتعامل مع شركة (DHL) للنقل من أجل إيصال وتسليم مبيعاتها إلى الزبائن.⁽¹²⁾

6- دراسة سامي طابع (1997)، بعنوان: استخدام شبكة المعلومات (الإنترنت) في الحملات الإعلامية، حيث استهدفت هذه الدراسة تحليل عينة مقدارها 500 من رجال الأعمال والشركات التي لها مواقع وعناوين معروفة على الإنترنت في أوروبا وأمريكا وكانت تهدف إلى الوصول إلى الشركات والأعمال التجارية التي لديها بالفعل خدمات الإنترنت. وقد اعتمدت الدراسة في جمع البيانات على وسيلة البريد الإلكتروني E-mail على الإنترنت للوصول إلى مفردات العينة وتوصلت إلى أن أكثر من 73% من الشركات الأمريكية تستخدم البريد الإلكتروني.⁽¹³⁾

الدراسات الأجنبية:

1- دراسة ماركرتر (E-Marketer)(2000): مستوى إقبال الأطفال على الإنترنت. أظهرت دراسة أجراها موقع E-Marketer توقعات بزيادة أعداد الأطفال الذين يستخدمون الإنترنت بينما بلغ عدد مستخدمي الإنترنت من الأطفال في نهاية العام 1998 حوالي 8 ملايين فإن هذا العدد سيقارب 40 مليون في نهاية العام 2002.⁽¹⁴⁾

2- دراسة بون وسواتمان (Poon & Swatman) (1999) تناولت مدى استخدام الإنترنت في التجارة الإلكترونية في 23 شركة في استراليا. وتوصلا إلى أن هذا الاستخدام ما يزال في مراحله الأولى، وأن منشآت العينة تقيم استخدام البريد الإلكتروني في الاتصالات ونقل الملفات على أنه مفيد وجيد. كما أن توقعاتها حول المزايا الطويلة الأجل وفرص التبادلات التجارية المحتملة لاستخدامات الإنترنت هو الذي يدفعها إلى تبني التجارة الإلكترونية عبر الإنترنت في الوقت الحالي، على الرغم من بطء حجم الصفقات المالية التي تتم من خلال الإنترنت.

توقعت الدراسة توسع استخدام الإنترنت في التجارة الإلكترونية عندما تجنى هذه المنشآت الفوائد الملموسة في المستقبل.⁽¹⁵⁾

3- دراسة تيو وتان (Teo & Tan) (1998) حول أثر استخدام الإنترنت في سنغافورة في 188 منشأة. أكد الباحثان أن هناك تزايداً ملحوظاً لاستخدام الإنترنت يتسارع بشكل كبير في الوقت الحالي. كما توصلوا إلى أن خصائص المنظمة كالمستوى الإداري لمفردات العينة، ونوع القطاع الصناعي، وشكل القطاع (حكومي أو خاص) ودورة حياة المنتج كلها عوامل ليس لها تأثير على تبني استخدام الإنترنت.⁽¹⁶⁾

4- دراسة مؤسسة إيرنست ويونج للخدمات الصناعية (Ernest & Young) (1998) التي شملت 850 مستهلكاً و150 شركة موزعة بين منشآت التجزئة والمنشآت الصناعية، فقد وجدت أن معظم المستهلكين يستخدمون الإنترنت للاستعلام عن المنتجات والخدمات، ثم شرائها عن طريق القنوات التقليدية أو باستعمال الهاتف أو الفاكس؛ وذلك بسبب الخوف من إرسال البيانات الشخصية عبر الإنترنت، وتفضيلهم لقنوات التسويق التقليدية.

وأظهرت الدراسة أن من قام من المستهلكين بالشراء من خلال الإنترنت يشكلون نسبة 7% وغالبيتهم من الرجال الذين يتمتعون بثقافة جيدة وأجر مرتفع وتتراوح اعمار معظمهم بين (40-64) سنة، وترتبط النسبة الأكبر من مشترياتهم بالمنتجات المتعلقة بالحاسوب، ويهتم معظمهم بالشهرة التجارية للمنشأة أو العلامة التجارية.⁽¹⁷⁾

مكانة الدراسة الحالية بين الدراسات السابقة:

تحاول الدراسة أن تقدم إسهاماً نظرياً في فهم واقع إعلان الإنترنت في الأردن ومدى تقبل الأردنيين لهذه الوسيلة الإعلانية التي أخذت تشق طريقها، بحيث أصبح لها حضورها بين الوسائل التقليدية الأخرى، وذلك بغية تقديم حلول واقتراحات علمية وموضوعية تسهم في تقدم هذه الوسيلة الإعلانية وجعلها أكثر فاعلية.

كما تحاول أن تتناول الموضوع باستخدام استمارة مقننة. ولذلك، فإن هذه الدراسة تعد خطوة على الطريق من أجل إعداد دراسات مستقبلية تتعلق بالإعلانات التجارية المستخدمة في الإنترنت، وتبحث في جوانب هذا الموضوع بصورة أكثر شمولية.

مصطلحات الدراسة:

المنهج الوصفي التحليلي: يعرف العلماء "المنهج" بأنه فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن حقيقة مجهولة، أو من أجل البرهنة على حقيقة لا يعرفها الآخرون. ويعتبر هذا المنهج مظلة واسعة ومرنة قد تتضمن عدداً من المناهج والأساليب الفرعية مثل المسوح الاجتماعية ودراسات الحالات الميدانية وغيرها. إذ إن المنهج الوصفي يقوم على أساس تحديد خصائص الظاهرة ووصف طبيعتها ونوعية العلاقة بين متغيراتها وأسبابها واتجاهاتها وما إلى ذلك من جوانب تدور حول سبر أغوار مشكلة أو ظاهرة معينة والتعرف على حقيقتها في الواقع. ويعتبر بعض الباحثين بأن المنهج الوصفي يشمل كافة المناهج الأخرى باستثناء المنهجين التاريخي والتجريبي. لأن عملية الوصف والتحليل للظواهر تكاد تكون مسألة مشتركة وموجودة في كافة أنواع البحوث العلمية.

ويعتمد المنهج الوصفي على تفسير الوضع القائم (أي ما هو كائن) وتحديد الظروف والعلاقات الموجودة بين المتغيرات. كما يتعدى المنهج الوصفي مجرد جمع بيانات وصفية حول الظاهرة إلى التحليل والربط والتفسير لهذه البيانات وتصنيفها وقياسها واستخلاص النتائج منها.

التحليل الاحصائي (spss): برنامج ال SPSS أو (Statistical package for social sciences) "الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية"، وهو عبارة عن حزم حاسوبية متكاملة لإدخال البيانات وتحليلها. ويستخدم في جميع البحوث العلمية التي تشتمل على العديد من البيانات الرقمية ولا يقتصر على البحوث الاجتماعية فقط بالرغم من أنه أنشئ أصلاً لهذا الغرض، ولكن اشتماله على معظم الاختبارات الإحصائية (تقريباً) وقدرته الفائقة في معالجة البيانات وتوافقه مع معظم البرمجيات المشهورة جعل منه أداة فاعلة لتحليل شتى أنواع البحوث العلمية، ويستطيع SPSS قراءة البيانات من معظم أنواع الملفات ليستخدمها في استخراج النتائج على هيئة تقارير إحصائية.

اختبار (ت): هو اختبار خاص بمقياس الفترات، أما اختبار (ف) فهو اختبار خاص بتحليل التباين الأحادي حيث يتم تحديد المتغيرات المستقلة في خانة والمتغيرات التابعة في خانة أخرى وتظهر النتائج بتحديد معامل الارتباط واحصائية (ف) مع معاملات معادلة الانحدار.

اختبار تحليل التباين الأحادي: هو طريقة لاختبار الفرق بين المتوسطات لعدة عينات مقارنة واحدة، ويعرف أيضاً بطريقة تؤدي لتقسيم الاختلافات الكلية لمجموعة من المشاهدات التجريبية لعدة أجزاء للتعرف على مصدر الاختلاف بينها فالهدف هنا فحص تباين المجتمع لمعرفة مدى تساوي متوسطات المجتمع.⁽¹⁸⁾

الفصل الثاني: الإطار النظري

الإعلان التقليدي:

يُعرف الإعلان التقليدي على أنه وسيلة لنقل الأفكار والمعلومات بهدف تغيير آراء المستهلكين أو تعزيزها أو التأثير في المتلقين في محاولة لإقناعهم باتخاذ قرار أو إجراء معين تجاه الخدمة أو السلعة المراد الإعلان عنها، وهو نشاط تجاري مدفوع القيمة مما يعطي المعلن السيطرة على العملية الإعلانية وتوجيهها عبر الوسائل التقليدية مثل الصحف والمنشورات والراديو والتلفزيون، والإعلان عادة يكون متعدد الأنواع مثل (الإعلان التعليمي، الإعلان الإرشادي، الإعلان التسويقي، الإعلان التنافسي، إعلان المناسبات، والإعلان التذكيري).⁽¹⁹⁾

تعريف الإعلان الإلكتروني:

ويعني جذب الانتباه وإعطاء معلومات عامة عن الميزات المدعى بها لزيادة رقم المبيعات للسلعة أو الاهتمام بخدمة معينة معلن عنها بدعم برنامج تسويقي مؤسس ومصرح عنه، وهو يختلف عن اللوحات الإعلانية أو التلفزيونية أو الإذاعية أو المطبوعات حيث إن الأفراد الذين يشاهدونها يستطيعون الاستجابة لها على الفور والحصول على المزيد من المعلومات بما يتم الإعلان عنه بمجرد النقر على أحد الارتباطات التي تنقل المشاهد إلى موقع الويب الخاص بالمعلن، تمتد على مدار اليوم بالإضافة إلى إمكانية إنشاء الحملات الإعلانية أو تعديلها أو إيقافها على الفور، كما أن المستخدم يسيطر على تطور العملية الإعلانية.⁽²⁰⁾

إن الإعلان الإلكتروني أشبه ما يكون بالترويسة أو اللوحة الإعلانية الصغيرة التي تأخذ شكل مثلث صغير يظهر في أعلى الشاشة أو في أسفلها، ولهذا يطلق عليها تسمية Banners وغالباً ما يتضمن هذا المثلث رسوماً بيانية Graphics أو صورة Image أو كليهما معاً حيث يتم النقر Clicking على هذه الرسوم أو الصور للدخول إلى موقع المعلن للحصول على مزيد من المعلومات.⁽²¹⁾

الإنترنت في الأردن:

دخلت خدمة الإنترنت للسوق الأردنية للمرة الأولى في منتصف التسعينات، وفي العقد الأخير شهدت السوق تطورات ضخمة، حيث دخلت خدمة ال ADSL السوق الأردنية العام 2001 وكان عدد المشتركين فيها لا يزيد عن 409 اشتراكات، ووصلت إلى أكثر من 10 آلاف اشتراك في العام 2004.

ووفق بعض الإحصاءات، فقد زاد عدد مستخدمي الإنترنت داخل الأردن من 127 ألف شخص في العام 2000 إلى نحو 630 ألف مستخدم في إحصاءات العام 2004 وهي نسبة تعتبر مرتفعة نوعاً ما في المنطقة العربية.

ويحتل الأردن المرتبة السادسة بين دول الشرق الأوسط في استخدامه للإنترنت، حيث ازداد عدد مستخدمي الإنترنت في العام 2006 بنحو خمسة أضعاف ما كان عليه العام 2000.⁽²²⁾

شهد الأردن خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة نمواً ملحوظاً في عدد المواقع الإعلانية على شبكة الإنترنت، وإذا ما تم استثناء مواقع الصحف اليومية الرئيسية، وبعض مواقع الصحف الأسبوعية، فقد وصل عدد المواقع الإعلانية الإلكترونية المستقلة إلى اثني عشر موقعاً إضافة إلى موقع وكالة الأنباء "بترا" ومواقع الإذاعة والتلفزيون الرسميين.

أدت سرعة انتشار خدمة الإنترنت في الأردن إلى زيادة الإقبال على إنشاء مواقع خاصة بدأت تنافس المؤسسات الصحفية الكبرى من ناحية السمعة والإقبال على الإعلان بها.

وتشير الإحصاءات الخاصة ببيانات استخدام شبكة الإنترنت في دول الشرق الأوسط مقارنة بعدد سكان تلك الدول إلى أن نسبة استخدام شبكة الإنترنت في الأردن وصلت إلى ما يقارب 12% من مجموع السكان وأن عدد مستخدمي الإنترنت في الأردن مع نهاية العام 2006 وصل ما يقارب 630 ألف مستخدم، يمثلون ضعف عدد قراء الصحف الورقية الذين يقدر عددهم بنحو 300 ألف قارئ، وهذه النسبة تمثل نحو 3,3% من مجموع مستخدمي الإنترنت في دول الشرق الأوسط.

ومن المتوقع أن يرتفع عدد مستخدمي الإنترنت عالي السرعة إلى 133 ألف مشترك في نهاية العام 2010 مقارنة مع 29 ألف مشترك في نهاية العام 2005. وأن ينمو عدد مستخدمي الإنترنت بحلول العام 2010 بنسبة 18% في الفترة ما بين 2006 و2010 كما يتوقع أن تصل عوائد قطاع الإنترنت في العام 2010 إلى أكثر من 52 مليون دولار.⁽²³⁾

استخدامات الإنترنت في الأردن:

أفادت دراسة أجراها برنامج تدعيم وسائل الإعلام في الأردن نيابةً عن الوكالة الأمريكية للإنماء الدولي أن 36% من الأردنيين يستخدمون الإنترنت، وأن ثلثيهم من الذكور و67% من المستخدمين هم من الفئة العمرية 15-29 عاماً.

وتشير نتائج الدراسة إلى أن استخدام الإنترنت لم يعد مقتصراً على أصحاب الشهادات الجامعية حيث إن 60% من مستخدمي الإنترنت من حملة شهادة الثانوية فما دون.

وتبين النتائج أن 58% من مستخدمي الإنترنت يسكنون في محافظات اربد، الزرقاء، البلقاء ومناطق أخرى خارج عمان. أما بالنسبة إلى أماكن استخدام الإنترنت فجاءت على النحو التالي: 30% من المنزل، 27% من مقاهي الإنترنت، 10% من الجامعة، و7% من المدرسة.

كما أشارت إلى أن نسبة مستخدمي الإنترنت من خلال المكتب لم تتجاوز 17% وأن مستخدمي الشركات 8% من الأردنيين. إضافة إلى أن ما نسبته 75% من مستخدمي الإنترنت المنزلي.

وأفادت عينة الدراسة أن ما يعادل 11% من العينة التي أجري عليها البحث مشترك في خطوط ADSL. بالإضافة إلى أن 4% من الأردنيين فقط يشتركون بخدمة الإنترنت عن طريق الهاتف الخليوي.

جدير بالذكر أن 10% من الأردنيين يستخدمون الإنترنت لإجراء مكالمات هاتفية وذلك من خلال Google talk, Skype وجهاز خاص يرتبط بخط الإنترنت.

ولم تتجاوز نسبة الذين يستخدمون الإنترنت لأغراض التجارة الإلكترونية والخدمات البنكية الإلكترونية ما نسبته 2% من الأردنيين، ويقضي مستخدمو الإنترنت معظم وقتهم في تصفح المواقع الإلكترونية، وتنزيل الفيديو كليب والدرشة (Chatting). كما أن استخدام الإنترنت لأغراض البحث وجمع المعلومات احتل مرتبة عالية.

كما أظهرت الدراسة أن 23% من الأردنيين يستخدمون الإنترنت للتواصل اجتماعياً من خلال البريد الإلكتروني وأن 17% يستخدمه لغايات الدردشة (Chatting) و14% لما يعرف بالـ Face book و9% My Space و7% للاطلاع. أما زيارة المدونات (Blogs) فما زالت في بداياتها حيث لم تتجاوز 3%، وكذلك الأمر بالنسبة إلى التعليق على المقالات حيث لم تتجاوز نسبة الأردنيين الذين يستخدمون الإنترنت للتعليق على المقالات 5%. إضافة إلى أن ما نسبته 12% فقط من الأردنيين يستخدمون اللغة الإنجليزية أثناء استخدامهم للإنترنت؛ مما يحد من كمية المعلومات والأخبار التي يمكن أن يصلوا إليها.⁽²⁴⁾

وأظهرت الدراسة ارتفاع نسبة مستخدمي البريد الإلكتروني 3% مقارنة بعام 2007 لتصل إلى 21% في العام 2008 مع زيادة في استخدام البريد الإلكتروني من قبل الذكور مقارنة بالإناث. كما أن مستخدمي البريد الإلكتروني ضمن الفئة العمرية 15-29 بلغت 67% من إجمالي المستخدمين في جميع محافظات المملكة بزيادة قدرها 10% مقارنة بعام 2007 ضمن هذه الفئة العمرية.

ويلاحظ أن نصف مستخدمي البريد الإلكتروني أو 17% من الأردنيين لديهم بريد إلكتروني على موقع Yahoo مقابل 28% من المستخدمين لديهم بريد إلكتروني على موقع Hotmail/MSN، و6% على موقع G-mail.

كما أن نسبة الذين يملكون بريد إلكتروني خاص بالعمل (Business E-mail) لم تتجاوز 7% من مستخدمي البريد الإلكتروني. وتعتبر هذه النسبة ضئيلة جداً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار خطط الحكومة المتمثلة بمشروع الحكومة الإلكترونية والإجراءات الأخرى الهادفة إلى تطوير قطاع تكنولوجيا المعلومات في الأردن.⁽²⁵⁾

ازداد عدد مستخدمي الإنترنت في الأردن خلال العام 2006 خمسة أضعاف عما كان عليه الحال في العام 2000 حيث احتل الأردن المرتبة السادسة بين دول الشرق الأوسط في استخدامه للإنترنت. وبحسب إحصاءات العالم للإنترنت بلغت نسبة النمو بين 2000-2009 ما مقداره 1,078,7% وارتفعت نسبة الاستخدام من 2,4% العام 2000 لتصل في العام 2009 إلى 23,9% أي بما يقدر بعشرة أضعاف.

وفيما يلي جدول توضيحي حول استخدام الإنترنت في الأردن وفقاً لما ورد في تقرير إحصاءات العالم حول استخدام الإنترنت (ITU).⁽²⁶⁾

السنة	تقدير عدد السكان	مستخدمو الإنترنت	نسبة الاستخدام
2000	5,282,558	126,300	2,4%
2002	5,282,558	457,000	8,7%
2005	5,282,558	600,000	11,4%
2007	5,375,307	796,900	14,8%
2008	6,198,677	1,126,700	18,2%
2009	6,269,285	1,500,500	23,9%

التمويل والإعلان:

تعتمد المواقع الإلكترونية في اقتصادياتها بشكل عام على الأرباح المتأتية من الإعلانات، وهذا بشكل عام ينطبق على كل المواقع، وقد بدأت الإنترنت تستقطب حصة كبيرة من حجم السوق الإعلانية.

ويعتمد الإعلان في المواقع الإلكترونية على مدى شهرة الموقع وترتيبه حسب التصنيفات العالمية المشهورة، ويعتبر موقع "اليكسا، www.alexa.com" التابع لشركة "أمازون"، من أهم

المواقع لقياس تصنيف المواقع الإلكترونية في العالم، وهو موقع معتمد رسمياً من قبل المعلنين على الشبكة لانتقاء المواقع الكبيرة والأكثر شهرة.⁽²⁷⁾

كما يعتمد إقبال المعلن على مدى تطور التقنيات المستخدمة، خاصة وأن صناعة الإعلان على الإنترنت أصبحت متطورة جداً ولها طرق حسابية خاصة. وأخيراً فإن المعلن يتوجه إلى المواقع التي أثبتت كفاءة وسرعة في عمليات التصفح والتحميل.

وإجمالاً، فإن المواقع الإلكترونية الأردنية - باستثناء التابعة لصحف- هي مشاريع شخصية يبادر إليها فرد ليس بالضرورة أن يكون صحفياً، أو ربما عدة أفراد. والربحية هي أحد الأهداف التي تشترك فيها المواقع. لكنها لا تزال بعيدة عن هذا المرمى وإلى الآن تسعى جاهدة لتغطية ما أمكن من تكاليفها التشغيلية عبر استقطاب الإعلان.

ويمثل الإعلان مصدر الدخل الرئيس الذي تطمح إليه هذه المواقع. لكن إلى الآن لا توجد أسس معلنة تحدد أسعار الإعلان والتي تتفاوت بشدة بين موقع وآخر. وفيما ينشر بعض المواقع إعلانات بأعداد وأحجام متفاوتة، إلا أن بعضها الآخر لم يحظ إلى الآن بأي إعلان.

وفي ما يراه مسؤولو المواقع، فإن السوق بدأت، وإن بوتيرة بطيئة، بتقبل فكرة الإعلان على الإنترنت، وهم بالتالي يبدون تفاؤلاً إزاء أن يأتي يوم في المدى المنظور يتمكنون من خلاله من تغطية الكلف التشغيلية لمواقعهم، والبدء في جني الربح الذي يشكل أحد أهدافهم الرئيسية.⁽²⁸⁾

مستقبل الإعلان الإلكتروني:

تعتبر إعلانات الإنترنت سوقاً استثمارية سائرة في طريق التطور والتوسع بنسبة 23 ٪ كل سنة حسب تقرير لأول مرصد فرنسي للإعلانات الإلكترونية الذي قدمته نقابة وكلاء الإنترنت. وقد حققت إعلانات (الأون لاين) الإنترنت سنة 2008 ملياري يورو في فرنسا، كما شكلت مداخيلها 6٪ من مجموع مداخيل نشاط الاتصالات و59٪ مقارنة مع الإعلانات التلفزيونية والتي تعتبر كما هو معلوم السند الاعلاني الرئيسي المسيطر على السوق التجارية.⁽²⁹⁾

وقد اعتبرت محركات البحث أهم وسيط يروج للمعلنين لتمكينهم من عرض إنتاجاتهم في أفضل مستوى للمشاهدة على الصفحات الإلكترونية. كما اعتبرت هذه المحركات بمثابة قطاعات رائدة في حقل الإعلانات إذ تم صرف ما يناهز 800 مليون يورو سنة 2008 أي بنسبة ارتفاع بلغت 35 ٪ لتطوير هذا القطاع.

ورغم الأزمة الاقتصادية العالمية فإن هذا القطاع يبدو مشجعاً أكثر من ذي قبل، وما من شك في أن مجال الإنترنت سنة 2009 سوف ينخرط في رهانات كبرى ليهيمن على المشهد

الإعلاني وذلك بفضل ارتفاع عدد عملاء الإنترنت والذي بلغ 10 ٪. كما ارتفع معه منسوب الحصص الزمنية المستنفذة بـ 40 ٪. وما زال هناك العديد من المعلنين الذين سوف يلتحقون بإعلانات الإنترنت خصوصاً في مجال المنتجات الغذائية وبالتالي سيرتفع سوق الإعلانات ليحقق 14 ٪ سنة 2009 أي بمبلغ يقدر بـ 2،3 مليار يورو من الناتج الداخلي الخام.

أما وجهة النظر المقابلة فتري أن إعلانات الإنترنت في العالم سوف تتراجع بـ 0،2 ٪ هذه السنة لكن بالرغم من هذه النسبة المتدنية الطفيفة فإن الإنترنت سيحقق ارتفاعاً واضحاً بنسبة 18 ٪ مقارنة مع السنة الماضية والتي تحقّق خلالها 21 ٪. وسنة 2007 التي تحقّق خلالها 32 ٪.

إن أهم الوسائل المستعملة في إعلانات الإنترنت حالياً هي الروابط التجارية لمحرركات البحث الشهيرة وأيضاً (شرايط الإعلانات المتحركة) والتي مثلت خلال 2008 ما بين 49 ٪ بالنسبة للأولى و 42 ٪ بالنسبة للثانية فيما يخص الإعلانات القصيرة.⁽³⁰⁾

الإعلان الإلكتروني على شبكة الإنترنت

ظهر أول إعلان مدفوع القيمة على الإنترنت على الموقع الخاص بشركة Hotwired في 27 تشرين الأول 1994م وقد كانت أول شركة تحقق دخلاً من الإعلانات على الشبكة، علماً بأنه وقبل ذلك التاريخ كانت هناك مواقع تحتوي على نقاط ربط بمواقع أخرى جذابة.⁽³¹⁾

إن شركة AT&T المتخصصة في خدمات الإعلان وضعت على موقعها نقطة ربط للموقع مقابل قيام هذا الموقع بوضع نقطة ربط للشركات الراغبة بالاستفادة من خدمات الإعلان التي تقدمها. من ناحية أخرى فإن شركات مثل America Online و Prodigy دخلت مجال بيع الإعلانات منذ عدة سنوات، غير أن الإعلان الذي كان على موقع Hotwired كان الأول من نوعه على الشبكة، وقد احتوى الموقع في البداية على 12 إعلاناً لشركات متعددة، ومنذ ذلك الحين أصبحت كبريات الشركات العالمية تتسابق لوضع إعلاناتها على شبكة الإنترنت، ففي العام 1997 مثلاً دفعت شركة Hotwired مبلغ عشرة آلاف دولار شهرياً مقابل نقطة ربط واحدة، بينما وصلت تكلفة إعلان الراية على موقع مثل Yahoo مئة ألف دولار في الشهر.⁽³²⁾

الإعلان على الإنترنت ووسائل الإعلام التقليدية: يمتاز الإعلان على الإنترنت عن نظيره على وسائل الإعلام التقليدي الأخرى مثل الصحف والمجلات والتلفزيون والراديو، بعدد من الخصائص والتي من أهمها التفاعل والانتشار الواسع وإنخفاض السعر.

استخدام شبكة الإنترنت العالمية لغرض تقديم رسائل التسويق لجذب الزبائن هو شكل من أشكال الترويج. وهناك أمثلة عن الإعلان على شبكة الإنترنت تتضمن الإعلانات على صفحات نتائج

محرك البحث، لافتة الإعلانات، إعلانات وسائط والاجتماعية لشبكة الإعلان، الإعلانات المبوبة على الإنترنت، والإعلان، والشبكات والبريد الإلكتروني والتسويق، بما في ذلك البريد الإلكتروني من البريد المزعج.⁽³³⁾

إن الإعلان على شبكة الإنترنت هو النشر الفوري للمعلومات والمحتوى. ولهذا الغرض، حالياً فإن مجال الإعلان التفاعلي يطرح تحديات جديدة أمام المعلنين الذين يبحثون عن وسائل جديدة لترويج أفكارهم وسلعهم وخدماتهم التي يقدمونها للمستهلكين.⁽³⁴⁾

الفيديو على الإنترنت يظهر أدلة لعلامات تجارية هي مثال جيد على الإعلان التفاعلي. تكمل هذه الأدلة في التلفزيون بالسماح للمشاهد رؤية إعلانات تجارية عن عدد من العلامات التجارية.⁽³⁵⁾

خصائص الإعلان الإلكتروني:

يتميز الإعلان الإلكتروني بخواص تكاد تكون فريدة مقارنة بالإعلانات التقليدية، وهذا لا يعني أن الإعلان التقليدي لا يتمتع بخواص فريدة أو ابتكارية، وإنما المقصود بذلك أن الإعلان الإلكتروني له خصوصية يمكن إبرازها بنكهة خاصة ومميزة عن الإعلان التقليدي المألوف ومن أبرز هذه الخواص:⁽³⁶⁾

1- أن الإعلان الإلكتروني أشبه ما يكون بالترويسة أو اللوحة الإعلان الصغيرة التي تأخذ شكل مثلث صغير يظهر في أعلى الشاشة أو في أسفلها وغالباً ما يتضمن هذا المثلث رسوماً بيانية أو صوراً أو كليهما معاً حيث يتم النقر على هذه الرسوم أو الصور للدخول إلى موقع المعلن للحصول على مزيد من المعلومات وعليه؛ فإن هذه اللوحة الإعلان الصغيرة ما هي إلا رابط واحد في سلسلة محكمة التناسق مؤلفة من ثلاثة روابط حيث إن الرابط الأول يمثل الصفحة التي تستضيف اللوحة، والرابط الثاني يمثل عملية تنفيذ اللوحة نفسها، أما الرابط الثالث فهو الصفحة الفعلية التي يشاهدها الزائرون عندما يقومون بعملية النقر على اللوحة الإعلان الصغيرة، وعليه فالدور الرئيس للوحة الإعلان يقتصر على جذب الزوار إلى موقع المعلن.

2- أن القوة الإعلان في حث الزائر على النقر تعمل من خلال قناتين أو طريقتين اثنتين إما على أفراد أو مجتمعين معاً بالقناة الأولى وهي القناة المركزية تعتمد على المنطق حيث يقوم الشخص في هذه القناة بالتوسع في المعلومات المتضمنة في الإعلام ويتأمل فيه من منطلق مواقفه السابقة، ولكي يحقق حالة التوسع هذه ينبغي أن تكون لدى هذا الشخص اهتمامات ودوافع في صلب موضوع الإعلان أو الرسالة الإعلان المعنية وفي هذه المرحلة بالذات فإن

المتطلب الرئيس لحدوث النقر يختص بجودة المعلومات ذات الصلة المعروضة على اللوحة الاعلانية الصغيرة فالأشخاص لن يقوموا بعملية النقر على اللوحة إلا إذا كانت المعلومات المتضمنة في هذه اللوحة ماثار اهتمامهم بالدرجة الأولى.

أما القناة الثانية وهي القناة المحيطية فهي تعتمد على الجاذبية والمشاعر أو أحياناً تعتمد على دلالات بسيطة وفي هذه المرحلة الشخص لا يتأمل كثيراً في الرسالة الاعلانية بمعنى أنه لا يحتاج إلى الانغماس في أي توسع إدراكي.⁽³⁷⁾

3- يتطلب الإعلان الإلكتروني أعلى درجات الاهتمام من حيث التصميم والصورة والصوت والحركة والنص أو الرسالة الاعلانية، فالنص يجب أن يكون رقيقاً وبارزاً ومثيراً للانتباه ودافعاً لاتخاذ إجراء فوري وهذا الوضع يملي على المعلن ضرورة الاستعداد التام لتزويد المتلقي بمعلومات تفصيلية فورية حال دخوله إلى الموقع. وعليه فالإعلان الإلكتروني يصمم على أساس الاستجابة المباشرة والفورية المدعومة بأسلوب المخاطبة الشخصية الدافئة ولغة الحوار المبني على احترام المصالح المتبادلة للمعلن والمتلقي.⁽³⁸⁾

4- يتضمن الإعلان الإلكتروني في الغالب قدراً كبيراً من الرموز والإشارات والإيماءات وهذه الدلالات تضيف بعداً علمياً وتقنياً راقياً وعليه فالتصميم في الإعلان الإلكتروني يعتمد على البساطة والرمزية معاً وقلما نجد إعلاناً إنشائياً على الشبكة.

5- الاهتمام الفائق بالرسالة الاعلانية بمعنى أن ثقافة الإعلان الإلكتروني هي ثقافة علمية وتكنولوجية بالدرجة الأساس وينبغي احترامها من قبل المعلن.

6- أصبح مستخدمو الإعلان الإلكتروني في ظل تعاظم أهميته كوسيلة اتصال وتواصل مباشرة ينظرون إليه على أنه تحد يجب مواجهته من خلال إيجاد أفضل المواقع الإلكترونية لنشر إعلاناتهم ولاسيما التي تتمتع بشعبية كبيرة بين الزائرين الذين يستهدفهم الإعلان.

7- يعتبر التغيير صفة مميزة من صفات الإعلان الإلكتروني الناجح والفعال وعليه فالضرورة تقتضي أن يكون لدى المعلن أكثر من نسخة إعلان معدلة ففقدرة الإعلان الإلكتروني على جذب الانتباه غالباً ما تتلاشى بسرعة بالنسبة لأي مستخدم وقد يضطر المعلن إلى تغيير الإعلان بشكل دوري اعتماداً على الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه من وراء الإعلان.

8- يعد الإعلان الإلكتروني وسيلة استجابة مباشرة ولكنها تختلف في آلياتها عن وسائل الاستجابة المباشرة الأخرى، فموقع المعلن على الشبكة يجب أن يكون قادراً على إقناع العميل المرتقب بأنه سوف يحصل على شيء قيم إذا ما اتخذ الخطوة التالية ك شراء سلعة أو الانتفاع من خدمة معينة، وحال قيام العميل بتدوين طلبه يجدر بالمعلن أن يعالج الطلبية بسرعة وكفاءة عاليتين. كما ينبغي الرد على البريد الإلكتروني بالسرعة نفسها، فمستخدمو الإنترنت تعودوا

على الخدمة الفورية وبعبكس ذلك فكافة جهود الشركة التسويقية عبر الإعلان الإلكتروني ستذهب دون تحقيق الهدف المرجو.⁽³⁹⁾

9- على الرغم من أن الصور والنماذج والرسوم البيانية تعتبر إضافات رائعة للصفحة التابعة للشركة إلا أن هذه الإضافات ينبغي أن لا تكون بديلاً عن النص أو الرسالة الإعلانية فمن الصعب جداً التبحر في صفحة كهذه وهي بالتأكيد تزجج المستخدم، فالصفحة ينبغي أن تصمم لتشجيع المستخدمين للعودة إليها ليصبحوا عملاء.⁽⁴⁰⁾

مزايا الإعلان الإلكتروني:

من المتوقع حصول تغيرات جوهرية في مضمون الإعلان الإلكتروني وفي أساليبه طبقاً لمقاسات الجمهور المستهدف بهذه الإعلانات. ومن هذه المتغيرات محتوى الإعلان، ومن أبرز الصيغ المتوقعة في هذا المجال المحتوى التجريبي حيث سيتمكن المستهلكون من تجربة ملكية السلعة أو الخدمة، فالمستهلك سيكون قادراً على اختيار المنتج بنفسه من خلال موقع الشركة على الشبكة، وبإستطاعته إدخال أي نوع من المعلومات لتعديل المنتج بما يتناسب وحاجته الفعلية.

كما سيتمكن المستهلكون من الشراء مباشرة عبر الموقع الإلكتروني فمحتوى الإعلان سيكون موجهاً أصلاً بالتعاملات التجارية مع العميل، فالإنترنت استطاع فعلاً تغيير بعض عادات الشراء لدى المستهلكين خصوصاً في مجالات معينة مثل شراء السيارات إذ إن مشتري السيارات المتوقعون صاروا يلجأون إلى الإعلان الإلكتروني للحصول على معلومات كافية قبل الإقدام على عملية الشراء.⁽⁴¹⁾

لهذا يلاحظ أن التحولات والمتغيرات الحاصلة اليوم في صناعة الإنترنت تعد دراماتيكية بحد ذاتها إلا أنها ستترك أثراً واسعة النطاق على مجمل النشاطات والممارسات التسويقية في عالم الأطفال الذي يتسم اليوم بالديناميكية التي تمليها تكنولوجيا المعلومات والاقتصاد الرقمي.⁽⁴²⁾

وعليه، فالتأثير الشمولي للإعلان الإلكتروني له مزايا أهمها:

1- إن الإعلان الإلكتروني سيؤدي إلى حفز الفعاليات التسويقية الأخرى على اتباع مداخل ابتكارية جديدة ترقى إلى مصاف الابتكارية التي تستحق أو التي تحقق جزءاً كبيراً منها في مجال الإعلان الإلكتروني.

2- سيدفع الإعلان الإلكتروني المسوقين إلى إعادة تقييم استخدامهم للوسائل التقليدية في الترويج لمنتجاتهم وخدماتهم.

3- يساعد الإعلان الإلكتروني المسوقين على تحسين علاقاتهم بالمستهلكين من خلال تمكين المسوقين من تفهم الحاجات والرغبات والطموحات الحقيقية لهؤلاء المستهلكين بشكل أفضل من أي وقت مضى.

4- حال تعود المسوقين على قدرة الإعلان الإلكتروني على تسعير الإعلان بشكل مناسب وسريع سوف تزيد ثقتهم به كأداة تفاعلية ذات إمكانيات تسويقية هائلة.⁽⁴³⁾

وهكذا بدأت العديد من الصناعات استخدام هذا الوسيط الإعلامي من أجل الحملات الدعائية المستهدفة، لأن الإعلان عبر الموقع الإلكتروني يمكن أن يصل إلى الجمهور المستهدف كما تقدم الإعلانات عبر الموقع الإلكتروني مجالاً رحباً غير مسبوق يسمح للمعلنين باستهداف لغات أو مناطق جغرافية معينة.

وفي عصر المعلومات والاتجاه نحو قضاء ساعات طويلة أمام أجهزة الكمبيوتر والمواقع الإلكترونية تغدو الحاجة ملحة إلى اكتشاف الأنماط التجارية التي تتناسب مع سمات هذا العصر وسلوكياته، وصعود نجم الإعلان الإلكتروني باقتصادياته الفريدة. فالتطورات الهائلة والإمكانيات اللامحدودة التي يوفرها الإعلان الإلكتروني قد تجبر وكالات الإعلان إلى إعادة التفكير بطبيعة ومسارات نشاطاتها وفعاليتها واستحداث أساليب مبتكرة وتوفير المهارات اللازمة للقيام بهذه المهام والمسؤوليات الجديدة.

تأثير الإعلان الإلكتروني على اتخاذ القرار الشرائي للمستهلكين:

يرتبط اتخاذ القرار الشرائي بجملة معطيات ومحددات متعلقة بالتكوين الذهني للإعلان عبر الموقع الإلكتروني بحيث يكون زائر الموقع الإلكتروني في موقف المتفاعل الإيجابي وصاحب القرار الأول والأخير فيما يشاهد فهو المتحكم في الرسالة الإعلانية الإلكترونية يقبلها أو يرفضها ومن بين جملة المعطيات لاتخاذ القرار الشرائي هو ممارسة الإقناع من خلال تقديم خدمات مفصلة تبعاً لاحتياجات كل عميل كما تقدم قيمة مضافة له باستخدام عنصري الصورة والنص المكتوب زيادة على عنصري المعلومات والتفاعل المباشر والفوري مع العميل وبين العملاء أنفسهم تاركاً الخيار له بانتقاء واختيار المعلومات التي يريدها عن السلعة أو الخدمة التي يحتاجها ليتخذ قرار الشراء بكامل قناعته ودون أي غموض أو تستر.⁽⁴⁴⁾

إن نجاح الحملة التسويقية المتنوعة بالقرار الشرائي يعتمد بحد ذاته على المنتج بقدراته وإمكاناته وذكاء القائمين عليه من الداخل من خلال رسالة إعلانية تدفع العملاء للدخول إلى الموقع لا التوقف عنده للقراءة فقط فهو ليس وسيلة مجردة للإعلان بل هي أبعد من ذلك على سبيل المثال لإبرام الصفقات والعقود وإتمام صفقة البيع في نفس لحظة الإعلان. فالعميل يمكنه أن

يتصل بالمعلن عن طريق البريد الإلكتروني ليبرم الصفقة ويتم البيع في نفس لحظة رؤيته للإعلان، فالمعلن يصبح متأكداً من أن العميل سيتخطى كافة مراحل الشراء بنجاح.

لذلك يعتمد اتخاذ القرار الشرائي بدرجة كبيرة على ضمان النجاح في ترويج الصفحة الإلكترونية، فالمعلن هنا يضع إعلاناً إلكترونياً صغيراً عن سلعته فوق صفحة شهيرة ويفضل أن يشارك فيها المنافسون العاملون في نفس المجال.

والقرار الشرائي سيعتمد مستقبلاً على تحسن استخدامات التكنولوجيا وبالتالي تعاظم تأثير الإعلان عبر الموقع الإلكتروني وسيصبح سهل القياس الأمر الذي يؤدي إلى اتساع الفجوة بين هذه الآلية التسويقية التفاعلية الجديدة وبين وسائل الإعلان التقليدي ذات القوالب القديمة، فعلى مدى السنوات القليلة القادمة ستضطر وكالات الإعلان وشركات التسويق التقليدية إلى الإذعان لضغوط التغيرات التكنولوجية الهائلة وتسارع إلى تبني مداخل جديدة من أجل زيادة كمية الشراء وأعداد المستهلكين بوسائل جديدة للاتصالات التسويقية الابتكارية ذات الكثافة التكنولوجية الواضحة.⁽⁴⁵⁾

كما يرتبط القرار الشرائي بجملة متغيرات من أبرزها الظهور اليومي تقريباً للتقنيات الجديدة الهادفة إلى تحسين عمليات الشراء وقياس فعالية الإعلان الإلكتروني والاستهداف الأمثل للقطاعات السوقية المختلفة وتفسير البيانات، بالإضافة إلى الجهود الكبيرة التي يبذلها المسوقون لاستخدام تقنيات وإمكانيات الإنترنت الهائلة في مجال أعمالهم والجهود الرامية إلى إرساء أنماط مبتكرة لتمكين المستهلكين من تطويع شبكات العمل التفاعلية الجديدة لتحقيق الأهداف المنشودة لطرفي التبادل بسهولة وكفاءة عاليتين؛ الأمر الذي يسهم بشكل واضح في تغيير سلوكيات المستهلك باتجاه اتخاذ القرار الشرائي الذي تطمح إليه المؤسسة أو الشركة.⁽⁴⁶⁾

الفصل الثالث: المنهجية

منهج الدراسة: تستخدم الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في تغطية موضوع الدراسة بالاعتماد على المعلومات والبيانات النظرية المرتبطة في موضوع الإعلان الإلكتروني، واستخدام المنهج التحليلي في الجانب الميداني وذلك باستخدام الاستبانة كأداة رئيسية في جمع المعلومات والبيانات حول متغيرات الدراسة.

مجتمع الدراسة: يتكون مجتمع الدراسة من رواد مراكز الإنترنت في إربد- شارع الجامعة الذي يحظى بأعداد عالية من مراكز الإنترنت حيث دخل موسوعة جنس لكثرة مقاهي الإنترنت المنتشرة فيه حيث تعتبر هذه المنطقة من المناطق الحيوية والتي تعج برواد مراكز الإنترنت.

عينة الدراسة: تم اختيار عينة عشوائية بسيطة من رواد مراكز الإنترنت حيث تم توزيع 180 استبانة وكان عدد الاستمارات التي تم جمعها وتحليلها والمقبولة إحصائياً 150 استبانة وتشكل ما نسبته 80,3% من الاستبانات المرتجعة.

أداة جمع المعلومات:

الأداة الرئيسية: تم استخدام الاستمارة كأداة رئيسية في جمع المعلومات والبيانات حول موضوع الدراسة وقد تكونت الاستمارة من جزأين اشتمل الأول على خصائص عينة الدراسة بينما اشتمل الجزء الثاني على (22) فقرة تقيس متغيرات الدراسة.

الأداة الثانوية: تم الرجوع إلى الكتب والمراجع والدوريات التي تناولت موضوع الإعلان الإلكتروني وتأثيره على القرارات الشرائية للمستهلكين.

أداة الدراسة: تم استخدام الاستمارة كأداة رئيسة لجمع المعلومات وقد اشتملت على جزأين:

الجزء الأول اشتمل على (4) متغيرات هي الجنس، العمر، المستوى التعليمي، ومستوى الدخل. بينما اشتمل الجزء الثاني على عبارات تقيس خصائص الإعلان وهي تصميم وإخراج الإعلان لغة الإعلان، سهولة الوصول إلى الإعلان، وضوح الإعلان، وكذلك تقيس المتغير التابع اتخاذ القرار الشرائي عبر الموقع الإلكتروني.

الأساليب المستخدمة: تم استخدام برنامج التحليل الإحصائي (SPSS) وذلك بهدف تفريغ البيانات وتحليلها واستخدام الاختبارات اللازمة للدراسة حيث تم استخراج قيم التكرارات والمتوسطات الحسابية ومعامل الاتساق الداخلي (الثبات) وقيم (ت) ودرجات الحرية واختبار فرضيات الدراسة باستخدام اختبار تحليل التباين الأحادي (One- Sample Statistics).

تم استخدام الأساليب الإحصائية البسيطة مثل النسب المئوية والتكرارات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، بالإضافة لاستخدام اختبار (ت) واختبار (ف) لاختبار فرضيات الدراسة واختبار الفروق في الاتجاهات حسب المتغيرات الديموغرافية. كما تم استخدام معامل ألفا كرونباخ لإظهار مدى اتساق فقرات المقياس. وتمت عملية تفريغ وتحليل البيانات باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS).

الاتساق الداخلي:

يلاحظ من بيانات الجدول رقم (1) بوجود درجة من الاتساق بين فقرات المقياس، حيث بلغت قيمة معامل ألفا كرونباخ (82.63%)، وهي أعلى من القيمة المطلوبة كحد أدنى للدلالة على وجود اتساق بين فقرات المقياس.

الفصل الرابع: مناقشة النتائج

أولاً: خصائص عينة الدراسة:

جدول رقم (1): توزيع المبحوثين حسب متغير الجنس

المتغير	العدد	النسبة المئوية
ذكور	74	49.3
الجنس إناث	76	50.7
المجموع	150	100

يلاحظ من بيانات الجدول رقم (1) أن توزيع المبحوثين حسب الجنس متساو تقريباً (49.3%) ذكور و(50.7%) إناث، في ضوء ما تم الحصول عليه من استبانات تم توزيعها.

جدول رقم (2): توزيع المبحوثين حسب متغير العمر

المتغير	العدد	النسبة المئوية
أقل من 25 سنة	42	28.0
26-30 سنة	38	25.33
العمر 31-35 سنة	14	9.33
أكثر من 35 سنة	56	37.33
المجموع	150	100

تظهر بيانات الجدول رقم (2) أن توزيع المبحوثين حسب العمر قد بلغ أعلاه للفئة العمرية أكثر من 35 سنة بنسبة (37.33%) وهذا يشير إلى أن هذه الفئة تقبل على الإنترنت لغايات الاستخدامات العلمية ومعرفة ما يتم تسويقه على هذه الشبكة بهدف التعرف على ما يروج من سلع وخدمات، تلتها الفئة العمرية لأقل من 25 سنة وهذه الفئة معظمها من طلبة الجامعات والمعاهد وهي فئة تستخدمها لغايات الحصول على معلومات علمية أو التواصل مع الآخرين فيما يعرف بال (chat) ثم تلتها الفئة من 26 - 30 سنة وهي فئة تقبل على الإنترنت لغايات العلم والمعرفة والتواصل مع الآخرين، وكانت أدنى نسبة للفئة 31-35 سنة بنسبة (9.33%) وهي فئة قد تكون أنهت دراساتها الجامعية الأولية وتستخدم هذه الوسيلة لغايات التواصل مع الآخرين.

جدول رقم (3): توزيع الباحثين حسب متغير المؤهل العلمي

المتغير	العدد	النسبة المئوية
ثانوية عامة فاقل	42	28.0
دبلوم كلية مجتمع	38	25.33
المؤهل العلمي بكالوريوس	14	9.33
دراسات عليا	56	37.33
المجموع	150	100

توضح بيانات الجدول رقم (3) أن توزيع الباحثين حسب المؤهل العلمي قد بلغ أعلاه للدراسات العليا (37.33%) وهذه الفئة حاجتها أكثر إلحاحاً للتعامل مع تقنية الإنترنت لأن ظروفها العلمية والعملية تستوجب الأطلاع على البحوث والدراسات المنشورة في مواقع الإنترنت المختلفة لكي يتسنى لها القيام بواجباتها وتادية أعمالها على نحو فاعل، وحلت في المرتبة الثانية الفئة التي تمثل الثانوية العامة فأقل بنسبة (28%) وهذه الفئة تستخدم الإنترنت لغايات علمية وأخرى لها ارتباط وثيق بال (chat) بهدف التسلية وقضاء وقت الفراغ، وجاءت فئة دبلوم المجتمع في المرتبة الثالثة وهذا يؤشر إلى أن استخداماتهم للإنترنت تأخذ مداها في جوانب التعليم والتسلية، في حين كان طلبة البكالوريوس في المرتبة الأخيرة فهذه الفئة تعد مبتدئة في الجوانب العلمية واساتذة الجامعات يفضلون أن يظهر في بحوث طلبتهم مجهود الطالب وليس بأسلوب الاقتطاع أو الاستسناخ الذي لا يظهر فيه أي جهد للطالب.

جدول رقم (4): توزيع الباحثين حسب متغير الدخل الشهري

المتغير	العدد	النسبة المئوية
اقل من 400 دينار	52	34.7
401-600 دينار	30	20.0
601-800 دينار	24	16.0
الدخل الشهري 801-1000 دينار	14	9.3
أكثر من 1000 دينار	30	20.0
المجموع	150	100

تشير بيانات الجدول رقم (4) إلى أن توزيع الباحثين حسب الدخل الشهري قد بلغ أعلاه لفئة الدخل أقل من 400 دينار بنسبة (34.7%) ما يؤشر إلى أن انخفاض الدخل ليس له أي علاقة تذكر في استخدام هذه التقنية، فربما توفر على مستخدميها النفقات الزائدة لشراء السلع والخدمات والذهاب لمواقع التسوق إضافة إلى الوقت والجهد الكبيرين اللذين يبذلهما المتسوق

في عمليات البحث عنها، وحل في المرتبة الثانية من كان دخله (401-600) دينار وكذلك من كان دخله أكثر من الف دينار بنسبة 20 % على التوالي مما يؤشر على أهمية هذه التقنية للجميع في الوقت الراهن نظراً لأهميتها على أكثر من صعيد في حياة الناس ولاسيما في الجوانب العلمية والإعلانية، وجاءت أدنى نسبة للذين دخلهم 801-1000 دينار بنسبة (9.3%) وربما هؤلاء طبيعة أعمالهم وحياتهم العامة لا تستوجب التعامل بصورة كبيرة مع الإنترنت.

ثانياً: اتجاهات العينة نحو تأثير الإعلان الإلكتروني:

جدول رقم (5): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات المبحوثين على فقرات مقياس الاتجاهات نحو العلاقة بين الإعلان الإلكتروني واتخاذ القرار الشرائي عبر الإلكتروني

الرقم	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الأهمية النسبية
1	يساعد الإعلان عبر الموقع الإلكتروني في اتخاذ قرار الشرائي	3.88	1.17	8
2	لشكل الإعلان عبر الموقع الإلكتروني تأثير على قرار الشرائي	3.84	1.00	10
3	يراعى في الإعلان عبر الموقع الإلكتروني استخدام ألوان وإضاءات مميزة لجذب الزبائن	3.67	1.19	15
4	استخدام الرسوم المتحركة في الإعلان عبر الموقع الإلكتروني يزيد من جاذبية الإعلان	3.71	1.47	14
5	يتم تحديث الإعلان عبر الموقع الإلكتروني بصفة مستمرة	3.59	0.97	16
6	لغة الإعلان الذي أتعامل معه واضحة	3.45	1.29	19
7	تحرص الشركات المعلن أن تكون لغة الإعلان سهلة	3.92	1.02	7
8	يساعد الإعلان عبر الموقع الإلكتروني في تقديم مختلف الاقتراحات والشكاوي من قبل الزائر دون أي قيود	3.96	0.81	6
9	يتم استخدام أكثر من لغة في الإعلان عبر الموقع الإلكتروني لتلبية حاجات مختلف الزبائن	3.33	0.78	21
10	يسهم الإعلان عبر الموقع الإلكتروني في توفير الوقت على الزبائن من خلال تقديم كافة المعلومات.	3.37	1.26	20

الرقم	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الأهمية النسبية
11	يتميز الإعلان عبر الموقع الإلكتروني بإمكانية وسهولة الرجوع إليها في أي وقت	3.55	1.02	17
12	تتميز صفحات الإعلان عبر الموقع الإلكتروني بسهولة التنقل خلالها	3.84	1.09	11
13	يؤثر الإعلان عبر المواقع الإلكترونية على قرارات المستهلكين بشكل مباشر	4.07	0.89	3
14	يساعد موقع نشر الإعلان عبر المواقع الإلكترونية من قدرة المنتجات على التأثير على القرار الشرائي للمستهلكين	3.81	1.22	12
15	توجد عروض في الإعلان عبر الموقع الإلكتروني يتم الوفاء بها	4.17	0.98	2
16	لبساطة الرسالة الإعلانية عبر الموقع الإلكتروني تأثير على قراراتك الشرائية.	4.04	0.96	4
17	توجد رموز كثيرة في الإعلان عبر الموقع الإلكتروني يصعب فهمها	4.53	0.60	1
18	يستجيب الإعلان للمقترحات التي تقدم من قبل الزبائن عن طريق الموقع الإلكتروني	3.81	1.10	13
19	للأصدقاء دور على قراراتك الشرائية عبر الموقع الإلكتروني	3.99	1.28	5
20	يتأثر قرارك الشرائي بالجودة أكثر من الإعلان عبر المواقع الإلكترونية	3.11	1.70	22
21	يساعد الإعلان عبر المواقع الإلكترونية في تعريفك بالمنتجات الجديدة.	3.55	0.92	18
22	يزيد الإعلان عبر المواقع الإلكترونية من فاعلية الوسائل الإعلانية الأخرى	3.88	1.04	9
---	الكلي	3.70	0.37	---

توضح بيانات الجدول رقم (5) أن أعلى متوسط إجابات كان الفقرة رقم 17 بمتوسط إجابات (4.53)، يليها الفقرة رقم 15 بمتوسط إجابات (4.17). وبشكل عام يلاحظ وجود اتجاهات ايجابية في الاتجاهات نحو العلاقة بين الإعلان الإلكتروني واتخاذ القرار الشرائي عبر الإلكتروني حيث بلغ المتوسط الكلي (3.70) وهو أعلى من متوسط المقياس (3). وكذلك الأمر بالنسبة لجميع الفقرات كان متوسط الإجابات عليها أعلى من متوسط المقياس (3) وهذا يشير إلى أن دخول الإعلان الإلكتروني إلى الساحة قد فتح الباب بصورة واسعة لأن يأخذ حيزاً بين الوسائل الإعلان التقليدية وأصبح له حضوره الفاعل على صعيد التأثير في سلوك المستهلك الشرائي.

ثالثاً: اختبار الفرضيات:

الفرضية الأولى: اتجاهات المجتمع إيجابية نحو الإعلان الإلكتروني.

جدول رقم (6): نتائج اختبار (ت) للعينة الواحدة (One-Sample Statistics)

الفرضية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة(ت) المحسوبة	قيمة(ت) الجدولية	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية	النتيجة
الفرضية الأولى	3.70	0.37	122.296	3.665	149	0.000	قبول Ha

توضح بيانات الجدول أن متوسط الإجابات أعلى من متوسط المقياس (3) والذي بلغ (3.70) بانحراف معياري (0.37)، كما يلاحظ وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى ثقة 95% حيث بلغت قيمة (ت) المحسوبة (122.296) وهي أعلى من قيمة (ت) الجدولية (3.665). وعليه يتم قبول الفرضية الأولى "يوجد علاقة بين الإعلان الإلكتروني وتكوين اتجاه إيجابي نحوه" إذ تشير النتائج إلى أهمية الإنترنت في حياة الناس المعاصرة فالشبكة العنكبوتية أصبحت لها حضورها الفاعل في حياة الناس ولاسيما في مجال التسويق والإعلان وعمليات الشراء، مما كان لها الأثر الكبير في تغيير أنماط حياة الناس.

الفرضية الفرعية الأولى: يوجد علاقة بين تصميم وإخراج الإعلان الإلكتروني وتكوين اتجاه إيجابي نحوه.

جدول رقم (7): نتائج اختبار (ت) للعينة الواحدة (One-Sample Statistics)

الفرضية	المتوسط الانحراف	قيمة(ت)	قيمة(ت)	درجات الدلالة	النتيجة
	الحسابي	المعياري	المحسوبة	الجدولية	الحرية الإحصائية
الفرضية الثانية	3.74	0.67	68.779	3.665	149
					0.000
					قبول Ha

يلاحظ من بيانات الجدول أن متوسط الإجابات أعلى من متوسط المقياس (3) والذي بلغ (3.74) بانحراف معياري (0.67)، كما يلاحظ وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى ثقة 95% حيث بلغت قيمة (ت) المحسوبة (68.779) وهي أعلى من قيمة (ت) الجدولية (3.665). وعليه

تقبل الفرضية الثانية "يوجد علاقة بين تصميم وإخراج الإعلان الإلكتروني وتكوين اتجاه إيجابي نحوه" حيث إن استخدام الإعلان في الإنترنت فتح مجالاً للإبداع واستنباط أساليب تصميم وإخراج أكثر قدرة على لفت انتباه المستهلكين والتأثر فيهم من خلال استثمار جهود المصممين الذين أخذوا بابتداع أشكال تتناسب وطبيعة الإعلانات التي تنشر على الإنترنت من خلال ما تقدمه هذه الوسيلة من مرونة في التصميم وإبداع في الإخراج.

الفرضية الفرعية الثانية: يوجد علاقة بين لغة الإعلان الإلكتروني وتكوين اتجاه إيجابي نحوه.

جدول رقم (8): نتائج اختبار (ت) للعينة الواحدة (One-Sample Statistics)

الفرضية	المتوسط	الانحراف	قيمة (ت)	قيمة (ت)	درجات	الدلالة	النتيجة
	الحسابي	المعياري	المحسوبة	الجدولية	الحرية	الإحصائية	
الفرضية الثالثة	3.61	0.45	99.025	3.665	149	0.000	قبول Ha

تشير بيانات الجدول أن متوسط الإجابات أعلى من متوسط المقياس (3) والذي بلغ (3.61) بانحراف معياري (0.45)، كما يلاحظ وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى ثقة 95% حيث بلغت قيمة (ت) المحسوبة (99.025) وهي أعلى من قيمة (ت) الجدولية (3.665). وعليه تقبل الفرضية الثالثة "يوجد علاقة بين لغة الإعلان الإلكتروني وتكوين اتجاه إيجابي نحوه" فالإعلانات التي تنشر على الإنترنت تستوجب استخدام لغة أكثر سهولة ويسر من تلك التي تستخدم في وسائل الإعلان التقليدية بحيث تكون أكثر اختصاراً وسهولة مما هو متبع في الوسائل الأخرى وذلك بما يتناسب وطبيعة هذه الوسيلة التي تعد حديثة في هذا الجانب.

الفرضية الفرعية الثالثة: يوجد علاقة بين سهولة الوصول إلى الإعلان الإلكتروني وتكوين اتجاه إيجابي نحوه.

جدول رقم (9): نتائج اختبار (ت) للعينة الواحدة (One-Sample Statistics)

الفرضية	المتوسط	الانحراف	قيمة (ت)	قيمة (ت)	درجات	الدلالة	النتيجة
	الحسابي	المعياري	المحسوبة	الجدولية	الحرية	الإحصائية	
الفرضية الرابعة	3.89	0.63	75.418	3.665	149	0.000	قبول Ha

تبين بيانات الجدول أن متوسط الإجابات أعلى من متوسط المقياس (3) والذي بلغ (3.89) بانحراف معياري (0.63)، كما يلاحظ وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى ثقة 95% حيث بلغت قيمة (ت) المحسوبة (75.418) وهي أعلى من قيمة (ت) الجدولية (3.665). وعليه تقبل الفرضية الرابعة "يوجد علاقة بين سهولة الوصول إلى الإعلان الإلكتروني وتكوين اتجاه إيجابي نحوه"

زيادة نسبة الاشخاص الذين أصبحوا يقبلون على الإنترنت في العالم بشكل عام والأردن بشكل خاص سهل من عملية الاطلاع على ما ينشر من إعلانات على مختلف المواقع التي تستخدم الإنترنت لهذه الغاية، كما أن ازدياد عدد المتصفحين والمستخدمين في خدمة الإنترنت عزز من أهمية استخدام هذه الوسيلة في الإعلان.

الفرضية الفرعية الرابعة: يوجد علاقة بين وضوح هدف الإعلان الإلكتروني وتكوين اتجاه إيجابي نحوه.

جدول رقم (10): نتائج اختبار (ت) للعينات الواحدة (One-Sample Statistics)

الفرضية	المتوسط الانحراف قيمة (ت)		قيمة (ت) درجات الدلالة		النتيجة		
	الحسابي المعياري	المحسوبة	الجدولية	الحرية الإحصائية			
الفرضية الخامسة	3.84	0.59	80.247	3.665	149	0.000	قبول Ha

تظهر بيانات الجدول أن متوسط الإجابات أعلى من متوسط المقياس (3) والذي بلغ (3.84) بانحراف معياري (0.59)، كما يلاحظ وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى ثقة 95% حيث بلغت قيمة (ت) المحسوبة (80.247) وهي أعلى من قيمة (ت) الجدولية (3.665). وعليه تقبل الفرضية الخامسة "يوجد علاقة بين وضوح هدف الإعلان الإلكتروني وتكوين اتجاه إيجابي نحوه" وفي ضوء ذلك يمكن القول إن هدف الإعلان الذي يرمي إلى تعريف المستهلك بالسلعة أو الخدمة التي تنشر من خلال الإعلان بهدف استقطاب أكبر عدد ممكن من المستهلكين لاستخدام السلعة أو الخدمة المعلن عنها تجعل من المستهلك ملماً بهدف الإعلان وتكوين حالة من الثقة بالسلع المعلن عنها.

الفصل الخامس: النتائج والتوصيات

النتائج:

لقد خرجت الدراسة بالنتائج التالية:

1. أكدت الدراسة أن إعلانات الإنترنت، لها دور كبير في تنمية معارف المشاهد وغرس مفاهيم الرسائل الإعلانية في نفسه، وأن تكرار الاطلاع عليها أكسب المشاهد المعرفة التي أثرت في سلوكه الشرائي، وأسهمت في تدعيم الأفكار الإعلانية التي تنشرها مواقع الإنترنت، كما أن استخدام التقنيات الحديثة في إخراج الإعلانات كان لها مفعول السحر في التأثير على ميول المتصفح وسلوكه الشرائي تجاه السلع المعلن عنها الأمر الذي يفيد بوجود علاقة بين الإعلان الإلكتروني وتكوين اتجاه إيجابي نحو الإعلان الإلكتروني.

2. أوضحت الدراسة أن المتصفح المكثف للإعلانات التجارية عبر مواقع الشبكة العنكبوتية جعل المشاهدين الأردنيين أكثر قبولاً لمضامين الأفكار الإعلانية بغض النظر عن دقة المعلومات الواردة فيها، على الرغم أن إعلانات الإنترنت تستخدم أساليب مختلفة في استمالة المشاهدين دون النظر إلى القدرات المادية للجمهور المشاهدين.
3. بات الإعلان التجاري على الإنترنت من وسائل التشكيل الثقافي على سلوك المشاهدين الاستهلاكي، لأنه يتسلل إلى أنفسهم دون حواجز أو معوقات، وقد وصل تأثيره إلى درجة سمحت له باحتلال مساحة في الإنترنت بصورة تسهم في توجيه سلوكيات المشاهدين الشرائية وترسيخ عادة الاستهلاك لديهم من جراء حمى التنافس الذي صار يأخذ طريقه على مواقع الإنترنت بين المؤسسات المعلنة.
4. أشارت نتائج الدراسة إلى أن إعلانات الإنترنت أسهمت في غرس أطر معرفية عن المنتجات والسلع المعلن عنها لدى المشاهدين، إلى جانب مشاركة أو تفاعل وسائل أخرى كمناقشة الشركات المنتجة عبر الرسائل التفاعلية على الإنترنت مع الجهات ذات العلاقة.
5. يلاحظ أن متابعة مشاهدة إعلانات الإنترنت رغم انتشار وسائل إعلامية أخرى يشير إلى أن إعلان الإنترنت بدأ يحظى باهتمام مستخدمي الإنترنت في مجتمع العينة.
6. أكدت الدراسة دور الإعلانات التجارية عبر الإنترنت في التأثير على سلوك المتصفح الشرائي، بسبب نجاح إعلان الإنترنت في شد انتباه مستخدمي الإنترنت إليه.
7. تعكس مشاهدة الإعلانات التجارية في مجتمع العينة إلى أن إعلان الإنترنت يسهم في تغذية نزعة المشاهدين نحو الاستهلاك، بسبب أساليب التصوير الناجحة التي تستخدم في إخراج الإعلانات وظهور السلعة بشكل يثير خيال المشاهدين.
8. إعجاب مشاهدين إعلان الإنترنت بعناصر الإعلان الفنية بما فيها من لقطات سريعة تدغدغ مشاعره وتشير قابليته للإيحاء مما يؤثر على سلوكه في قرار الشراء بغض النظر عن مستواه الاجتماعي والاقتصادي.
9. تعبر نتائج الدراسة حيال الإعلانات المفضلة لدى مشاهدين إعلانات الإنترنت فيما يتعلق بالسلع التي تغذي رغبات المشاهدين ونوازعهم والاهتمام بالعناصر الفنية الجاذبة له بهدف جعله أكثر استهلاكاً لمنتجاتهم الأمر الذي يؤثر على أن المشاهدين أصبح مستهدفين لأنشطة المعلنين.
10. تؤثر نتائج الإعلان المفضل لدى عينة الدراسة أن الشكل الفني الوارد في الإعلان من رسوم وألوان تمثل الجانب الأهم في جذب انتباه المشاهدين أكثر من المادة المعلن عنها ما يؤثر أن للإخراج دوره في إخراج السلعة بقلب مرغوب.

11. تدلل نتائج عينة الدراسة أن المعلنين نجحوا في تحويل الإعلان إلى مادة فنية قريبة من نفس المشاهد تسهم في إيجاد ميول استهلاكية تغذي نزعتهم في اقتناء السلع المعلن عنها.
12. وعي متصفح الإنترنت لأهداف الإعلان أسهم في تعريف المشاهد بدوافع الإعلان.
13. شراء السلع المعلن عنها في وسيلة الإعلان الجديدة تدلل على نجاح إعلانات الإنترنت في التأثير على السلوك الشرائي لعينة الدراسة.
14. أوضحت الدراسة أن جنس المتصفح (ذكر أو أنثى) كان مؤثراً على الأسرة في تلبية رغباتهم من السلع المعلن عنها وأسهم في تلبية حاجات الجنسين.
15. رأت الدراسة أن الإعلان عبر المواقع الإلكترونية يساعد في التعرف على الاقتراحات والشكاوى من قبل الزائر دون أي قيود.
16. بينت الدراسة أن الإعلان عبر الموقع الإلكتروني يتميز بإمكانية وسهولة الرجوع إليه في أي وقت.
17. أفادت الدراسة أن الإعلان عبر الموقع الإلكتروني يؤثر على قرارات المستهلكين بشكل مباشر ويزيد من فاعلية الوسائل الإعلانية الأخرى.

لذلك فإنه يمكن القول في ضوء ما توصلت إليه الدراسة، بأن علاقة المشاهد بإعلان الإنترنت هي من الموضوعات المهمة التي تستوجب إجراء دراسات معمقة للتعرف على حجم التأثير الذي يحدثه هذا النوع من الإعلان على المتصفح من النواحي النفسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

وتؤكد مجمل هذه النتائج بدء إقبال مجتمع عينة الدراسة على إعلان الإنترنت وحضوره في ساحة الوسائل الإعلانية ودوره في التأثير على السلوك الشرائي للمستهلك.

التوصيات:

بناء على نتائج الدراسة التي تم التوصل إليها حول تأثير الإعلان التجاري في الإنترنت على المتصفح الأردني، يمكن تقديم بعض المقترحات التي قد تسهم في معالجة الآثار السلبية المترتبة على المتصفح جراء تعرضه لحملات إعلانية مركزة تستهدفه حاضراً ومستقبلاً لجعله شخصية استهلاكية على الدوام ترضي مطامع المنتجين التي لا تقف عند حد معين ما لم يتم وضع ضوابط محددة تعمل على إيقاف نوازعهم أو الحد منها ما أمكن، ويمكن تلخيص هذه المقترحات إلى الجهات المعنية بالأمر وفقاً لما يلي:-

- توصيات موجهة إلى القائمين على العمل الإعلاني في النقاط التالية:-

1. ضرورة مواصلة تطوير الإعلانات الموجهة لمتابعي الإنترنت في الشكل والأسلوب حتى تكون أكثر قبولاً وتأثيراً على مشاهديها.
2. إعداد قوانين وتشريعات تنظم طريقة صياغة الإعلان وإخراجه، وإيجاد جهة رقابية تخضع الإعلان للرقابة؛ بحيث تكون المعلومات الموجودة في الإعلان مطابقة لواقع المنتج حتى لا ينطوي الإعلان على معلومات مبالغ فيها، وأن يتولى هذه المهمة خبراء في علوم النفس والإعلان واللغة.
3. وضع ضوابط تحد من استخدام الإعلانات للخيال والإثارة لكونها تفقد المشاهد صلته بالواقع وتجعله يتعلق بالنموذج الوهمي الموجود في الإعلان، بحيث لا يتعارض الإعلان مع القيم السلوكية المتعارف عليها في المجتمع ولا يروج لعادات غريبة قد يستهويها المشاهد ويعمل على تقليدها أو الأخذ بها.
4. إيقاع عقوبات جزائية وغرامات مالية على المصممين ووكلاء الإعلان والمنتجين والمعلنين الذين يخلون بالضوابط القانونية للإعلان في محاولة من جانبهم لابتزازه على نحو مبتذل لا يخدم المشاهد ويجعله ضحية الإعلان.
5. توظيف نتائج البحث العلمي التي تتناول علاقة المتصفح بالإعلان ونشرها في وسائل الإعلام المختلفة لتوعية المواطنين بمخاطر الإعلان وتحسينهم ضد ثقافة الاستهلاك التي يحاول المنتجون غرسها في نفوس متصفحي الإنترنت.
6. ضرورة إنشاء هيئة إعلانية عربية متخصصة تضم متخصصين في الإعلام والإعلان، تعمل على وضع ضوابط إعلانية تساهم بوصول الرسائل الإعلانية إلى الجمهور على نحو سليم.

- توصيات موجهة إلى الشركات المعلنة تتمثل بما يلي:-

1. ضرورة قيام الشركات الأردنية بالعمل على تفعيل وتنشيط المواقع الإلكترونية لديها وتعريف المستهلكين بهذه المواقع وفي حالة عدم وجودها يجب على الشركات أن تقوم بتصميم مواقع إلكترونية وذلك لأهميتها في التسويق.
2. العمل على تصميم مواقع إلكترونية جاذبة لتأثيرها المباشر على القرارات الشرائية وبالتالي خلق اتجاهات إيجابية للمستهلكين نحو السلع والخدمات مما يزيد من فاعلية البرامج التسويقية الأخرى وهذا ما أكدته نتيجة الفرضية الثانية.
3. ضرورة اختيار طرق سهلة وواضحة للمستهلك لكي يتمكن من الوصول إلى الموقع الإلكتروني دون الحاجة إلى استخدام أساليب قد تؤدي إلى إعاقة وصوله لهذه المواقع.

4. يجب أن تتميز الإعلانات عبر المواقع الإلكترونية بوضوح الهدف لكي تؤدي الرسالة الإعلانية تأثيرها على اتخاذ القرار الشرائي للمستهلك.
5. ضرورة قيام الشركات بحملات إعلانية موسعة تهدف لتعريف المستهلكين بالمواقع الإلكترونية ليتمكنوا من خلالها التعرف على هذه الشركات والمنتجات التي تقوم بإنتاجها.
6. العمل على توفير قاعدة بيانات متكاملة وموظفين مؤهلين للقيام بتحديث الموقع الإلكتروني للشركة والتعرف على آراء واتجاهات المستهلكين عن الشركة والمواقع لما لذلك من تأثير على قدرة المستهلك باتخاذ القرار الشرائي.

- توصيات موجهة إلى الأسرة تتمثل بما يلي:-

1. على الآباء أن يناقشوا أفراد أسرهم بأهداف الإعلان وتعريفهم بمن يقف وراءه لكي يتم تزويدهم بمناعة كافية حيال ما يروج في الإعلانات من سلع مختلفة حتى يتم التعامل مع ما يعرض في الإعلان بصورة منطقية.
2. توعية المتصفح بحقيقة الإعلانات وإعطائه مناعة كافية في هذا الجانب تؤهله لتقييمها لكي يحسن تعامله مع المعلومات التي يتلقاها في إعلانات الإنترنت، ويحكمها عقلياً حتى لا يقع فريسة سهلة لأطماع المعلنين.
3. ضرورة تأسيس هيئة أو جمعية من قادة الرأي في المجتمع تحرص إلى جانب الهيئات الرقابية على حماية المستهلك من تغول المنتجين في تركيز حملاتهم الإعلانية على المجتمع بصورة تفوق قدراتهم على الاستهلاك.
4. ضرورة وضع مدونة شرف إعلاني لتحديد الضوابط الإعلانية في المجتمع، بالاستعانة مع متخصصين في شؤون الإعلام والإعلان، لضبط الرسائل الإعلانية بصورة مهنية.

- اقتراحات وتوصيات إلى وزارة التربية والتعليم ويمكن تحديدها في النقاط التالية:-

1. استحداث منهاج يتعلق بتربية المشاهد ضمن برامج المنهاج الأكاديمي بحيث يشمل مواد تعليمية تعنى بتدريس أثر الإعلان على المشاهد.

- اقتراحات وتوصيات إلى مصممي ومنتجي الإعلانات وتتمثل بما يلي:-

1. عدم استخدام أساليب الخداع التصويري التي تظهر مواصفات غير حقيقية عن السلع المعلن عنها.

الخاتمة:

هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع الإعلانات التجارية التي تنشر عبر الإنترنت في الأردن، والتعرف إلى آراء المتابعين ومدى تأثير هذه الإعلانات على سلوكهم الشرائي.

ويعد الإنترنت من وسائل نشر الإعلان في العالم، فالمثيرات الصوتية والصورية الموجودة في مواقع الإعلانات تجذب انتباههم وتشد أعصابهم.

من جانب آخر بدأ المعلنون في الإقبال على استخدام هذا المرفق الحيوي في الأردن، وتتميز إعلانات الإنترنت بنوع من الجاذبية، لكونها تميل إلى السهولة في التقديم والبساطة في اللغة، مما يسهل على المشاهد حفظها.

كما هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على نظرة المشاهد الأردني إلى الإعلانات التي يقدمها الإنترنت، من حيث الانتباه والتركيز، والأمور التي تبث بمصاحبة الإعلان التي يتفطن المعلنون في استخدامها في مضامين الإعلانات بهدف التأثير على سلوك المشاهد الشرائي الأمر الذي يسهل مهمة المنتج في إقبال المشاهد على شراء السلع المعلن عنها بنفسه، أو الطلب من أفراد العائلة لشرائها، وتؤثر على مواقفهم ومعتقداتهم مع مرور الوقت في إبقاء الرغبة قائمة لديهم باستهلاك المزيد من السلع المعلن عنها مستقبلاً.

وكذلك تناولت الدراسة اهتمامات قراء الإعلانات التجارية عبر الإنترنت من حيث المعلومات التي تتضمنها، ومدى وعي المشاهد الأردني ومعرفته بأهدافها الخفية التي تكمن وراء بثها.

فالمشاهد بطبيعته يهتم بالمثيرات البيئية من حوله وأكثرها جذباً لانتباهه بما تحويه من مثيرات صوتية وبصرية متنوعة، والإعلانات التجارية وسيلة تعريف بالسلع، وخصوصاً الغذائية، لذلك فقد اهتمت هذه الدراسة في معرفة تأثير الإعلان التجاري على السلوك الشرائي لمجتمع عينة الدراسة والقيم الجديدة التي تبرزها إعلانات الإنترنت، ومدى إسهامها في ترسيخ قيم ومواقف مادية، إذ إن تقديم الإعلانات من خلال دمجها مع مادة مواقع الإنترنت أمر مرغوب للمشاهدين ولها تأثير كبير على سلوكهم الشرائي.

والإعلانات التجارية تنبثق من افتراض أساسي ومهم وهو أن السلوك الاستهلاكي لدى الإنسان هو نوع من أنواع السلوك الفطري لدى البشر، وأن تلبية الغرائز والشهوات الإنسانية من الحاجات الأساسية أيضاً، والمحصلة النهائية لإعلان الإنترنت تشجيع النمط الاستهلاكي، والعمل على تنمية وتحريض هذا النمط في نفس المستهلك.

ولاشك أن مصممي الإعلانات التجارية يعتمدون بشكل أساسي على البحوث المتعلقة بالسلوك الإنساني، وذلك لمعرفة أفضل الطرق لجعل المشاهد يتأثر بها، لكي يؤدي الإعلان التجاري الغرض الذي صمم من أجله.

لقد اقتضت طبيعة البحث الاعتماد على الاستبانة كأداة رئيسة لجمع البيانات للتعرف على مدى التأثير الذي تحدثه الإعلانات التجارية في الإنترنت على مجتمع عينة الدراسة، وقياس اتجاه المشاهدين الذين خضعوا للدراسة نحو مشاهدتهم للإعلانات التجارية وقياس مدى مساهمة مشاهدتهم للإعلانات التجارية في إيجاد حاجات جديدة لديهم.

كما جرى قياس المستوى الاجتماعي والاقتصادي للمبحوثين بهدف التعرف على المستويات التي تنتمي إليها عينة الدراسة بهدف معرفة العلاقة بينها وبين مستوى تأثرهم بالإعلانات التجارية عبر الإنترنت.

والغرض من إعداد الاستبانة يأتي لمعرفة دور الإعلان التجاري عبر الإنترنت في حياة المستهلك الأردني بعدما أخذ الكمبيوتر واستخدام الإنترنت ينتشران في الأردن على نحو واسع، وتحديد أثر المتغيرات الوسيطة المتمثلة في النوع والبيئة والمستوى الاقتصادي والاجتماعي إضافة إلى دوافع المشاهدة على تشكيل العلاقة بين التعرض للإعلانات التجارية وبين المعارف التي تتولد في عقل المستهلك وانعكاسها على سلوكه الشرائي.

The Receptivity of the Advertising on the Jordanian Internet

Ibrahim Khasawneh, Dept of Journalism and Mass Communication, Al-Patra University, Amman, Jordan.

Abstract

Study examined the Advertising website in Jordan, since the Internet is no longer a means to exchange information and e-mails and reading the news and entertainment, it has become a platform for building e-business is working to attract advertisers and working in the field of ad affect on my browser's Web site.

Turning the study of the Advertising-mail from multiple angles, it became known as the Advertising and its features, the Internet and its history, and then presented the factors that led to his appearance on the Internet, and the advantages of advertising through this type of advertising media, as well as its inception, globally and locally, and then talked about the great economic benefits.

To know the reality of online advertising in Jordan as a model from which to know the level of presence and extent of demand in the presence of the other means of advertisement in The study used the survey questionnaire based random sample of the scientific results of the exit.

The study population and of the pioneers of internet centers in Irbid - University Avenue, which has large numbers of Internet centers where he entered the Encyclopedia of the large Genus Internet cafes scattered as it was considered vital to the region being rich in manned stations online.

Study placed Fraudha head of the subsidiary to measure community attitudes toward online advertising and how it relates to the design and the language used in drafting and style of output.

The study aimed to provide a description of the online advertising and identify the relationship between online advertising and its impact on decision-making to the consumer purchasing power, through a field study has been reached where the results and in the light as recommendations and proposals for the decision maker catalog.

The study pointed out that online advertising takes the way to the growing sophistication from year to year, and companies are seeking to be a leader in the field of online advertising and attract the largest possible number of advertisers to declare in the electronic pages to earn profits place advertisements for the products of companies of all kinds.

The study stressed the need for companies to invest this kind of ads to take advantage of this data is a modern way of promoting goods Advertisings without the real image to mislead or deceive customers to customers so as not to lose these companies lose credibility and clients and customers. And concluded that many of the proposals that contribute to improving the use of this method in this field.

قدم البحث للنشر في 2010/2/10 وقبل في 2011/3/23

الهوامش

- 1-Barringer, B. and Ireland, R: "Advertising -Successfully Launching New Ventures". New Jersey: Pearson Education ,2006, P15.
- 2-Kotler,P.and Armstrong,G :“Principles of Marketing , 1996,P23 .
- 3-Lambing ,P.and Kuehl.C. “Advertising” New jersey : Prentice –Hall , Inc, 2000, P41 .
- 4- النور، دفع الله أحمد: الإعلان الأسس والمبادئ، دار الكتاب الجامعي، العين، 2005، ص 75.
- 5- ماركول، بيل: مرشد الأذكاء الكامل إلى التسويق على الإنترنت، دار الفاروق، القاهرة، ص 17.
- 6- عبد الصبور، محسن: أسرار الترويج في عصر العولمة، دار حامد للنشر، 2000، ص 192.

- 7- باريت، نيل: الإعلان على الإنترنت، بيت الأفكار الدولية، الولايات المتحدة، 1997، ص 41.
- 8- عبد القادر، محمد: التجارة الالكترونية ، وادي النيل للنشر والتوزيع ، القاهرة، ط 1 ، 2008، ص27.
- 8- أبو فارة يوسف، العلاقة بين المشتري عبر الإنترنت وخصائص المتجر الإلكتروني، المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية، المجلد 7، العدد (1)، (2004)، ص11.
- 9- هويدي، ماجدة عوض: سياسات تسويق الإنترنت في الأردن، الجامعة الأردنية، رسالة ماجستير غير منشورة، عمان الأردن، 2002، ص 45.
- 10- عبد القادر، محمد: اتجاهات المستهلكين نحو الإعلان على الإنترنت، المجلة المصرية - الدراسات التجارية، جامعة المنصورة، المجلد 25، العدد الثاني، 2001، ص73.
- 11- الكاملي، عبد القادر، وعدنان الحسيني: السوق الإلكترونية العربية حاضراً ومستقبلاً مجلة إنترنت العالم العربي، أيار، 1998، ص77
- 12- الحسيني ، عدنان: أفضل النتائج الإلكترونية العربية، مجلة أنترنت العالم العربي، كانون أول، 1997 ، ص 26-30.
- 13- طابع، سامي: استخدام شبكة المعلومات (الإنترنت) في الحملات الإعلانية المجلة المصرية لبحوث الإعلام، جامعة القاهرة، 1997، ص.98
- 14- موقع www.emarkter.com (2002).
- 15- Poon Simpson & Paula M. C. Swatman: An Exploratory Study of Small Business Internet Commerce Issues . Information and Management, 35(1): 1999, P 9- 18 .
- 16- Teo, Thompson S. H & Margaret Tan : An Empirical Study of Adoptors of the Internet in Singapore. Information and Management, 1998, 34(6): 339 – 345.
- 17- Ernest & Young LL P: "Internet Shopping: A new Channel Emergence" 1998.. Stores, 80: 4- 15.
- 18 - الشمري، حامد، والفضل، مؤيد : الاساليب الإحصائية في إتخاذ القرار، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2005، ص20-22.
- 19- Ernest & Young LL P: "Internet Shopping: A new Channel Emergence" 1998.. Stores, 80 : 4- 15 .
- 20 - عوض الله، غازي : "الإعلام والمجتمع" ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995، ص71.
- 21 -Scotta, shamp, prospects for electronic publication in communication; a survey of potential users "quarterly 40, summer 1999. p 219.
- 22- أبو إصبع، د. صالح: الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، دار البركة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ، ط 6 ، 2010 ، ص 404 .
- 23 -George G.Belch and Michael A.Belch,":Advertising and Promotion" Home wood .IL, 1995, P33 .
- 24 - مركز تكنولوجيا المعلومات الوطني. www.nic.gov.jo

- 25- كمال، كامل: "الإعلان الإلكتروني"، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 2007، ص31 .
- 26- أبو أصبع، مصدر سابق، ص 404 .
- 27- (www.irex.org) تقرير هيئة تنفيذ برنامج تدعيم وسائل الإعلام في الأردن نيابةً عن الوكالة الأمريكية للإنماء الدولي.
- 28 -Dollinger, J. "Advertising Strategies and Resources". New Jersey: Pearson Education, 2003, P 55.
- 29 - مصطفى، على حسن: "الإعلان الإلكتروني"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999، ص63.
- 30- Barringer, B. and Ireland, R. (2006), P 20 .
- 31- George G.Belch and Michael A.Belch,(1995), P35.
- 32- الحلواني، ماجي: "مدخل إلى الفن الإذاعي والتلفزيوني والفضائي"، عالم الكتب، القاهرة، 2002، ص53.
- 33- الفيصل، عبد الامير: الصحافة الالكترونية في الوطن العربي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2006، ص58.
- 34- Kotler,P.and Armstrong,G .(1996),P25 .
- 35 - المهداوي، فارس حسن : صحافة الإنترنت.. دراسة تحليلية للصحف الالكترونية المرتبطة بالفضائيات الاخبارية " العربية. نت نموذجا". رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الآداب والتربية، الاكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، 2007.
- 36- العلاق، بشير ، تطبيقات الإنترنت في التسويق، دار المناهج، عمان، 2003، ص 110.
- 37- عيود، طلال ، التسويق عبر الإنترنت، دار الرضا للنشر، بيروت، 2000، ص 45.
- 38- نبيل، جواد : التسويق في خدمة المجتمع، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 2008، ص120.
- 39- حسانة، محي الدين، استخدام الإنترنت في المنظمات الأهلية والتجارية والاقتصادية، رسالة المكتبة، 2000، المجلد (35) العدد 3-4، ص 36.
- 40-Lambing ,P.and Kuehl.C. Small Business Planning and Management". TX . Dryden Press, 1994" P17 .
- 41- Bryant .Jennings & Susan Thompson: Fundamentals of Media Effects, (New York: Mc Grow –Hill Companies,2002),P16 .
- 42- جو ،فاهي، ماري: تصميم الإعلانات والتسويق على الإنترنت، دار العربية للنشر، بيروت، 1998، ص210.
- 43- باريت، نيل، مصدر سابق، 1997، ص 41.
- 44- عبيد، عاطف عدلى العبد : "مدخل إلى الاتصال : الأسس النظرية والإسهامات العربية"، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997، ص26.

- 45- اللبان، شريف درويش: الصحافة الالكترونية - دراسات في التفاعلية وتصميم المواقع، الدار المصرية اللبنانية، ط1، كلية الاعلام - جامعة القاهرة، 2005، ص99.
- 46- عبد القادر، محمد: التجارة الالكترونية ، وادي النيل للنشر والتوزيع ،القاهرة، ط1 ، 2008، ص27.

قائمة المراجع العربية :

- أبو إصبع، صالح. (2010). الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، دار البركة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط6.
- أبو قحف، عبد السلام. (2003). هندسة الإعلان، دار الجامعة للنشر، القاهرة.
- باريت، نيل. (1997). الإعلان على الإنترنت، بيت الأفكار الدولية، الولايات المتحدة.
- جو فاهي، ماري. (1998). تصميم الإعلانات والتسويق على الإنترنت، دار العربية للنشر، بيروت.
- حسانة، محي الدين. (2000). استخدام الأنترنت في المنظمات الأهلية والتجارية والاقتصادية، رسالة المكتبة، المجلد (35) العدد 3-4.
- الطواني، ماجي. (2002). مدخل إلى الفن الإذاعي والتلفزيوني والفضائي، عالم الكتب، القاهرة.
- الشمري، حامد، والفضل، مؤيد. (2005). الاساليب الإحصائية في إتخاذ القرار، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.
- عبد الصبور، محسن. (2000). أسرار الترويج في عصر العولمة، دار حامد للنشر.
- عبد القادر، محمد. (2008). التجارة الالكترونية، وادي النيل للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.
- عبود، طلال. (2000). التسويق عبر الإنترنت، دار الرضا للنشر، بيروت.
- عبيد، عاطف عدلى العبد. (1997). مدخل إلى الاتصال: الأسس النظرية والإسهامات العربية، دار الفكر العربي، القاهرة.
- العلاق، بشير. (2003). تطبيقات الإنترنت في التسويق، دار المناهج، عمان.

- عوض الله، غازى زين. (1995). الإعلام والمجتمع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- الفيلصل، عبد الامير. (2006). الصحافة الالكترونية في الوطن العربي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1.
- كمال، كامل. (2007). الإعلان الالكتروني، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة.
- ماركول، بيل. (د.ت). مرشد الأذكياء الكامل إلى التسويق على الإنترنت، دار الفاروق، القاهرة.
- محمود، سمير. (1996). الإعلان الالكتروني: الأسس والمبادئ والتطبيقات، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة.
- مصطفى، على حسن. (1999). الإعلان الالكتروني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
- نبيل، جواد. (2008). التسويق في خدمة المجتمع، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت.
- النور، دفع الله أحمد. (2005). الإعلان الأسس والمبادئ، دار الكتاب الجامعي، العين.

الدوريات والرسائل العلمية :

- أبو فارة، يوسف. (2004). العلاقة بين المشتري عبر الإنترنت وخصائص المتجر الإلكتروني، المجلة الأردنية للعلوم التطبيقية، المجلد 7، العدد (1).
- الحسيني، عدنان. (1997). أفضل النتائج الإلكترونية العربية، مجلة إنترنت العالم العربي، كانون أول.
- طابع، سامي. (1997). استخدام شبكة المعلومات (الإنترنت) في الحملات الإعلانية، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، جامعة القاهرة.
- عبد القادر، محمد. (2001). اتجاهات المستهلكين نحو الإعلان على الإنترنت، المجلة المصرية -الدراسات التجارية، جامعة المنصورة، المجلد 25، العدد الثاني.

الكامل، عبد القادر، وعدنان الحسيني. (1998). السوق الإلكترونية العربية حاضراً ومستقبلاً
مجلة أنترنت العالم العربي، أيار.

اللبان، شريف درويش. (2005). الصحافة الإلكترونية - دراسات في التفاعلية وتصميم
المواقع، الدار المصرية اللبنانية، ط1، كلية الاعلام - جامعة القاهرة.

المهداوي، فارس حسن. (2007). صحافة الانترنت.. دراسة تحليلية للصحف الإلكترونية
المرتبطة بالفضائيات الاخبارية "العربية. نت نموذجاً". رسالة ماجستير مقدمة الى
مجلس كلية الاداب والتربية، الاكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك.

هويدي، ماجدة عوض. (2002). سياسات تسويق الإنترنت في الأردن، الجامعة الأردنية،
رسالة ماجستير غير منشورة، عمان الأردن.

المراجع الاجنبية:

Barringer, B. and Ireland, R. (2006). *Advertising -Successfully Launching New Ventures*. New Jersey: Pearson Education.

Bryant .Jennings & Susan Thompson. (2002). *Fundamentals of Media Effects*,
(New York: Mc Grow –Hill Companies.

Dollinger, J. (2003). *Advertising Strategies and Resources*. New Jersey: Pearson Education.

Drucker. (1985). *Innovation and Advertising*. New York: Harper and Rwo, Publishers.

George G.Belch and Michael A.Belch. (1995). *Advertising and Promotion*. Home wood .IL.

Kotler, P.and Armstrong, G. (1996). *Principles of Marketing*.

Lambing, P. and Kuehl. C. (2000). *Advertising*. New jersey : Prentice – Hall, Inc.

Lambing, P. and Kuehl, C. (1994). *Small Business Planning and Management*. TX . Dryden Press.

Scotta, shamp. (1999). *prospects for electronic publication in communication; a survey of potential users*. quarterly 40, summer.

المواقع الإلكترونية :

1. www.emarkter.com (2002).
2. www.irex.org) تقرير الهيئة القائمة على تنفيذ برنامج تدعيم وسائل الإعلام في الأردن نيابةً عن الوكالة الأمريكية للإنماء الدولي.
3. مركز تكنولوجيا المعلومات الوطني. www.nic.gov.jo

تطور "دبلوماسية الأسلحة" الصينية في الشرق الأوسط في الفترة 1950-2009: دراسة مقارنة لمبيعات الصين العسكرية لكل من الدول العربية وإيران وإسرائيل

خير سالم ذيابات *

ملخص

استحوذ دور الصين المتصاعد في مجال تجارة الأسلحة منذ مطلع ثمانينيات القرن الماضي اهتماماً عالمياً متزايداً، وذلك عندما انضمت الصين إلى قائمة القوى الكبرى الفاعلة في تجارة السلاح العالمية، إلى جانب كل من الولايات المتحدة، والاتحاد السوفييتي (روسيا لاحقاً) وبعض الدول الأوروبية، محاولة بذلك أن تصبح منافساً قوياً لهذه القوى في أحد أسواق السلاح العالمية الهامة المتمثل بسوق الشرق الأوسط. ومن هنا، جاءت هذه الدراسة لتبحث في علاقات ومبيعات الصين العسكرية مع فواعل منطقة الشرق الأوسط –الدول العربية وإيران وإسرائيل- منذ عام 1950 وحتى عام 2009. ولتحلل دوافع كل من الصين وهذه الفواعل في المضي في مثل هذه العلاقات العسكرية، من خلال تقسيم فترة هذه الدراسة إلى أربع مراحل: الأولى من 1950 وحتى 1977، والثانية من 1978 وحتى 1990، والثالثة من 1991 وحتى 2001، والرابعة من 2002 وحتى 2009، ومن ثم مقارنة هذه المراحل؛ للتعرف على طبيعة التغير الذي أصاب هذه التبادلات العسكرية، ولكشف معيقاتها، وأخيراً، لتقدير درجة تهديد هذه التبادلات لأطراف دولية أخرى.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2013.

* قسم قسم العلوم السياسية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

مقدمة الدراسة

تولي الصين الشعبية -كغيرها من الدول المصدرة للسلح- اهتماما خاصا بمنطقة الشرق الأوسط، باعتبارها أهم أسواق السلح العالمية، التي ما زالت تحتفظ بهذه الأهمية منذ عقود ماضية: بدءا بمرحلة الصراع بين الشرق والغرب خلال فترة الحرب الباردة، ومرورا بمرحلة انهيار الاتحاد السوفياتي في بداية تسعينيات القرن الماضي، ووصولاً إلى مرحلة ما بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001. على الجانب الآخر، وجدت بعض دول المنطقة في الصين مصدرا يمكن التعويل عليه لسد بعض احتياجاتها العسكرية جراء تغير بعض المعطيات الدولية؛ خاصة أن التعاضم الاقتصادي والسياسي للقارة الآسيوية في العقدين الماضيين بدوا واضحين للكثير من المراقبين والمهتمين، الذين يدركون تحولات القوة شرقا، انطلاقاً من أن الدول الآسيوية الصاعدة (الصين والهند) سيكون لها شأن واضح في تشكيل النظام الدولي في العقود المقبلة.

مشكلة الدراسة وأهميتها

تتلخص مشكلة الدراسة في بحث العلاقة بين تطور سياسة الصين الخارجية عبر فترات محددة تمتد من عام 1950 إلى عام 2009 ومبيعات أسلحتها في الشرق الأوسط كإحدى أدوات السياسة الخارجية، خاصة وأن هذه العلاقة العسكرية تربط الصين بفواعل النظام الإقليمي في الشرق الأوسط، التي تشكل مثلثا استراتيجيا متناقضا، تقف على زواياها: الدول العربية وإيران وإسرائيل.

ومن هنا، تستمد هذه الدراسة أهميتها من الاعتبارات التالية:

- أنها تتناول موضوعا مرتبطا بإحدى الدول الكبرى الصاعدة والدائمة العضوية في مجلس الأمن، من حيث توجهاتها ومواقفها فيما يتعلق بظاهرة مبيعاتها العسكرية في المنطقة، لما لها من تأثير في منطقة الشرق الأوسط بشكل عام، وفي المنطقة العربية بشكل خاص.
- لم يحظ موضوع البعد العسكري في العلاقات الصينية -الشرق أوسطية بشكل عام، والصينية-العربية بشكل خاص، بأية دراسة تحليلية حديثة في الكتابات العربية (على حد علم الباحث). وبهذا تكون هذه الدراسة من أوائل الدراسات في هذا المجال، إن تبحث جانبا مهما في علاقات الصين مع أهم أقطاب الشرق الأوسط: الدول العربية، وإيران، وإسرائيل.

- أن هذه الدراسة ستعمل على تقديم بعض المعلومات المهمة والأساسية للعديد من المهتمين بالشؤون الصينية-الشرق أوسطية، سواء كانوا باحثين أو أكاديميين، أو قائمين على أجهزة صنع القرار.
- أن الدراسة ستحاول تحليل طبيعة التبادلات العسكرية بين الصين ودول الشرق الأوسط، خاصة الدول العربية، الأمر الذي قد يسهم في تخفيف حدة خشية بعض الأطراف الأخرى (الدول الغربية)، التي تنتظر لهذه التبادلات بنوع من الشك والريبة، في ظل حديث بعض الكتابات الغربية -كدراسة صدام الحضارات للأمريكي صامويل هنتنغتون 1993- عن تحالف صيني-إسلامي محتمل جراء هذه التبادلات.
- أن الدراسة ستبحث مدى التعاون العسكري بين الصين وإيران من جانب، وبين الصين وإسرائيل من جانب آخر، لما له من أهمية كبيرة في فهم السياسة الخارجية الصينية في الشرق الأوسط، وفي الإسهام في توجيه بوصلة التحالفات العربية المستقبلية مع الدول الكبرى.

أهداف الدراسة وأسئلتها

تبحث هذه الدراسة طبيعة البعد العسكري للعلاقات الصينية بدول الشرق الأوسط منذ قيام هذه العلاقات في خمسينيات القرن الماضي وحتى ما بعد مرحلة الحادي عشر من سبتمبر 2001، بهدف الوقوف على أهم المراحل التي مر بها هذا البعد، وقياس أهمية هذا البعد في العلاقة بين الطرفين. كذلك تحاول هذه الدراسة إبراز طبيعة التغير الذي أصاب التبادلات العسكرية بين بكين وفواعل الشرق الأوسط. هذا إلى جانب محاولة بحث فرص تطوير هذه التبادلات وعوائقها وبحث رؤية أثرها على الدول الغربية. وللوصول إلى هذا الهدف، ستحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما هي دوافع الصين وفواعل النظام الإقليمي في الشرق الأوسط للدخول في علاقات تعاون عسكرية؟
- ما هي المحطات التي شهدتها العلاقات العسكرية بين الطرفين؟
- ما طبيعة التغير الذي طرأ على العلاقات الصينية-الشرق أوسطية في بعدها العسكري؟
- هل يمكن الحديث عن تعاون استراتيجي عسكري بين بكين والدول الإسلامية (الدول العربية وإيران) موجه ضد الغرب، كما تدعي بعض الكتابات الغربية؟

- أين تقف فرص تعزيز هذا التعاون العسكري عوائقها؟

فرضيات الدراسة

للإجابة عن التساؤلات السابقة، ولتحقيق أهداف الدراسة، تقوم الدراسة على فرضية أساسية مفادها أن طبيعة التغيرات الدولية لها أثر واضح في استجابة طرفي العلاقة -الصين ودول الشرق الأوسط- تجاه تعزيز التبادلات العسكرية أو تخفيضها. وقد قام الباحث أيضا بصياغة فرضيات فرعية أخرى مفادها:

- أن هناك علاقة طردية بين انفتاح سياسة الصين الخارجية على العالم الخارجي وزيادة مبيعاتها العسكرية لدول الشرق الأوسط.
- أن ثمة علاقة عكسية بين تحالفات دول الشرق الأوسط الدولية (مع الدول الكبرى الأخرى) ومبيعات الصينية العسكرية في المنطقة.

محددات الدراسة

تقوم هذه الدراسة على تتبع حركة مبيعات الأسلحة الصينية إلى كل من الدول العربية وإيران وإسرائيل منذ عام 1950 وحتى عام 2009. وقد وقع اختيار الباحث على هذه الدول لعدة اعتبارات:

- مكانة الصين على سلم القوى الدولية كإحدى الدول الكبرى الصاعدة في النظام الدولي، والتي تمتلك نفوذا سياسيا واقتصاديا وعسكريا، والتي يتوقع أن يكون لها شأن في تفاعلات النظام الدولية والإقليمية في المستقبل.
- طبيعة العلاقة التي تربط الصين بهذه الدول؛ فعلى الرغم من أن هذه الدول تشكل مثلثا استراتيجيا متناقضا في الشرق الأوسط، إلا أن الصين استطاعت أن تبلور علاقات متناغمة إلى حد ما مع جميع هذه الأطراف.

وبما أن السياسة الخارجية الصينية قد مرت بمحطات مهمة خلال هذه الفترة (1950-2009)، فقد إرتأى الباحث أن يقسم الدراسة إلى مراحل أربع: المرحلة الأولى (1950-1977) وتبدأ بعيد قيام جمهورية الصين الشيوعية في تشرين الأول، 1949 وتنتهي في عام 1976 بانتهاء فترة حكم الزعيم الصيني ماوتسي تونغ؛ المرحلة الثانية (1978-1990) وتبدأ مع بداية

تطبيق سياسة التحديث والانفتاح الصيني على الخارج، وتنتهي بنهاية الحرب الباردة 1990؛ المرحلة الثالثة (1991-2001) وتمتد من انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة وصولاً إلى الحادي عشر من سبتمبر 2001؛ وأخيراً فإن المرحلة الأخيرة (2002-2009) عالجت فترة ما بعد الحادي عشر من سبتمبر إلى نهاية عام 2009.

وهنا لا بد من الإشارة إلى اعتماد الدراسة على التقارير السنوية الخاصة بمعهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام ((Stockholm International Peace Research Institute: SIPRI دون غيرها، وذلك لما يتمتع به هذا العهد من حيادية مقبولة في التعاطي مع المعلومات لدى الكثير من الدول، على عكس بعض المعاهد الغربية الأخرى، مثل معهد (Center for Strategic Studies: CSIS and International Studies) التي لا يمكن استبعاد مبالغتها في الأرقام المعطاة، على اعتبار أنها تخص دولا، تعد من خصومها. علاوة على ذلك، كان لغياب المعلومات الواضح حول هذا الموضوع في مراكز الدراسات الدولية العربية دوراً مهماً في اعتماد الدراسة على هذا المصدر كمصدر أصيل. علاوة على ذلك، فقد استبعدت الدراسة أية معلومات حول حركة الأسلحة الصينية لبعض الحركات التحررية في الشرق الأوسط، على اعتبار أنها مساعدات لا تندرج ضمن مبيعات الأسلحة ولا تخص دولا أو حكومات. وأخيراً، لم تبحث الدراسة في بعض الصفقات العسكرية التي يمكن لبكين أن تكون قد عقدتها مع بعض دول الشرق الأوسط في سوق السلاح السوداء، نظرياً لطبيعتها السرية، أو للشكوك التي تدور حولها.

الدراسات السابقة

قام الباحث بمراجعة العديد من الأدبيات المتعلقة بموضوع علاقات الصين مع دول الشرق الأوسط. وقد تبين للباحث الشح الذي تعانيه المكتبة العربية في البحث في هذا الموضوع بشكل عام، والبحث في موضوع علاقات بكين العسكرية مع دول المنطقة بشكل خاص. ومع ذلك وجد الباحث عدداً من الدراسات التي تطرقت إلى هذا الموضوع بشكل عام. ومن أهم هذه الدراسات:

1. دراسة "العلاقة بين الصين الشعبية وإسرائيل"، لأسامة مخيمر، 1992 وقد بينت أهمية إسرائيل العسكرية للصين، وكيف عملت الاتصالات العسكرية بين الطرف الصيني والإسرائيلي على تنامي علاقاتهما، وصولاً إلى مرحلة تبادل الاعتراف السياسي بينهما. وقد توصلت الدراسة إلى أن التغيرات الدولية قد قادت إلى تنامي هذه العلاقات والتي يمكن لها أن تتنامى بشكل مطرد، نظراً للمكاسب السياسية والاقتصادية التي تعود على طرفي العلاقة.

2. دراسة "China's Relations with Arabia and the Gulf 1949 1999" . Bin Huwaidin، في عام 2002 وتناولت علاقات الصين مع الدول العربية الخليجية في الفترة الواقعة بين عام 1949 و1999 في عدة مجالات، خاصة في المجالات السياسية والاقتصادية. وقد توصلت الدراسة إلى أن هناك نموا مطردا للعلاقات بين الطرفين، خاصة في العلاقات الاقتصادية، التي تطورت بشكل لافت للنظر بسبب اعتماد الصين المتنامي على بترول الشرق الأوسط.

3. دراسة "China's Arms Sales: Motivations and implications" لـ Bayman Daniel، في عام 1999، وقد تطرقت إلى دوافع بكين نحو التعاون العسكري مع بعض الدول ومنها دول في الشرق الأوسط. وقد توصلت الدراسة إلى وجود العديد من العوامل السياسية والاقتصادية، التي تدفع بالصين إلى بناء علاقات استراتيجية مع بعض دول الشرق الأوسط، وذلك لزيادة نفوذها السياسي والاقتصادي في المنطقة.

4. دراسة "Providing Arms: China and the Middle East" لـ Dan Blumenthal، في عام 2005، وقد حثت العلاقات العسكرية للصين مع دول منتقاة في الشرق الأوسط، خاصة مع إيران. وقد توصلت الدراسة إلى أن مثل هذه المبيعات، قد تعمل على تقوية خصوم الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط، ويعمل على زيادة الحضور الصيني في المنطقة.

5. دراسة "Die Waffengeschäfte Chinas" لـ Weggel Oskar، في عام 1993، وقد بينت الدراسة دور الصين العسكري المتنامي في منطقة الشرق الأوسط، من خلال استغلال الظروف الدولية والإقليمية في منطقة الخليج خلال الحرب الإيرانية-العراقية، مما جعلها من أهم المزويدين لصفقات الأسلحة لكل من إيران والعراق خلال ثمانينيات القرن الماضي.

وبعد مراجعة الباحث للدراسات السابقة، تبين له ضرورة وجود دراسة حديثة حول مبيعات الصين العسكرية بالشرق الأوسط. وتختلف الدراسة الحالية عن سابقتها في تناولها لعلاقات الصين العسكرية مع أطراف متناقضة في الشرق الأوسط، حتى فترة زمنية حديثة (من عام 1950 وحتى عام 2009) بشكل تحليلي مقارن، قائم على تبويب معطيات إحصائية لكل سنوات الدراسة ودون انقطاع.

منهجية الدراسة

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي والتاريخي، وتأخذ كذلك بالأسلوب التحليلي-الإحصائي المقارن في دراسة البيانات الخاصة بفترات موضوع الدراسة، وذلك عن طريق جمع هذه البيانات

من التقارير السنوية الخاصة بمعهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام (Stockholm International Peace Research Institute: SIPRI)، وترجمتها إلى جداول إحصائية، قام الباحث بنفسه بتبويبها وتحليل مضمونها. إلى جانب ذلك اعتمد الباحث على بعض الكتب والمقالات العلمية التي ساعدت في إنجاز هذه الدراسة.

1- دوافع التبادل العسكري بين الصين وفواعل النظام في الشرق اوسط

نظرا لوجود اختلافات طبيعية في صياغة وتنفيذ وتقييم بدائل أية دولة على الصعيد الخارجي، فقد اختلفت دوافع كل من الصين والدول العربية وإيران وإسرائيل تجاه مسألة الدخول بهذه العلاقة العسكرية.

1-1 الدوافع الصينية

بحكم شبكة العلاقات التي نسجتها بكين في الشرق الأوسط منذ منتصف خمسينيات القرن الماضي، فقد أصبحت على مقربة من التفاعلات الإقليمية والدولية في منطقة الشرق الأوسط، مما جعلها تدرك تماما أهمية المنطقة كإحدى أهم أسواق السلاح العالمية، خاصة أنها تشكل إحدى البؤر المشتعلة بشكل دائم، جراء وجود العديد من التناقضات السياسية والعسكرية بين دول المنطقة، التي قد تتفاقم فيها الأزمات إلى صدام مسلح في أية لحظة (Yia, 1993: 13).

وبغض النظر عن الاعتبارات الاقتصادية البحتة المتمثلة بتحقيق مكاسب اقتصادية، تحاول الصين من خلال مبيعاتها العسكرية في المنطقة متابعة أهداف استراتيجية وسياسية، يمكن تحديدها بهدفين رئيسيين: الأول يتمثل بمحاولة تحسين مكانتها الدولية في الشرق الأوسط حالها حال الدول الكبرى الأخرى، من خلال الظهور كفاعل سياسي مؤثر في المنطقة؛ والثاني يتمثل بمحاولة تعزيز علاقاتها بدول المنطقة بشكل عام، وبالدول التي لا تتناغم سياساتها مع سياسة الولايات المتحدة في المنطقة بشكل خاص (Bin Huwaidin, 2002: 125)، مما يتيح للصين فرصة تحقيق أهداف أخرى، يمكن إيجاز أهمها بما يلي:

1. تسعى الصين من خلال علاقاتها العسكرية إلى تعزيز علاقاتها، بشكل متوازن، مع دول المنطقة كافة على اختلاف توجهاتها الإقليمية، وبهدف تكثيف عزل تايوان عن منطقة الشرق الأوسط. فوجود علاقات متوازنة مع كافة أطراف المثلث الاستراتيجي في الشرق الأوسط - الدول العربية وإيران وإسرائيل- سوف يعيق أية محاولات تايوانية لبناء علاقات استراتيجية مع دول الشرق الأوسط، ومن ثم يبقي نظام "تايبيه" في دائرة العزل الدولي، الذي تسعى بكين إلى تشديده وتكثيفه في شتى الأنظمة الإقليمية (Blumenthal, 2005: 11-19).

2. تستطيع الصين، من خلال تصدير الأسلحة كسلعة استراتيجية للمنطقة خلق علاقات ردع اقتصادية مع دول الشرق الأوسط، وذلك لتأمين وارداتها النفطية اللازمة لتغطية حاجاتها المتزايدة من البترول منذ عام 1993. وكذلك للحيلولة دون أي ابتزاز سياسي محتمل قد يمارس ضد بكين في المنطقة، سواء كان ذلك من خلال طرف دولي كالولايات المتحدة، التي يمكن أن تستغل نفوذها في المنطقة باتجاه الضغط على إحدى الدول المصدرة للبترول في هذا المجال، أو من خلال طرف إقليمي كإحدى دول المنطقة، في حال تضارب مصالحه مع الصين. فالصين هنا تحاول بناء علاقات استراتيجية مع العديد من دول المنطقة، بهدف الوصول إلى موقع يؤهلها إلى تفادي أي ضغط محتمل في قطاع الطاقة، ويوفر لها موقعا أفضل في أي مساومة سياسية محتملة الحدوث في المستقبل (Pan, 1997: 35-40).
3. وجود علاقات عسكرية للصين يعمل على تقوية خصوم الولايات المتحدة في المنطقة، ويوفر للصين فرصة كسب المزيد من الحلفاء، واستغلال علاقات التحالف هذه للحد من نفوذ الولايات المتحدة عالميا وإقليميا، خاصة من خلال التنسيق مع هذه الدول في المؤسسات الدولية كالأمم المتحدة (Frank and Gaffeny, 1997: 33-39).
4. هذه الروابط العسكرية قد توسع هامش المناورة الصينية تجاه الولايات المتحدة، بهدف تحسين المركز التفاوضي في بعض المسائل الحيوية العالقة بين بكين وواشنطن، كالمسألة التايوانية وقضايا حقوق الإنسان.
5. بكين تحاول استغلال العزل الغربي لبعض أسواق الأسلحة المهمة في الشرق الأوسط (السوق الإيرانية والسوق السورية مثلا)، وكذلك ملء الفراغ في مجال التسلح الذي خلفه انهيار الاتحاد السوفياتي، من خلال تقديم أسلحتها كبديل متاح لهذه الدول. فدول مثل إيران وسوريا والسودان، وبسبب السياسات الغربية التي قادت إلى عزلها دوليا، لن تتوانى عن اللجوء إلى سوق السلاح الصيني لسد احتياجاتها الدفاعية والعسكرية، خاصة أن سياسة الصين التصديرية تتلخص في بيع الأسلحة لأي بلد أو حكومة ذات سيادة دون قيود مسبقة (Kumaraswamy, 1999: 20).
6. ارتباط الصين مع دول الشرق الأوسط الإسلامية -الدول العربية أو إيران- بعلاقات استراتيجية وتبادلات عسكرية سوف يعمل على عرقلة أي دعم سياسي أو عسكري محتمل من هذه الدول للحركات الانفصالية في إقليم كسنيانغ (Rubin, 1999: 111). وبهذا فإن القيادة الصينية تحاول هنا تحقيق هدف داخلي يتمثل في مواجهة التيارات الإسلامية الراديكالية التي تهدد نظام ووحدة الصين، وذلك من خلال ممارسة الضغوط على النشاطات الإسلامية المختلفة في الصين، والاستفادة من تقييد الدول العربية والإسلامية في هذا

المجال، مما يحد من خيارات هذا الجماعات، ويعمل على تضيق دائرة توجهها للدول العربية أو إيران طلبا للمساعدة.

7. وجود علاقات عسكرية صينية مع إسرائيل يوفر للصين فرصة الوصول للتكنولوجيا العسكرية الغربية في حال تعذر الوصول إليها من مصادرها، ويسهم في تطوير القطاع العسكري الصيني من خلال استيراد التكنولوجيا الإسرائيلية المتقدمة (high-technology weapons) وخاصة في مجال أنظمة الرادار، وأنظمة الإستشعار المبكر، إضافة إلى أنظمة البرمجة الخاصة بالصواريخ والطائرات المقاتلة. فضلا عن ذلك، قد تعمل الروابط العسكرية بين الصين وإسرائيل على تمكين بكين من الوصول إلى اللوبي اليهودي في مراكز صنع القرار الغربية، خاصة في الولايات المتحدة، وذلك للاستفادة من تأثيره في قرارات السياسة الخارجية الأمريكية تجاه القضايا المتعلقة بالصين. وأخيرا، لا يمكن استبعاد أن الصين سوف تتعاون مع إسرائيل في المجال الأمني والعسكري، على اعتبار أن إسرائيل تمتلك خبرة في مواجهة التيارات الإسلامية الراديكالية التي تهدد استقرار النظام السياسي، خاصة أن إسرائيل تعمل على إنهاء نشاطات حركات المقاومة الفلسطينية، وتروج أن هذه النشاطات إرهابية، يجب مكافحتها، وهذا يتناغم مع السياسة الصينية في إقليم كسغيانغ (Blumenthal, 2005: 11-19)

2-1 دوافع دول الشرق الأوسط

لقد كانت دوافع دول الشرق الأوسط للتعاون مع بكين في القطاع العسكري مختلفة؛ نظرا للتوجه العام لسياسة الدولة الخارجية في محيطها الإقليمي والدولي. فالدول العربية لها دوافع مختلفة عن دوافع إيران وإسرائيل في هذا المجال.

1-2-1 الدوافع العربية

فرضت المتغيرات الدولية والإقليمية على بعض الدول العربية، على مر عقود، بأن تتجه شرقا نحو الصين بحثا عن تعاون عسكري يلبي بعض احتياجاتها العسكرية، خاصة في ظل حالة عدم الاستقرار التي تعيشها منطقة الشرق الأوسط. ومن هنا يمكن إيجاز الرؤية العربية لمسألة التعاون العسكري مع الصين بالنقاط التالية:

1. وجود إسرائيل كقوة إقليمية محتلة للأراضي العربية له أثر مهم في زيادة نزعة التسلح في المنطقة بشكل عام، وفي الدول العربية بشكل خاص (Rubin, 1999: 111). فالتفوق العسكري الإسرائيلي في المنطقة، وحياسة إسرائيل للقدرات النووية، والذاكرة السلبية لسلسلة من الحروب التي خسرتها الدول العربية ضد إسرائيل في ظل الدعم الغربي المتواصل، وكذلك حالة عدم التوصل لسلام دائم وشامل بين الطرف العربي والإسرائيلي، كلها عوامل تجعل الحصول على الأسلحة الصينية سواء كانت تقليدية أو نووية حقا مشروعا -حسب الرؤية العربية- لتعديل الميزان الاستراتيجي العسكري مع إسرائيل، على اعتبار أن السعي لتعزيز القدرات العسكرية هو الضامن الوحيد للحفاظ على الأمن العربي، في حال احتمال قيام صدام مسلح بين الدول العربية وإسرائيل في المستقبل.
2. توازن القوى والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط كانا زالا مرتبطين بتطلعات قوى إقليمية أخرى- غير إسرائيل- كالعراق وإيران (Faath, 2002: 4). فعلى الرغم من تلاشي التهديد العراقي لدول الخليج ابتداء من تسعينيات القرن الماضي ووصولاً إلى عام 2003، ما زالت الطموحات الإيرانية المتنامية في المنطقة تدعو للقلق في ظل الخلافات العربية-الإيرانية حول العديد من القضايا (الجزر الثلاث والمسألة النووية والنفوذ الإيراني في العراق ولبنان). في ظل هذه الظروف فإن تعاوناً عربياً صينياً في المجال العسكري قد يساعد الدول العربية على تعزيز قدراتها الدفاعية، وفي المقابل قد يعمل على تقييد حركة تدفق الأسلحة الصينية باتجاه هذه الدول الطامحة.
3. غياب التراث الاستعماري للصين في المنطقة، ورخص أسعار الأسلحة الصينية مقارنة مع الأسلحة الغربية قد يغري بعض الدول العربية، خاصة الفقيرة منها، إلى الاتجاه إلى الأسلحة الصينية لإشباع حاجاتها العسكرية. فضلا عن ذلك، قد تتجه بعض الدول العربية كسوريا والعراق إلى سوق السلاح الصيني، نظرا لتقارب الأسلحة الصينية مع الأسلحة السوفيتية، التي كانت -لفترة طويلة- أهم مصادر الأسلحة لهذه الدول.
4. وأخيرا، فإن بروز الولايات المتحدة كلاعب إقليمي في المنطقة منذ انتهاء الحرب الباردة من خلال تواجدها العسكري في المنطقة، وفي العراق خصوصا منذ عام 2003، قد يدفع بعض الدول العربية (سوريا والسودان وليبيا مثلا) والإقليمية كذلك (إيران) نحو تعاون أقوى مع الصين- الخصم التقليدي للولايات المتحدة- التي تعمل على تعزيز تواجدها في المنطقة. من ناحية أخرى، فإن قوى إقليمية أخرى كالسعودية ومصر لن تتردد في الاتجاه شرقا نحو الصين بحثا عن السلاح في حال تعذر الحصول عليه من الغرب، أو إذا ما زادت الدول الغربية من ضغوطاتها السياسية على هذه الدول لسبب أو لآخر، كما فعلت الرياض في الثمانينيات.

1-2-2 الدوافع الإيرانية

يمكن القول بأن العلاقات الصينية الإيرانية في بعدها العسكري لم يكن لها أي اعتبار في ظل التوجه الغربي لشاه إيران، وارتباطه بمعسكر الدول الغربية. لكن هذا الأمر تبدل جذريا مع نجاح الثورة الإسلامية في إيران عام 1979، والتي قادت إلى تدهور العلاقات الإيرانية مع الولايات المتحدة والعديد من دول الشرق الأوسط. فمُنذ قيام الحرب الإيرانية-العراقية في عام 1980 وحتى انتهائها في عام 1988، وجدت طهران في بكين مصدرا جذابا استطاعت من خلاله تغطية احتياجاتها العسكرية، خاصة في ظل حالة العزل الدولي التي بدأت تعيشه منذ عقود والذي قيد حركتها على الصعيد الخارجي بشكل عام، وحدد بدائلها في التزود بالأسلحة بشكل خاص. إضافة إلى ذلك، فإن تزايد حالة العزل الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة ضد إيران منذ عقود، أخذ بالتحول إلى تطويق فعلي بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001 من خلال نشر قواتها في وسط آسيا ومنطقة الخليج بعد سقوط نظام طالبان في أفغانستان عام 2002، والنظام العراقي في عام 2003. لذلك فإن الهواجس الإيرانية تجاه المتغيرات الدولية أصبحت فعلية، بعد أن أصبحت هدفا محتملا لسياسة الولايات المتحدة الهجومية (98: 2004, Tarzi). لهذا السبب، تنظر طهران لبكين كحليف محتمل، تستطيع من خلال التعاون العسكري معه الاستفادة من ثقله السياسي في مجلس الأمن، بهدف كسر حالة العزل الدولي المفروضة عليها منذ عقود، خاصة أن طهران تشارك بكين هدف عرقلة وجود نظام دولي وحيد القطب، تهيمن عليه الولايات المتحدة (Lin, 2010: 51). إلى جانب ذلك، تمتلك إيران طموحا إقليميا متجددا، كانت قد فقدته منذ سقوط الشاه في إيران عام 1978. هذا الطموح الإقليمي تزايد في ظل التنافس مع الفواعل الإقليمية الأخرى (إسرائيل وتركيا وبعض الدول العربية الأخرى). ومن هنا فإن التعاون العسكري بين طهران وبكين خاصة في مجال التكنولوجيا النووية سوف يعزز الفرص الإيرانية في المنافسة وبقوة على التربع على قمة النظام الإقليمي في الشرق الأوسط (Cordesman, 2003: 38-44).

1-2-3 الدوافع الإسرائيلية

تحاول إسرائيل كذلك الاستفادة من علاقاتها مع بكين؛ فقيام علاقات بين الطرفين في مجال حيوي ومهم يقدم لإسرائيل المزايا التالية:

1. استطاعت إسرائيل عن طريق تبادل علاقاتها الدبلوماسية مع الصين عام 1992 إكمال شبكة علاقاتها السياسية مع كافة الدول الكبرى الفاعلة في النظام الدولي وفي النظام الإقليمي

- الآسيوي، خاصة أن الصين هي العضو الوحيد من الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي الذي تأخر اعترافه بإسرائيل لعقود (Blumenthal: 2005: 11-19).
2. الاستفادة من السوق الصيني الضخم المعزول من قبل الولايات المتحدة والدول الأوروبية بعد أحداث الطلاب عام 1989 (Blumenthal: 2005: 11-19).
3. من خلال التعاون العسكري مع الصين قد تحاول إسرائيل تقييد حركة السلاح الصيني باتجاه الدول العربية وإيران (Shai, 2009: 26). ومن ثم فإن تنامي العلاقات العسكرية بين الصين وإسرائيل قد يؤثر سلباً على العلاقات التقليدية الإيجابية بين الجانبين الصيني والعربي. لذلك وفي ظل التنامي المتزايد للعلاقات بين الطرفين الإسرائيلي والصيني، يجب عدم استبعاد احتمال قيام إسرائيل بمساومة الصين للحصول على معلومات سرية بشأن صفقات الأسلحة المتبادلة بين بكين من جهة، والدول العربية وإيران من جهة أخرى.

2- مراحل تطور العلاقات العسكرية بين الصين ودول الشرق الأوسط

لقد مرت مبيعات الأسلحة الصينية لدول الشرق الأوسط بعدة مراحل، كانت مرتبطة بتطور سياسة بكين الخارجية بشكل عام.

1-2 مرحلة الانفتاح السياسي والعسكري المحدود (1950-1977)

لم تخرج سياسة الصين الخارجية تجاه الشرق الأوسط في هذه المرحلة عن الإطار العام الذي اختطه ماوتسي تونغ تجاه العالم الثالث، فقد كان يرى في الدول الآسيوية والأفريقية ودول أمريكا اللاتينية إحدى ركائز "الثورة العالمية" وقوة مهمة يمكن التعويل عليها في صراع الصين ضد "الاستعمار والإمبريالية" العالميين (Opitz, 1977: 49). ومن هنا وكإحدى قيادات العالم الثالث المنبثقة عن مؤتمر باندونغ 1955، شرعت الصين- رغم حالة العزل الدولي المفروض عليها آنذاك ورغم تواضع إمكاناتها المادية- بتقديم دعم سياسي واقتصادي، آملة أن يوفر لها ذلك موطن قدم، تستطيع من خلاله منافسة نفوذ القوى الكبرى في المنطقة. إلا أن الحضور القوي للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي قد عمل على الحد من هذا الطموح الصيني (Jakobson, 2009: 408). لهذا، لم تشهد هذه الفترة أية تبادلات عسكرية مهمة يمكن رصدها في هذا المجال بين الطرفين. لذلك، ارتبط النشاط العسكري للصين في منطقة الشرق الأوسط بشكل كبير بتوجهات بكين الثورية، خاصة في أواسط الستينيات، وقد اقتصر على تقديم الدعم العسكري

للحركات الثورية في الدول العربية، كإحدى ركائز السياسة الخارجية الصينية في حقبة الثورة الثقافية. وتمثل في تقديم دعم لمنظمة التحرير الفلسطينية، وللجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي، وكذلك قامت الصين بإنشاء قاعدة عسكرية لتدريب مقاتلي جبهة التحرير الجزائرية على الحدود بين الجزائر والمغرب. وقد حاولت الصين تقديم العرض نفسه لتونس، إلا أن الأخيرة كانت قد رفضت العرض الصيني على اعتبار أنه لا يوجد علاقات دبلوماسية بين الطرفين. إضافة إلى ذلك، أشار الدكتور محمد فضة في كتابه "السياسة الخارجية الصينية في العالم الثالث" إلى أن الصين كانت قد قايضت الشاي الصيني بالكوبالت المغربي الذي استخدمته في صناعاتها الذرية (فضة، 1980: 118). ولعل الأسباب الأيدولوجية والتوجهات الثورية لسياسة بكين الخارجية آنذاك، إضافة إلى النفوذ السياسي للقوتين العظميين في منطقة الشرق الأوسط كان لها شأن في إحتكارهما لتجارة السلاح في المنطقة والعمل على الحد من وجود صيني فاعل في هذا المجال. فالتبادلات التجارية بين بكين والدول الشرق أوسطية اقتضت على تصدير المعدات الزراعية للدول العربية بالمقام الأول، باستثناء الفترة الواقعة ما بين عام 1968 وعام 1973، حيث بدأت الصين بتوجيه بعض من صادراتها العسكرية إلى أسواق الشرق الأوسط، وبالذات إلى السودان، ولكن قيمة هذه الصادرات لم تتجاوز 235 مليون دولار من مجموع مبيعات الصين العسكرية الكلية آنذاك، والتي وصلت إلى 9658 مليون دولار، أي بنسبة لا تتجاوز 2.43% من تلك الصادرات.

بنفس الوقت، وبالرغم من حماسها لتشكيل كتلة ثالثة خارج إطار المعسكر الغربي والشرقي، لم تكن الصين مستعدة لنقل أسرار قنبلتها النووية أو بيعها لدولة أخرى، ويتضح هذا من من خلال رفض الصين نقل هذه التكنولوجيا المتقدمة إلى مصر في أواسط الستينيات، عندما أوفد الرئيس المصري عبد الناصر وفدا عسكريا مصرياً إلى بكين لهذا الشأن، أملا الحصول على أسرار تلك الأسلحة (Haikal, 1972:266).

جدول (1): مبيعات الصين العسكرية لكل من الدول العربية وإيران وإسرائيل بالمليون دولار في الفترة 1977.1950

الدولة	1950	68	69	70	71	72	73	74	75	1977	المجموع
مجموع مبيعات الصين الكلية في هذه الفترة											9658
السودان		6	6	107	21	74	21				235
دول عربية أخرى											0
مجموع مبيعات الصين للدول العربية في هذه الفترة											235
نسبة الدول العربية للمجموع العام											2,43%
إيران											0
إسرائيل											0

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على SIPRI Yearbook

على الجانب الآخر، نلاحظ أن الصين، في هذه الفترة، لم يكن لها أي علاقات عسكرية مع إيران أو مع إسرائيل، ومرد ذلك أن كلا الدولتين كانتا مرتبطتين بالولايات المتحدة، مما حال دون تطور أية علاقات دبلوماسية مع بكين. فضلا عن ذلك، فإن الصين كانت تدرك الطبيعة الصفرية لعلاقاتها مع طرفي الصراع العربي الإسرائيلي، والذي كان يعني آنذاك انتهاء علاقاتها مع الدول العربية أو توترها، في حال وجود تقارب سياسي صيني مع إسرائيل. إلا أن بعض المصادر قد نوهت إلى أن بداية عقد سبعينيات القرن الماضي قد شهدت بعض محاولات التقارب بين الصين وإسرائيل، من خلال بعض اللقاءات غير الرسمية التي قامت بها وفود البلدين، كتلك التي حدثت في بكين عام 1973، وفي باريس عام 1975، والتي قد تكون لعبت دورا مهما في تطور علاقات البلدين فيما بعد، الأمر الذي قاد إلى تبادلهما للاعتراف الدبلوماسي في عام (Meman and Sinai, 1987: 4031992).

2-2 مرحلة الانفتاح الاقتصادي والعسكري النشط (1978-1990)

مع بداية تطبيق الإصلاحات الصينية وانتهاج سياسة الباب المفتوح (Open Door Policy) بدءا من عام 1978، تلك السياسة التي تزامنت مع تطبيق استراتيجية السلم المستقلة، كان واضحا أن السياسة الخارجية الصينية بدأت تميل إلى الأخذ بالأهداف الاقتصادية، وتحاول الاندماج بالنظام الاقتصادي الدولي (عبد الحي، 2000: 77). هذا التغير في النهج الصيني انعكس على علاقات بكين مع دول الشرق الأوسط بشكل واضح، بحيث سطر معه بداية مرحلة

جديدة للعلاقات الصينية الشرق أوسطية. فعلى عكس المرحلة الماوية (1949-1977) التي طبعت السياسة الخارجية الصينية بسمات سياسية أيديولوجية، بدأت المرحلة الإصلاحية الجديدة، بقيادة دنغ كسياو بنغ منذ عام 1978، بإعطاء البعد الاقتصادي للسياسة الخارجية أهمية على الأهداف السياسية والاستراتيجية. وبذلك سعت بكين من خلال استراتيجيتها الجديدة إلى تحقيق هدفين مهمين في الوقت ذاته، تمثل الهدف الأول بالتركيز الصيني على العلاقات الاقتصادية في هذه المرحلة، وقد وفر لها مجالا لتعاون اقتصادي مكثف مع دول المنطقة، مما انعكس على عائدات الصين التجارية جراء هذا التعاون. وتجسد الهدف الثاني بقدرة الصين على توظيف تبادلاتها الاقتصادية في متابعة بعض الأهداف السياسية والاستراتيجية في المنطقة، دون أن تكون ملزمة بدفع ثمن-مساعدات مجانية- مقابل ذلك (Shichor, 2006: 668).

وفي إطار المبادلات التجارية بين الطرفين، احتلت مبيعات الأسلحة الصينية في الشرق الأوسط أهمية كبرى، خاصة أن دول المنطقة بدأت تميل إلى زيادة نفقاتها العسكرية وصادراتها من الأسلحة جراء العديد من المتغيرات الدولية الإقليمية، التي ألقت بظلالها على المنطقة في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، والتي كان من أهمها:

1. تكثيف التعاون العسكري بين إسرائيل والولايات المتحدة بعد حرب الأيام الستة 1967.
2. الصدام العربي الإسرائيلي المسلح خلال حرب أكتوبر 1973.
3. الغزو السوفيتي لأفغانستان في عام 1979.
4. اشتعال الحرب الإيرانية العراقية 1980 - 1988.
5. الغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982.

هذه العوامل أتاحت للصين فرصة مواتية لاستغلال الحاجة العسكرية لبعض الدول الطامحة في الشرق الأوسط، كما وفرت لها أيضا الفرصة لاقتحام سوق السلاح في المنطقة إلى جانب موردي السلاح التقليديين آنذاك: الإتحاد السوفيتي، الولايات المتحدة، بريطانيا، فرنسا، خاصة في حال توتر العلاقة بين هذه الدول الطامحة والدول الموردة للسلاح (Shichor, 2006: 671). فمصر، مثلا، وجدت في الصين ما يملأ الفراغ الذي خلفه الخبراء العسكريون السوفييت جراء تدهور العلاقات المصرية -السوفييتية منذ إبعاد الخبراء السوفييت عن مصر عام 1972 (Calabrese, 1999: 53). السعودية أيضا، ورغم اعتدالها وعدم اعترافها بالصين آنذاك، ورغم توجهاتها الغربية، لم تتوانى عن التوجه شرقا للصين عندما رفضت الولايات المتحدة عام 1985 تزويدها بصواريخ بعيدة المدى، مما قاد إلى محادثات بين الطرفين، توجت في آذار 1988، بصفقة صواريخ متوسطة المدى من نوع (CSS-2)، قدر مداها بـ 2400 إلى 3100 كم تقريبا.

كذلك كشفت بعض التقارير في حزيران 1988 وجود مفاوضات صينية- سورية حول صفقة صواريخ (M-9) التي يصل مداها إلى 600 كم تقريبا (Byman, 1999: 213).

وبحسب تقديرات الكتاب السنوي لمعهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام (SIPRI)، فإن مبيعات الصين العسكرية في المنطقة خلال هذه الفترة قفزت من 235 مليون دولار في الفترة (1976.1950)، لتصل إلى 11750 مليون دولار، أي من 2,43% إلى 59,3% من إجمالي مبيعاتها الكلية. وحسب ما تشير إليه الأرقام، فإن الدول العربية كان لها حصة الأسد من مبيعات الصين العسكرية في هذه الفترة، حيث استوردت ما قيمته 9435 مليون دولار من إجمالي مبيعات الصين العسكرية، التي بلغت 19785 مليون دولار، أي ما نسبته 47,6% منها، لتسجل قفزة نوعية مقارنة بالفترة السابقة، إذ أن نسبة التغير في هذه الزيادة بلغت +1858%، مما يعني تضاعف حجم التصدير إلى ما يقارب 19 ضعفاً. ومن خلال الجدول التالي، يمكن لنا ملاحظة أن مركز استقطاب الأسلحة الصينية في الدول العربية قد تركّز في عدد قليل من الدول العربية ألا وهي العراق (4929 مليون دولار) ومصر (2299 مليون دولار) والسعودية (1714 مليون دولار).

أما بالنسبة لإيران، فبعد أن كانت تمتلك جيشاً قوياً وحديثاً قبل عام 1979 في عهد الشاه بفضل الأنظمة والأسلحة الأمريكية، وجدت نفسها مضطرة للجوء لسوق الأسلحة الصينية بعد دخولها في حرب سنوات الثماني مع العراق، الذي تزامن مع تدهور علاقاتها مع الولايات المتحدة. وسعى لإعادة بناء قوتها العسكرية، توجهت إيران إلى بكين بحثاً عن السلاح. في المقابل، ونظراً للاعتبارات الاقتصادية، فإن الصين لم تتوان عن الاستجابة لهذا التوجه، وقدمت لطهران مساعدة كبيرة في تطوير الصواريخ الباليستية البعيدة المدى وتلك المضادة للسفن، وزودتها بأنظمة دفاعية وصاروخية، كما دعمت بشكل أكبر، قدرات إيران البحرية في ما يخص الزوارق السريعة والحربية. ثم حصلت إيران في هذه الفترة على صواريخ "Silkworm" الصينية المضادة للسفن، وعلى أنظمة (C801)، ومقاتلات (F6) و(F7)، التي دعمت قدرات إيران العسكرية وساهمت بشكل كبير في جعل إيران قوة إقليمية كبيرة، وعززت من قدراتها الدفاعية والهجومية ومن موقعها ونفوذها على ترتيب السلم الإقليمي والدولي (Van Kamenade, 2009:43-46). وبهذا استحوذت إيران وحدها على 11,7% من مبيعات الصين العسكرية الكلية في هذه الحقبة الزمنية، وبنسبة تغير بلغت +1170% حيث استوردت ما قيمته 2315 مليون دولار.

وفيما يتعلق بإسرائيل، فقد بدأت هذه الفترة تسجل بدايات تعاون عسكري فعلي بين تل أبيب وبكين. فعلى الرغم من غياب العلاقات الدبلوماسية بين الصين وإسرائيل في هذه الفترة، إلا أن الصين بدأت باستيراد الأسلحة الإسرائيلية. هذا البعد الجديد في علاقات بكين العسكرية مع دول الشرق الأوسط فرضته التغيرات الدولية، خاصة بعد المواجهة الصينية- الفيتنامية عام

تطور "دبلوماسية الأسلحة" الصينية في الشرق الأوسط في الفترة 1950-2009:

1979، التي دفعت الصين إلى الالتفات لأهمية إسرائيل العسكرية في العالم كمصدر لتحديث قدراتها العسكرية، بعد عجزها عن الوصول للتكنولوجيا الغربية (Shai, 2009: 23). وهذا ما سجله عام 1990، عندما استوردت الصين ما قيمته 28 مليون دولار من المعدات العسكرية الإسرائيلية الخاصة بأنظمة الاستشعار والرادار.

جدول (2): مبيعات الصين العسكرية لكل من الدول العربية وإيران إسرائيل بالمليون دولار في الفترة 1977-1990

الدولة	78	79	80	81	82	83	84	85	86	87	88	89	90	المجموع
مجموع مبيعات الصين الكلية في هذه الفترة														19785
مصر	224	270			416	307	605	212	161	26	26	26	26	2299
العراق					442	646	935	830	891	968	194	23		4929
السعودية										857	857			1714
الصومال		84	84	7										175
السودان	7	107								108		7		229
دول عربية أخرى														89
مجموع مبيعات الصين للدول العربية في هذه الفترة														9435
حصة الدول العربية من مبيعات الأسلحة الصينية الإجمالية														%47,6
إيران	1	204	235	192	131	579	586	225	68	94				2315
حصة إيران من مبيعات الأسلحة الصينية الإجمالية														%11,7
إسرائيل														0

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على SIPRI Yearbook

3-2 مرحلة تراجع التبادلات العسكرية (1991 . 2001)

شكل انهيار الاتحاد السوفياتي وانتهاء الحرب الباردة، وتطورات حرب الخليج الثانية في بداية التسعينيات بداية مرحلة جديدة في العلاقات الدولية، وحملت بين طياتها العديد من المتغيرات الخارجية والداخلية، وقدمت لطرفي العلاقة -الصين ودول الشرق الأوسط- مزيجا من الفرص والتحديات، التي ألقت بظلالها على خريطة العلاقات المتبادلة بين بكين ودول الشرق الأوسط، ودفعت هذه الدول باتجاه إجراء مراجعة شاملة لتوجهاتها الخارجية بشكل عام، وتوجهاتها الأمنية والعسكرية بشكل خاص. ولعل أبرز انعكاسات انتهاء الحرب الباردة تمثل بالحضور المتنامي للولايات المتحدة في الشرق الأوسط، في ظل الفراغ السياسي الذي خلفه انسحاب موسكو من منافسة واشنطن على النفوذ في المنطقة. أضف إلى ذلك تداعيات حرب الخليج الثانية ومحادثات السلام في مدريد عام 1991، التي قادت إلى انقسام واضح في بنية النظام العربي، وإلى تغيير مهم في خارطة القوى الإقليمية، بعد كبح الطموحات العراقية في الهيمنة على قيادة النظام الإقليمي، وكذلك قادت إلى استمرار نزعة التسلح في المنطقة (Winter, 1998: 90-93).

على الجانب الصيني، وضع انهيار الاتحاد السوفييتي وانتهاء الحرب الباردة الصين أمام تحول استراتيجي جديد، فرض على بكين أن تكون حذرة في تفاعلاتها الخارجية. فبالرغم من اختفاء التهديد السوفييتي من الحدود الشمالية للصين (Qimao, 1993: 231-251)، وبالرغم من إغلاق الولايات المتحدة لقاعدة "Clark Air" الجوية وقاعدة "Subic Bay" البحرية في الفلبين عام 1992، وكذلك سحبها لـ 35 ألفا من قواتها من منطقة حوض الباسفيكي (Umbach, 2002: 31)؛ إلا أن هواجس الصين ظلت موجودة في ظل خشيتها من أنها ستكون الهدف القادم للولايات المتحدة بعد زوال الاتحاد السوفييتي (Bin Huwaidin, 1999: 77)، وفي ظل تزايد مشكلة الطاقة، بعد أن بدأت بكين باستيراد البترول في مطلع عام 1993. لذلك حاولت الصين في هذه الفترة مواصلة سياستها السلمية المستقلة، ووضعت في أولوياتها المضي في إصلاحاتها ونجاحاتها الاقتصادية، والتغلب على كل ما من شأنه أن يعيق هذا التوجه. فعملت على الوصول إلى منابع الطاقة من خلال تكثيف علاقاتها مع الدول المصدرة للبترول، واجتهدت في خلق بيئة سلمية للمحيط الصيني من خلال سياسة حسن الجوار مع جيرانها، وفي الوقت نفسه رفضت أي محاولة للهيمنة الدولية، متجنباً الإقدام على أية خطوة، من شأنها أن تضعها في مواجهة مباشرة مع خصومها، وبشكل خاص مع الولايات المتحدة (Umbach, 2002: 104).

انعكس هذا التوجه الجديد للسياسة الصينية على مبيعات الصين العسكرية الكلية، التي تراجعت بشكل عام من 19785 مليون دولار (1978-1990) إلى 8212 مليون دولار (1991-2001) وبنسبة انخفاض بلغت 41,5%. ولعل سبب هذا التراجع يعود إلى انخفاض القدرة التنافسية للأسلحة الصينية مقارنة بالأسلحة الغربية ذات التكنولوجيا المتقدمة، التي استخدمها الحلفاء خلال حرب الخليج الثانية 1990. كما أنه يمكن النظر للضغوطات الغربية على بكين، خاصة بعد أحداث "تيانانمن" 1989 سببا آخر في تفسير هذا التراجع، حيث كان عليها عدم التفريط بوضعية "الدولة الأولى بالرعاية" MFNC (Most Favoured Nation Clause)، مما دفعها للانضمام لمعاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية Nuclear Non-Proliferation Treaty (NPT) عام 1992 وكذلك أبدت استعدادها بعد ذلك للانضمام إلى معاهدة نظام مراقبة تكنولوجيا الصواريخ MTCR (Missile Technology Control Regime) (Weggel, 1993: 340).

ضمن هذه المعطيات، كان من الطبيعي تراجع نسبة مبيعات الأسلحة الصينية للشرق الأوسط لصالح زيادتها في مناطق أخرى في العالم مثل جنوب شرق آسيا وأفريقيا. فبعد أن كانت في الفترة (1978-1990) حوالي 59,3%، انخفضت في هذه الفترة (1990-2001) لتصل إلى 25,7% من إجمالي مبيعاتها الكلية بفارق نسبته 42,6%. رغم ذلك، حاولت بكين البقاء في دائرة المنافسة على أسواق السلاح في الشرق الأوسط، والاحتفاظ بعملائها في المنطقة، والاستفادة من الفراغ الذي خلفه انهيار الاتحاد السوفييتي في الشرق الأوسط، إلا أنه بدا واضحا أن المعطيات الدولية بعد انتهاء الحرب الباردة حددت طموح الصين بسوق ضخم لأسلحتها في الشرق الأوسط. فالتوجه العام لدى الكثير من دول الشرق الأوسط منذ حرب الخليج الثانية أخذ ينصب على الجانب النوعي للأسلحة، ووبدأت هذه الدول تدرك مدى تخلف المنتجات العسكرية الصينية مقارنة بتلك الغربية. فبعد حرب الخليج الثانية، أصبحت الولايات المتحدة المصدر الرئيس للأسلحة لكل من مصر ومعظم الدول الخليجية والأردن. كما أن قرارات الأمم المتحدة (قرار مجلس الأمن 687 عام 1991) المتعلقة بحظر الأسلحة على العراق عملت على تقييد تدفق الأسلحة الصينية للسوق العراقية، التي مثلت أهم سوق للأسلحة الصينية خلال الثمانينيات. لذلك لم تتعد نسبة المبيعات العسكرية الصينية للدول العربية في هذه الفترة 7,7%، بواقع 633 مليون دولار، لتسجل انخفاضا بلغت نسبة تغيره -83,8% عن الفترة السابقة. وعلى الرغم من أن هذه الفترة شهدت اختفاء العراق من قائمة مستوردي السلاح الصيني، إلا أنه يمكن رصد انضمام بعض الدول العربية الجديدة إلى قائمة مستوردي السلاح الصيني مثل اليمن والكويت والإمارات والجزائر والسودان وتونس، وهو ما يمكن تفسيره على أنه قد تم في إطار مقايضة هذه الدول الصين البترول بالسلاح.

جدول (3): صادرات الصين العسكرية لكل من الدول العربية وإيران وإسرائيل بالمليون دولار في الفترة 1991 . 2001

الدولة	91	92	93	94	95	96	97	98	99	00	01	المجموع
مجموع مبيعات الصين الكلية في هذه الفترة												8212
الجزائر	80				5					12	11	108
مصر	26	26	34	26	26						12	152
الكويت										26	26	56
السودان	46	6					66					118
اليمن						150						150
دول عربية أخرى												49
مجموع مبيعات الصين للدول العربية في هذه الفترة												633
نسبة الدول العربية من مبيعات الأسلحة الصينية الإجمالية												%07,7
إيران	102	98	304	269	54	320	52	80	58	63	83	1483
نسبة إيران من مبيعات الأسلحة الصينية الإجمالية												%18,3
إسرائيل												0

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على SIPRI Yearbook

على عكس التوجه العام للدول العربية في مطلع التسعينيات، إن بدأت توثق علاقاتها العسكرية مع واشنطن، فإن العزلة الدولية المفروضة على إيران جعلتها تتحرك باتجاه سوق السلاح الصيني، الذي يبحث بدوره عن بديل لملء الفراغ الذي خلفته التوجهات العربية الجديدة، خاصة أن بكين كانت تعاني آنذاك عزلة دولية، فرضتها عليها الولايات المتحدة والدول الأوروبية جراء أحداث "تيانانمن" عام 1989. مما حدا بالصين، أحيانا، أن تبدي بعض المواقف المتصلبة تجاه الضغوطات الغربية للحد من صادراتها العسكرية إلى الشرق الأوسط. وهذا ما يفسر توقيع بكين وطهران اتفاق العشر سنوات حول التعاون العلمي وتبادل التكنولوجيا العسكرية في كانون الثاني من عام 1990 (Faath, 2002: 1-5). فمن خلال هذا الاتفاق ازدادت الصادرات العسكرية الصينية لإيران بشكل ملحوظ، حيث حصلت طهران على 18% من إجمالي مبيعات الصين العسكرية الكلية

مقابل 77% للدول العربية، أي ما يعادل 70% من إجمالي مبيعات بكين في الشرق الأوسط، وزيادة نسبة تغير بلغت +53,8%.

ومن المفارقات الهامة التي شهدتها هذه الفترة أيضا تطور علاقات التعاون العسكري بين الصين وإسرائيل، بعد تبادل العلاقات الدبلوماسية بينهما في عام 1992. فبسبب عمق العلاقات الإسرائيلية-الأمريكية، وكذلك التطور التكنولوجي الذي تتمتع به إسرائيل في القطاع العسكري، أصبحت الدولة الشرق أوسطية الوحيدة، التي تستورد منها الصين بعض نظم المعلومات العسكرية (Kumarsawamy, 1999: 35). وبالنظر إلى تقارير "SIPRI" فقد بلغت قيمة ما استورده الصين في الفترة (1991-2001) 328 مليون دولار تقريبا. وقد شملت هذه الصفقات بيع صواريخ إسرائيلية من طراز "Air-to-air missile"، التي تعمل بنظام "Python III"، وكذلك أنظمة رادارات تعمل بنظام "EL/M-2075 phalcon" وبنظام "EL/M-2032".

جدول (4): صادرات إسرائيل العسكرية للصين في بالمليون دولار في الفترة 1991 - 2001

الدولة	91	92	93	94	95	96	97	98	99	00	01	المجموع
إسرائيل	28	28	28	28	28	28	28	38	38	28	28	356

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على SIPRI Yearbook

4-2 مرحلة إحياء البعد العسكري (2002-2009)

لا شك أن التغيرات الدولية والإقليمية التي شهدتها فترة ما بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001 قد أُلقت بظلالها على طبيعة التبادلات العسكرية بين الصين ودول الشرق الأوسط؛ فحروب الولايات المتحدة الاستباقية في أفغانستان 2002 والعراق 2003، وسياستها تجاه البرنامج النووي الإيراني، بعد تصنيف إيران كإحدى "دول محور الشر" "Axis of Evil"، وضغوطاتها السياسية باتجاه تحقيق المزيد من الإصلاحات السياسية والديمقراطية في العديد من الدول، جعل الصين والعديد من الدول العربية والإسلامية تعيد حساباتها.

ورغم أن مبيعات الصين العسكرية في الشرق الأوسط في هذه المرحلة لم تتعد 4160 مليون دولار، بعد أن بلغت 8212 مليون دولار في الفترة السابقة، إلا أن نسبة ما صدرته إلى الشرق الأوسط من حجم هذه المبيعات ارتفعت من 25,7% في الفترة (1991-2001) إلى 31% في الفترة (2002-2009). ومرد ذلك هو التوجه العام للسياسة الخارجية الصينية في هذه

الفترة، وذلك التوجه الذي حاول التوفيق بين جهود بكين المستمرة للاستفادة من التغيرات الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط، واتباع سياسة المسايرة "Bandwagoning Policy" مع الدول الغربية خاصة تجاه سياسة الولايات المتحدة بعد أحداث سبتمبر 2001. وهذا ما يؤكد حجم ونسب مبيعات الصين العسكرية لكل من الدول العربية وإيران وإسرائيل. ففي هذه الفترة، بلغت صادرات الصين العسكرية للدول العربية 629 مليون دولار، لترتفع حصة العرب من إجمالي مبيعات الأسلحة الصينية إلى 15,1%، بعد أن كانت في فترة التسعينيات 7,7% وبنسبة تغير بلغت 96,1%.

ومن خلال الأرقام المعطاة في الجدول التالي، يتبين لنا أن مركز استقطاب الأسلحة الصينية في الدول العربية قد ظل محصورا في عدد قليل من الدول، ألا وهي مصر (249 مليون دولار) والسودان (143 مليون دولار) والجزائر (76 مليون دولار) والسعودية (73 مليون دولار). وهنا يبدو واضحا تبوء السودان للمركز الثاني على سلم مستوردي الأسلحة الصينية من الدول العربية خاصة في عام 2003، إذ كانت تزرع الخرطوم تحت الضغوطات الغربية، فوجدت في علاقاتها مع الصين فرصة لكسر حلقة الحصار الدولي المفروض عليها، خاصة في ظل بحث بكين النشاط عن النفط في القارة الأفريقية. في الوقت نفسه نلاحظ أن مبيعات الصين العسكرية للسودان بدأت بالتراجع بعد عام 2005، إذ حظرت قرارات الأمم المتحدة على الدول بيع الأسلحة للنظام السوداني.

وفي الوقت الذي كانت فيه منطقة الشرق الأوسط تشهد حالة من اللااستقرار جراء سياسة الولايات المتحدة في مكافحة الإرهاب، وحربها ضد العراق (2003)، كانت إيران تحاول أن تبقي على استعدادها إزاء مخاطر محتملة بعد انتهاء الحرب، خاصة بعد أن جرى تكثيف عزلها دوليا جراء تصنيفها كإحدى دول "محور الشر" التي تسعى إلى امتلاك أسلحة الدمار الشامل، مما يجعلها هدفا محتملا لحروب الولايات المتحدة الاستباقية. ولكن، يبدو أن بكين كانت تسعى إلى مجارة السياسة الأمريكية بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001، خاصة مع تصاعد وتيرة أزمة الملف النووي الإيراني، محاولة بذلك تجنب أي مواجهة محتملة مع الولايات المتحدة، مما انعكس على مبيعاتها العسكرية إلى إيران، والتي انخفضت من 1483 مليون دولار إلى 664 مليون دولار، حيث بلغت نسبة الحصة الإيرانية من مجموع مبيعات الصين العسكرية الكلية في هذه الفترة إلى 15,9%، بعد أن كانت 18% في الفترة (1991-2001) وبنسبة تغير بلغت -11,6%.

وأخيرا فإن التعاون العسكري بين الصين وإسرائيل في هذه الفترة دخل منعطفًا جديدا بسبب التغيرات الدولية والإقليمية. فبعد موجة من الصادرات العسكرية الإسرائيلية للجانب الصيني خلال التسعينيات، بدأت هذا التعاون يثير هواجس الولايات المتحدة، من حيث تأثيره على مصالحها في منطقة آسيا. فمثل هذا التعاون قد يقوي من نفوذ الصين في منطقة آسيا، ويؤدي

إلى إضعاف حلفاء الولايات المتحدة -تايوان واليابان- فيها. إضافة إلى إمكانية نقل مثل هذه التكنولوجيا من الصين إلى خصوم الولايات المتحدة مثل إيران وكوريا الشمالية. لذلك كثفت الولايات المتحدة ضغوطاتها السياسية على إسرائيل، مما حدا بالأخيرة تعليق عقود تصدير أسلحة -صفقات طائرات من نوع "Phalcon" و "Harby" - كان قد تم الاتفاق عليها مسبقا مع الجانب الصيني، وإلزامها بدفع نحو 1260 مليون دولار، كتعويضات لإلغاء تلك العقود (Shai, 2009: 28).

جدول (5): صادرات الصين العسكرية لكل من الدول العربية وإيران وإسرائيل بالمليون دولار في الفترة 2002 . 2009

الدولة	02	03	04	05	06	07	08	09	المجموع
مجموع مبيعات الصين الكلية في هذه الفترة									4160
الجزائر	15				61				76
مصر	45	59	59	14		24	24	24	249
الكويت	23	24							47
السعودية							36	36	72
السودان	14	95	2	14	4		14		143
دول عربية أخرى									42
مجموع مبيعات الصين للدول العربية في هذه الفترة									629
نسبة الدول العربية من مبيعات الأسلحة الصينية الإجمالية									15,1%
إيران	111	88	90	63	81	77	77	77	664
نسبة إيران من مبيعات الأسلحة الصينية الإجمالية									15,9%
إسرائيل									0

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على SIPRI Yearbook

3- السلاح الصيني في الشرق الأوسط بين الواقع الفعلي والخطر المحتمل

بعد أن عرضت الدراسة الواقع الفعلي لمبيعات الأسلحة الصينية في الشرق الأوسط مع كل من الدول العربية وإيران وإسرائيل، سوف تناقش الآن في السطور التالية، طبيعة التغير الذي طرأ على حركة مبيعات الأسلحة الصينية للدول المذكورة، وكذلك سوف تبحث فيما إذا كانت موجة تجاه الدول الغربية، كما يفترض صاموئيل هنتنغتون في كتاباته حول صدام الحضارات.

1-3 طبيعة التغيرات التي أصابت مبيعات الأسلحة الصينية في الشرق الأوسط

هناك العديد من التغيرات التي طرأت على مبيعات الأسلحة الصينية في الشرق الأوسط، والتي جاءت نتيجة التحول في الخط العام لسياسة بكين الخارجية. ومن أهم هذه التغيرات:

1. زيادة قيمة الصادرات العسكرية الصينية لدول الشرق الأوسط، خاصة بعد انتقال الصين من المرحلة الماوية (1950-1977) إلى مرحلة التحديثات (بعد 1978): فبعد أن كانت نسبة الصادرات العسكرية الصينية لفواعل الشرق الأوسط (الدول العربية وإيران وإسرائيل) لا تتجاوز 2,43% (235 مليون دولار) في الفترة الأولى (1950-1977) ارتفعت لتصل إلى ما نسبته 31% (2351 مليون دولار) في الفترة (2001-2009)، بعد أن بلغت ذروتها في الفترة الثانية (1978-1990)، حيث وصلت إلى ما نسبته 59,3% من مجموع صادرات الصين العسكرية الكلية وبواقع 11750 مليون دولار. ولعل المؤشرات التالية تدلل على صحة هذا التغير:

2. أساس التبادلات العسكرية بين الصين والشرق الأوسط تبدل بصورة جذرية نظرا لتطور السياسة الخارجية الصينية وتكيفها مع بيئة النظام الدولي. فبعد أن كان أساس هذه المبادلات قائما على عوامل أيديولوجية وسياسية قبل عام 1977، بدأت أهمية العوامل الاقتصادية تطفئ على هذه الدوافع، خاصة بعد التغير الذي أصاب بنية وأيدولوجية نظام الحكم الصيني بعد عام 1978. فالبحث عن أسواق للأسلحة وتأمين الواردات النفطية اللازمة لمواصلة برامج التحديث الاقتصادية أصبحت أكثر أهمية من الاعتبارات الأيدولوجية في هذا المجال. وكان هذا واضحا من خلال تخلي الصين عن تقديم مساعدات عسكرية مجانية للحركات الثورية العربية، والتقرب من الأنظمة المحافظة في المنطقة، والتعاون مع إسرائيل، وعدم إعاقة التوجهات الغربية في المنطقة.

3. زيادة شبكة علاقات الصين العسكرية في الشرق الأوسط، حيث إنها امتدت إلى العديد من دول الشرق الأوسط. فبعد أن اقتصر على السودان في المرحلة الأولى (1950-1976)، أصبحت تشمل العديد من الدول العربية، على اختلاف أطرافها السياسية والأيدولوجية، إضافة إلى علاقتها مع كل من إيران وإسرائيل. إلا أنه يلاحظ أن العلاقات العسكرية الصينية-الإيرانية بعد انتهاء الحرب الباردة أصبحت متميزة بشكل خاص، وذلك من ناحيتين:

- أن نسبة حصة إيران من الصادرات العسكرية الصينية الكلية في الشرق الأوسط هي الأعلى مقارنة مع الدول العربية وإسرائيل. كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول (6): مقارنة حجم صادرات الصين العسكرية لدول الشرق الأوسط ونسبها من إجمالي صادرات الصين العسكرية في الفترات الأربع

	2009-2002	2001-1991	1990-1977	1976-1950	
الدول العربية	629 %15,1	633 %7,7	9435 %47,6	235 %2,43	
إيران	664 %15,9	1483 %18,0	2315 %11,7	0	
إسرائيل	0	0	0	0	

المصدر: إعداد الباحث

- وأن نسبة اعتماد إيران على الواردات العسكرية من الصين من وارداتها الكلية هي الأكثر ارتفاعاً مقارنة بالدول العربية وإسرائيل، كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول (7): مقارنة حجم الواردات العسكرية لدول الشرق الأوسط ونسبها من الصين من

إجمالي وارداتها العسكرية الكلية في الفترات الأربع

	2009-2002	2001-1991	1990-1977	1976-1950	
الدول العربية	629 %3	633 %1,6	9435 %6,5	235 %0,03	
إيران	664 %42,5	1483 %30,1	2315 %17,5	0	
إسرائيل	0	0	0	0	

المصدر: إعداد الباحث

2-3 هل تشكل مبيعات الأسلحة الصينية في الشرق الأوسط خطرا على الدول الغربية؟

ترى الدراسة أنه من المبكر جدا الحديث عن تعاون استراتيجي بين الصين والدول الإسلامية (الدول العربية وإيران في هذه الحالة)، كما أشار إليه هنتنغتون في فرضيته حول " صدام الحضارات"، وذلك نظرا لتواضع الحضور الصيني العسكري في الشرق الأوسط، الذي يعد ضعيفا وهامشيا مقارنة بحجم الحضور الغربي بشكل عام، وبحضور الولايات المتحدة بشكل خاص. فمبيعات الصين العسكرية لدول الشرق الأوسط لا زالت محدودة جدا، ولا تشكل أي خطر على أي طرف خارجي، غريبا كان أو غير ذلك. فما زالت الدول العربية تعتمد على الدول الكبرى الأخرى (الدول الغربية وروسيا) في تحالفاتها الدولية، وفي وارداتها العسكرية، كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول (8): واردات الدول العربية العسكرية ونسبها من الدول الكبرى في الفترات الأربع				
المزود	1976-1950	1990-1977	2001-1991	2009-2002
المجموع	72250	144914	40467	20576
الولايات المتحدة	4400 (6,1%)	28750 (19,8%)	27401 (67,7%)	6656 (32%)
الإتحاد السوفيتي (روسيا)	58109 (80,4%)	78939 (54,4%)	3953 (9,7%)	6369 (31%)
فرنسا	4940 (6,8%)	19446 (13,4%)	3557 (8,8%)	5553 (27%)
بريطانيا	4471 (6,2%)	6551 (4,5%)	4613 (11,3%)	946 (5%)
المانيا	95 (0,01%)	1793 (1,2%)	310 (0,7%)	423 (2%)
الصين	235 (0,03%)	9435 (6,5%)	633 (1,6%)	629 (3%)

المصدر: إعداد الباحث

أما بالنسبة لإيران فإن عزلتها التي فرضتها الدول الغربية دفعتها باتجاه الصين، التي ما زالت تشكل لها مصدرا مهما في إشباع حاجاتها العسكرية، ومع ذلك، ما زالت طهران تعتمد على روسيا بالدرجة الأولى في وارداتها العسكرية كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول (9): واردات إيران العسكرية ونسبها من الدول الكبرى في الفترات الأربع				
المزود	1976-1950	1990-1977	2001-1991	2009-2002
المجموع	20077	13215	4921	1564
الولايات المتحدة	19180 (%95,5)	7473 (%56,5)	0	0
الإتحاد السوفيتي (روسيا)	229 (%1,1)	2218 (%16,8)	3432 (%69,7)	892 (%57,03)
فرنسا	330 (%1,6)	582 (%4,4)	2 (%0,04)	0
بريطانيا	278 (%1,4)	619 (%4,7)	0	0
المانيا	60 (%0,3)	8 (%0,06)	4 (%0,08)	8 (%0,5)
الصين	0 -	2315 (%17,5)	1483 (%30,1)	664 (%42,5)

المصدر: إعداد الباحث

وأخيرا فإن إسرائيل الأكثر والأحدث تطورا من الصين في المجال العسكري لا زالت تعتمد على الدول الغربية والولايات المتحدة بشكل خاص في وارداتها العسكرية، كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول (10) واردات إسرائيل العسكرية ونسبها من الدول الكبرى في الفترات الأربع				
المزود	1976-1950	1990-1977	2001-1991	2009-2002
المجموع	16027	10972	7627	5349
الولايات المتحدة	11537 (%72,0)	10802 (%98,5)	6759 (%88,6)	5077 (%9,94)
الإتحاد السوفيتي (روسيا)	0 -	0 -	0 -	0 -
فرنسا	2371 (%14,8)	21 (%0,2)	67 (%0,9)	7 (%0,1)
بريطانيا	1239 (%10,7)	120 (%1,1)	0 -	0 -
المانيا	880 (%7,6)	29 (%0,3)	801 (%11,9)	265 (%9,4)
الصين	0 -	0 -	0 -	0 -

المصدر: إعداد الباحث

وعلى افتراض أن حركة الصادرات العسكرية من الدول الكبرى إلى دول الشرق الأوسط هي مؤشر لتحالفات الطرفين، فإننا نصل إلى صحة فرضية الدراسة التي ترى وجود علاقة عكسية بين تحالفات الدول الشرق أوسطية الدولية و وارداتها العسكرية من الصين، كما يبينها الجدول التالي:

تطور "دبلوماسية الأسلحة" الصينية في الشرق الأوسط في الفترة 1950-2009:

جدول (11): مقارنة نسب واردات الدول العربية وإيران وإسرائيل العسكرية من الدول الكبرى ومن الصين

المستورد	المزود	1976-1950	1990-1977	2001-1991	2009-2002
الدول العربية	من الدول الكبرى	99,01%	93,3%	98,2%	97%
	من الصين	0,03%	6,5%	1,6%	3%
إيران	من الدول الكبرى	99,99%	82,5%	70%	57,5%
	من الصين	0%	17,5%	30%	42,5%
إسرائيل	من الدول الكبرى	100%	100%	100%	100%
	من الصين	0%	0%	0%	0%

المصدر: إعداد الباحث

علاوة على ذلك، ترى الدراسة أن هناك العديد من المعوقات التي تقف في طريق تطوير علاقات عسكرية فاعلة بين الجانب الصيني والجانب العربي، منها ما يتعلق بالطرف الصيني، ومنها ما يتعلق بالطرف العربي. فأما ما يتعلق بالجانب الصيني، فيمكن إيجازه بما يلي:

- طبيعة علاقات المصالح التي تربط الصين بالدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة: فالمصالح التي تجمع الصين بالدول الغربية والولايات المتحدة، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو عسكرية، تفوق تلك التي تجمعها مع الدول العربية. أضف إلى ذلك، أن إدراك الصين نفوذ الولايات المتحدة في المنطقة يجعلها تعتمد عليها في تأمين استقرار المنطقة، لضمان سلامة تدفق البترول للصين، ويعمل، كذلك، على تقييد سلوكها الدولي تجاه إقامة روابط عسكرية مع دول لا تتناغم سياساتها مع التوجهات الغربية.
- أن الصين لا ترى بالدول العربية دولا عظمى يمكن إقامة تحالفات عسكرية معها، ومن ثم الاعتماد على قوتها في محاولة إحداث توازن ضد هيمنة الولايات المتحدة.
- عدم قدرة السلاح الصيني على منافسة نظيره الغربي في الكثير من أسواق الشرق الأوسط، بسبب الفجوة الواسعة بين السلاح الغربي ونظيره الصيني من حيث التقدم والتطور.
- طبيعة التحول في السياسة الخارجية الصينية الذي بدأ يتجه نحو الاهتمام بالعلاقات الاقتصادية، واستقرار المنطقة وعدم إشعال التوترات الإقليمية التي قد تؤثر في إمداد الصين بالنفط.
- شعور الصين بالمسؤولية كعضو دائم في الأمم المتحدة، مما يدفعها إلى ألا تتعاون مع دول مارقة "Pariah states" من وجهة نظر الدول الغربية، حتى لا يؤثر ذلك في مكانتها وهيبتها الدولية.
- تنامي العلاقات الصينية مع خصوم العرب (إيران وإسرائيل)، ما قد يؤدي إلى تراجع عام في أهمية الدول العربية في نظر الصين، خاصة أن ما تبحث عنه الصين متوفر لدى هاتين الدولتين: البترول من إيران والتكنولوجيا العسكرية من إسرائيل.

وأما العوائق المتعلقة بالجانب العربي فيمكن إيجازها بما يلي:

- تحلق الدول العربية حول القوتين العظميين خلال الحرب الباردة، ثم حول الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب الباردة، واعتمادها على الدول الغربية في تسليح وجيوشها تحديثها.
- الانقسام العربي حول دور الصين العسكري في الشرق الأوسط: فبينما كان العراق وإيران من المرحيين بصدارات الصين العسكرية في الشرق الأوسط، كانت الدول الخليجية من الدول التي تخشى طبيعة هذه الصفقات. الأمر نفسه ينطبق على الموقف المصري الذي ينظر لواردات السودان العسكرية من الصين بعين الشك والريبة.
- نفوذ الولايات المتحدة في ربط الدول العربية بشبكة من العلاقات العسكرية، سواء من خلال المساعدات أو القواعد العسكرية المنتشرة في الدول العربية.
- عدم الثقة في نوعية الأسلحة الصينية، خاصة بعد ادراك مدى جدوى نوعية الأسلحة الغربية التي جرى استخدامها في حربي العراق عام 1990 وعام 2003.

نتائج الدراسة وتوصياتها

من خلال مقارنة المراحل الأربع لفترة الدراسة، يلاحظ أن مبيعات الأسلحة الصينية كان مرتبطا بانفتاح السياسة الخارجية الصينية وبوجود دوافع سياسية واقتصادية عسكرية مشتركة تجمعها مع كل من الدول العربية وإيران وإسرائيل. فقد نجحت بكين في نسج علاقات عسكرية مع جميع أطراف المثلث الاستراتيجي المتناقض في الشرق الأوسط: مع الدول العربية، مع إيران، مع إسرائيل، مما انعكس على زيادة حجم مبيعاتها العسكرية في الشرق الأوسط التي بدأت بنسبة لا تتجاوز 2,43% (235 مليون دولار) في الفترة (1950-1977) لتصل إلى ما نسبته 31% (2351 مليون دولار) في الفترة (2002-2009)، بعد أن بلغت ذروتها في الفترة الثانية (1978-1990)، حيث وصلت إلى ما نسبته 59,3% من مجموع صادرات الصين العسكرية الكلية وبواقع 11750 مليون دولار.

كما يلاحظ أن الميزان العسكري بين دول الشرق الأوسط، الذي يميل لصالح إسرائيل مقابل الدول العربية وإيران فرض نفسه على التبادلات العسكرية الصينية مع دول المنطقة؛ فحركة التبادلات العسكرية بين الصين من جهة، والدول العربية وإيران (الطرف الأضعف في الميزان العسكري الشرق أوسطي) من جهة أخرى، تميل إلى صالح الصين. على العكس من ذلك ما

لاحظناه في العلاقة العسكرية بين الصين وإسرائيل، حيث كانت تميل التبادلات العسكرية إلى صالح إسرائيل (الطرف الأقوى في الميزان العسكري الشرق أوسطي). وعلى الرغم من نجاح إسرائيل في دخول شبكة علاقات الصين العسكرية في الشرق الأوسط من خلال جاذبية التكنولوجيا العسكرية التي تقدمها للصين، إلا أن هذه العلاقات ما زالت محدودة بسبب بعض القيود الأمريكية.

علاوة على ذلك، بينت الدراسة كيف أن تحالفات فواعل الشرق الأوسط كان لها علاقة عكسية مع تدفق الأسلحة الصينية لها، مما انعكس على محور التبادلات العسكرية في الجانب الشرق أوسطي نظرا لطبيعة التغيرات الدولية والإقليمية والمحلية، التي فرضت على الصين التعامل مع مراكز استقطاب مختلفة لأسلحتها: ففي المرحلة الأولى (1950-1977) تمثل بالسودان، وبعد ذلك انتقل إلى إيران والعراق في المرحلة الثانية (1978-1990)، ثم إلى مصر واليمن وإيران في المرحلة الثالثة (1991-2001)، وبعد ذلك برزت بعض الدول الخليجية مثل الكويت وعمان، إلى جانب إيران في المرحلة الرابعة (2002-2009).

وعلى الرغم أن الدراسة ترى باستمرارية تدفق الأسلحة الصينية لمنطقة الشرق الأوسط؛ نظرا لوجود بعض المداخل التي يمكن للدول العربية وإيران التعويل عليها في تكثيف علاقاتها العسكرية مع الصين (توظيف حاجة الصين في مجال الطاقة، وكذلك توظيف سعيها لمقاومة الهيمنة الأمريكية في النظام الدولي)، إلا أن الدراسة ترى من المبكر جدا الحديث عن عن تعاون عسكري فعال بين الصين والدول الإسلامية (الدول العربية وإيران في هذه الحالة)، كما أشار إليه هنتنغتون في فرضيته حول " صدام الحضارات"، إذ أن المعوقات التي تحول دون ذلك، لا زالت أكثر من فرص التعاون، وبالتالي، ترى الدراسة بأن نظرية هنتنغتون حول صدام حضاري أطرافه الدول الغربية والتحالف الإسلامي-الصيني غير مبررة عسكريا.

وفي ضوء نتائج هذه الدراسة يوصي الباحث بما يلي:

- ضرورة بناء استراتيجية عربية موحدة، أو على الأقل متناغمة، من خلال تفعيل دور جامعة الدول العربية والمنتدى العربي الصيني، للتعامل مع الصين على نحو يقوي المركز التفاوضي للدول العربية فيما يخص المسائل العسكرية بين الطرفين.
- ضرورة التوظيف الفعال لبعض الأوراق المهمة التي تمتلكها الدول العربية (علاقات الطاقة، الأسواق العربية، رؤوس الأموال العربية، زيارات المسؤولين) من أجل الوصول إلى تعاون عربي-صيني ذي فاعلية أكبر في المجال العسكري.
- ضرورة التوظيف الفعال للموقف العربي من القضايا الصينية، خاصة فيما يتعلق بالموقف من تايوان وحقوق الإنسان، بهدف كسب التأييد الصيني لصالح القضايا العربية، ومساومة الصين حول تعاونها العسكري مع خصوم الدول العربية (إيران وإسرائيل).
- محاولة استغلال علاقات التنافس الصيني- الأمريكي في توسيع هامش المناورة العربي للحصول على مكاسب سياسية وعسكرية من الطرفين.

Evolution of the Chinese "Weapon's Diplomacy," in the Middle East 1950-2009: A comparative study of China's military sales for each of the Arab countries, Iran and Israel

Khier S. Diabat, *Department of Political Science, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

In the last few decades China's emergence as a major arms supplier has become the focus of considerable global attention. Since the early 1980s China has emerged as a major exporter of conventional weapons in the international arms market, trying to become a permanent competitor with other great powers throughout the world; e.g. the USA, USSR (now modern Russia) and other European countries in the Middle East. This study documents China's principal arms-sales relationships with the key participants of the Middle East (Arab States, Iran and Israel) thr era 1950- 2009. In summary, it also analyses the motivations of suppliers & purchasers; compares the changes of these arms sales through four key time periods (1950-1977, 1978-1990, 1991-2001, 2002-2009); identifies possible constraints on China's arms sales & finally assesses whether China's arm sales pose a possible threat against other parties.

قدم البحث للنشر في 2011/1/11 وقبل في 2011/7/27

قائمة المراجع:

أولاً: المراجع العربية

- عبد الحي، وليد سليم، المكانة المستقبلية للصين في النظام الدولي 1978-2010، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ط1، 2000.
- فضة، محمد ابراهيم، سياسة الصين الخارجية والعالم الثالث (1949-1969)، الجامعة الأردنية، 1980.
- مخيمر، أسامة فاروق، "العلاقة بين الصين الشعبية وإسرائيل"، السياسة الدولية، العدد 108، نيسان/أبريل 1992، ص 259. 261.

ثانياً: المراجع الإنجليزية:

- Bin Huwaidin, Muhammad: *China's Relations with Arabia and the Gulf (1949-1999)*, London, 2002.
- Byman, Daniel L.: *China's Arms Sales: Motivations and implications*, Rand, 1999.
- Calabrese, John: "China and Iraq: stake in stability", in: *P R Kumaraswamy: China and The Middle East: The quest for influence*, Sage Publications Ltd, India, 1999.
- Christina Y. Lin: China, Iran, and North Korea: a triangular strategic alliance, *Middle East Review of International Affairs*, Vol. 14, No. 1 (March 2010): 50-67.
- Cordesman, Anthony H.: "Iran's Search for weapons of Mass Destruction", Center of Strategic and International Studies, 2003, p. 38-44.
- Dan, Blumenthal: "Providing Arms: China and the Middle East", *Middle East Quarterly*, Vol. 12, No. 2, 2005: 11-19
- Frank J. Gaffney, Jr., "China Arms The Rogues", *Middle East Quarterly*, Vol. 4, No. 3, 1997, Pp. 33-39.
- Jakobson, Linda: "China's Diplomacy toward Africa: Drivers and Constrains", *International Relations of the Asia- Pacific*, Vol. 9 (2009): 403-433.

- Kumaraswamy P. R.: “*China and Israel*”, in: Kumaraswamy P. R.: *China and The Middle East: The Quest For Influence*, Sage Publications Ltd, India, 1999.
- Melman, Yossi/ Sinai, Ruth: “Israeli-Chinese Relations and Their Prospects”, in: *Asian Survey*, Vol. 17, Nr. 3, March 1987, S.403.
- Melman, Yossi/ Sinai, Ruth: „Israeli-Chinese Relations and Their Prospects”, in: *Asian Survey*, Vol. 17, Nr. 3, March 1987, S.403.
- Pan, Guang: “China’s Success in the Middle East”, *Middle East Quarterly*, Vol. 4, No. 4, 1997: 35-40.
- Qimao, Chem, “New Approaches in China’s foreign policy”, in: *Asian Survey*, Vol. 18, Nr. 3, March 1993, p. 237-251.
- Rubin, Barry, “China’s Middle East Strategy”, in: *Middle East Review of International Affairs*, Vol. 3, Nr. 1, 1999, p. 46-54.
- Shai, Aron: Sino-Israeli Relations: Current reality and Future Prospects, *Institute for National Security Studies, Memorandum*, No. 100, Tel Aviv, 2009.
- SIPRI Yearbook, Stockholm International Peace Research Institute (SIPRI), different years from 1950 until 2009, <http://www.sipri.org/>
- Tarzi, Amin: “the Role of WMD in Iranian Security Calculations: dangers to Europe”, *Middle East Review of International Affairs*, Vol. 8, No. 3 (September 2004), p.91-111.
- Van Kamenade, Willem: *Iran’s Relations with China and the West*, NetherlandsInstitute of International Relations, Clingeldeal Diplomacy papers No.24, 2009.
- Yitzhak Shichor, “China’s upsurge: Implications for the Middle East”, *Israel Affairs*, vol. 12, October, 2006, p. 665 – 683.

ثالثاً: المراجع الألمانية

- Berschel, Holger: Proliferation von Massenvernichtungswaffen im Nahen und Mittleren Osten und Nordafrika,
<http://www.Weltpolitik.Net/Sachgebiete/Internationale%20sicherheitspolitik>.
- Faath, Sagrid: „Beziehungen Nordafrika/ Nahost und China: Im Aufwind“, In: *Orient- Journal*, Frühjahr 2002, p. 4.
- Haikal, Muḥammad Ḥasanain, Das Kairo-Dossier: Aus Den Geheimpapieren Des Gamal Abdel Nasse, Wien, München, 1972.
- Umbach, Frank, Konflikt oder Kooperation in Asien-Pazifik?, Forschungsinstitut der Deutschen Gesellschaft für Auswärtige Politik, München, 2002.
- Weggel, Oskar, „Die Waffengeschäfte Chinas“, in: *China Aktuell*, April 1993, p. 335-341.
- Weizman, Ezer: Über die Chinesisch-Israelische Kooperation und den Friedensprozess im Nahen Osten, 27.04.1999, In: *Beijing Rundschau*, Mai/1999, p. 33.
- Winter, Heinz-Dieter: Der Nahe und Mittlere Osten am Ende des Ost-West-Konflikts, Trafo Verlag, 1998.
- Yia, Lin: “Golf: Wichtiger Markt Für Waffengeschäfte”, In: *Beijing Rundschau* 10/1993, p.13-14.

القدس الشريف في الرسائل العلمية في أقسام التاريخ

في الجامعات الحكومية الأردنية

تيسير الزواهرة*

ملخص

يهدف هذا البحث الى عمل مراجعة نقدية لبعض الكتابات التاريخية المعاصرة في الأردن , لما لهذه العملية من أهمية في تطوير عملية البحث العلمي وتجويدها, ولتحقيق هذا الهدف أخذت تسع رسائل جامعية في أقسام التاريخ في الجامعات الحكومية، تناولت القدس الشريف، تبين من خلالها اهتمام داسي التاريخ الأردنيين بالقدس وهو من فروض الكفايات، علماً بأن الحاجة الآن وصلت إلى فرضية العين.

اعتمدت الرسائل جميعاً على المصادر المحلية من الوثائق والسجلات والمؤلفات التاريخية العامة، العربية، والتركية العثمانية، فضلاً عن المصادر الأجنبية والأوروبية , ولكن جاء ذلك بدرجة أقل مما هو مطلوب ومتوقع، خاصة النقص في المصادر الإسرائيلية والصهيونية.

ووجدت عدة رسائل على سوية عالية، وضبط ممتاز، وإحاطة جيدة بالمصادر والمراجع ذات العلاقة واستثمار جيد لها، بينما كانت أخرى دون المستوى المطلوب , وبحاجة الى إعادة كتابة وتنظيم وشمول في المصادر والمراجع ذات العلاقة.

وتوصي الدراسة بمتابعة الجهود النقدية للدراسات التاريخية عموماً وفلسطين والقدس خصوصاً.

مدخل

إن الحديث عن القدس الشريف دائم ومستمر , كون هذه المنطقة قد دخلت في حلبة التنافس بين الشعوب والأمم، وفي عقائدها الدينية المختلفة، فقد صارت القدس عند المسلمين جزءاً من كيانهم، وقد يرقى ذلك ليصبح جزءاً من العقيدة الإسلامية نفسها، إذ ارتبطت بالآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، وهذه أدت بدورها إلى اهتمام المسلمين بها، وإصرارهم عليها، وعلى بقائهم فيها وبقائها لهم.

ومن هنا صار البحث عن الهوية القديمة لها بعد اندماج العرب كأمة عربية بالدين الإسلامي فصارت أمة عربية إسلامية، ومن ثم صار العرب يبحثون عن جذورهم السابقة فيها، كما بحث

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2013.

* قسم التاريخ، جامعة مؤتة - الكرك - الأردن.

المسلمون العرب عن جذورهم السابقة فيها على أساس أنهم ورثة الأنبياء السابقين الذين جاؤوا إلى الأرض المقدسة، أو أقاموا فيها أو على تخومها¹. ومن باب هذا الميراث فقد عدّوا أنفسهم الأحق بها من الآخرين على أسس عقديّة، داعمين ذلك بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة من قبيل قول الله تعالى: "إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين"²؛ وحديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، "لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم"³.

واستمر اهتمام المسلمين بالقدس الشريف على مر العصور حتى ألفوا في فضائلها العديد من الكتب نذكر عدداً منها مرتبة هجائياً⁴:

1. الأقفهسي، شهاب الدين أحمد بن عماد بن محمد بن يوسف (808هـ / 1405م)، تسهيل المقاصد لزوار المساجد، مخطوط.
2. الأسيوطي، شمس الدين محمد بن أحمد المنهاجي (ت 911هـ / 1505م)، إتحاف الإخصنا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جزآن 1982م، 1984م.
3. التدمري، تاج الدين إسحاق بن إبراهيم بن أحمد الخطيب (ت 833هـ / 1430م)، مثير الغرام إلى زيارة الخليل عليه السلام، نشره تشارلز ماثيو الأمريكي، مجلة الدراسات الشرقية الفلسطينية، (Charles Mathews, *Journal of the Palestine Oriental Studies*) vol.16, no.4, 1936, vol.17, no.1, 1937.)
4. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن علي القرشي البغدادي (ت 597هـ / 1201م)، فضائل القدس، تحقيق جبرائيل جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م.
5. الحسيني، الشريف عز الدين حمزة بن أحمد الدمشقي الشافعي (ت 874 هـ / 1469 م)، فضائل بيت المقدس، مخطوط.
6. الخليلي، الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن شرف الدين (ت 1147هـ / 1734م)، تاريخ القدس والخليل عليه السلام، حققه وكتب مقدمته وحواشيه وصحح فهارسه محمد عدنان البخيت و نوفان رجا الحمود السواريّة، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1425هـ / 2004م.

7. الدمشقي وقيل : الحلبي، عبد الوهاب بن محمد بن حسن العلوي، وقيل : عبد الوهاب بن علي، وقيل : عبد الوهاب بن عمر، الحسيني الشافعي (ت 875 هـ / 1470 م)، الروض المغرس في فضائل بيت المقدس، وقيل : البيت المقدس، مخطوط.
8. ابن سرور المقدسي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت 765 هـ / 1364 م)، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، تحقيق أحمد سامح الخالدي، يافا، 1946 م ؛ وهناك دراسة وتحقيق لأحمد الخطيمي، بيروت: جامعة القديس يوسف، 1985 م.
9. الشريف، عارف بن عبد الرحمن (ت 1383 هـ / 1963 م)، روضة الأنس في فضائل الخليل والقدس، القدس، 1946 م.
10. ابن عساكر، القاسم بن علي بن الحسين أبو محمد (ت 600 هـ / 1203 م)، المستقصى في فضل الزيارة للمسجد الأقصى، مخطوط.
11. العليمي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد المقدسي الحنبلي (ت 927 أو 928 هـ / 1521 م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، عمان، الأردن، 1973 م، 2 ج.
12. ابن الفركاح، إبراهيم بن عبد الرحمن (ت 729 هـ / 1329 م)، باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس، تحقيق تشارلز ماثيو الأمريكي، مجلة الدراسات الشرقية الفلسطينية Charles Mathews, **Journal of the Palestine Oriental Studies**, Vol. 14, 1934, vol. 15, 1, 935)
13. القرشي، عبد الرحيم بن علي (ت 682 هـ / 1283 م)، مفتاح المقاصد ومصباح الراصد في زيارة بيت المقدس، مخطوط.
14. المكناسي، أبو إسحاق يحيى بن أبي الحفاظ (من أهل ق 7 هـ / ق 13 م) كتاب فيه فضائل بيت المقدس وفضائل الشام، مخطوط.
15. ابن هشام، عبد الله بن هشام (ت 761 هـ / 1359 م)، تحصيل الأنس لزائر القدس، مخطوط.
16. الواسطي، أبو بكر محمد بن أحمد (تاريخ وفاته غير معروف)، فضائل البيت المقدس أو فضائل بيت المقدس، نشره إسحاق حسون، معهد الدراسات الآسيوية و الإفريقية، الجامعة العبرية، القدس، فلسطين، 1979 م.

17. مؤلف مجهول، فضائل الشام وفضائل مدنها : بيت المقدس، وعسقلان، وغزة والرملة، و أريحا، ونابلس، وبيسان، ودمشق، وحمص، وذكر الأنبياء المشهورين فيها، وذكر الصحابة المدفونين فيها، مخ طوط.

ونظراً لسعة الموضوع من ناحية، وليكون حجم البحث مناسباً للنشر في دورية علمية، ولحاجة البحث العلمي والإنتاج الفكري للمراجعة والتقييم بين الفينة والأخرى، ولأهمية مدينة القدس الشريف والاهتمام بها، فقد جاء هذا البحث لعمل مراجعة وقراءة نقدية أولية لما تم إنجازه من أعمال حول هذه المدينة الشريفة ؛ وقد تناولت تسع رسائل علمية أجزيت في أقسام التاريخ في الجامعات الحكومية، وهي مرتبة حسب تواريخ إنجازها على النحو التالي :

1. حسن بن عبد اللطيف الحسيني (يرجع النعيمات وفاته 1226 هـ / 1811 م)، تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري، دراسة وتحقيق وتقديم، سلامة صالح النعيمات مع مقدمة عن الحياة العلمية في القدس في القرن الثاني عشر الهجري، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن 1405هـ/ 1985م، ثم نشرت بدعم من الجامعة الأردنية في السنة ذاتها.
2. محمد أحمد سليم اليعقوب، ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن 1406هـ/ 1986م، نشرت بالتعاون بين جامعة آل البيت والبنك الأهلي الأردني، 1999م.
3. زياد عبد العزيز المدني، مدينة القدس وجوارها خلال الفترة 1215هـ-1245هـ/ 1800م-1830م، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 1996م، ونشرت في العام نفسه بالتعاون بين جامعة آل البيت وبنك الأعمال الأردني.
4. غالب عبد أحمد العريبات، تاريخ الحياة الاجتماعية في ناحية القدس الشريف في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، رسالة ماجستير غير منشورة، 1420 هـ/ 2000م.
5. تغريد عبد الحميد جبر الختاتنة، السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك عموري الأول، كما أرخ لها وليم الصوري مقارنة بالمصادر الأخرى (1162-1174م/ 558-569هـ)، دراسة مقارنة، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، رسالة ماجستير غير منشورة، 1423 هـ/ 2002م.
6. ثروت صالح الخطيب، مدينة القدس خلال الحكم الفاطمي (358-492هـ / 968-1099م)، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، رسالة ماجستير غير منشورة، 1424 هـ/ 2003م.

7. سليم جمعة سليم السوارية، الحياة الاجتماعية في مدينة القدس في الفترة من (1163هـ - 1215هـ/1750م - 1800م)، جامعة مؤتة، رسالة ماجستير غير منشورة، 2005م.
 8. بدر سمور البدور، السياسة الإسرائيلية تجاه مدينة القدس (1967م - 2006م)، جامعة مؤتة، رسالة ماجستير غير منشورة، 2006م.
 9. أحمد حامد إبراهيم القضاة، نصارى القدس في القرن التاسع عشر (دراسة في سجلات محكمة القدس الشرعية)، جامعة اليرموك، رسالة دكتوراه غير منشورة، 1427هـ/2006م) نشرها مركز دراسات الوحدة العربية بعنوان : نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، سلسلة أطروحات الدكتوراه (67)، بيروت أيلول (سبتمبر 2007 م).
- يلاحظ على الرسائل التسع المذكورة أن ثلاثة منها أجيّزت في الجامعة الأردنية هي رسائل النعيمات، واليعقوب، والمدني ؛ وخمسة أجيّزت في جامعة مؤتة هي رسائل العريبات، والختاتنة، والخطيب، والسوارية، والبدور ؛ وواحدة أجيّزت في جامعة اليرموك هي رسالة القضاة ؛ كذلك يلاحظ أن ستاً منها تناولت الحقبة العثمانية هي رسائل النعيمات، واليعقوب، والمدني، والعريبات، والسوارية، والقضاة ؛ وواحدة تناولت القدس الفاطمية هي رسالة الخطيب، وواحدة تناولت القدس المعاصرة هي رسالة البدور؛ وواحدة تناولت القدس في الفترة الصليبية هي رسالة الختاتنة. وجاءت إحدى الرسائل العثمانية وهي رسالة النعيمات، وهي تحقيق مخطوط لتراجم أهل القدس في ق12هـ /18م وشغفت بدراسة عن المدينة وأحوالها، خاصة العلمية، واعتمدت مصادر الفترة من سجلات المحاكم الشرعية وغيرها مَوَارِدَ لمادتها التاريخية.

نظرة تحليلية في بنية الرسائل المجازة :

يمكن أن تتناول النظرة التحليلية لتلك الرسائل عدة عناصر منها : محتويات الرسائل، ومصادرها، والنتائج التي توصلت إليها تلك الرسائل، ومقارنة نماذج مختارة من تلك الرسائل فيما بينها، وفيما بينها وبين ما كتبه الآخرون، كالموسوعة الفلسطينية، وبعض ما كتبه العدو عن المدينة، ثم ما يؤخذ على تلك الرسائل، كإغفال بعض الجوانب، أو استخدام مصادر متحيزة، أو إغفال مصادر معينة، والتكرار بين الرسائل نفسها، والأخطاء في المصطلح، وما يسجل لتلك الرسائل من إيجابيات، كالتنبية إلى بعض المصادر التي لم يستخدمها أحد من قبل، أو لم تستخدم بفاعلية من قبل، أو التنبيه إلى طريقة وأسلوب جديدين لاستخدامهما، أو الجوانب التي أثّرت، وأهميتها بالنسبة للقدس الشريف ؛ وتنفيذاً لما سبق، ما أمكن، فقد أخذت جانبيين من الجوانب المذكورة لتغطية معظم تلك الملحوظات هما: جغرافية القدس، والتركيب السكاني.

جغرافية القدس :

لقد أهملت رسالتا النعيمات، والقضاة الحديث عن جغرافية القدس، ولعل السبب كون الأولى مخطوطاً محققاً، ولذا فإن الباحث التزم بفحوى المخطوط وتراجمه، ومع ذلك كان من الأولى توضيح مدلول القدس المدينة أو الناحية ، لأن رقعة مواطن المترجم لهم جغرافياً تقتضي ذلك، وإذا وجدنا شبهة عذر لرسالة النعيمات فإن هذا من غير المقبول إهماله بالنسبة لرسالة القضاة، فعن أي منطقة من القدس يتحدث الباحث؟ أهى المدينة داخل السور؟ أم عن القرى المحيطة بها؟ لقد تناول الباحث في فصل الحياة العلمية وفصل الحياة الاقتصادية أماكن داخل السور وخارجه، وفي القرى المحيطة بالمدينة والبعيدة عنها⁵.

تناولت سبع من الرسائل القدس، بغض النظر عن تناولها لجغرافية القدس في بند خاص بها، المدينة أو ناحيتها وريفها، أو كليهما معاً⁶؛ وأما رسالة الختاتنة فتناولت إمارة بيت المقدس (مملكة بيت المقدس الصليبية فيما بعد)، وبينما لم تخرج الأعمال السبع التي تناولت الناحية الجغرافية عن القدس وناحيتها عن فلسطين بمفهومنا المعاصر، أي المحدودة بالبحر المتوسط غرباً ونهر الأردن ووادي عربة شرقاً، نجد رسالة الختاتنة تخرج إلى خارج هذا المفهوم فتحدها إمارة بني عمّار في طرابلس الشام شمالاً، وبأتابكية دمشق شرقاً، وبحدود الخلافة الفاطمية من ناحيتي الجنوب والغرب، ضامة إليها مدناً ساحلية هي : أرسوف، وقيسارية، حيث البحر المتوسط المنفذ الوحيد الأمن لتلك المملكة بدون التعرض للقوى الإسلامية المعادية لها أو التي قد تحد من حركتها، وهي تؤمن اتصالها المباشر بأوروبا الغربية وبيزنطة، فيما لو أطبقت عليها القوى الإسلامية من الجهات الأخرى. ومع أن الخارطة رقم 2 المرفقة بالرسالة تبين حدود مملكة بيت المقدس من الجنوب والغرب، وتحدها نسبياً من جهة الشرق، وبخليج العقبة جنوباً أيضاً⁷، أي بما يقارب حدود فلسطين الحالية من جهة الغرب، ففضلاً عن أن هذه الخارطة منقولة عن أطلس تاريخ الإسلام، ولم تكن أصيلة⁸، فقد جاءت خلواً من التعليق، أو التفسير، وفيما عدا ذلك لا يوجد ما يخص جغرافية القدس في هذا العمل، ولعل ذلك عائد لطبيعة البحث نفسه والغاية من إنجازه. أي التعريف بالسياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس الصليبية في تلك الفترة المحددة.

وأما الرسائل التي تناولت جغرافية القدس صراحة فهي رسائل اليعقوب⁹، والعربيات¹⁰، والخطيب¹¹، والسوارية¹²، والبذور¹³، إن بينت الرسائل المذكورة موقع القدس وحدودها، وتضاريسها، ومناخها، ومياهها.

فأما الموقع والحدود: كان اليعقوب الأوسع حديثاً وتعليلاً لموقع القدس الجغرافي والإداري في العهد العثماني، فذكر حدودها بشكل عام، ثم التعديلات العثمانية. وجاء ضبطه للأسماء جيداً¹⁴؛ وأما العربيات فقد اختصر ما لدى اليعقوب من حيث المدى المكاني، بينما زاد عليه باستخدام وثائق المحكمة الشرعية لتوثيق تلك الحدود¹⁵، وأسند اليعقوب توصيفه للحدود إلى

دفتّر طابو رقم 516¹⁶؛ وحدد كل من السوارية و البدور موقع القدس بخطوط الطول ودرجات العرض (وسمّيّاها خطوط العرض)، كما أوردّا ارتفاعها فوق سطح البحر، وذكرّا بُعْدِيَّهَا عن البحر المتوسط الذي سمّاه البدور مرّةً بالمتوسط وأخرى بالأبيض، والميت¹⁷، وزاد البدور بذكر بُعْدِهَا عن البحر الأحمر، كما حدد موقع المدينة بالنسبة للقرى المحلية، والمدن الفلسطينية، ويعيد ذلك إلى عام 400م (العهد الروماني)، كما ألحق برسائله عدداً من الخرائط بينت موقعها بالنسبة للمدن الفلسطينية¹⁸، منها خارطة عن القدس قبل عام 1967م وهي تمثل حدود بلدية القدس¹⁹، وخارطة تبين التوسع والعُدوان الصهيونيين في عام 1967م²⁰، وهذه الخرائط مستقاة من مصادر مختلفة ولم يُعِد الباحث أيّاً منها خصيصاً لدراسته؛ وأمّا الخطيب فاكتفت بذكر الموقع وتحديد بدوائر العرض، وخطوط الطول نقلاً عن المراجع الحديثة، كما قدمت خارطة سياسية حديثة وليست تاريخية، أي أنها لم تقدم وجهة نظر مصادر الفترة قيد البحث فيبيان موقع القدس²¹، كما جاءت هذه الخارطة غير مخدومة وفقاً لقواعد رسم الخرائط من حيث مفتاح الخارطة، ومقياس الرسم وما إلى ذلك²²؛ ويلاحظ أن خارطتي اليعقوب كانتا الأكثر ضبطاً ودقة، حيث أوردتا حدود القدس الشريف وقراها مع ذكر مقياس الرسم فيهما²³، وأغفل العربيات خدمة رسالته بخارطة تبين موقع مدينة القدس وقراها؛ و مما يلفت النظر أن المدني قدم خارطة للقدس، مع أنه لم يفرد حديثاً مستقلاً عن جغرافية القدس وجاء حديثه عن ذلك ضمن فصل العمران، وكانت خارطة غير مخدومة أيضاً²⁴، كما جاء كتابه التكميلي لرسائله خلواً من الخرائط.

وتعرّضت خمس رسائل للتضاريس (الجبال، والأودية، والسهول)، وبينما اتفقت رسالتا اليعقوب²⁵، والعربيات²⁶، على تقسيم الجبال إلى مجموعات حسب موقعها من القدس، فقد ذكر البدور²⁷، والخطيب²⁸، الجبال دونما تحديد، ولم يبيّنا الأساس الذي اعتمدها في ترتيب ورودها. ومع التنبيه على: الملحوظتين السابقتين والتعليقات، يلاحظ اتفاق الرسائل الأربع على ذكر الجبال التالية: جبل الطور (الزيتون)²⁹، وجبل النبي صموئيل³⁰، وجبل المكبر³¹، واتفقت ثلاث رسائل على ذكر جبلي الرأس³²، والباطن³³، كما اتفقت اثنتان على ذكر جبل الفريديس³⁴، واثنان على ذكر جبال: المشارف³⁵، وصرعة³⁶، وتل الفول³⁷، والنصبة³⁸، والمنطار³⁹، واتفقت رسالتان على ذكر جبلي موريا (الحرم القدسي)⁴⁰، وأكرا⁴¹، وانفرد اليعقوب بذكر جبال أخرى هي: جبال بيت محسير، و جبال قرية الجورة، والكابوس، والعاصور، والسناسين⁴²، وانفرد العربيات بذكر جبل: حرمون⁴³، وانفردت الخطيب بذكر جبل: بطن الهوا أو الفاضح⁴⁴، وانفرد البدور بذكر جبال: بيزتا، وتل الظهور (الظهرة)، و القطمون، كما يذكر تل الرملة، و تل شيلات⁴⁵، وأمّا السوارية فلم يتعرض لذكر الجبال في القدس.

امتازت كتابة اليعقوب عن الجبال بالتفصيل الدقيق مع ذكر دوائر العرض وخطوط الطول والارتفاعات لجميع الجبال، مع تحديد مواقعها تجاه القرى والبلدات من ناحية،

والقدس نفسها من ناحية أخرى، وبشكل دقيق، وأما العربيات والبدور والخطيب فقد أوجزوا الحديث فيها، وذكروا مواقعها تجاه البلدات والقرى وتجاه القدس نفسها بشكل عام، ويؤخذ على الخطيب والبدور أنهما أقحما مادة كثيرة غير ضرورية خاصة فيما يتعلق بذكر مادة تخص التاريخ القديم. وامتاز اليعقوب بذكر خرائط، رسمت خصيصاً للرسالة، تبين مواقع الجبال وهذا ما لم يظهر في الرسائل الأخرى كما بينا آنفاً⁴⁶.

أما الأودية : فقد قسمها اليعقوب حسب اتجاهاتها ومصباتها، فمنها ما سمّاه بالأودية حول القدس، والأودية الشرقية التي تصب في نهر الأردن، أو في البحر الميت والأودية الغربية التي تتجه نحو السهل الساحل الفلسطيني، والأودية الجنوبية، كما حدد مواقع بعضها حسب دوائر العرض وخطوط الطول، وذكر أطوال عدد منها ونهاياتها، وبلغ عددها في جميع الاتجاهات تسعة عشر وادياً، وبعضها مجمع لواديين أو أكثر⁴⁷. وذكر العربيات ستة عشر وادياً، أحدها يتكون من واديين، ويذكر أيضاً أطوال عددٍ منها، ومع أنه يذكر اتجاهات كل منها لكنه لا يقسمها كما فعل اليعقوب، مكتفياً بذكر اتجاهاتها العامة في مقدمة حديثه عنها⁴⁸. وجاء حديث العربيات عن الأودية معززاً بوثائق سجلات المحكمة الشرعية بالإضافة إلى كتب الجغرافية والمؤلفات العامة عن فلسطين والقدس وجغرافيتهما⁴⁹. بينما اعتمد اليعقوب على كتب الجغرافية والمؤلفات العامة فقط⁵⁰. وأما الخطيب فقد دمجت واختصرت ما ورد عند اليعقوب والعربيات فقط، فذكرت تسعة أودية فقط، دون ذكر أطوالها، كما جنحت لذكر معلومات من خارج فترتها⁵¹، مما أفقدها البعد والدقة التاريخيين الدقيقين. ويورد السوارية ثلاثة أودية فقط على أساس أنها الحدود الطبيعية للقدس من الشرق والجنوب والغرب⁵². وأخيراً يذكر البدور أسماء تسعة أودية فقط، ودون بيان اتجاهاتها أو مواقعها أو أي معلومات إضافية أخرى⁵³.

اتفقت ثلاث رسائل على ذكر تسعة من الأودية هي : وادي جهنم بتسمياته المختلفة، ووادي الجوز، ووادي العوجا، ووادي النويعمة، ووادي القلط، ووادي المعلق، ووادي مكلك، ووادي جريوت، ووادي باب الواد على اختلاف تسمياته، ووافقهم السوارية بذكر وادي جهنم، كما وافقهم البدور بذكر وادي باب الواد⁵⁴، واتفقت أربع رسائل على ذكر وادي الربابة⁵⁵، واتفقت رسالتان على ذكر وادي التعامرة⁵⁶، واتفقت رسالتان أخريان على ذكر وادي الجان أو (تيرويون)⁵⁷؛ وانفرد اليعقوب بذكر أودية: المزار، وعين كارم، والحمام، ووادي موسى⁵⁸؛ وانفرد العربيات بذكر أودية: أحمد في جنوبي القدس، ووادي فوكين، ووادي أرطاس، ووادي الطواحين⁵⁹، وجاء ذكره لهذه الأودية اعتماداً على سجلات المحاكم الشرعية، وهو بذلك يستثمر المصدر المحلي بشكل جيد في مجال الأودية، وانفرد البدور بذكر أودية : علي، وتبنة، والمشاش، والناقورة، والراهب⁶⁰.

وفيما يتعلّق بالسهول : فقد أشارت ثلاث رسائل إلى سهليّ الساهرة، والبقعة⁶¹، لكن الخطيب لا تذكر سوى سهل واحد⁶²، وكعادته في التدقيق فقد أورد اليعقوب خارطة تبين موقع دينك السهلين⁶³.

وأما المناخ : فقد جاء الحديث عنه مفصلاً لدى اليعقوب بخطوط الطول و دوائر العرض، وأوضح الفصلين الرئيسين : الشتاء والصيف، و الفصلين الانتقاليين: الربيع والخريف، إضافة إلى بيان الرياح السائدة⁶⁴؛ و جاء الحديث عن المناخ مختصراً لدى العربيات، مع تعديل استخدام خطي العرض إلى درجتي العرض، والإشارة إلى الاختلاف مع الموسوعة الفلسطينية، ثم ذكر درجات الحرارة شتاءً فقط⁶⁵؛ كما ذكر البدور معلومات عن المناخ تتسم بالعمومية من ناحية، والمزج بين النظام المتري والملكي (الإنجليزي) من ناحية أخرى⁶⁶؛ ولا تختلف معلومات السوارية كثيراً عن غيره خاصة و أنه استخدم معلومات اليعقوب، فكان أميناً بالإشارة إليها، كما اعتذر عن عدم إيراده معلومات عن معدلات الهطل السنوي نظراً لعدم توفر إحصائيات تعود لتلك الفترة، بينما نجد اليعقوب يذكر شيئاً عن معدلات الهطل السنوي بانياً رأيه على أساس أنه لم تحصل تغيرات مناخية خلال الألف سنة الأخيرة، وقد أشار السوارية نفسه لهذه الملحوظة⁶⁷؛ وأما الخطيب فقد دمجت بين معلومات اليعقوب والعربيات، ومع ذلك أخطأت بنقل خط الطول فذكرت أنه 35.15 بدلاً من 34.15، كما أنها لم تكن أمينة حين أخذت معلومات العربيات ولم تشر إليه، كما استخدمت مصادرها وزادت عليها بحكم اختلاف الفترة⁶⁸؛ واتفق اليعقوب والعربيات والبدور بتسمية مناخ القدس بأنه مناخ البحر المتوسط⁶⁹.

المياه: تناولت ست رسائل، بالإضافة إلى كتاب المدني التكميلي لرسالته، مصادر المياه في القدس الشريف على النحو التالي : تناول كل من اليعقوب، و العربيات، و الخطيب، و السوارية، والبدور، الحديث عن هذه المصادر في الفصل الجغرافي⁷⁰، بينما تناولها المدني في رسالته وكتابه التكميلي في فصلي العمران⁷¹.

يذكر اليعقوب ثمان عيون⁷²، ويذكر العربيات سبع عيون⁷³، وتذكر الخطيب أربع عيون⁷⁴، وقد أخطأت حين عدت بئر أيوب ضمن الآبار وهو من العيون كما ورد عند الباحثين الآخرين⁷⁵، وأما المدني فيذكر تسع عيون حسب قوله⁷⁶، ولكن حين إحصائها لديه وجدت ثلاث عشرة عيناً، كما لم يذكر عيون أرطاس التي وردت عند الآخرين، وفي كتابه التكميلي يذكر عشرة عيون أولها عين أرطاس⁷⁷، ويذكر البدور خمس عيون فقط، ويصف القدس الشريف بشح المياه⁷⁸، وتختلف مسميات العيون من باحث إلى آخر، ولعل السبب يعود إلى غور بعض العيون وظهور أخرى من حين لآخر ؛ ووقعت الخطيب في مفارقة حين ذكرت التقاء عيون أرطاس ببرك سليمان⁷⁹، وهو السلطان سليمان القانوني (ت 974هـ/1566م)، بينما رسالتها حول القدس الفاطمية أي قبل

ظهور القانوني بـ ستة قرون، ويبدو أن سبب هذه المفارقة أنها أخذت عن الباحثين السابقين عليها دون تمحيص. كذلك لا يوجد اتفاق على ذكر العيون جميعاً، ولعل هذا الاختلاف عائد لاختلاف المصادر، أو لجفاف بعض العيون، أو لعدم إحاطة بعض الباحثين بمصادرهم الأولية وفهم نصوصها، كما هي حال الخطيب التي تشير إلى بئر أيوب كما ذكر أنفاً، علماً بأن النص الذي استخدمته وهو من العليمي الحنبلي ينص على: "أن أهالي القدس حفروا هذه البئر بعد أن ضاق الماء في المدينة وأن مياهه باردة وخفيفة وتفيض في فصل الشتاء"⁸⁰.

البرك: تناولت ست رسائل فقط الحديث عن البرك، فهذا اليعقوب يقسم البرك إلى برك داخل المدينة وعددها أربع، وأخرى خارجها وعددها ثلاث⁸¹، ويلاحظ أنه يعد بركة خربة غير جاهزة لحجز المياه ضمن البرك وهي بركة بني إسرائيل، لكن يعدها العليمي في الربع الأول من ق10هـ/ ق16 م بركة عظيمة، لذا فإن الاستناد إلى النص من سجلات المحاكم الشرعية ليس قطعي الدلالة على عدم صلاحيتها، كما أن المدني يذكر أنها بقيت عامرة حتى ق13هـ/ ق19م، حيث تحولت عندئذٍ إلى منطقة مزروعة⁸². ويذكر العربيات البرك السبع التي يذكرها اليعقوب وأنها داخل المدينة لكنه لا يذكر بعد ذلك بركاً أخرى خارجها⁸³، ولعل هذا مرتبط بتوسع المدينة وانحسارها. وبينما يذكر المدني ست برك مما ذكر لدى اليعقوب والعربيات، تذكر الخطيب إحدى عشرة بركة فزادت بركة الضأن، والبركة العليا (المنسوب بناؤها إلى حزقيا)، وبركة الاستحمام، والبركة الحمراء، لكن مصادرهما عن هذه البرك موثق من مرجع حديث وليس من مصادر أولية⁸⁴. ومع دقة التفاصيل التي يذكرها المدني إلا أنه يستخدم المقاييس المترية والملكية (الفرنسية والإنجليزية)، كما وقع في الخطأ نفسه اليعقوب، بينما أهمل المدني والعربيات القياسات والأبعاد كلية⁸⁵. ويذكر السوارية أربع برك فقط وكلها وردت لدى السابقين، وأما الدور فيذكر أربع برك لم تذكر لدى الآخرين وهي: أم الدرج، والتحتانية (هذه تذكر بما ورد لدى الخطيب البركة العليا)، بئر أيوب وعين اللوزة (هذه تذكر لدى الآخرين عيونا وليست بركاً)⁸⁶.

وأما آبار الجمع، المعروفة بالصهاريج، فقد ذكرت معظم الرسائل، باستثناء النعيمات و القضاة، شيئاً عن شح المياه وأن أهل القدس قد تغلبوا على هذه المسألة بآبار الجمع في المنازل⁸⁷، وأضاف العربيات وجود بئرين في الحرم القدسي الشريف هما: الرمانة والعنزية⁸⁸، وأفاد المدني باهتمام أهالي بيت المقدس بالآبار فذكر أن بعض المنازل تضم بئراً فأكثر، وتحافظ على صيانتها ونظافتها المستمرة، كما تعددت الآبار في المباني العامة والمساجد والكنائس، واهتمام الدولة العثمانية بالحفاظ على مياه المساجد⁸⁹. وكان اعتماد المدني والعربيات في هذا الجانب على سجلات المحاكم الشرعية. ولم يشر السوارية لأي من هذه الآبار.

وانفرد المدني بذكر القنوات والأسبل في المدينة، وبين اهتمام الدولة بها من خلال الوقفيات المنشأة لهذا الجانب ومثال ذلك الاهتمام بتنظيف وخدمة قناة السبيل الواصلة بين برك سليمان

والحرم القدسي⁹⁰. ويذكر الدور أباراً لم ترد عند الآخرين هي: الورقة، والسبيل، والغوانمة، وباب المجلس، وسبيل شعلان، و أبي السعود الأسود، والزيتونة⁹¹.

ويمكن عزو الإختلافات الحادثة في الرسائل إلى تفشي روح العجلة بين الباحثين وسيطرتها عليهم، وعدم الإحاطة الفعلية بالمصادر، علاوة على عدم تفرُّغ معظم الباحثين للعمل البحثي، وقد انعكس التفرُّغ للبحث على رسالة اليعقوب فجاءت الأكمل من بين كل تلك الرسائل، إذ مكث في إعدادها نحو خمس سنين دأباً ؛ وقد يكون من الأسباب المهمة إحساس بعض الباحثين بعدم ضرورة التوسع في الخطة البحثية والموضوع، أو رغبة الأستاذ المشرف بالاختصار ؛ وربما لا أجنب الصواب إن عدتُ تساهل بعض المشرفين سبباً مهماً في هذا الباب، وأهل الإختصاص في الحقل ربما يعرفون ذلك، وقد يوافقوني الرأي على هذا الجانب الخطير، الذي يعد أحد العوامل المسؤولة عن تردي مستوى الدراسات العليا عامة، ولا يشذ هذا الحقل عنها ؛ وأخيراً قد يكون من الأسباب المهمة غياب المشروعات البحثية المتكاملة، والأهداف السامية الواضحة للبحوث، باستثناء البحث عن شهادة تركز الباحث إلى الأعلى لبلوغ مرتبة اجتماعية أفضل أو الحصول على وظيفة براتب أعلى، وهذا حق مشروع لا ننكره، لكن بشرط ألا يكون ذلك غاية المطاف والبحث.

قرى القدس الشريف : تناولت أربع رسائل أسماء قرى القدس الشريف وهي على النحو التالي : ذكر اليعقوب 169 قرية في ناحية القدس في ق10 هـ/ ق16 م، وقد رتبها هجائياً مع بيان مواقعها تبعاً لخطوط الطول و دوائر العرض أحياناً، وبالنسبة لمواقعها تجاه بعضها، مع ذكر المسافات بينها، كما ذكر بعض المواقع والمزارع التابعة لبعضها، وقد جرد تلك القرى من المصادر المتاحة للباحث وألحق مَصَوِّراً لتلك القرى، وميز بين القرى المثبتة الموقع والقرى التي لم يتمكن من تثبيت مواقعها⁹²؛ وأمّا العربيات فقد قسمها إلى قسمين هما : تلك التي ورد ذكرها في السجلات الشرعية وعددها 125 قرية⁹³، وتلك المذكورة في المراجع الحديثة وعددها 59 قرية⁹⁴، استمد معظمها من ثلاثة كتب هي : مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين ؛ وكمال عبدالفتاح و ولف هوتيروثHistorical Geography، واليعقوب، ناحية القدس الشريف، ورُتّب القسمان هجائياً أيضاً. وعند مقارنة القرى لدى اليعقوب والعربيات يلاحظ أن هناك قرى ذكرها اليعقوب ولم يذكرها العربيات، وأخرى ذكرها العربيات ولم يذكرها اليعقوب، فأما التي انفرد اليعقوب بذكرها فهي قرى بيت دقو⁹⁵، و بيت صميرا⁹⁶، و بيت عطاب السفلى والقوقا⁹⁷ (يذكرها العربيات بيت عطاب فقط)⁹⁸، و صوبا⁹⁹، وعين أبرود¹⁰⁰(ويذكرها العربيات عين يبرود)¹⁰¹، وعين سلوان¹⁰²(يذكرها العربيات سلوان فقط)¹⁰³؛ و أمّا العربيات فينفرد بذكر القرى التالية:

بزيع¹⁰⁴ (يرد لدى اليعقوب والعربيات نفسه إسم قرية قريب من هذا لإسم وهو محدد الموقع دير بزيع¹⁰⁵، وبيت محسير¹⁰⁶، ودير ياسين¹⁰⁷، ودير نخاس¹⁰⁸، وسوريا¹⁰⁹، وعمواس¹¹⁰، وعين جاول¹¹¹، وفراوي¹¹²، وكفر إيل¹¹³، وكفر شيال¹¹⁴، وكفر غلاصة¹¹⁵، والمزيرة¹¹⁶، و وادي فوكين¹¹⁷، وملت¹¹⁸، و النبي صالح¹¹⁹، والنبي صموئيل¹²⁰. ويأتي الدور ثالثاً من حيث تخصيصُ بندٍ خاصٍ بقرى القدس الشريف، إلا أنه لا يذكر سوى ست عشرة قرية، ويلاحظ عليه أنه أوردها دون ترتيب معين، كما انفرد بذكر قريتين اثنتين لم يرد لهما ذكر عند من سبقوه هما قريتا السّحلية وخيران، ومصدره عن القرية الأخيرة ياقوت الحموي، كما أن توثيقه عن القرى التي أوردها غير دقيقة فهو يورد أربعة هوامش لهذه القرى لا يفهم القارئ ما القرية أو القرى ذات العلاقة، فمثلاً ذكر قرية خيران دون وضع هامش فوقها لكنه يضع الهامش على قرية العيزرية وهي تذكر بعدها بثلاث قرى بينما القرى الواردة بينهما تذكر بمعلومات حديثة ودون توثيق¹²¹. وأما المدني فيذكر في كتابه الأول عند حديثه عن نواحي القدس نحو تسع وثلاثين قرية عدا عن تلك المنشورة في ثانيا الدراسة وذلك من خلال تناوله لنواحي القدس عند حديثه عن الإدارة، ونواحي القدس هي : بنو حارثة، وبنو مالك، وبنو حسن، وبنو سالم، وبنو مرة، وبنو زيد¹²²، وقد ذكر القرى في الخارطة الواردة لديه لقرى القدس ونواحيها¹²³؛ وأما في كتابه التكميلي فقد ذكر ثلاثاً وستين 63 قرية موزعة على تسع 9 نواحٍ هي : جبل القدس، وبيت لحم، وبنو حسن، والوادية، وبنو حارثة الشمالية، وبنو مرة، وبنو مالك، وبنو زيد، وبنو سالم¹²⁴، وقد أعيد تشكيل هذه النواحي في ق19م على النحو الآتي : البيرة، ورام الله، والرام، وبيت صفافا، وأريحا، والطور، وعبوين، وبنو حارث القبلية زمن قراها قرية عين عريك¹²⁵. يلاحظ على هذا التشكيل وجود ناحية بني حارثة الشمالية في التقسيم قبل ق19م، دون ذكر لناحية بني حارثة القبلية، ثم ذكر القبلية في ق19م دون الشمالية، كما أن بعض القرى تذكر ضمن نواحٍ جديدة، أو تذكر هي نفسها كنواحٍ جديدة.

وينفرد المدني في كتابه الثاني بذكر القرى التالية كالخضر¹²⁶، وسلواد¹²⁷، وفلونة¹²⁸، وخربة الجردة¹²⁹، وخربتا المصباح¹³⁰، والطيرة¹³¹.

يلاحظ القارئ اختلافات في ضبط أسماء بعض القرى من رسالة إلى أخرى مثل: بيت أونية¹³²، وبيتونية¹³³، وجبع¹³⁴، وهي نفسها جبعا البطيخ¹³⁵، ويذكر اليعقوب قرية جبعة شمالي الخليل¹³⁶، وجيب الفخار¹³⁷، وهي نفسها قرية الجيب¹³⁸، ودير بزيع¹³⁹، (دير إبزيع)¹⁴⁰، ودير أبي مشعل¹⁴¹، (دير مشعل)¹⁴²، وطيبة الاسم¹⁴³، والطيبة¹⁴⁴.

جدير بالذكر أن ضبط أسماء الأماكن، والقرى منها، أمر عظيم الأهمية لأنه يحفظ ذاكرة الجماعة التاريخية، ويعزز اكتمال الصورة، واستمرارها في نفوس الأبناء على مر الأجيال، بينما يؤدي عدم الضبط، أو عدم الإشارة إلى المتغيرات إلى الضبابية وعدم وضوح

الصورة التاريخية لدى الفرد والجماعة، وبالتالي قد يؤدي ذلك إلى نسيان الصورة بالكلية إذا ما استمرت الضبابية، وعليه فإن على المتصدي للكتابة التاريخية عموماً، والكتابة عن تاريخ القدس الشريف خصوصاً (مجال البحث الحالي)، وما شابها من المواقع الخاصة بأي أمة من الأمم، أن يحرص غاية الحرص على ذكر الاسم بصيغه المتعددة حتى تاريخ كتابته لبحثه، وأن يرفق بعمله مصوراً (خارطة) لجغرافيه عمله التاريخية، حسبما وصل إليه ساعة إعداد له بحثه، كما يقتضي، لجودة عمله، أن يبين الأبعاد الجغرافية والمسافات بنظام قياسي واحد، متري أو ملكي، أو بكليهما جنباً إلى جنب، في عصره وفي الأعصر السابقة، وبذلك يكتمل السند والذاكرة التاريخيين للأجيال المتتابة فيبقين متماسكين، وهنا يلاحظ أن أقسى وأفظع أنواع التشويه التاريخي وطمس الهوية ينبنيان على التغيير المتكرر والقسري لأسماء المواقع تبعاً للتطورات السياسية، ومستحدثات الأزمنة، وتقلبات الحكام.

السكان في القدس الشريف :

تناولت ثمان رسائل التركيب السكاني في القدس، بينما يمكن استنتاج التركيب السكاني في التاسعة من خلال الوظائف الإقطاعية والقضائية، وتم تناول الرسائل تبعاً للتسلسل التاريخي للفترات المعالجة كما يأتي:

فأما رسالة الخطيب، فقد ورد الحديث عن السكان في الفقرة " و " من الفصل الأول ودخلت الباحثة في التاريخ الكنعاني، واليبوسي، واليوناني، والروماني، وجاء ذلك كله في عشرة أسطر فقط، وأهملت في الإشارة إلى فترتي النبيين داود وسليمان، عليهما السلام، وبقية أنبياء بني إسرائيل، ثم انتقلت إلى الفتح الإسلامي، وحسب تعبير الباحثة، ذكرت قدوم عدة قبائل عربية، هم الغمريون من رهط الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، و بنو فيض، بطن من بني صخر، ثم الجعافرة، بطن من الحسين بن علي (رضي الله عنهما)، ثم تحدثت عن : عرب وعجم، وذمة وسامرة، واستمرت الجماعات الأربع الأخيرة طيلة عهود الحكم الأموي، والعباسي، والطولوني، ثم قدمت عناصر جديدة من الأتراك أثناء حكم السلاجقة، ودعيت هذه الجماعة بالتركمان (النأووكية)، ثم قدمت عناصر من المغاربة في العهد الفاطمي، كما قدمت عناصر أخرى أثناء هذا العهد هي : الديلم، والأرمن، والصقالبة. بعد ذلك قسمت الباحثة السكان في العهد الفاطمي إلى طبقات هي : الحكام، والعلماء، والتجار وكبار الحرفيين، والعامة، وطائفة الخدمات ووصفتهم بأنهم أشبه بالعبيد، ثم تحدثت عن السنة والشيعه، وبعض مذاهبهم في المدينة، ثم تناولت أهل الذمة كطبقة¹⁴⁵.

يلاحظ من خلال العرض السابق أنه لا يوجد تصور واضح لدى الباحثة حول البنية السكانية، من حيث التشكيل المتناسك عرقياً، ومذهبياً، ودينياً، كما أنها لا تميز بين الفئة، والطبقة،

والعنصر البشري، علاوة على انعدام البعد التاريخي مع أن لدى الباحثة مادة جيدة ألصق تاريخياً بفترة بحثها و كان بإمكانها استغلالها، كالحديث عن الإخشيديين والقرامطة، وبني الجراح، والأراتقة، والحكم السلجوقي¹⁴⁶.

وأما الختاتنة، فتحدثت عن التكوين الإقطاعي لمملكة بيت المقدس وتقسيمها إلى الإقطاعات الملكية في مدن بيت المقدس، وعكا، ونابلس، والداروم، والأراضي المحيطة بها، وإقطاعات رئيسة خارج بيت المقدس، وإقطاعات لرجال الكنيسة، وإقطاعات ثانوية، وإقطاعات فرسان الإسطبارية (Hospitalleres)، و فرسان الداوية أو المعبد (Knights of Temple)، ثم إقطاعات أخرى لرجال الملك والأمراء، وتجار المدن الإيطالية والفرنسية، وإقطاعات فردية، وقد كانت هذه الإقطاعات وراثية وما دام أصحابها يقومون بأداء ما عليها وعليهم من واجبات¹⁴⁷. ويستنتج من هذا العرض إقامة عناصر غالبيتها من النصارى والموظفين، والعسكر الصليبيين، إذ تكون هذه الإقطاعات وراثية ما لم يكن هناك ورثة ومقيمون حتى وإن كان بعضهم ما زال، في ذلك الحين، مقيماً في أوروبا، حيث سيأتي ولو بعد حين من أوروبا عند شغور الإقطاع. وتفيد في هذا المعنى أيضاً التشكيلات القضائية، فالمحكمة العليا وهي مخصصة لكبار الإقطاعيين من الأمراء، والفرسان، وكبار موظفي الكنيسة، ومسؤولي الجاليات الأجنبية من البنادقة، والجنوية، والبيزانيين؛ وأما المحاكم الأخرى فهناك المحاكم الصغرى المخصصة لغير النبلاء، والمحاكم الطائفية الدينية حسب الطائفة الدينية السائدة من الصليبيين، والمحاكم التجارية لتجار المدن، ومحاكم الموانئ¹⁴⁸.

يلاحظ على هذه المحاكم أنها لا تخص مدينة بيت المقدس فقط، بل كل أنحاء مملكة بيت المقدس اللاتينية، كما يلاحظ أنها تخص الصليبيين ومجتمعهم فقط، إذ لا يرد ذكر لغيرهم من العرب والمسلمين، ومع أن هذه التشكيلات الإقطاعية والقضائية لا وجود للعناصر الأخرى غير الصليبية فيها كما مر آنفاً، فهي كذلك لا تعترف بوجودهم كبشر في المنطقة، ويرون أنه لا بشر في الكينونة إلا لهم، وهذا أشبه ما يكون بالوضع الحالي في فلسطين عامة والقدس على وجه الخصوص، إذ يعمل الصهاينة على نفي ليس الحق العربي الإسلامي في فلسطين، بل نفي الوجود البشري الفلسطيني تماماً.

وأما اليعقوب فقد تناول التركيب السكاني، والعلاقات بين السكان في البندين ب، و ج، من الفصل الأول، ويبدأ حديثه ببيان نقص السكان وأسباب ذلك من أوبئة، وجفاف، وإن أول مسح دقيق للسكان في العهد العثماني جاء بعد عشر سنوات من قدوم العثمانيين، وأنه توافرت ثلاث إحصائيات للتعداد السكاني لسنوات 932هـ / 1525م، و 963هـ / 1555م، و 1005هـ / 1596م، فكان العدد في المسح الأول 934 أسرة (خانة حسب المصطلح العثماني)، ومجردين اثنين (غير متزوجين)، ومعفى واحد من الضرائب، وأما التعداد الثاني فبلغ 2433 أسرة، و 142 مجرداً، و

193 معفى من الضرائب، وأمّا الثالث فبلغ 133 أسرة، و 76 مجرداً، فقط، وإذا كان الباحث قدّم سبباً للإنخفاض الأول، لكنه سكت عن الاثنين الآخرين¹⁴⁹.

ويذكر أن عناصر السكان هم من المسلمين، والنصارى، واليهود، والجند، ويعرّف الجند بأنهم أجناد الحلقة وهم صنف من أصناف الجند في العهد المملوكي، قد يكون هذا التعريف مقنعاً ومناسباً للدلالة على الجند في المسح الأول لقرب العهد بالمماليك، لكنه لا يجد حظاً من المناسبة للمسح الثاني الذي جاء بعد نحو 39 سنة من دخول القدس تحت عباءة العثمانيين، ويمكن أن يتلاشى بالنسبة للثالث الذي جاء بعد نحو 89 سنة¹⁵⁰، ويستوقفنا هنا سؤال : لِمَ حشر الجند مع التقسيم الديني للسكان؟ ربما تكون الإجابة لأنه عدّهم عناصر غريبة عن التركيب المحلي للسكان، وكان الأولى به ذكرهم في بند يتعلّق بأصول السكان. كما يتحدث في الجداول المبينة لأعداد السكان عن أصول المسلمين والنصارى واليهود، وطوائفهم وأعدادهم، وأماكن توزيعهم في القدس الشريف، وزعماء هذه الجماعات الإسلامية والذميّة في الريف والمدينة والبادية¹⁵¹. ثم يتحدث عن توزيع المسلمين والنصارى في قرى الناحية وبلداتها من خلال المسوحات العثمانية المذكورة أعلاه، فهناك نحو مئة وثلاث وخمسين 153 قرية منها : مئة وثمان وثلاثون 138 قرية خالصة للمسلمين، وقريتان خالصتان للنصارى، و ثلاث عشرة 13 قرية مشتركة بين المسلمين والنصارى. لكن هذا الاستنتاج تعوزه الدقة، فالجدول الذي يعرضه يبين تفاوتاً بين سكان القرى من مسح لآخر¹⁵²، ولم يبين سبباً لهذا التفاوت.

وأما البدو، فهم : بنو زيد، وهتيم، وبنو عطا، وبنو عطية، وبنو عقبة، والمرازيق، وقد انتشروا في مناطق متعددة من الناحية¹⁵³.

يلاحظ على الجداول الموضحة للتوزيع السكاني عدم وجود اليهود في قرى الناحية البتّة، وأن وجودهم اقتصر على نواحي : الريشة، والشرف، والمسلخ، كما ورد في الإحصائين لسنتي 940هـ / 1533م، و 963هـ / 1555م¹⁵⁴. كما يلاحظ على مصادره عن اليهود أنها من مستشرقين يهوديين هما أمنون كوهين (Amnon Cohen)، وبرنارد لويس (Bernard Lewis)¹⁵⁵ (

كما يشير اليعقوب إلى العلاقات بين السكان المسلمين وأهل الذمّة، فوصف العلاقات بين المسلمين والنصارى أنها امتازت بالهدوء لأن الدولة العثمانية كانت في هذه المرحلة قوية، ولتنظيمها هذه العلاقات بالتشريعات الواضحة، ولفرضها عقوبة التعزير على من يدخل الأماكن الإسلامية المقدسة. واستمرت الأحوال على هذه الشاكلة حتى ضعفت الدولة، وبدأت حروبها ضد

الدول الأوروبية تثقل كاهلها، فبدأ بعد ذلك تشككها بميل النصارى إلى تلك الدول ، ومناهضتهم للدولة العثمانية¹⁵⁶. وأما علاقتها مع اليهود، فامتازت بالتوتر الدائم، وبالاخلافات حول أماكن عبادة لليهود (كان لهم كنيس في القدس)¹⁵⁷. ويلاحظ أن المصادر الأهم هي من مراجع كتبها يهود، و هذه مسألة خطيرة ؛ ففي هذا مجال لتجذير (من خلال الوثائق المستخدمة) الوجود اليهودي وأماكن عباداتهم في القدس الشريف منذ الفترة العثمانية المبكرة¹⁵⁸، وهذا الفعل يذكرنا (مع فارق التشبيه بمن يعتدي على أملاك الدولة ثم يتحرش بمفتشيها وبمراقبيها ، ليحرروا له مخالفة بذلك الاعتداء، فيتحذه فيما بعد مستنداً بأنه يستثمر أو يستغل ويضع يده على هذه الأرض منذ زمن كذا وكذا، بدليل صك الخلاف أو المخالفة المحررة له من الأجهزة المعنية في حينه).

كما لم تكن علاقة اليهود بالنصارى حسنة أيضاً، وذلك على خلفية دينية مع النصارى¹⁵⁹.

وتناول العربيات التركيب السكاني من عدة جوانب وبطريقة مختلفة : فبدأ بتقسيم السكان دينياً إلى مسلمين، ونصارى، ويهود، وناقش أعداد السكان من كل طائفة، في المدينة، والريف، فوجد أن عدد المسلمين في بداية ق11هـ / ق17م لا يتجاوز ثمانية آلاف 8000 نسمة، كما ينقد رقمين وردا لدى محمود عامر، الذي يوصل العدد إلى ثمانية عشر ألف 18000 نسمة في أوائل القرن نفسه والرقم الذي أورده درور زيفي أنه كان في نهاية القرن لا يتجاوز العشرة آلاف 10000 نسمة. ومع هذا لايقطع العربيات برأي في هذا الموضوع، ويوصل عدد النصارى في هذه الفترة إلى ألف وسبعمئة 1700 نسمة، وهو يقدر عددهم في الريف بألف وستمئة 1600 نسمة؛ أما اليهود فيوصل أعدادهم في المدينة إلى ألف وستمئة 1600 نسمة، لكن لا يوجد لهم ذكر في القرى والريف، وهو بذلك يتفق مع اليعقوب، وأما أصول اليهود فبعضهم من أصول سابقة على العهد العثماني، وبعضهم قدم من بلاد العرب، وبعضهم من خارجها¹⁶⁰. ويرفع عدد سكان الريف إلى خمسة وثلاثين ألف 35000 نسمة، دون تفريق بين المسلمين والنصارى، وهم من قبائل وعشائر عربية شتى استقرت في المنطقة قبل ق 11هـ / ق 17 م وخلالها¹⁶¹.

وبلغ عدد العربان أربعمئة وأربعين 440 أسرة من أصول عربية متبادلة الحركة بين شرقي النهر وغريبه، و يقسمهم إلى عرب مستقرين وغير مستقرين، وعرب يسميهم العرب العصاة، ويصف علاقات العرب من الصنفين الأولين بالآخرين أنها طبيعية، بينما لم تكن كذلك بالنسبة للعصاة، وفيما عدا ذلك فقد كانت العلاقات الاقتصادية والأسرية ملحوظة بين سكان الناحية¹⁶².

كذلك يذكر العربيات عناصر سكانية أخرى قدمت إلى المدينة كالمغاربة، و الشوام، والخليين، والمصريين، والهنود، والأكراد، والتكرور، والتركماني، والشركس، والسمرقندية،

والبخارية، والبخارية، وغالباً ما كان قدوم هؤلاء لأغراض دينية، أو للعمل، أو المجاورة في الحرم القدسي الشريف، وقدم بعضهم للالتحاق بقوات الزعامات المحلية في الولايات الشامية¹⁶³. وباستثناءات قليلة فقد كانت مصادر مادة بند التركيب السكاني لدى العربيات معتمدة على سجلات المحاكم الشرعية.

وحذا السوارية حذو الذين سبقوه في الكتابة عن القدس في مجال التركيب السكاني، فتحدث عن أعدادهم، وهو هنا ينقل عن الرحالة ومن سبقه من الكتاب المحدثين، والملفت للنظر أنه يوثق من مصدر بالألمانية ولم يشر إلى كيفية استثماره لهذا المصدر¹⁶⁴. وقد أشار إلى برنارد لويس وأمنون كوهين في النص لكنه وثق من اليعقوب، ولم يأت بجديد يختلف عن سبقوه إلا بتوقع أثر الحملة الفرنسية في تفسيره لتناقص أعداد السكان بشكل لافت للنظر، لكنه عاد عن هذا الرأي لينسب التناقص إلى اختلاف الروايات ودون بيّات سبب مقنع لذلك¹⁶⁵. ثم قسم السكان، على غرار ما فعل سابقوه، إلى : مسلمين، ونصارى، ويهود، فأما المسلمون فهم من العرب، السكان الأصليين كما يسميهم، وفئات أخرى من : المغاربة، والهنود، والتكرانة. وأما النصارى : فيتناولهم بطوائفهم الدينية من : الروم الأرثوذكس، والروم الكاثوليك، ويسميهم الإفرنج، والأرمن، والسريان، والأقباط، ومن خلال عرضه لطوائفهم يتحدث عن أصولهم العرقية وتنصرهم، وتحولاتهم الدينية في المراحل التاريخية المختلفة. وأما اليهود : فقد تناولهم فقط من حيث مناطق سكنهم، وحاحماتهم في القدس¹⁶⁶.

وتناول العلاقات بين المسلمين والطوائف الأخرى، وعلاقات الذميين ببعضهم، ضمن الطائفة الواحدة، أو ضمن الطوائف المختلفة من النصارى واليهود. فوصف علاقات المسلمين بالنصارى حيث بدأت هذه العلاقات سيئة بسبب الحروب على الجبهة الأوروبية بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية، ثم ما لبثت أن تحسنت، ويلاحظ أن السوارية ينقل عن اليعقوب، والعربيات، والمدني بالدرجة الأولى، ثم أتى ببعض التفاصيل من سجلات المحاكم الشرعية وقد كان أميناً بالإشارة والتوثيق منهم¹⁶⁷. وأما علاقات المسلمين باليهود فيتحدث عما سماه بيهود الإفرنج، وحذا لو أنه ذكر ذلك عند الحديث عن طوائفهم، ويصف العلاقات أنها قد شابها التوتر و أظهر أن سبب التوتر كان من المسلمين وليس من اليهود كما هو المجهود ! كما بين وجود علاقات تعامل إيجابية بين الطرفين، وأن حاكم الشرع الشريف قد أنصفهم في بعض قضاياهم¹⁶⁸. وأما علاقات أهل الذمة ببعضهم فقد أظهر وجود خلاقات بين النصارى لأسباب دينية خاصة بحقوقهم الدينية التي يتنافسون عليها فيما بينهم، وقد كانوا يتشاكسون في بعض تلك الشؤون إلى حاكم الشرع الشريف المسلم¹⁶⁹. وأما العلاقات بين النصارى واليهود فلم يسجل ما

يعكّر صفو العلاقات بين الطرفين¹⁷⁰. وقد أقحم السوارية الحديث عن الطوائف الحرفية مع التركيب السكاني¹⁷¹، وكان الأجدر به أن يخصص فصلاً كاملاً يضم التنظيمات الاجتماعية، كحركة التصوف، ونقابة الأشراف وهم كثيرون في القدس، وقد أهملهم تماماً، ثم التنظيمات والطوائف الحرفية.

وتتشابه التقسيمات السكانية عند المدني في كتابيه مع ما ورد لدى العربيات بالنسبة للمسلمين والنصارى، وقسم النصارى إلى روم أرثوذكس، وروم كاثوليك ويسميهم، الإفرنج، والأقباط، والسريان، والموارنة¹⁷²، وهو في هذا يتشابه مع اليعقوب، كما يتشابه معه في نقطة أخرى هي اعتمادهما على مراجع يهودية حديثة عند تناول الاستقرار اليهودي في المدينة، وأماكنهم الدينية، وعلاقتهم بالدولة العثمانية التي كانت تمنعهم من إقامة كنس جديدة لهم¹⁷³. وركز المدني على أن عدد اليهود في أوائل ق 19م لم يتجاوز الألفين ومئتين وخمسين 2250 نسمة¹⁷⁴، يحسن مقارنة هذه الأعداد مع ما ورد لدى القضاة لاحقاً. وأما علاقاتهم الأخرى مع السكان فكانت تجارية بالدرجة الأولى، وتقوم على إقراض السكان الأموال بالربا، وعلى تبادل المنفعة مع سكان المنطقة من ناحية توفير هؤلاء السكان الحماية لهم عند زيارة ما يرونه أماكن مقدسة لهم¹⁷⁵.

وتناول القضاة المسألة السكانية من وجهة نظر مختلفة تماماً، فقد بنى رسالته على متابعة تاريخ النصارى فقط، في القرن التاسع عشر و نظر إليهم كمجتمع قائم بذاته، ولكنه حين عاين أعداد السكان تناول بين الفينة والأخرى أعداد المسلمين واليهود. إن نظرة في ثبت محتويات الرسالة تبين ذلك، فتحدث عن نظام الملة العثماني، وطوائف النصارى، وحياتهم الاجتماعية، والإدارة والتعليم، وحياتهم الاقتصادية، وحياتهم الدينية، ثم الدولة العثمانية والنصارى¹⁷⁶. وتحدث عن التركيب السكاني في البندين أ و ب من الفصل الأول من الرسالة، وجاء البند أ منطوياً على بيان الإحصاء السكاني، ويعتمد على خمسة أنواع من المصادر هي: تقارير الرحالة الذين زاروا القدس وذكروا أعداد الطوائف، ويقسم هؤلاء بدورهم إلى قسمين فأما أولهما: فتقارير الرحالة والمعاصرون الذين قدموا تفاصيل بأعداد الطوائف النصرانية ونذكر هنا المجموع النهائي لدى كلٍ منهم كما جاء في جدول القضاة وهم: سيتزن (Seetzen) 1221 هـ / 1806 م و قدر أعداد سكان القدس على النحو الآتي: قدر أعداد النصارى بطوائفهم المختلفة بألفين وثلاثمائة وأربعة وعشرين 2324 نسمة، والمسلمون بأربعة آلاف 4000 نسمة، واليهود بألفي 2000 نسمة، وقدر توبلر (Tobler) 1263 هـ / 1846 م أعداد السكان على النحو الآتي: النصارى بطوائفهم المختلفة أربعة آلاف وثلاثة وسبعين 4073 نسمة، والمسلمون ستة آلاف ومئة 6100 نسمة، واليهود سبعة آلاف وخمسة وستين 7065 نسمة، وأما بيروني (مهندس بلدية

القدس)، لم يذكر القضاة كيفية تحريف اسمه باللغة الإنجليزية ولا تاريخ إحصائيته أو زيارته للمنطقة، فيذكر أعداد النصارى فقط ويقدرهم بأربعة آلاف وتسعمئة وأربعة وعشرين 4924 نسمة، وكذا فقد فعل ليفين (Liven) 1286 هـ / 1869 م، إذ ذكر أعداد النصارى فقط دون غيرهم ويقدرهم بخمسة آلاف وثلاثمئة وثلاثة وسبعين 5373 نسمة، وتابعهما الإسباني خوسيه ماريّا، لم يذكر القضاة كيفية تحريف اسمه باللغة الإنجليزية ولا الإسبانية (1292 هـ / 1875 م) فيذكر عدد النصارى فقط ويقدرهم بستة آلاف وخمسمئة واثنين وعشرين 6522 نسمة، وتابعهم ويليام (William) لا يذكر القضاة تاريخ زيارته للمنطقة وقد ذكر النصارى فقط ويقدرهم بخمسة عشر ألفاً وأربعمئة 15400 نسمة، وأخيراً بيدكر (Baedeker) لا يذكر تاريخ زيارته للمنطقة، وكذا فإنه يذكر النصارى فقط ويقدرهم بأربعة عشر ألفاً ومئتين وخمسين 14250 نسمة¹⁷⁷؛ وأما ثاني تقارير الرحالة وهي التي قدم فيها الرحالة تقاريرهم بالإجمال فقد قدم ريتشاردسون (Richardson) تقديره أثناء رحلته في 1231 هـ - 1233 هـ / 1816 م - 1818 م وقدّر عدد كل من المسلمين والنصارى بخمسة آلاف 5000 نسمة بينما قدّر عدد اليهود بمثلهم مجتمعين أي عشرة آلاف 10000 نسمة، وقدّر الرحالة بوفيه، لم يذكر القضاة كيفية تحريف اسمه باللغة الإنجليزية ولا الفرنسية، 1275 هـ / 1858 م الأعداد خمسة آلاف 5000 نسمة مسلمين، وثلاثة آلاف وأربعمئة 3400 نسمة نصارى، وسبعة آلاف 7000 نسمة يهود، وقدّر وارن (Warren) 1284 هـ / 1867 م الأعداد بسبعة آلاف وخمسمئة 7500 نسمة مسلمين، و ألفين ومئة 2100 نسمة نصارى، وأحد عشر ألفاً ومئتين وخمسين 11250 نسمة يهوداً، وقدّر الرحالة فوغيه، لم يذكر القضاة كيفية تحريف اسمه باللغة الإنجليزية ولا الفرنسية، 1289 هـ / 1872 م، الأعداد بأربعة آلاف وخمسمئة 4500 نسمة مسلمين، وسبعة آلاف وخمسمئة 7500 نسمة نصارى، وأربعة عشر ألف 14000 نسمة يهوداً، وقدّر نعمان القساطلي (1291 هـ - 1292 هـ / 1874 م - 1875 م) الأعداد بستة آلاف 6000 نسمة مسلمين، واثنى عشر ألفاً 12000 نصارى، وعشرين ألف 20000 يهودي¹⁷⁸. ولا أدري لم حشره مع الرحالة الأوروبيين مع أنه عربي من أهل الشام¹⁷⁹، وإذا عدّه رحالة عربياً فهناك غيره من العرب ممن رحل إلى بيت المقدس في هذه الفترة مما لا مجال لذكره هنا.

وأما تقارير القناصل فواحد منها تفصيلي بأعداد النصارى ولا يذكر غيرهم وهو تقرير القنصل البروسي شولز 1262 هـ / 1845 م، لم يذكر القضاة كيفية تحريف اسمه باللغة الإنجليزية، ولا يأخذ معلومته منه مباشرة بل عن طريق وسيط، وبلغ عدد النصارى حسب هذه الرواية ثلاثة آلاف وثلاثمئة وتسعين 3390 نسمة¹⁸⁰، وتكاد هذه الرواية أن تتطابق مع رواية توبلر المذكورة أعلاه ؛ و أما القناصل الأوروبيون فهناك قنصلان بروسيان وقنصل فرنسي وقنصل أمريكي، يقدم أحد البروسيين وهو شولز 1262 هـ / 1845 م، لم يذكر القضاة كيفية تحريف

اسمه باللغة الإنجليزية، ويقدم معلومات تفصيلية عن الطوائف النصرانية فقط ويقدرهم بثلاثة آلاف وثلاثمائة وتسعين 3390 نسمة فقط¹⁸¹، بينما يقدم الآخر وهو روزن (Rozen) 1266 هـ / 1849 م تقديراً عاماً لعدد النصارى والمسلمين واليهود فالنصارى ثلاثة آلاف وثمان مئة وأربعة 3804 نسمة، واليهود ثمانمائة وخمسة وتسعون 895 نسمة فقط، والمسلمون أربعة وعشرون ألفاً ومئة وسبعة وسبعون 24177 نسمة¹⁸²، كما أوردت القنصلية الفرنسية إحصائية عامة عن عدد النصارى والمسلمين واليهود، فقدر المسلمين بخمسة وعشرين ألف 25000 نسمة، وكلاً من النصارى واليهود بعشرة آلاف 10000 نسمة، وقد استقى معلوماته عن إحصائيات البروسيين والقنصلية الفرنسية من مراجع ثانوية¹⁸³، و قدرت القنصلية الأمريكية 1305 هـ / 1887 م عدد المسلمين بعشرة آلاف 10000 نسمة والنصارى باثني عشر ألفاً، بينما قدرت عدد اليهود بخمسة وعشرين ألف 25000 نسمة¹⁸⁴.

يلاحظ على أولئك الرحالة كما يسميهم القضاة، والقناصل الأوروبيين، باستثناء القنصل البروسي، يزيدون في الغالب من أعداد النصارى واليهود بمقابل عدد المسلمين حتى يبدو للقارئ أن المسلمين أقلية أو في أحسن أحوالهم أنهم ليسوا أكثرية!!، ولعل من المثير للانتباه أيضاً أن الباحثين الذين استخدموا الإحصائيات المنوه عنها لم يلتفتوا لتلك الاختلالات الإحصائية من وجهة نظرنا!!.

وأما التقديرات العثمانية فقد تطابق ما ورد في دفتر النفوس العثماني لسنة 1266 هـ / 1849 م مع ما أورده روزن أعلاه، وعند العودة إلى مصدر القضاة عن تقدير روزن تبين أن الأخير قد استقى أرقامه من دفتر النفوس المذكور كما صرح بذلك الكسندر شولش (Alexander Scholch)¹⁸⁵، وبينما قدرت سالنامة ولاية سورية لسنة 1288 هـ / 1871 م حسب قول القضاة أعداد النصارى مفصلين تبعاً لطوائفهم بخمسة آلاف وأربعمئة وتسعة وثلاثين 5439 نسمة فإن سالنامة ولاية سورية لسنة 1305 هـ / 1888 م تقدّرهم بثلاثة آلاف وستمئة وتسعين، وهو هنا ينقل عن مرجع ثانوي¹⁸⁶، مع أن السالنامات متاحة صورة منها في مركز الوثائق والمخطوطات التابع للجامعة الأردنية في عمان، كما أنه يقدر أعداد المسلمين بأربعة آلاف وخمسمئة 4500 نسمة، وهو رقم متواضع جداً وهو يتطابق مع ما ذكره الرحالة فوغيه¹⁸⁷، ويقدر عدد اليهود بثلاثة آلاف وثمانمائة وخمسة 3805 نسمة¹⁸⁸، ثم يقدم جدولاً لما سماه بالإحصاءات العثمانية 1311 هـ - 1315 هـ / 1893 م - 1897 م، يفصل فيه أعداد النصارى وفقاً لطوائفهم الدينية و يشير في إلى تطور أعدادهم في القدس بما يقارب الخمسين بالمئة 50% بشكل عام إذ بلغوا في سنة 1311 هـ / 1893 م تسعة عشر ألفاً وخمسمئة وستاً وخمسين 19556 نسمة، وفي سنة 1312 هـ / 1894 م خمساً وعشرين ألفاً وخمسمئة وسبعين

25570 نسمة بينما ثبت العدد في سنتي 1313 هـ - 1314 هـ / 1895 - 1896 م وبلغ سبعةً وعشرين ألفاً وأربعمئة وخمس 27405 نسمة، ثم زاد في السنة التالية ليصل تسعةً وعشرين ألفاً ومئة وأربع 29104 نسمة¹⁸⁹، ولا يقدم تفسيراً لثبات أعداد سنتي 1313 / 1895 - 1314 هـ / 1896 م، وأخيراً يقدم مايسميه "التقديرات الحديثة التي قدرها الباحثون المحدثون ومنهم بن اريه (Ben -Arieh) منذ مطلع القرن التاسع عشر "، ولا ندري لِمَ اقتصر على بن أريه فقط والإحصائية المقدمة تبين تصاعد أعداد النصارى منذ مطلع القرن المذكور فباستثناء سنة 1215 هـ / 1800 م حيث بلغ العدد ألفين وسبعمئة وأربعاً وسبعين 2774 نسمة، وسنة 1251 هـ / 1835 م ثلاثة آلاف وعشرين 3020 نسمة، نجده يذكر الزيادة لكل عشر سنوات إذ بلغ العدد في سنة 1267 هـ / 1850 م ثلاثة آلاف وستمئة وخمسين 3650 نسمة، وفي سنة 1277 هـ / 1860 م أربعة آلاف وأربعمئة وخمسين 4650 نسمة، في سنة 1287 هـ / 1870 م خمسة آلاف ومئتين وعشرين 55220 نسمة، وفي سنة 1298 هـ / 1880 م ستة آلاف وخمسمئة 6500 نسمة، وفي سنة 1298 هـ / 1890 م سبعة آلاف وتسعمئة وخمس وأربعين 7945 نسمة، وفي سنة 1318 هـ 1900 م تسعة آلاف وثلاثمئة وخمسين 9350 نسمة¹⁹⁰؛ وعند حديثه عن الطوائف النصرانية في القدس الشريف يأتي القضاة بجدول يبين فيه أعداد النصارى في بعض قرى القدس عين كارم وفيها مئة وخمسين 150 كاثوليكياً ويشكلون ربع السكان ؛ وبيت ساحور وفيها خمسمئة 500 نسمة منهم أربعمئة وأربعون 440 أرثوذكسياً، ومعهم قليل من الكاثوليك والأرمن؛ وبيت جالا ويبدو أنها بلدة نصرانية ففيها أربعمئة 400 كاثوليكياً وألفان وستمئة 2600 أرثوذكسي وهما جميع سكان البلدة ؛ وبلدة بيت لحم وهي بلدة نصرانية ففيها ألفان وخمسمئة كاثوليكياً 2500، وألف وسبعمئة أرثوذكسي 1700، وسبعمئة أرمني 700، وخمسة عشر 15 بروتستانتياً ؛ وبلدة حيفا وإجمالي سكانها أربعة آلاف وفيها ستمئة 600 كاثوليكياً، وألف 1000 أرثوذكسي، وثلاثون 30 كاثوليكياً مارونياً، ومئة وسبعين 170 كاثوليكياً لاتينياً ولم يدخل في العدد أبناء الطائفة الألمانية ؛ ومدينة نابلس وإجمالي سكانها ستة عشر ألفاً وفيها خمسمئة أرثوذكسي، وعشرة 10 أفراد بروتستانت، والناصرية وإجمالي سكانها خمسة آلاف وتسعمئة وواحد وثلاثون 5931 نسمة فمنهم سبعمئة وخمسون 750 كاثوليكياً، وألفا 2000 أرثوذكسي، ومئتان وخمسون 250 كاثوليكياً مارونيوناً، وتسعمئة 900 كاثوليكياً لاتينياً، واكتفى بذكرهم ضمن خانة اللاتين ؛ والرملة وإجمالي سكانها ثلاثة آلاف منهم ثلاثون 30 كاثوليكياً، وألف وأربعمئة 1400 أرثوذكسياً، وستين 60 أرمنياً أرثوذكسياً، وسريان في خانة البروتستانت ولا يذكر عددهم ؛ ورام الله وإجمالي سكانها ألفا نسمة منهم مئتا 200 كاثوليكياً، وخمسة 5 بروتستانت ؛ وأخيراً غزة وعدد سكانها خمسة وعشرون ألفاً منهم عشرة 10 أفراد كاثوليك¹⁹¹.

لاندري ما مبرر حشر حيفا، و نابلس، والناصرية، والرملة، وغزة مع أنها ليست من توابع

القدس في فترة الدراسة. وبعد هذا الجدول الجدلي من حيث المحتوى وموقع التثبيث في مادة الفصل الأول، يذكر تفاصيل كثيرة عن الطوائف النصرانية التسع في القدس الشريف وهي : الروم الأرثوذكس، والروم الكاثوليك، والأرمن، واللاتين، والأقباط، والأحباش، والسريان، والبروتستانت، والموارنة¹⁹²، ومع أن القضاة حاول أن يقدم بعد كل جدول لديه بعض التفسيرات للأعداد لكنه لم يكن مقنعاً في التفسير، كما لم يبين لم لم يعد للرحلات الأصلية أو السالنامات مع أنها متوفرة في الأردن، كما لم تكن لديه قاعدة محددة أو واضحة لذكر أعداد المسلمين واليهود أحياناً وإغفالهم أحياناً أخرى، وبالرغم من ذكره للنصارى في بعض القرى والبلدات التابعة منها للقدس وغير التابعة عند حديثه عن الطوائف، فإنه يبدو من جداوله المذكورة أنه لا يميز بين القدس المدينة داخل السور أو خارجه أو ريف المدينة وقد زاد الإبهام إبهاماً بحشر أعداد النصارى في القرى والبلدات المنوّه عنها آنفاً، ولعل هذا هو السبب في إضطراب أو عدم إحكام الأعداد في كثير من الأحيان، ولم يزدنا في إحصائياته إلا تشويشاً، وربما تضيقاً لهوية المدينة السكانية في هذه الفترة الحرجة من التغيير المتعمد من قبل أصحاب الأرب والأغراض، ومن هنا تأتي أهمية الحديث بل والتفصيل في جغرافية المكان التي بدونها لا يكون حدث في التاريخ البشري إطلاقاً.

وأخيراً نأتي إلى رسالة البدور و مسألة التركيب السكاني: عندما عدت إلى الفهرس في بداية عمل البدور فوجدته يتكون من خمسة فصول وخاتمة هي : الفصل الأول : دراسة في جغرافية وتاريخ القدس، الفصل الثاني : مركز القوى في إسرائيل والسياسة الاستعمارية الاستيطانية في القدس، الفصل الثالث : محاور الاستراتيجية لتهويد القدس، الفصل الرابع : قضية القدس في التسوية السلمية للصراع العربي الإسرائيلي 1967 م - 2000 م، الفصل الخامس : مواقف وطروحات الأطراف المختلفة لتسوية قضية القدس، الخاتمة¹⁹³، بينما جاء في ملخصه بالعربية والإنجليزية ومقدمته في الفصل الأول أن العمل يتكون من سبعة فصول وخاتمة هي : الفصل الأول : جغرافية القدس، الفصل الثاني : الإطار التاريخي منذ نشأة المدينة حتى وقتنا الحاضر، الفصل الثالث : مركز (مراكز) القوى وإسرائيل ودورها في صنع السياسة الخارجية، الفصل الرابع : سياسة إسرائيل الاستيطانية والاستعمارية بعد عام 1967 م، الفصل الخامس : محاور الإستراتيجية الإسرائيلية لتهويد القدس، الفصل السادس : قضية القدس في التسوية السلمية للصراع العربي الإسرائيلي 1967 م - 2000 م، مواقف وطروحات الأطراف المختلفة لتسوية مشكلة القدس، الخاتمة¹⁹⁴؛ لقد جاء الحديث عن المسألة السكانية في الفصلين الثاني والثالث كما جاء في الفهرس المدون في بداية الرسالة، ولكن وردت المعلومات بشكل مشوش، فقد ذكر في الفصل الثاني أن عدد اليهود في فلسطين في بداية القرن التاسع عشر لم يزد على خمسة

آلاف 5000 شخص ثم بدأت أعدادهم تتزايد بشكل لافت في العقدين الأخيرين من القرن المذكور وذلك على خلفية الاضطهاد الأوروبي لليهود¹⁹⁵؛ ثم يعود للحديث عن عدد اليهود في القدس في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي إذ لم يزيدوا على مئتي 200 شخص، ثم يقدرهم في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي بحوالي خمسمئة 500 شخص¹⁹⁶، ثم يدون جدولاً منقولاً عن كتابٍ نسبه إلى العسلي، في التاريخ، لم نجد له أثراً في قائمة المراجع، ويسمي الجدول برقم 3 ويعنونه بـ : عداد (بدون همزة) اليهود في المناطق التي خضعت للعثمانيين¹⁹⁷:

السنة	المسلمون	المسيحيون	اليهود	المجموع
1525	310	600	1000	1984700
1538	6000	750	1150	7900
1553	10100	1650	1634	13384
1564	7300	210	100	7610

ثم يمضي الدور تاركاً جدولاً المبين أعلاه دون تعليق حول محتواه سواء كان ذلك حول عدد المسلمين أو غيرهم، أو المناطق المعنية في هذا الجدول، وينتقل إلى الحديث عن سكن اليهود في المدينة فقط. ثم يقفز إلى الحديث عن سبب تزايد عدد اليهود في القدس في القرن التاسع عشر في موجتي 1882 - 1904، 1905 - 1914، وتابع حديثه عن الاستيطان ودور المفكرين اليهود وجمعيات الاستيطان في هذه العملية ومراحل الاستيطان، ثم يعود للحديث عن الفكر الاستيطاني والسياسات الإستيطانية، ثم يعود إلى الهجرة اليهودية والاستيطان، ثم يعود للحديث عن الفكر الإستيطاني والجهات ذات العلاقة¹⁹⁹، ثم يقدم الجدول رقم 4 حول الموجات الاستيطانية بين عامي 1883 - 1948 م ويذكر ستاً من تلك الموجات هي²⁰⁰:

الموجة	عدد المهاجرين
1882 - 1903 م	20 - 30 ألفاً
1904 - 1913 م	35 - 40 ألفاً
1916 - 1923 م	35 - 40 ألفاً (هناك اضطراب في جدول البدور الأصلي)
1924 - 1931 م	82 ألفاً
لا تذكر سنواتها ويتوقع أنها 1932 - 1939 م	265 ألفاً
أثناء الحرب العالمية الثانية	153 ألفاً

ومع أن عنوان الجدول يبدأ بسنة 1883 م فإنه يبدأ في الجدول بسنة 1882 م، ثم يعود مرة أخرى للحديث عن المهاجرين اليهود ومراحل الاستيطان اليهودي والجهات المهمة بذلك قبل 1967 م من جديد فيقسمها إلى ثلاث مراحل هي :

1. من مطلع القرن التاسع عشر وحتى 1917 م.
2. 1918 – 1948 م.
3. 1948 – 1967 م الاستيطان الرسمي في ظل الكيان الإسرائيلي²⁰¹.

ثم يتحدث بعد ذلك عن الاستيطان التوسعي بعد عام 1967 م، من حيث الأهداف والمبررات ومراحل الاستيطان في القدس والقوانين والمشروعات الاحتلالية المختلفة الخاصة بالموضوع، والآثار المترتبة على ذلك في المجالات المتعددة²⁰².

وأما ما ورد في الفصل الثالث عن المسألة السكانية، فتحدث هذا الفصل عن محاور الاستراتيجية الإسرائيلية لتهويد القدس، ويبين أنها تركز على عدة محاور هي : الاستيلاء على الأرض العربية في القدس والضفة الغربية والقطاع خاصة، والأمن العسكري والسكاني، غزو الاستيطان للأرض العربية المصادرة واستيعاب أكبر عدد من الغزاة ؛ ثم يبين المقصود بعملية التهويد والمبررات والأسانيد الإسرائيلية لها، ثم الإجراءات في التشريع والقوانين لتهويد القدس منذ 1948 م مروراً بسنة 1967 م وما بعدها، ثم استراتيجية التهويد والاستيلاء الإسرائيلي على القدس في المحال الديموغرافي، (السكاني) من حيث سياستها القتل والاعتقال والتدمير والنهب، والهدم والنسف، ثم استراتيجية التهويد العمراني ومراحلها الأربع، واستراتيجية التهويد الإداري، والحفريات بمراحلها التسع والاعتداءات الإسرائيلية على الأماكن المقدسة الإسلامية والنصرانية، مادياً ومعنوياً، ثم الحديث عن سياسة تهويد الخدمات في مجال التعليم، وتهويد القضاء والاقتصاد والنتائج المترتبة على ذلك²⁰³.

لقد قدّم البذور معلومات جيدة حول موضوع السكان، لكن شاب عمله بعض الشوائب منها عدم بيان التطورات السكانية العربية في القدس بعد تلك السياسات الصهيونية المجحفة من حيث النسبة المئوية العربية (مسلمين ونصارى) قياساً إلى نسبة الصهاينة في كل مرحلة، وكذلك كان المقام يقتضي تقديم كشف بالأحياء والقرى العربية التي هُوِّدَت، وبيان أسماء العائلات والأسر العربية التي اعتدي على أملاكها وأراضيها ومساكنها بطريقة أفضل وأوضح دلالة ، فيما بتعلق بالمذكور منها، واستكمال ما هو مذكور بالنسبة لغيرها، مما يسهم في الحفاظ على تاريخيتها، خاصة وأن هذا عمل علمي يمكن أن ينشر في أصقاع كثيرة، وإن لم ينشر فهو محفوظ في أرشيفات المؤسسات العلمية العربية وغير العربية على جاري العادة، كما شاب العمل شئ من التكرار والفوضى في عرض المادة التي يمكن ضبطها بشكل أفضل وأكثر اختصاراً ، وأكثر دلالة، مع إمكانية استغلال الحيز المتوفر لخدمة الأفكار والآراء التي طرحتها سابقاً، علماً بأنها لا تؤثر على

الحجم العام للرسالة، كما شابه مشكلة عدم ضبط المصطلح، من حيث الإملاء وأحياناً الدلالة (خصوصاً الألفاظ التي تسمى عبرية)، وكذا الأمر في مسألة المصادر والتوثيق حيث يأخذ المادة بحرفيتها أحياناً كثيرة، ولا يقوم بإعادة صياغتها بأسلوب واحد، حتى بدت الرسالة وكأنها تجميع لأعمال أشخاص متعددين، مما أدى إلى غياب شخصية الباحث، كما ظهر عدم قدرته على لَمّ شعث موضوعه، كما أشار لبعض المصادر في المتن ولم يثبتها في قائمة مصادره ومراجعته.

وفي الختام يتبين من كل الاختلافات والتباينات بين الباحثين ضرورة تركيز المشرفين، قبل الطلبة، على ضرورة استيفاء الاطلاع على أقصى ما يمكن من الدراسات السابقة في موضوعات الكتابة، وتقديم آخر الآراء والأفهام في موضوع الدراسة أو البحث، والإشارة إلى آخر التسميات للأماكن والمواضع الجغرافية والتغيرات في مسميات الأشياء موضع البحث القائم، والموائمة في الأوزان والمكاييل والمقاييس، وتعيين المواضع مع المستعمل حين إنجاز البحوث المختلفة، وضرورة الحديث عن الجغرافية، لأن عناصر الحدث التاريخي ثلاثة وهي: الزمان، المكان، والإنسان، ولا يكون تاريخ بدونها مجتمعة.

كما تبين من مراجعتنا في هذا البحث أن الحاجة ملحة لإجراء المراجعات والدراسات النقدية للدراسات التاريخية بوجه عام وفلسطين والقدس الشريف بوجه خاص؛ و بدت الحاجة ماسة أيضاً لمتابعة التركيز على تاريخ بيت المقدس خاصة وفلسطين عامة على الوجه الأوفى والمعلومات الأدق، كون العدو الصهيوني يسير بخطى محمومة لتزوير التاريخ والأرض والإنسان وكل ما يتعلّق بهذه الأصول، ولا يكون البحث مجدياً إن لم يتبع الخطوات العلمية الرصينة ويعرض المعلومات الصحيحة، ويفند السيل الجرار من المعلومات الخاطئة المتدفقة من مراكز بحث الخصم اللدود، إذ الحرب بيننا وبينهم في أحد تجلياتها الأساسية حرب علم ومعلومات، علماً بأن الخصم في كثير من الأحيان يلبس أعماله التاريخية بلبوس العلم وقواعد البحث العلمي الشوهاء ابتداءً من البحث وعرض أسس وجوده وانتهاءً بمبررات انتهاك حرمت مقدساتنا، وعليه فإذا كانوا يفعلون ذلك لعرض وتأييد باطلهم وأباطيلهم، فما أحرانا أن نؤيد حقنا وصدقنا بالدراسات العلمية المنهجية والمعمقة. كما إنني أدعو الجامعات الأردنية والعربية لتوخي الدقة وبذل الإهتمام بشكل أفضل حين إنشاء برامج الدراسات العليا، وإسناد الإشراف على الأطاريح العلمية بالبحث إلى الأساتذة المؤهلين والأكفيا والمخلصين لقضايا الأمة والبحث العلمي، وعدم إسناد

الإشراف إلى من ثبت عليه أنه لا يعطي البحث والإشراف العلميين حقهما المفروض، من هنا تأتي أهمية المراجعات العلمية والنقدية للأطاريح العلمية ليس فقط في مجال التاريخ ، بل في مجالات العلوم كافة ، إن أردنا للبحث العلمي أن يرقى ويتقدم وينافس. وإذا كانت الأحوال هكذا في دراساتنا العلمية الجامعية، فما بالك بالدراسات العامة والأعمال الثقافية غير المنضبطة بقواعد البحث العلمي والمنهجية التاريخية، لذا فإن أجهزتنا العلمية ومراكز دراساتنا العلمية والاستراتيجية ومؤسساتنا الإعلامية المتعددة مدعوة بشدة وعمق اهتمام لمتابعة البحث العلمي على الأصول المتعارف عليها بين أهل الاختصاص ؛ وإذا كان الأمر على هذه الشاكلة في قضايانا المصيرية التي تخص وجودنا الثقافي والحضاري، فما عساه يكون في الأمور الأخرى ؟! أقول إن الأمر مريع !!.

Al-Quds al-Sharif in the University's Theses in the Departments of History in the Jordanian Governmental Universities

Tayser zawahreh, Department of History, University of Mutah, Karak, Jordan.

Abstract

The study aims to present a critical revision for some contemporary historical writings in Governmental Universities of Jordan on al-Quds al-Sharif (the Noble Jerusalem).

So, Nine theses had been taken as a case study, all of them depended on a first hand local and foreign documents i.e. The Shari'a Court Registers , and the literary historical works , in Arabic , Ottoman Turkish ,and Greek ,etc., but the researchers did not invest these sources properly , and they did not use the Israeli's and Zionist material truly.

Some of the foresaid theses were prepared in good manner, well organized, exploited their primary and secondary sources either in quality, sum, and kind. While others did not utilize them rightly, and might really be need a rewriting according to the rules of historical methodology.

Finally the study recommends pursuing the critical studies in terms of general historical writings in wide and on Palestine and al-Quds al-Sharif in particular.

قدم البحث للنشر في 2011/4/28 وقبل في 2011/7/27

¹ محمد عيسى صالحية، " القدس في صدر الإسلام " في : زيدان كفافي وآخرون، تحرير علي محافظة، القدس عبر العصور، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، طبعة تجريبية، 2000م، ص43 وما بعدها، سيشار إليه تالياً بـ : صالحية، "القدس".

² سورة آل عمران، الآية 67.

³ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت261هـ/ 874م)، "كتاب الفرائض باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم"، الجامع الصحيح، 9 أجزاء في 3 مجلدات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، صورة عن طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1378هـ/ 1958م، ج8، ص 194، سيشار إليه تالياً بـ : صحيح البخاري.

⁴ جمع كامل العسلي نحو (50) كتاباً في كتابه الموسوم بـ:مخطوطات فضائل بيت المقدس، دار البشير، عمان، الأردن، 1981م، وصدرت منه الطبعة الثانية عام 1984م في 142 صفحة.

⁵ أحمد حامد إبراهيم القضاة، نصارى القدس في القرن التاسع عشر (دراسة مستخلصة من سجلات محكمة القدس الشرعية)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، 1427هـ / 2006م، ص 142-235، سيشار إليه تالياً بـ : القضاة، نصارى القدس. وكل الإشارات ستكون من الرسالة في شكلها الأصلي خشية حدوث أي تغيير في النص الأصلي، ولأنني أنجزت العمل أصلاً قبل نشرها، كما أنني لم أستطع قراءتها بعد النشر كما هي حال الرسائل الأخرى المنشورة.

⁶ محمد أحمد سليم اليعقوب، ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن 1406هـ/ 1986م ثم نشرت بالتعاون بين جامعة آل البيت والبنك الأهلي الأردني، 1999م، جزءان، سيشار إليه تالياً بـ : اليعقوب، ناحية القدس ؛ زياد عبد العزيز المدني، مدينة القدس وجوارها خلال الفترة 1215هـ-1245هـ/ 1800م-1830م، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 1996م، ونشرت في العام نفسه بالتعاون بين جامعة آل البيت وبنك الأعمال الأردني، سيشار إليه تالياً بـ : المدني، مدينة القدس وجوارها ؛ غالب عبد أحمد العريبات، تاريخ الحياة الاجتماعية في ناحية القدس الشريف في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، 1420هـ / 2000م، سيشار إليه تالياً بـ : العريبات، تاريخ الحياة الاجتماعية ؛ ثروت صالح الخطيب، مدينة القدس خلال الحكم الفاطمي (358-492هـ / 968-1099م)، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، 1424هـ / 2003م، سيشار إليها تالياً بـ : الخطيب، مدينة القدس ؛ سليم جمعة السوارية، الحياة الاجتماعية في مدينة القدس في الفترة من 1163هـ - 1215هـ/ 1750م - 1800م)، جامعة مؤتة، رسالة ماجستير غير منشورة، 2005م، سيشار إليه تالياً بـ : السوارية، الحياة الاجتماعية ؛ القضاة، نصارى القدس ؛ بدر سمور البدور، السياسة الإسرائيلية تجاه مدينة القدس (1967م - 2006م)، جامعة مؤتة، رسالة ماجستير غير منشورة، 2006م، سيشار إليه تالياً بـ : البدور، السياسة الإسرائيلية.

⁷ تغريد عبد الحميد جبر الختاتنة، السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك عموري الأول، كما أرخ لها وليم الصوري مقارنة بالمصادر الأخرى (1162-1174م/ 588-569هـ)، دراسة مقارنة، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، 1423هـ / 2002م، ص 26، سيشار إليها تالياً بـ : الختاتنة، السياسة الخارجية.

⁸ المصدر السابق نفسه.

⁹ ناحية القدس، ج 1، ص 3-33.

¹⁰ تاريخ الحياة الاجتماعية، ص 1-5، 92-96.

¹¹ مدينة القدس، ص 21-38.

- ¹² الحياة الاجتماعية، ص 11-14.
- ¹³ السياسة الإسرائيلية، ص 10-17.
- ¹⁴ ناحية القدس، ج 1، ص 3-33.
- ¹⁵ تاريخ الحياة الاجتماعية، ص 1 - 28، 92 - 96.
- ¹⁶ ناحية القدس، ج 1، ص 3 - 4.
- ¹⁷ السوارية، الحياة الاجتماعية، ص 11-12 ؛ البدور، السياسة الإسرائيلية، ص 10-11.
- ¹⁸ البدور، السياسة الإسرائيلية، ص 10-11، 375 - 394.
- ¹⁹ المصدر السابق نفسه، ص 376.
- ²⁰ المصدر السابق نفسه، ص 377.
- ²¹ مدينة القدس، ص 21.
- ²² المصدر السابق نفسه، ص 22.
- ²³ ناحية القدس، ج 2، الصفحات غير مرقمة، خارطة مواقع القرى، وخارطة التقسيمات الإدارية..
- ²⁴ القدس وجوارها، ص 33؛ المؤلف نفسه، مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد العثماني 1246هـ - 1336هـ / 1831م - 1918م، د. ن. عمان، 14، سيشار إليه تالياً بـ : المدني، مدينة القدس في أواخر العهد.
- ²⁵ ناحية القدس، ج 1، ص 4-6.
- ²⁶ تاريخ الحياة الاجتماعية، ص 2.
- ²⁷ السياسة الإسرائيلية، ص 12-13.
- ²⁸ مدينة القدس، ص 24-26.
- ²⁹ اليعقوب، ناحية القدس، ج 1، ص 4؛ العربيات، تاريخ الحياة الاجتماعية، ص 2 ؛ الخطيب، مدينة القدس، ص 25 ؛ البدور، السياسة الإسرائيلية، ص 13.
- ³⁰ اليعقوب، ناحية القدس، ج 1، ص 4؛ العربيات، تاريخ الحياة الاجتماعية، ص 2 ؛ الخطيب، مدينة القدس، ص 25 ؛ البدور، السياسة الإسرائيلية، ص 13.
- ³¹ اليعقوب، ناحية القدس، ج 1، ص 5 (ويسميه الثوري)؛ العربيات، تاريخ الحياة الاجتماعية، ص 2 ؛ الخطيب، مدينة القدس، ص 26 (ويسميه النوري والمشهور هو ما ذكره اليعقوب) ؛ البدور، السياسة الإسرائيلية، ص 13.
- ³² اليعقوب، ناحية القدس، ج 1، ص 5 (ويسميه جبل رأس عمّار) ؛ العربيات، تاريخ الحياة الاجتماعية، ص 2 ؛ الخطيب، مدينة القدس، ص 26.

³³اليقوب، ناحية القدس، ج 1، ص 5؛ العربيات، تاريخ الحياة الاجتماعية، ص 2؛ الخطيب، مدينة القدس، ص 26.

³⁴اليقوب، ناحية القدس، ج 1، ص 5؛ العربيات، تاريخ الحياة الاجتماعية، ص 2.

³⁵اليقوب، ناحية القدس، ج 1، ص 4-5 (ويسميه سكوبس "Scopus")؛ البدور، السياسة الإسرائيلية، ص 13 (يذكر أن المقدسيين يسمونه المشهد لأنه يشرف على القدس).

³⁶اليقوب، ناحية القدس، ج 1، ص 4؛ البدور، السياسة الإسرائيلية، ص 14 (لا يعده جبلاً، بل تلة).

³⁷الخطيب، ناحية القدس، ج 1، ص 5؛ البدور، السياسة الإسرائيلية، ص 14 (لا يعده جبلاً، بل تلة، كما يذكره بالغين وليس بالفاء).

³⁸اليقوب، ناحية القدس، ج 1، ص 4؛ البدور، السياسة الإسرائيلية، ص 14 (لا يعده جبلاً، بل تلة، ويذكره بالياء وليس بالباء).

³⁹اليقوب، ناحية القدس، ج 1، ص 4؛ البدور، السياسة الإسرائيلية، ص 13 (ويذكره بالطاء وليس بالطاء).

⁴⁰الخطيب، مدينة القدس، ص 24-26؛ البدور، السياسة الإسرائيلية، ص 12.

⁴¹الخطيب، مدينة القدس، ص 24-26 (وتعده تلة لا جبلاً)؛ البدور، السياسة الإسرائيلية، ص 12.

⁴²ناحية القدس، ج 1، ص 4-5.

⁴³تاريخ الحياة الاجتماعية، ص 2.

⁴⁴مدينة القدس، ص 26.

⁴⁵البدور، السياسة الإسرائيلية، ص 13-14.

⁴⁶انظر الهوامش السابقة.

⁴⁷ناحية القدس، ج 1، ص 6-9.

⁴⁸تاريخ الحياة الاجتماعية، ص 3-4.

⁴⁹المصدر السابق نفسه.

⁵⁰ناحية القدس، ج 1، ص 6-9.

⁵¹مدينة القدس، ص 27-29.

⁵²الحياة الاجتماعية، ص 12-13.

⁵³السياسة الإسرائيلية، ص 14.

⁵⁴اليقوب، ناحية القدس، ج 1، ص 5؛ العربيات، تاريخ الحياة الاجتماعية، ص 3-4؛ الخطيب، مدينة القدس، ص 27-29؛ الحياة الاجتماعية، ص 12؛ السياسة الإسرائيلية، ص 14.

- ⁵⁵العربيات، تاريخ الحياة الاجتماعية، ص4 ؛ الخطيب، مدينة القدس (وتسميه وادي الربابة، أو وادي هنوم)، ص30 ؛ السوارية، الحياة الاجتماعية، ص12؛ البدور، السياسة الإسرائيلية، ص14.
- ⁵⁶اليعقوب، ناحية القدس، ج1، ص8 ؛ البدور، السياسة الإسرائيلية، ص14.
- ⁵⁷الخطيب، مدينة القدس، ص30 ؛ السوارية، الحياة الاجتماعية، ويسميه وادي الزبل، ص12.
- ⁵⁸ناحية القدس، ج1، ص7-8.
- ⁵⁹تاريخ الحياة الاجتماعية، ص3-4.
- ⁶⁰السياسة الإسرائيلية، ص14.
- ⁶¹اليعقوب، ناحية القدس، ج1، ص9 ؛ العربيات، تاريخ الحياة الاجتماعية، ص5 ؛ البدور، السياسة الإسرائيلية، ص14.
- ⁶²مدينة القدس، ص27.
- ⁶³ناحية القدس، ج2، ملحق الخرائط، الخارطة الأخيرة.
- ⁶⁴المرجع السابق نفسه، ج1 ص9-10.
- ⁶⁵تاريخ الحياة الاجتماعية، ص5.
- ⁶⁶السياسة الإسرائيلية، ص15.
- ⁶⁷الحياة الاجتماعية، ص13.
- ⁶⁸مدينة القدس، ص37-38.
- ⁶⁹اليعقوب، ناحية القدس، ج1، ص9 ؛ العربيات، تاريخ الحياة الاجتماعية، ص5 ؛ البدور، السياسة الإسرائيلية، ص15 (ويسمى البحر المتوسط بالبحر الأبيض المتوسط).
- ⁷⁰ناحية القدس، ج1، ص10-14 ؛ تاريخ الحياة الاجتماعية، ص92-96 ؛ مدينة القدس، ص31-36 ؛ الحياة الاجتماعية، ص14 ؛ السياسة الإسرائيلية، ص16-17.
- ⁷¹مدينة القدس وجوارها، ص320-327؛ المؤلف نفسه، مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد، ص311-315.
- ⁷²ناحية القدس، ج1، ص11.
- ⁷³تاريخ الحياة الاجتماعية، ص92-95.
- ⁷⁴مدينة القدس، ص32.
- ⁷⁵المصدر السابق نفسه، ص34 ؛ اليعقوب، ناحية القدس، ج1، ص11 ؛ العربيات، تاريخ الحياة الاجتماعية، ص94 ؛ مدينة القدس وجوارها، ص320-321.
- ⁷⁶مدينة القدس وجوارها، ص320-321.

- ⁷⁷ مدينة القدس وجوارها، 320-325، 322؛ المؤلف نفسه، مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد، ص312-313.
- ⁷⁸ السياسة الإسرائيلية، ص 16.
- ⁷⁹ مدينة القدس، ص32 انظر حول نسبة البرك إلى سليمان القانوني: اليعقوب، ناحية القدس، ج1، ص 13 هامش*؛ المدني، مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد، ص 314 الهامش 10.
- ⁸⁰ المصدر السابق نفسه، ص34.
- ⁸¹ ناحية القدس، ج1، ص12-14.
- ⁸² مدينة القدس وجوارها، 322؛ المؤلف نفسه، مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد، ص313-315.
- ⁸³ تاريخ الحياة الاجتماعية، ص95-96.
- ⁸⁴ مدينة القدس، ص 34.
- ⁸⁵ ناحية القدس، ج1، ص 12-14؛ مدينة القدس وجوارها، ص322؛ المؤلف نفسه، مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد، ص313-315؛ تاريخ الحياة الاجتماعية، ص95-96؛ مدينة القدس، ص 34.
- ⁸⁶ السياسة الإسرائيلية، ص 16.
- ⁸⁷ اليعقوب، ناحية القدس، ج1، ص 10؛ العربيات، تاريخ الحياة الاجتماعية، ص92؛ الخطيب، مدينة القدس، ص33-34؛ المدني، مدينة القدس وجوارها، ص326-327؛ المؤلف نفسه، مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد، ص311-312؛ السوارية، الحياة الاجتماعية، ص14؛ البدور، السياسة الإسرائيلية، ص16.
- ⁸⁸ تاريخ الحياة الاجتماعية، ص94-95.
- ⁸⁹ مدينة القدس وجوارها، ص326-327؛ المؤلف نفسه، مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد، ص311-312.
- ⁹⁰ مدينة القدس وجوارها، ص 324-326.
- ⁹¹ السياسة الإسرائيلية، ص16.
- ⁹² ناحية القدس، ج1، ص14-33، ج2، ملحق الخرائط.
- ⁹³ تاريخ الحياة الاجتماعية، ص5-22.
- ⁹⁴ المصدر السابق نفسه، ص22-28.
- ⁹⁵ ناحية القدس، ج1، ص17.
- ⁹⁶ المصدر السابق نفسه، ص18.

- ⁹⁷المصدر السابق نفسه.
- ⁹⁸تاريخ الحياة الاجتماعية، ص23.
- ⁹⁹ناحية القدس، ج1، ص26.
- ¹⁰⁰المصدر السابق نفسه، ص28.
- ¹⁰¹تاريخ الحياة الاجتماعية، ص18.
- ¹⁰²ناحية القدس، ج1، ص29.
- ¹⁰³تاريخ الحياة الاجتماعية، ص14.
- ¹⁰⁴المصدر السابق نفسه، ص6.
- ¹⁰⁵ناحية القدس، ج1، ص23؛ تاريخ الحياة الاجتماعية، ص11.
- ¹⁰⁶العربيات، تاريخ الحياة الاجتماعية، ص8.
- ¹⁰⁷المصدر السابق نفسه، ص13.
- ¹⁰⁸المصدر السابق نفسه.
- ¹⁰⁹المصدر السابق نفسه، ص14.
- ¹¹⁰المصدر السابق نفسه، ص16.
- ¹¹¹المصدر السابق نفسه، ص17.
- ¹¹²المصدر السابق نفسه، ص18.
- ¹¹³المصدر السابق نفسه، ص19.
- ¹¹⁴المصدر السابق نفسه.
- ¹¹⁵المصدر السابق نفسه.
- ¹¹⁶المصدر السابق نفسه، ص21.
- ¹¹⁷المصدر السابق نفسه.
- ¹¹⁸المصدر السابق نفسه.
- ¹¹⁹المصدر السابق نفسه، ص28.
- ¹²⁰المصدر السابق نفسه، ص21.
- ¹²¹السياسة الإسرائيلية، ص24.
- ¹²²مدينة القدس وجوارها، ص48-50.
- ¹²³المصدر السابق نفسه، ص33.
- ¹²⁴مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد، ص32-36.
- ¹²⁵المصدر السابق نفسه، ص36-37.
- ¹²⁶المصدر السابق نفسه، ص33.
- ¹²⁷المصدر السابق نفسه، ص35.

- ¹²⁸المصدر السابق نفسه.
- ¹²⁹المصدر السابق نفسه.
- ¹³⁰المصدر السابق نفسه.
- ¹³¹المصدر السابق نفسه، ص 35.
- ¹³²اليعقوب، ناحية القدس، ج 1، ص 16 ؛ العربيات، تاريخ الحياة الاجتماعية، ص 6.
- ¹³³المدني، مدينة القدس وجوارها ص 49؛ المؤلف نفسه، مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد، ص 33.
- ¹³⁴العربيات، تاريخ الحياة الاجتماعية، ص 10.
- ¹³⁵اليعقوب، ناحية القدس، ج 1، ص 21.
- ¹³⁶المصدر السابق نفسه، ص 21.
- ¹³⁷المصدر السابق نفسه ص 22 ؛ العربيات، تاريخ الحياة الاجتماعية، ص 11.
- ¹³⁸المدني، مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد، ص 32 ؛ البدور، السياسة الإسرائيلية، ص 24.
- ¹³⁹اليعقوب، ناحية القدس، ج 1، ص 23 ؛ العربيات، تاريخ الحياة الاجتماعية، ص 11.
- ¹⁴⁰المدني، مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد، ص 35.
- ¹⁴¹اليعقوب، ناحية القدس، ج 1، ص 23 ؛ العربيات، تاريخ الحياة الاجتماعية، ص 11.
- ¹⁴²المدني، مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد، ص 36.
- ¹⁴³اليعقوب، ناحية القدس، ج 1، ص 27 ؛ العربيات، تاريخ الحياة الاجتماعية، ص 15.
- ¹⁴⁴المدني، مدينة القدس وجوارها، ص 163؛ المؤلف نفسه، مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد، ص 33، 36.
- ¹⁴⁵مدينة القدس، ص 39-46.
- ¹⁴⁶المصدر السابق نفسه، ص 56-88.
- ¹⁴⁷السياسة الخارجية، ص 31-34.
- ¹⁴⁸المصدر السابق نفسه، ص 34-36.
- ¹⁴⁹ناحية القدس، ج 1، ص 34-35.
- ¹⁵⁰المصدر السابق نفسه، ص 36.
- ¹⁵¹المصدر السابق نفسه، ص 35-49.
- ¹⁵²المصدر السابق نفسه، ص 43.
- ¹⁵³المصدر السابق نفسه، ص 45-49.
- ¹⁵⁴المصدر السابق نفسه، ص 41-44.
- ¹⁵⁵المصدر السابق نفسه، و المراجع المقصودة هي :

Amnon Cohen and Bernard Lewis ,
Population and Revenue in the Towns of Palestine in the Sixteenth Century ,
Princeton University ,Princeton , New Jersey ,1975,pp.80-83;Bernard Lewis ,”The
Jews in Palestine in the Sixteenth Century”, Oriental Notes and Studies , pp.5-
22.Jerusalem ,1952, in , **Studies in Classical AND Ottoman Islam , 7th – 16th
Centuries**), London , 1976 ; Amnon Cohen ,**Ottoman Documents on the Jewish
Community of Jerusalem in the Sixteenth Century** , Jerusalem ,1976.

¹⁵⁶ ناحية القدس، ج1، ص50-52.

¹⁵⁷ المصدر السابق نفسه، ص52.

Amnon Cohen, **Jewish Life Under Islam in the Sixteenth Century** :المراجع المقصودة هي: Harvard University,Press,London,1984; Idem, **The Jewish Community of Jerusalem** ; Uriel Heyd ,**Ottoman Documents On Palestine ,1552-1615**.Clarendon Press, Oxford,1960 .

¹⁵⁹ اليعقوب، ناحية القدس، ج1، ص 52-53.

¹⁶⁰ تاريخ الحياة الاجتماعية، ص 100 – 104.

¹⁶¹ المصدر السابق نفسه، ص 104-105.

¹⁶² المصدر السابق نفسه، ص108-109.

¹⁶³ المصدر السابق نفسه، ص 109 - 122.

¹⁶⁴ الحياة الاجتماعية، ص80.

¹⁶⁵ المصدر السابق نفسه، ص80-81.

¹⁶⁶ المصدر السابق نفسه، ص81-86.

¹⁶⁷ المصدر السابق نفسه، ص87.

¹⁶⁸ المصدر السابق نفسه، ص89-90.

¹⁶⁹ المصدر السابق نفسه، ص88-89.

¹⁷⁰ المصدر السابق نفسه، ص90.

¹⁷¹ المصدر السابق نفسه، ص90-95.

¹⁷² مدينة القدس وجوارها، ص215-228.

¹⁷³ المصدر السابق نفسه، ص228-230 ؛ المراجع اليهودية المقصودة هي:

Yahoshua Ben Arie , **Jerusalem in the Nineteenth Century, the Old City**, Jerusalem , 1984; Albert Haymson , **Palestine Old and New**, London, 1928 ; Moshe Ma'oze, **Ottoman Reform in Syria and Palestine**.etc.

¹⁷⁴ مدينة القدس وجوارها، ص229.

¹⁷⁵ المصدر السابق نفسه، ص 229-230.

¹⁷⁶ القضاة، نصارى القدس، ص ج-ز.

- ¹⁷⁷المصدر السابق نفسه، ص 17 - 18.
- ¹⁷⁸المصدر السابق نفسه، ص 18.
- ¹⁷⁹انظر مقدمة مقدمة عيسى فتوح لكتاب نعمان القساطلي، كتاب الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، بيروت 1876 م ربما يكون هناك خلل في تاريخ الطبع أو في مقدمة فتوح الذي يذكر أن الكتاب يتحدث عن دمشق سنة 1878 م وهنا نسأل كيف يتحدث عن دمشق بعد أن نشره !
- القضاة، نصارى القدس، ص 19.
- ¹⁸¹المصدر السابق نفسه.
- ¹⁸²المصدر السابق نفسه.
- ¹⁸³المصدر السابق نفسه.
- ¹⁸⁴المصدر السابق نفسه.
- ¹⁸⁵المصدر السابق نفسه ؛ الكزاندر شولش، تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882، دراسات حول التطور الاقتصادي والاجتماعي السياسي، نقله عن الأمانة كامل جميل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان 1988، ص 40 - 42، سيشار إليه تالياً بـ : شولش، تحولات جذرية.
- ¹⁸⁶نصارى القدس، ص 20.
- ¹⁸⁷المصدر السابق نفسه، ص 18، 20.
- ¹⁸⁸المصدر السابق نفسه، ص 20.
- ¹⁸⁹المصدر السابق نفسه ص 21.
- ¹⁹⁰المصدر السابق نفسه، ص 22.
- ¹⁹¹المصدر السابق نفسه، ص 25.
- ¹⁹²المصدر السابق نفسه، ص 26 - 61.
- ¹⁹³السياسة الإسرائيلية، ص ج - و.
- ¹⁹⁴المصدر السابق نفسه، ص ل - م، 6 - 7.
- ¹⁹⁵المصدر السابق نفسه، ص 131 - 132.
- ¹⁹⁶المصدر السابق نفسه، ص 132.
- ¹⁹⁷المصدر السابق نفسه، ص 132.
- ¹⁹⁸يبدو ان خلافاً قد وقع في تدوين عدد المسلمين وهو 3100 شخص
- ¹⁹⁹المصدر السابق نفسه، ص 132 - 144.
- ²⁰⁰المصدر السابق نفسه، ص 145 - 146.
- ²⁰¹المصدر السابق نفسه، ص 146 - 150.
- ²⁰²المصدر السابق نفسه، ص 151 - 192.
- ²⁰³المصدر السابق نفسه، ص 193 - 231.

المراجع

القرآن الكريم

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت261هـ / 874م)، "كتاب الفرائض باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم"، الجامع الصحيح، 9 أجزاء في 3 مجلدات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، صورة عن طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1378هـ / 1958م.
- البدور، بدر سمور، السياسة الإسرائيلية تجاه مدينة القدس (1967م - 2006م)، جامعة مؤتة، رسالة ماجستير غير منشورة، 2006م.
- الختاتنة، تغريد عبد الحميد جبر، السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك عموري الأول، كما أرخ لها وليم الصوري مقارنة بالمصادر الأخرى (1162-1174م/588-569هـ)، دراسة مقارنة، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، 1423هـ / 2002م.
- الخطيب، ثروت صالح، مدينة القدس خلال الحكم الفاطمي (358-492هـ / 968-1099م)، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، 1424هـ / 2003م.
- السواري، سليم جمعة سليم، الحياة الاجتماعية في مدينة القدس في الفترة من (1163هـ - 1215هـ/1750م - 1800م)، جامعة مؤتة، رسالة ماجستير غير منشورة، 2005م.
- شولش، الكزاندر، تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882، دراسات حول التطور الاقتصادي والاجتماعي السياسي، نقله عن الأمانية كامل جميل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان 1988.
- صالحية، محمد عيسى، "القدس في صدر الإسلام" في: زيدان كفاقي وآخرون، تحرير علي محافظة، القدس عبر العصور، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، طبعة تجريبية، 2000م.
- العرييات، غالب عبد أحمد، تاريخ الحياة الاجتماعية في ناحية القدس الشريف في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، 1420هـ / 2000م.
- العسلي، كامل جميل، مخطوطات فضائل بيت المقدس، دار البشير، عمان، الأردن، 1981م، وصدرت منه الطبعة الثانية عام 1984م.
- القضاة، أحمد حامد إبراهيم، نصارى القدس في القرن التاسع عشر (دراسة مستخلصة من سجلات محكمة القدس الشرعية)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، 1427هـ / 2006م.
- المدني، زياد عبد العزيز، مدينة القدس وجوارها خلال الفترة 1215هـ-1245هـ / 1800م-1830م، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 1996م، ونشرت في العام نفسه بالتعاون بين جامعة آل البيت وبنك الأعمال الأردني.
- المؤلف نفسه، مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد العثماني 1246هـ - 1336هـ / 1831م- 1918م، د. ن. عمان.

اليعقوب، محمد أحمد سليم، ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن 1406هـ/1986م ثم نشرت بالتعاون بين جامعة آل البيت والبنك الأهلي الأردني، 1999م، جزءان.

Ben Arie, Yahoshua, **Jerusalem in the Nineteenth Century, the Old City**, Jerusalem, 1984.

Cohen, Amnon, **the Jewish Community of Jerusalem**.

Idem, **Jewish Life Under Islam in the Sixteenth Century**, Harvard University Press, London, 1984.

Cohen, Amnon, **Ottoman Documents on the Jewish Community of Jerusalem in the Sixteenth Century**, Jerusalem, 1976.

Cohen and Lewis, Amnon and Bernard, **Population and Revenue in the Towns of Palestine in the Sixteenth Century**, Princeton University, Princeton, New Jersey, 1975.

Haymson, Albert, **Palestine Old and New**, London, 1928

Heyd, Uriel, **Ottoman Documents On Palestine, 1552–1615**. Clarendon Press, Oxford, 1960.

Lewis, Bernard, "The Jews in Palestine in the Sixteenth Century", *Oriental Notes and Studies*, pp.5–22. Jerusalem, 1952, in, **Studies in Classical and Ottoman Islam, 7th – 16th Centuries**, London, 1976.

Ma' oze, Moshe, **Ottoman Reform in Syria and Palestine** London, 1961.

أثر الخصائص الاقتصادية والاجتماعية على أنماط الجرائم لدى النزيلات في مركز إصلاح وتأهيل النساء في الجويده - المملكة الأردنية الهاشمية

نازك الشناق *

ملخص

هدف هذا البحث إلى معرفة أثر الخصائص الاقتصادية والاجتماعية على أنماط الجرائم لدى النزيلات في مركز إصلاح وتأهيل النساء في الجويده - المملكة الأردنية الهاشمية، تكونت عينة الدراسة من (160) نزيله في مركز إصلاح وتأهيل النساء في الجويده، وقد قامت الباحثة بمقابلة النزيلات وطرح مجموعة من الأسئلة على النزيلات لاستخراج النتائج، وقد استخدمت الحزمة الإحصائية (SPSS) لتحليل نتائج الدراسة والتي توصلت إلى أن أكثر الجرائم تكرر هي الجرائم الأخلاقية (زنا ودعارة)، كما أظهرت النتائج وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين كل من نمط الجريمة "القتل" و"جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)" ومتغير المستوى التعليمي للنزيله لصالح "ثانوي"، ووجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط الجريمة "القتل"، و"السرقه والنشل" و"جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)"، ومتغير عمر النزيله لصالح الفئة العمرية "من 20-29 سنة"، ووجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط الجريمة "السرقه والنشل" ومتغير الحالة الاجتماعية للنزيله لصالح "متزوجه"، ومتغير عدد أفراد أسرة النزيله لصالح "1-5" و"6-11"، ومتغير سبب الخلاف في العلاقة الأسرية للنزيله لصالح "المشكلات المادية"، ووجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط الجريمة "القتل" و"شيكات" و"احتيال وتزوير" و"تسول وتشرد" و"جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)" ومتغير مهنة والدة النزيله لصالح "ربة بيت"، ووجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط الجريمة "السرقه والنشل" و"مخدرات" و"تسول وتشرد" و"جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)" ومتغير نوع العلاقة مع أسرة النزيله لصالح "خلاف"، ووجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط الجريمة "مخدرات" و"جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)" ومتغير سبب الخلاف في العلاقة الأسرية للنزيله لصالح "قسوة التعامل بين أفراد الأسرة"، وفيما يتعلق بالمتغيرات الاقتصادية أظهرت النتائج وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط الجريمة "القتل" ومتغير عمل النزيله لصالح "ربة بيت"، ومتغير الدخل الشهري لأسرة النزيله لصالح "200 دينار فما فوق"، ووجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط الجريمة "القتل" و"السرقه والنشل" و"مخدرات" و"احتيال وتزوير" و"جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)" ومتغير مكان إقامة النزيله لصالح "مدينة".

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2013.

* قسم العلوم الإنسانية، جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، إربد، الأردن.

المقدمة:

تعد الجريمة ظاهرة اجتماعية، قديمة قدم المجتمع الإنساني نفسه، الذي هو بطبيعته يميل إلى الخير والعدل، كما يميل إلى القسوة والشر، وعليه فإن الجريمة ستبقى إلى الأبد ما بقي الخير والشر على هذه الأرض، حيث تتحكم بها العديد من العوامل الاقتصادية والاجتماعية (جعفر، 2003)، ويرى علماء الاجتماع بأن الجريمة عبارة عن السلوك الذي تحرمه الدولة ويمكن أن ترد عليه بفرض عقوبة على مرتكبه وهو بوجه عام يشكل السلوك المضاد للمجتمع والذي يضر بصالحه (حسين، 2008).

وعلى الرغم من أن الجريمة ظاهرة اجتماعية قديمة، وتختلف أنواعها وأساليبها ومرتكبيها، فقد يكون المجرم رجلاً وقد يكون امرأة. إلا أن جرائم الرجال حظيت بدراسات شتى بينما لم تحظ جرائم النساء بتلك الأهمية، وقد يكون مرد ذلك إلى تدني نسبة مشاركة المرأة في الجريمة (السودي، 1995)،

وقد اختلف العلماء بتحديد نمط الشخصية الأكثر ميلاً للإجرام، فقد أشار لمبروزو إلى أن الإنسان المجرم شخص مغلوب على أمره لأنه طبع على الإجرام، فهو مجرم بالفطرة أو مجرد مجرم بالميلاد (عبد الستار، 2007، ص38)، وأن المرأة المجرمة تختلف بصفات جسدية عن المرأة الطبيعية بأنها شعرانية (كثيرة الشعر)، ووجود التجاعيد، واعوجاج القدمين، والجمجمة غير طبيعية، ويرى أنها أقرب إلى الرجال المجرمين والأسوياء منها إلى المرأة (هنداوي، 1990).

بينما يرى توماس (THOMAS) أن السلوك الإنساني يسعى إلى تحقيق أربع مجموعات من الرغبات وهي الرغبة في الخبرة، والرغبة في الأمن، والرغبة في الاستجابة، والرغبة في التقدير، وأن تحقيق وإشباع هذه الرغبات يمكن أن يقود الإنسان إلى الطريق الصحيح إذا توفرت له الفرص والعكس صحيح، وبما أن معظم النساء الفقيرات لا تتوفر لديهن الفرص لإشباع هذه الرغبات، وبالتالي يمكن أن تستخدم المرأة الجنس لتحقيق تلك الرغبات (الوريكات، 2004)، كما يشير لويس (Lewis, 2001) إلى أن النساء غير القادرات على إشباع هذه الحاجات وهي حاجات خاصة بالتكيف مع المحيط الاجتماعي يلجأن في الغالب إلى ممارسة مهن الرزيلة والاتجار بالمخدرات كون هذه المهن تقوم على توظيف الجنس تحقيقاً لرغباتهن.

أما فرويد فيرى أن الضعف النفسي يرتبط بالجنس والغيرة الجنسية والتي تتطور في مرحلة الطفولة المبكرة، وهناك مجموعة من النظريات التطورية والتي تعتقد أن النمو النفسي والاجتماعي والذي تتحكم به بشكل أساسي الأسرة والأصدقاء والأقرباء للفتيات هو المفتاح الرئيس لفهم السلوك المنحرف عند الإناث، فإذا ما كانت خبرتها الأسرية سيئة، ورأى أنها جاءت من أسرة مفككة وتعاني من مشاكل واضطرابات نفسية فالسلوك المنحرف متوقع في هذه الحالة (الوريكات،

2004). ويرى بولاك أن هناك عاملين وراء انحراف الإناث وهما النمو الجسدي المبكر والنضج الجنسي (الوريكات، 2004)، مما يدفعها للبحث عن وسائل لإشباع هذا النضج والذي هو بالأصل في غير أوانه، مما يجعلها تسلك طرق وأساليب منحرفة مثل السرقة والنشل والسطو وممارسة البغاء لتحقيق ذلك (Lewis, 2001)، ويضيف أن المرأة عادة ما تمتلك صفة الخداع أكثر من الرجال (الوريكات، 2004)، إلا أن إجرام النساء أقل ذكراً في السجلات الرسمية (الهاشمي، 2005).

وتشير جزيلا كونوبكا أن من أهم أسباب انحراف الإناث هو التنشئة الاجتماعية الخاطئة ورفاق السوء، حيث أن جذور هذا الانحراف تتمثل في عاملين مهمين هما الشك والوحدة خاصة أن الأنثى في مراحل المراهقة الأولى تحتاج للقبول والعطف والمودة، لكن هذه الأمور إن تضررت ستلجأ الفتاة إلى الانحراف لإشباع هذه الحاجات (الوريكات، 2004)، كما تلعب المشكلات الأسرية دوراً في انحراف الإناث ومن هذه المشكلات: انعدام الرقابة على الأبناء، والطلاق، وسوء معاملة الآباء للبنات، وعدم احترام رغبة الفتاة في اختيار الزوج (الساعاتي، 1983). أما نظريات الحتمية الاقتصادية والاجتماعية فتري أن عمليات التغيير الاقتصادية والاجتماعية قد أثرت على الأدوار الاجتماعية للمرأة وبالتالي أثرت على سلوكها الاجتماعي المنحرف والسوي، وتشير فريدا أدلر أن المرأة تحاول جاهدة الحصول على الاستقلال الاقتصادي والاجتماعي (غانم، 1991)، وترى فينمان ونافين في نظرية التهميش الاقتصادي بأنه لا يوجد فرص حقيقية ودافعة أمام المرأة وفي ظل هذه الظروف تزداد جرائم النساء، ومع هذا لا ننكر وجود بعض الفرص أمام قلة من النساء، لكن الغالبية يعانين من التهميش الاقتصادي والبطالة وتدني الأجور خاصة في الطبقات الفقيرة، وبذلك ترتفع الجرائم، وخاصة السرقات الجنحية (الوريكات، 2004).

ومن الواضح أن إجرام النساء أقل ذكراً في السجلات الرسمية وبالذات بالنسبة لبعض الجرائم مثل السرقة من المحلات والسرقة التي ترتكبها البغايا والخادمت والإجهاض، والجرائم التي ترتكب على الأطفال والقتل، وقد اكتشف بولاك أن النساء المجرمات يتلقين الحماية من الرجال حتى لو كانوا ضحاياهن، الذين يكونون أقل ميلاً إلى الشكوى إلى السلطات (المجدوب، 1990)، وقد ذكر علماء النفس أن المرأة مجموعة عواطف شفافة سرعان ما تتأثر وتضطرب وتزداد انفعالاتها، أو تختل حالتها النفسية حتى تكون عاطفتها هي الأمر الناهي مما يدفع المرأة إلى اقتراف أخطر الجرائم في لحظة انسياقها وراء عواطفها، ولكن مع ذلك فهي لا تميل إلى استخدام العنف في ارتكابها للجريمة وإن قتلت فإنها تقتل بأدوات بدائية بسيطة كالسكين أو استخدام السم (Heidensohn, 2007).

إلا أن نوعية الجرائم التي يمكن أن نطلق عليها جرائم النساء هي تلك الجرائم المتميزة التي تختص بها المرأة، والتي تستخدم فيها النساء الخداع والمكر أكثر مما يستخدمه الرجال (الهاشمي، 2005)، وتؤكد الإحصاءات الجنائية أن هناك اختلاف نوعي بين إجرام المرأة وإجرام الرجل، حيث دلت الإحصاءات أن المرأة تتفوق على الرجل بصورة كبيرة في ارتكاب بعض الجرائم مثل: قتل الأطفال حديثي الولادة والإجهاض والقتل بالسم والنصب والشهادة الزور والبلاغ الكاذب والسب والقتل (الشاذلي، 2002)، والنشل والسرقة من المحلات (عبد الستار، 2007)، وبذلك تعتبر المرأة أقل خطراً على المجتمع من الرجل (الشاذلي، 2002).

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية الدراسة من كون الجريمة ظاهرة تهدد أمن وكيان المجتمع، مما يستدعي دراستها للحد منها ومن تأثيرها على المجتمع، وبما أن المرأة تلعب دوراً مهماً في تنشئة الأجيال وتربيتها، وصنع شباب المستقبل فإنها قد تسهم في بناء جيل قد يتشرب الجريمة منذ الصغر، لذلك جاءت هذه الدراسة للوقوف على حجم هذه الظاهرة، ومحاولة معالجتها، كما تتبع أهمية الدراسة من خلال الاستفادة من نتائجها في إيجاد سياسات تحد من ظاهرة الجريمة النسائية، كما يمكن لنتائج الدراسة الحالية أن توفر قاعدة من البيانات العلمية حول الخصائص الاقتصادية والاجتماعية لمركبات الجرائم في الأردن، وحول نمط الجرائم التي يرتكبها؛ وذلك لأجل تقديم برامج وقائية أو علاجية للحد من ظاهرة الجريمة النسائية ومحاربتها.

مشكلة الدراسة:

تحتل دراسة الجريمة أهمية عالية في التراث السوسيولوجي المعاصر وتشغل حيزاً واسعاً من اهتمامات علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا ورجال القانون وعلماء الإجرام، وهي في الوقت ذاته تحظى باهتمام متزايد من قبل حكومات الدول النامية والمتقدمة على السواء. وكون المملكة الأردنية الهاشمية إحدى الدول النامية التي تسعى لتطوير مجتمعها اقتصادياً واجتماعياً وتنميته لكي يتواءم مع متطلبات العصر الحديث فإنه يلاحظ في السنوات الأخيرة مدى التحول الاجتماعي والاقتصادي اللذين سادا المجتمع.

ولا يخفى على أحد التأثير السلبي الذي أحدثته العولمة في المجتمع بدءاً من تغيير المفاهيم القائمة وانتهاءً بالظروف الاجتماعية والاقتصادية الجديدة التي فرضتها النظم العالمية الجديدة حيث تغيرت المفاهيم الاجتماعية والاقتصادية (الفرحان، 2001)، وهذا بدوره أدى إلى بروز أسباب اجتماعية واقتصادية جديدة أثرت في السلوك الإنساني في المجتمع بشكل عام حيث أدت إلى ظهور أنماط جديدة من الجرائم.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى معرفة أثر الخصائص الاقتصادية والاجتماعية على أنماط الجرائم لدى النزيلات في مركز إصلاح وتأهيل النساء في الجريدة في المملكة الأردنية الهاشمية. وذلك من خلال تحقيق الأهداف التالية:

- 1- الكشف عن حجم ظاهرة الجريمة التي ترتكبها النساء في الأردن.
- 2- معرفة أنماط الجرائم التي ترتكبها النساء في الأردن.
- 3- معرفة الخصائص الاقتصادية والاجتماعية لمرتكبات الجريمة في الأردن.
- 4- معرفة أثر الخصائص الاقتصادية والاجتماعية على نمط الجرائم التي ترتكبها النساء.
- 5- التوصل إلى التوصيات التي من شأنها أن تساهم في الحد من ظاهرة الجريمة التي ترتكبها النساء في الأردن.

أسئلة الدراسة:

السؤال الأول: ما هي أنماط الجرائم المرتكبة من قبل النزيلات في مركز إصلاح وتأهيل النساء في الجريدة؟

فرضيات الدراسة:

الفرضية الأولى: لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للنزيلة ونمط الجريمة التي ارتكبتها.

التعريفات الإجرائية:

جرائم النساء: هي الجرائم التي ترتكبها المرأة وتقع ضمن نطاق جرائم الزنا، والقتل، والسرقه، والتشرد، وشيكات بدون رصيد.

العوامل الاجتماعية: هي العوامل المتمثلة في المستوى التعليمي، والعمر، والحالة الاجتماعية، ومكان الإقامة.

العوامل الاقتصادية: وهي العوامل المتمثلة في الدخل الشهري ومهنة النزيلة.

الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات التي تناولت الجريمة في المجتمعات المختلفة، إلا أن معظمها ركز إما على الجرائم التي يرتكبها الرجال أو جرائم الأحداث؛ بينما لم يتم التركيز بشكل كاف على الجرائم التي ترتكبها النساء سواء من جانب نمطها أو من جانب العوامل الاقتصادية والاجتماعية. وتاليا مجموعة من الدراسات العربية والتي تناولت جرائم النساء من جانب العوامل الاقتصادية والاجتماعية.

قام بونانو (Buonanno, 2005) بتحليل الجرائم التي ترتكبها النساء لأهداف اقتصادية أو لأسباب اجتماعية. وباستخدام منهجية البحث النوعي القائمة على التحليل والملاحظة والمقابلة، قام الباحث بالاطلاع على قضايا (550) سجينة إيطالية ومقابلتهن حيث طرح عليهن سؤالاً حول نوع جريمتهم وسبب ارتكابها. وبينت الدراسة أن تدني الدخل والفقر كانت من أهم مسببات جرائم السرقة والاختطاف والانضمام للعصابات. وفي الجانب الاجتماعي أشارت (23%) من السجينات أنهن ارتكبن جرائم قتل بحق الشريك أو أحد أفراد الأسرة بسبب غياب التفاهم العائلي أو العنف الأسري. كما بينت الدراسة أن هذه الفئة من النساء تتسم بالعدوانية والعنف واللامبالاة.

وأجرى (بوخميس وبركو، 2006) دراسة في الجزائر بهدف الكشف عن العوامل الدافعة إلى ارتكاب الفعل الإجرامي لدى المرأة في المجتمع الجزائري. وتكونت عينة الدراسة من (90) نزيلة من نزلاء السجون الجزائرية ارتكبن جرائم مختلفة في الفترة الواقعة من عام 1989-2005. ولتحقيق هدف الدراسة قام بوخميس وبركو بمراجعة ملفات النزيلات لتحديد طبيعة العوامل الديموغرافية المحيطة بهن، ومن ثم بعد الاطلاع على الأدب النظري والدراسات السابقة طور بوخميس وبركو استبانة مكونة من 50 فقرة توزعت على ثلاثة محاور هي (العوامل الاجتماعية، والعوامل الاقتصادية، والعوامل النفسية). وبعد جمع البيانات وتحليلها خلصت الدراسة إلى أن أهم العوامل الدافعة بالمرأة الجزائرية لارتكاب الجريمة هي التغير الاجتماعي والأسري الذي أدى إلى تفكك الأسرة بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية. كما توصلت الدراسة إلى أن المرأة العازبة أكثر ارتكاباً للجريمة من المرأة المتزوجة. وبينت الدراسة أن أكثر الجرائم المرتكبة من طرف المرأة السجينة هي القتل ثم الدعارة، السرقة، فالزنا، واتضح أيضاً أن السجينات استعملن كل ما يمكن أن يستعمله الرجل من وسائل لدى ارتكابهن للجرائم ضد الأصول، والأبناء والأزواج.

وأجرى شوي (Choi, 2006) دراسة في كوريا هدفت إلى تحليل ومناقشة الإحصائيات الرسمية حول الجرائم التي ترتكبها النساء في كوريا. ولتحقيق هذا الهدف تم إتباع منهجية البحث النوعي القائمة على تحليل الوثائق، حيث قام الباحث بمراجعة وتحليل عينة مكونة من 345 جريمة ارتكبتها إناث، كما قام بإجراء مقابلات نوعية مع 33 امرأة يقضين أحكاماً بالسجن مدى

الحياة نتيجة لارتكاب جرائم مختلفة. وبينت الدراسة أن معظم الجرائم التي ترتكبها النساء في كوربا ناتجة عن سوء الأوضاع الاقتصادية أو التفكك الأسري. كما بينت الدراسة أن جريمة الاحتيال هي أكثر الجرائم شيوعاً، تلاها جريمتا البغاء والعنف الأسري، بينما كانت جريمة القتل هي الأقل بين نسبة الجرائم المرتكبة. أخيراً خلصت الدراسة إلى أن معظم مرتكبات الجرائم أتين من أسر فقيرة حيث اتسمت العلاقة بين أفراد الأسرة بالتفكك والصراعات الداخلية.

وأجرى تشوكازي (Chukuezi, 2006) دراسة في نيجيريا بهدف تحليل الجرائم النسائية في نيجيريا من جانب تطورها التاريخي والنوعي. وتكونت عينة الدراسة من إصدارات المحاكم ووزارة الداخلية النيجيرية في الفترة من 2000-2005. وبعد إجراء التحليل بينت الدراسة أن هناك أعداداً متزايدة من النساء النيجيريات يشاركن في أفعال جرمية كنتيجة لسوء الوضع الاقتصادي وبسبب التغير الاجتماعي الذي تشهده البلاد. كما أشارت الدراسة إلى أن عدد جرائم السرقة تتزايد بشكل واسع بين النساء بسبب حاجتهن للمال لإعالة الأسرة إما بسبب فقدان الزوج بسبب الحرب أو الهجران وترك مسؤولية الأسرة للمرأة.

أجرت تايرا وجرين وربتشموند (Taira, Green and Richmond, 2007) دراسة في الولايات المتحدة الأمريكية بهدف الكشف عن حجم الجرائم التي ترتكبها المرأة في هاواي وطبيعتها. ولتحقيق هذا الهدف تم تحليل البيانات الإحصائية لجرائم المرأة والصادرة عن دائرة الشرطة في هاواي، ومن ثم إجراء مقابلات فردية مع عينة مكونة من 12 نزيلا في إحدى السجون التابعة للولاية. وبينت الدراسة أن الأرقام الإحصائية لجرائم المرأة في الولاية تتزايد بما نسبته 4% سنوياً حيث احتلت مدينة هونولولو المرتبة الأولى في جرائم المرأة. أما عن طبيعة الجرائم المرتكبة فهي السطو والقتل وامتهان مهن مخالفة للقانون مثل بيع المخدرات والدعارة. أما عن أسباب ارتكاب الجرائم فكانت معظمها لأسباب اقتصادية أو بسبب الانضمام لإحدى العصابات المحلية.

الطريقة والإجراءات:

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة الحالية على إجراء المقابلات مع النزيلات في مركز إصلاح وتأهيل النساء.

مجتمع وعينة الدراسة:

يشمل مجتمع الدراسة الحالية جميع النزيلات المحكومات في مركز إصلاح وتأهيل النساء في المملكة الأردنية الهاشمية. وتم الاعتماد على المسح الشامل لجميع النزيلات البالغ عددهن

(160) نزيلة باعتبارها الفئة المستهدفة للدراسة، والجداول (1-13) توضح توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغيراتها.

أولاً: المتغيرات الاجتماعية:

– متغير المستوى التعليمي للنزيلة:

جدول (1): التكرارات والنسب المئوية لمتغير المستوى التعليمي للنزيلة.

الرقم	المستوى التعليمي	التكرار	النسبة المئوية
1	لا تقرأ ولا تكتب	18	11.3%
2	أساسي	50	31.3%
3	ثانوي	61	38.1%
4	دبلوم متوسط	15	9.4%
5	جامعية	15	9.4%
6	دراسات عليا	1	0.6%
المجموع		160	100%

يظهر من الجدول رقم 1 قيم التكرارات لمتغير المستوى التعليمي تراوحت بين (1 – 61)، وكان أعلاها للمستوى التعليمي "ثانوي" بنسبة مئوية بلغت 38.1%، يليه المستوى التعليمي "أساسي" بنسبة مئوية 31.3%، بينما كان أدنى تكرار للمستوى التعليمي "دراسات عليا" بنسبة مئوية بلغت 0.6%.

– متغير عمر النزيلة:

جدول (2): التكرارات والنسب المئوية لمتغير العمر.

الرقم	العمر	التكرار	النسبة المئوية
1	أقل من 20 – 29 سنة	101	63.1%
2	30 - 39 سنة	46	28.8%
3	40 سنة فما فوق	13	8.1%
المجموع		160	100%

أثر الخصائص الاقتصادية والاجتماعية على أنماط الجرائم لدى النزيلات في مركز إصلاح وتأهيل النساء في الجريدة - المملكة الأردنية الهاشمية

يظهر من الجدول رقم 2 أن قيم التكرارات لمتغير العمر تراوحت بين (13 - 101)، وكان أعلاها للعمر "أقل من 20 - 29 سنة" بنسبة مئوية بلغت 63.1%، بينما احتلت الفئة العمرية "40 سنة فما فوق" المرتبة الأخيرة بنسبة مئوية بلغت 8.1%.

متغير الحالة الاجتماعية للنزيلة:

جدول (3): التكرارات والنسب المئوية لمتغير الحالة الاجتماعية:

الرقم	الحالة الاجتماعية	التكرار	النسبة المئوية
1	عزباء	48	30.0%
2	متزوجة	70	43.8%
3	مطلقة	30	18.8%
4	أرملة	12	7.5%
المجموع		160	100%

يظهر من الجدول رقم 3 أن قيم التكرارات لمتغير الحالة الاجتماعية تراوحت بين (12 - 70)، وكان أعلاها للحالة الاجتماعية "متزوجة" بنسبة مئوية بلغت 43.8%، يليه الحالة الاجتماعية "عزباء" بنسبة مئوية بلغت 30.0%، وأخيراً الحالة الاجتماعية "أرملة" بنسبة مئوية بلغت 7.5%.

متغير وضع الزواجي لوالدي النزيلة:

جدول (4): التكرارات والنسب المئوية لمتغير وضع الزواجي لوالدي النزيلة

الرقم	الوضع	التكرار	النسبة المئوية
1	مطلقان	24	15.0%
2	متوفيان	22	13.8%
3	أحدهما متوفي	43	26.9%
4	معاً حالياً	61	38.1%
5	غير ذلك	10	6.3%
المجموع		160	100%

يظهر من الجدول رقم 4 أن قيم التكرارات لمتغير وضع الوالدان تراوحت بين (10 - 61)، وكان أعلاها للوضع "معاً حالياً" بنسبة مئوية بلغت 38.1%، يليه الوضع "أحدهما متوفي"

بنسبة مئوية بلغت 26.9%، بينما احتل الوضع "غير ذلك" المرتبة الأخيرة بنسبة مئوية بلغت 6.3%.

– متغير مهنة الوالد:

جدول (5): التكرارات والنسب المئوية لمتغير مهنة الوالد:

الرقم	مهنة الوالد	التكرار	النسبة المئوية
1	موظف	23	14.4%
2	عمل حر	78	48.8%
3	صاحب حرفة	15	9.4%
4	بلا عمل	22	13.8%
5	متقاعد	22	13.8%
المجموع		160	100%

يظهر من الجدول رقم 5 أن قيم التكرارات لمتغير مهنة الوالد تراوحت بين (15 – 78)، وكان أعلاها لمهنة الوالد "عمل حر" بنسبة مئوية بلغت 48.8%، بينما أدنى تكرار كان لمهنة الوالد "صاحب حرفة" بنسبة مئوية بلغت 9.4%.

– متغير مهنة الوالدة:

جدول (6): التكرارات والنسب المئوية لمتغير مهنة الوالدة

الرقم	مهنة الوالدة	التكرار	النسبة المئوية
1	موظفة	4	2.5%
2	عمل حر	12	7.5%
3	صاحبة حرفة	6	3.8%
4	بلا عمل	26	16.3%
5	ربة بيت	112	70.0%
المجموع		160	100%

يظهر من الجدول رقم 6 أن قيم التكرارات لمتغير مهنة الوالدة تراوحت بين (4 – 112)، وكان أعلاها لمهنة الوالدة "ربة بيت" بنسبة مئوية بلغت 70.0%، بينما أدنى تكرار كان لمهنة الوالدة "موظفة" بنسبة مئوية بلغت 2.5%.

أثر الخصائص الاقتصادية والاجتماعية على أنماط الجرائم لدى النزيلات في مركز إصلاح وتأهيل النساء في الجريدة - المملكة الأردنية الهاشمية

عدد أفراد الأسرة:

جدول (7): التكرارات والنسب المئوية لمتغير عدد أفراد الأسرة

الرقم	عدد الأفراد	التكرار	النسبة المئوية
1	5-1	47	%29.4
2	11-6	93	%58.1
3	17-12	20	%12.5
المجموع		160	%100

يظهر من الجدول رقم 7 أن قيم التكرارات لمتغير عدد أفراد الأسرة تراوحت بين (20) - (93)، وكان أعلاها لعدد أفراد الأسرة "11-6 فرد"، تلاه عدد أفراد بلغ "5-1"، بينما أدنى تكرار كان للعدد "17-12 فرد".

متغير كيف تقيم علاقتك مع أسرتك:

جدول (8): التكرارات والنسب المئوية لمتغير كيف تقيم علاقتك مع أسرتك

الرقم	نوع العلاقة	التكرار	النسبة المئوية
1	وفاق	44	%27.5
2	خلاف	116	%72.5
المجموع		160	%100

يظهر من الجدول رقم 8 أن قيمة التكرار لنوع العلاقة "وفاق" بلغت (44) ونسبة مئوية 27.5%، ولنوع العلاقة "خلاف" بلغت (116) ونسبة مئوية 72.5%.

متغير سبب الخلاف إن كان موجوداً في العلاقة الأسرية:

جدول (9): التكرارات والنسب المئوية لمتغير سبب الخلاف في العلاقة الأسرية

الرقم	سبب الخلاف	التكرار	النسبة المئوية
1	قسوة التعامل بين أفراد الأسرة	56	%48.3
2	مشكلات مادية تعاني منها الأسرة	28	%24.1
3	زواج الوالد / الوالدة السابق أو الزواج الثاني الحالي	6	%5.2
4	جميع ما ذكر	26	%22.4
المجموع		116	%100

يظهر من الجدول رقم 9 أن قيم التكرارات لمتغير سبب الخلاف في العلاقة الأسرية تراوحت بين (6 - 56)، وكان أعلاها للسبب "قسوة التعامل بين أفراد الأسرة" بنسبة مئوية 48.3%، تلاه "مشكلات مادية تعاني منها الأسرة" بنسبة مئوية 24.1%، بينما أدنى تكرار كان للسبب "زواج الوالد/ الوالدة السابق أو الزواج الثاني الحالي" بنسبة مئوية (5.2%). ويلاحظ أن جميع أسباب الخلاف هذه تكررت عند (26) نزيلة وبنسبة مئوية بلغت 22.4%.

ثانياً: المتغيرات الاقتصادية:

- متغير عمل النزيلة السابق:

جدول (10): التكرارات والنسب المئوية لمتغير عمل النزيلة السابق

الرقم	عمل النزيلة	التكرار	النسبة المئوية
1	موظفة	33	20.6%
2	عمل حر	36	22.5%
3	صاحبة حرفة	15	9.4%
4	بلا عمل	52	32.5%
5	ربة بيت	24	15.0%
المجموع		160	100%

يظهر من الجدول رقم 10 أن قيم التكرارات لمتغير مهنة النزيلات تراوحت بين (7 - 45)، وكان أعلاها لمهنة "بلا عمل" بنسبة مئوية بلغت 32.5%، بينما أدنى تكرار كان لمهنة "صاحبة حرفة" بنسبة مئوية بلغت 9.4%.

- متغير مكان إقامة النزيلة:

جدول (11): التكرارات والنسب المئوية لمتغير مكان الإقامة

الرقم	مكان الإقامة	التكرار	النسبة المئوية
1	مدينة	125	78%
2	ريف	30	18%
3	بادية	5	3%
المجموع		160	100%

يظهر من الجدول رقم 11 أن قيم التكرارات لمتغير مكان الإقامة تراوحت بين (5 - 125)، وكان أعلاها لمكان الإقامة "المدينة" بنسبة مئوية بلغت 78%، بينما أدنى تكرار لمكان الإقامة "بادية" وبنسبة مئوية بلغت 3%.

متغير ملكية السكن النزيلة:

جدول (12): التكرارات والنسب المئوية لمتغير ملكية السكن

الرقم	نوع العلاقة	التكرار	النسبة المئوية
1	ملك	89	55.6%
2	مستأجر	71	44.4%
المجموع		160	100%

يظهر من الجدول رقم 12 أن قيمة التكرار لملكية السكن "ملك" بلغت (89) بنسبة مئوية بلغت 55.6%، وملكية السكن "مستأجر" بلغت (71) بنسبة مئوية بلغت 44.4%.

متغير الدخل الشهري للأسرة النزيلة:

جدول (13): التكرارات والنسب المئوية لمتغير مقدار الدخل الشهري للأسرة

الرقم	الدخل الشهري للأسرة	التكرار	النسبة المئوية
1	أقل من 100 دينار	27	16.9%
2	100-200 دينار	55	34.4%
3	200 دينار فما فوق	78	48.8%
المجموع		160	100%

يظهر من الجدول رقم 13 أن قيم التكرارات لمتغير الدخل الشهري للأسرة تراوحت بين (27 - 78)، وكان أعلاها للدخل "200 دينار فما فوق" بنسبة مئوية بلغت 48.8%، بينما أدنى تكرار كان للدخل "أقل من 100 دينار" بنسبة مئوية بلغت 16.9%.

أداة الدراسة:

قامت الباحثة بالرجوع إلى الأدب النظري والمراجع ذات العلاقة، ثم قامت بوضع مجموعة من الأسئلة الموجهة للنزيلات في مركز إصلاح وتأهيل النساء في الجريدة، بهدف الحصول على معلومات اجتماعية واقتصادية (ملحق رقم 2).

متغيرات الدراسة:

أولاً: المتغيرات المستقلة وتشمل:

1) المستوى التعليمي ويتضمن: (لا تقرأ ولا تكتب، دون الثانوية العامة، الثانوية، البكالوريوس، دراسات عليا).

- (2) العمر ويتضمن: الفئات العمرية التالية (أقل من 20-29 سنة، 30-39 سنة، 40 سنة فما فوق).
- (3) الحالة الاجتماعية وتتضمن: (عزباء، متزوجة، مطلقة، أرملة، أخرى).
- (4) الوضع الزواجي للوالدين ويتضمن: (مطلقان، متوفيان، أحدهما متوفى، معاً حالياً).
- (5) مهنة الوالد ويتضمن: (موظف، عمل حر، صاحب حرفة، بلا عمل، متقاعد).
- (6) مهنة الوالدة وتتضمن: (موظفة، عمل حر، صاحبة حرفة، بلا عمل، ربة بيت).
- (7) عدد أفراد الأسرة ويتضمن: (1-5، 6-11، 12-17).
- (8) تقييم علاقة النزيلة مع أسرتها وتتضمن: (وفاق، خلاف).
- (9) عمل النزيلة السابق ويتضمن: (موظفة، عمل حر، صاحبة حرفة، ربة بيت، بلا عمل).
- (10) مكان الإقامة ويتضمن: (مدينة، ريف، بادية).
- (11) ملكية السكن وتتضمن: (ملك، مستأجر).
- (12) الدخل الشهري ويتضمن: (أقل من 100 دينار، 100-200 دينار، 200 دينار فما فوق).

ثانياً: المتغيرات التابعة وتشمل:

- أثر الخصائص الاقتصادية على أنماط الجرائم لدى النزيلات في مركز إصلاح وتأهيل النساء في الجريدة.
- أثر الخصائص الاجتماعية على أنماط الجرائم لدى النزيلات في مركز إصلاح وتأهيل النساء في الجريدة.

المعالجة الإحصائية:

تم حساب التكرارات والنسب المئوية لإجابات أفراد عينة الدراسة على جميع فقرات وأسئلة أدوات الدراسة، كما تم تطبيق اختبار (Chi- Square) للكشف عن أثر إجابات أفراد عينة الدراسة والدلالة الإحصائية لها.

عرض النتائج ومناقشتها:

فيما يلي عرض نتائج الدراسة بالاعتماد على الأسئلة والفرضيات:

أثر الخصائص الاقتصادية والاجتماعية على أنماط الجرائم لدى النزيلات في مركز إصلاح وتأهيل النساء في الجريدة - المملكة الأردنية الهاشمية

السؤال الأول: ما هي أنماط الجرائم المرتكبة من قبل النزيلات في مركز إصلاح وتأهيل النساء في الجريدة؟

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج التكرارات والنسب المئوية لأنماط الجرائم المرتكبة من قبل النزيلات في مركز إصلاح وتأهيل النساء، والجدول (14) يوضح ذلك:

جدول (14): التكرارات والنسب المئوية لأنماط الجرائم المرتكبة لدى النزيلات في مركز إصلاح وتأهيل النساء

الرقم	نمط الجريمة	التكرار	النسبة المئوية
1	جرائم القتل	33	17.5%
2	الشروع في القتل	5	3.1%
3	السرقه والنشل	29	18.1%
4	مخدرات	15	9.4%
5	شيكات	10	6.3%
6	احتيال وتزوير	18	11.3%
7	تسول أو تشرد	15	9.4%
8	شهادة زور	3	1.9%
9	جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)	35	21.9%
10	جرائم أخرى	2	1.3%
المجموع		160	100%

يبين الجدول رقم 14 أن قيم التكرارات لأنماط الجريمة المرتكبة في مراكز إصلاح النساء تراوحت بين (2 - 35)، وكان أعلاها "جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)" بنسبة مئوية بلغت 21.9%، تلاها "جرائم القتل" بنسبة مئوية بلغت 20.6%، أما "جرائم السرقه والنشل فقد احتلت المرتبة الثالثة بنسبة مئوية بلغت 18.1%. كما يبين الجدول أيضا أن "جرائم أخرى" احتلت المرتبة الأخيرة بنسبة مئوية بلغت 1.3%.

ويلاحظ أن معظم هذه الجرائم متوسطة الخطورة، إلا أن أسبابها متنوعة، ومن أهمها أساليب التنشئة الاجتماعية الخاطئة والتي تؤدي بالأنثى إلى الانحراف؛ كما يشير (عبد الستار، 2007) أنه يغلب على المرأة إقدامها على جرائم غير جسيمة مثل الزنا والإيذاء ومحاولة القتل بالسم أو بعض الأدوات الحادة والسرقات البسيطة المتنوعة.

وتختلف نتيجة الدراسة الحالية عن نتيجة دراسة (Choi, 2006) والتي أشارت إلى أن أكثر أنماط الجرائم ارتكاباً من قبل النساء هي جرائم الاحتيال ثم الدعارة ثم العنف الأسري. ولكن هذا الاختلاف مبرر بسبب الاختلاف في طبيعة ثقافة المرأة في الأردن وثقافة المرأة في كوريا واختلاف العادات والتقاليد بين المجتمعين.

النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى: لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للنزيلة ونمط الجريمة التي ارتكبتها.

اختبار فرضيات الدراسة تم تطبيق اختبار مربع كاي (χ^2) للكشف عن وجود فروق في أنماط الجرائم تبعاً لاختلاف الخصائص الاقتصادية والاجتماعية، والجدول (15- 27) يبين ذلك:

أولاً: المتغيرات الاجتماعية:

– **متغير المستوى التعليمي للنزيلة:**

جدول (15): التكرارات والنسب المئوية وقيمة مربع كاي لأنماط الجرائم تبعاً للمستوى التعليمي للنزيلة

الرقم	نمط الجريمة	لا تقرأ ولا تكتب	أساسي	ثانوي	دبلوم متوسط	جامعية	دراسات عليا	قيمة مربع كاي	الدلالة الإحصائية
1	القتل	تكرار نسبة	1	10	14	0	1	25.92	0.00
			0.6%	6.3%	8.8%	0.05	0.6%		
2	الشروع بالقتل	تكرار نسبة	0	1	3	1	0	1.60	0.44
			0.0%	0.6%	1.9%	0.6%	0.0%		
3	السرقه والنشل	تكرار نسبة	5	12	12	0	0	3.37	0.18
			3.1%	7.5%	7.5%	0.0%	0.0%		
4	مخدرات	تكرار نسبة	1	4	6	3	0	6.00	0.19
			0.6%	2.5%	3.8%	0.6%	0.0%		
5	شيكات	تكرار نسبة	0	2	1	3	0	2.00	0.57
			0.0%	1.3%	0.6%	1.9%	0.0%		
6	احتيال وتزوير	تكرار نسبة	0	2	6	6	0	2.44	0.48
			0.0%	1.3%	3.8%	3.8%	0.0%		
7	تسول أو تشرد	تكرار نسبة	7	6	2	0	0	2.80	0.24
			4.4%	3.8%	1.3%	0.0%	0.0%		

أثر الخصائص الاقتصادية والاجتماعية على أنماط الجرائم لدى النزيلات في مركز إصلاح وتأهيل النساء في الجريدة - المملكة الأردنية الهاشمية

الرقم	نمط الجريمة	لا تقرأ ولا تكتب	أساسي	ثانوي	دبلوم متوسط	جامعية	دراسات عليا	مربع كاي	قيمة الدلالة الإحصائية
8	شهادة زور	تكرار 0	1	2	0	0	0	0.33	0.56
	نسبة	%0.0	%0.6	%1.3	0.0%	0.0%	0.0%		
9	جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)	تكرار 4	12	14	4	1	0	18.26	0.00
	نسبة	%2.5	%7.5	%8.8	%2.5	%0.6	%0.0		
10	جرائم أخرى	تكرار 0	0	1	0	1	0	0.00	1.00
	نسبة	%0.0	0.0%	0.6%	%0.0	0.6%	%0.0		
	المجموع الكلي	تكرار 18	50	61	15	15	1	89.53	0.00
	نسبة	%11.3	31.3%	38.1%	%9.4	%9.4	%0.6		

يظهر من الجدول رقم (15) وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين كل من نمط الجريمة "القتل" و"جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)" و"المجموع الكلي" ومتغير المستوى التعليمي للنزيلة لصالح "ثانوي"، وعدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين باقي أنماط الجرائم ومتغير المستوى التعليمي للنزيلة، وتجدر الإشارة إلى أن أعلى نسبة من مرتكبات الجرائم هن من المستوى التعليمي "ثانوي" بنسبة مئوية بلغت 38.1%، يليه المستوى التعليمي "أساسي" بنسبة مئوية 31.3%، بينما كانت أدنى نسبة للمستوى التعليمي "دراسات عليا" بنسبة مئوية 0.6%. وتبدو هذه النتيجة مبررة إذ أن أكثر مرتكبات الجرائم هن اللواتي حصلن على تعليم متوسط أو منخفض؛ مما يعني أنهن لا يملكن الوعي الكافي أو الثقافة المجتمعية التي يوفرها التعليم لأفراد المجتمع لكي يشكلوا لبنة صالحة في المجتمع.

- متغير عمر النزيلة

جدول (16): التكرارات والنسب المئوية وقيمة مربع كاي لأنماط الجرائم تبعاً لعمر النزيلة

الرقم	نمط الجريمة	العمر			قيمة الدلالة الإحصائية
		من 20 - 29 سنة	من 30 - 39 سنة	40 سنة فأكثر	
1	القتل	تكرار 14	13	1	11.21
	نسبة	%8.8	%8.1	%0.6	0.00

الشناق

الرقم	نمط الجريمة	العمر			قيمة مربع كاي	الدلالة الإحصائية
		من 20 - 29 سنة	من 30 - 39 سنة	40 سنة فأكثر		
2	الشروع بالقتل	2 %1.3	1 %0.6	2 %1.3	0.40	0.81
3	السرقه والنشل	22 %13.8	7 %4.4	0 %0.0	7.75	0.01
4	مخدرات	11 %6.9	4 %2.5	0 %0.00	3.26	0.07
5	شيكات	4 %2.5	4 %2.5	2 %1.3	0.80	0.67
6	احتيال وتزوير	10 %6.3	8 %5.0	0 %0.0	0.22	0.63
7	تسول أو تشرد	11 %6.9	4 %2.5	0 %0.0	3.26	0.07
8	شهادة زور	3 %1.9	0 %0.0	0 %0.0	-	-
9	جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)	23 %14.4	5 %3.1	7 %4.4	16.68	0.00
10	جرائم أخرى	1 %0.6	0 %0.0	1 %0.6	0.00	1.00
	المجموع الكلي	101 %63.1	46 %28.8	13 8.1	39.17	0.00

يظهر من الجدول رقم (16) وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط الجريمة "القتل"، و"السرقه والنشل" و"جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)"، و"المجموع الكلي" ومتغير عمر النزيلة لصالح الفئة العمرية "من 20-29 سنة"، وعدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين باقي أنماط الجرائم ومتغير عمر النزيلة، وتجدر الإشارة إلى أن أعلى نسبة من مرتكبات الجرائم هي للفئة العمرية "من 20-29 سنة" بنسبة مئوية بلغت 63.1%، بينما احتلت الفئة العمرية "40 سنة فما فوق" المرتبة الأخيرة بنسبة مئوية بلغت 8.1%. وقد يفسر هذا بأن النساء في هذه المرحلة العمرية يبلغن ذروة الحيوية والنشاط، وتتوافر لهن الإمكانيات والجرأة للاندفاع للنشاط الإجرامي

أثر الخصائص الاقتصادية والاجتماعية على أنماط الجرائم لدى النزيلات في مركز إصلاح وتأهيل النساء في الجريدة - المملكة الأردنية الهاشمية

لإشباع حاجاتهن ورغباتهن التي تفرضها هذه المرحلة العمرية خاصة في مجال الجرائم الأخلاقية لما يتمتعن به في هذا السن من صفات أنثوية قد لا تتوافر لهن في مراحل عمرية أخرى.

متغير الحالة الاجتماعية للنزيلة:

جدول (17): التكرارات والنسب المئوية وقيمة مربع كاي لأنماط الجرائم تبعاً للحالة الاجتماعية للنزيلة

الرقم	نمط الجريمة	عزباء	متزوجة	مطلقة	أرملة	قيمة مربع كاي	الدلالة الإحصائية
1	القتل	4 %2.5	4 %2.5	8 %5.0	12 %7.5	6.28	0.09
2	الشروع بالقتل	0 %0.0	4 %2.5	1 %0.6	0 %0.0	1.80	0.8
3	السرقه والنشل	6 %3.8	16 %10.0	7 %4.4	0 %0.0	6.27	0.04
4	مخدرات	6 %3.8	7 %4.4	2 %1.3	0 %0.0	2.80	0.24
5	شيكات	3 %1.9	7 %4.4	0 %0.0	0 %0.0	1.60	0.20
6	احتتيال وتزوير	7 %4.4	11 %6.9	0 %0.0	0 %0.0	0.88	0.34
7	تسول أو تشرد	7 %4.4	4 %2.5	4 %2.5	0 %0.0	1.20	0.54
8	شهادة زور	0 %0.0	1 %0.6	2 %1.3	0 %0.0	0.33	0.56
9	جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)	15 %9.4	14 %8.8	6 %3.8	0 %0.0	4.17	0.12
10	جرائم أخرى	0 %0.0	2 %1.3	0 %0.0	0 %0.0	-	-
	المجموع الكلي	48 %30.0	70 %43.8	30 %18.8	12 %7.5	92.38	0.00

يظهر من الجدول رقم (17) وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط الجريمة "السرقه والنشل" و"المجموع الكلي" ومتغير الحالة الاجتماعية للنزيلة لصالح "متزوجة"، وعدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين باقي أنماط الجرائم ومتغير الحالة الاجتماعية للنزيلة، وتجدر الإشارة إلى أن أكثر النزيلات ارتكاباً للجرائم هن من فئة الحالة الاجتماعية "متزوجة" بنسبة مئوية بلغت 43.8%، يليها الحالة الاجتماعية "عزباء" بنسبة مئوية بلغت 30.0%، وأخيراً الحالة الاجتماعية "أرملة" بنسبة مئوية بلغت 7.5%. ويمكن أن تفسر هذه النتيجة بأن إقدام المتزوجات على ارتكاب الجرائم يكون في أغلب الحالات إما بتحريض من الزوج أو بسبب الحاجة الاقتصادية، وقد تكون بدافع الغيرة أو الانتقام من الزوج والمجتمع ومن الذات أيضاً. أما الأرامل فيكن أقل ارتكاباً للجرائم بسبب الرقابة الشديدة التي يخضعن لها من قبل أجهزة الضبط الاجتماعي غير الرسمية. ترى فريدا إدلر أن محاولة المرأة الحصول على الاستقلال الاقتصادي والاجتماعي يدفعها إلى ارتكاب الجرائم، حيث تظهر هذه الحالة عند المتزوجات بشكل أكبر من غيرهن.

متغير وضع الزواجي لوالدي النزيلة:

جدول (18): التكرارات والنسب المئوية وقيمة مربع كاي لأنماط الجرائم تبعاً للوضع الزواجي لوالدي النزيلة

الرقم	نمط الجريمة	وضع الوالدان					قيمة مربع كاي الإحصائية	الدلالة
		مطلقان	متوفيان	أحدهما متوفي	معا حاليا	غير ذلك		
1	القتل	3 1.9%	5 3.1%	5 3.1%	12 7.5%	3 1.9%	9.85	0.04
2	الشروع بالقتل	1 0.6%	0 0.00%	4 2.5%	0 0.0%	0 0.0%	1.50	0.18
3	السرقه والنشل	6 3.8%	3 1.9%	8 5.0%	12 7.5%	0 0.0%	5.89	0.11
4	مخدرات	4 2.5%	0 0.0%	6 3.8%	4 2.5%	1 0.6%	3.40	0.33
5	شيكات	0 0.0%	2 1.3%	5 3.1%	3 1.9%	0 0.0%	1.40	0.49
6	احتيال وتزوير	3 1.9%	1 0.6%	4 2.5%	10 6.3%	0 0.0%	10.00	0.02

أثر الخصائص الاقتصادية والاجتماعية على أنماط الجرائم لدى النزيلات في مركز إصلاح وتأهيل النساء في الجريدة - المملكة الأردنية الهاشمية

الرقم	نمط الجريمة	وضع الوالدان					قيمة مربع كاي الإحصائية	الدلالة
		مطلقان	متوفيان	أحدهما متوفي	معا حالياً	غير ذلك		
7	تسول أو تشرد	2	2	7	4	0	4.46	0.21
	نسبة	%1.3	%1.3	%4.4	%2.5	%0.0		
8	شهادة زور	0	0	1	2	0	0.33	0.56
	نسبة	%0.0	%0.0	%0.6	%1.3	%0.0		
9	جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)	5	8	3	13	6	8.28	0.08
	نسبة	%3.1	%5.0	%1.9	%8.1	%3.8		
10	جرائم أخرى	0	1	0	1	0	0.00	1.00
	نسبة	%0.0	%0.6	%0.0	%0.6	%0.0		
المجموع الكلي		24	22	43	61	10	48.19	0.08
	نسبة	%15.0	%13.8	%26.9	%38.1	%6.3		

يظهر من الجدول رقم (18) وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط الجريمة "القتل" و"احتيايل وتزوير" ومتغير الوضع الزوجي لوالدي النزيله لصالح "معاً حالياً"، وعدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين باقي أنماط الجرائم ومتغير الوضع الزوجي لوالدي النزيله، وتجدر الإشارة إلى أن أكثر النزيلات ارتكاباً للجرائم هن اللواتي يكون الوالدين معا بنسبة 38.1%، بينما احتل الوضع "غير ذلك" المرتبة الأخيرة بنسبة مئوية بلغت 6.3%. وربما يعود السبب في ذلك إلى أنه على الرغم من تواجد الوالدين معا إلا أنه هناك صراعات ومشكلات فيما بينهم تؤثر على الأبناء وخصوصاً الأنتى.

متغير مهنة الوالد:

جدول (19): التكرارات والنسب المئوية وقيمة مربع كاي لأنماط الجرائم تبعاً لمهنة والد النزيله.

الرقم	نمط الجريمة	مهنة الوالد					قيمة مربع كاي الإحصائية	الدلالة
		موظف	عمل صاحب حرفة	بلا عمل	متقاعد	كاي		
1	القتل	2	15	3	5	20.57	0.00	
	نسبة	%1.3	%9.4	%1.9	%3.1			
2	الشروع بالقتل	0	3	0	1	1.60	0.44	
	نسبة	%0.0	1.9%	%0.0	0.6%			

الرقم	نمط الجريمة	موظف	عمل حر	صاحب حرفة	مهنة الوالد	قيمة مربع كاي	الدلالة الإحصائية
					بلا عمل	متقاعد	
3	السرقه والنشل	5	18	4	2	0	0.00
	نسبة	3.1%	11.3%	2.5%	1.3%	0.0%	21.89
4	مخدرات	5	6	1	3	0	0.26
	نسبة	3.1%	3.8%	0.6%	1.9%	0.0%	3.93
5	شيكات	3	3	0	1	3	0.75
	نسبة	1.9%	1.9%	0.0%	0.6%	1.9%	1.20
6	احتيال وتزوير	1	8	3	2	4	0.08
	نسبة	0.6%	5.0%	1.9%	1.3%	2.5%	8.11
7	تسول أو تشرد	1	5	0	6	3	0.26
	نسبة	0.6%	3.1%	0.0%	3.8%	1.9%	3.93
8	شهادة زور	0	1	0	0	2	0.56
	نسبة	0.0%	0.6%	0.0%	0.0%	1.3%	0.33
9	جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)	6	19	3	3	4	0.00
	نسبة	3.8%	11.9%	1.9%	1.9%	2.5%	26.57
10	جرائم أخرى	0	0	1	1	0	1.00
	نسبة	0.0%	0.0%	0.6%	0.6%	0.0%	0.00
	المجموع الكلي	23	78	15	22	22	0.04
	نسبة	14.4%	48.8%	9.4%	13.8%	13.8%	51.50

يظهر من الجدول رقم (19) وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط الجريمة "القتل" و"السرقه والنشل" و"جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)" و"المجموع الكلي" ومتغير مهنة والد النزيلة لصالح "عمل حر"، وعدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين باقي أنماط الجرائم ومتغير مهنة والد النزيلة، وتجدر الإشارة إلى أن أعلى نسبة للنزيلات مرتكبات الجرائم هن اللواتي يعمل والدهن بأعمال حرة بنسبة مئوية بلغت 48.8%، بينما أدنى تكرار كان لمهنة الوالد "صاحب حرفة" بنسبة مئوية بلغت 9.4%.

متغير مهنة والدة النزيلة:

جدول (20): التكرارات والنسب المئوية وقيمة مربع كاي لأنماط الجرائم تبعاً لمهنة والدة النزيلة

الرقم	نمط الجريمة	موظفة	عمل	مهنة الوالدة		قيمة مربع كاي	الدلالة الإحصائية
				صاحبة	بلا عمل ربة بيت		
			حر	حرفة			
1	القتل	تكرار نسبة	0 %0.0	2 %1.3	0 %0.0	1 %0.6	25 %15.6
2	الشروع بالقتل	تكرار نسبة	0 %0.0	0 %0.0	0 %0.0	1 %0.6	4 %2.5
3	السرقه والنشل	تكرار نسبة	0 %0.0	6 %3.8	3 %1.9	8 %5.0	12 %7.5
4	مخدرات	تكرار نسبة	3 %1.9	0 %0.0	0 %0.0	3 %1.9	9 %5.6
5	شيكات	تكرار نسبة	0 %0.0	0 %0.0	2 %1.3	1 %0.6	7 %4.4
6	احتيال وتزوير	تكرار نسبة	0 %0.0	0 %0.0	0 %0.0	4 %2.5	14 8.8%
7	تسول أو تشرد	تكرار نسبة	0 %0.0	2 %1.3	0 %0.0	3 %1.9	10 %6.3
8	شهادة زور	تكرار نسبة	0 %0.0	0 %0.0	1 %0.6	1 %0.6	1 %0.6
9	جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)	تكرار نسبة	1 %0.6	2 %1.3	0 %0.0	4 %2.5	28 %17.5
10	جرائم أخرى	تكرار نسبة	0 %0.0	0 %0.0	0 %0.0	0 %0.0	2 %1.3
	المجموع الكلي	تكرار نسبة	4 %2.5	12 %7.5	6 %3.8	26 %16.3	112 %70.0

يظهر من الجدول رقم (20) وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط الجريمة "القتل" و"شيكات" و"احتيال وتزوير" و"تسول وتشرد" و"جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)" و"المجموع الكلي" ومتغير مهنة والدة النزيلة لصالح "ربة بيت"، وعدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين باقي أنماط الجرائم ومتغير مهنة والدة النزيلة، وتجدر الإشارة إلى أن أعلى نسبة للنزليات

الشناق

مرتكبات الجرائم هن اللواتي لا تعمل والدتهن أي أنها ربة بيت بنسبة مئوية بلغت 70.0%، بينما أدنى نسبة للواتي تعمل والدتهن "موظفة" بنسبة مئوية 2.5%.

– عدد أفراد الأسرة:

جدول (21): التكرارات والنسب المئوية وقيمة مربع كاي لأنماط الجرائم تبعاً لعدد أفراد أسرة النزيلة

الرقم	نمط الجريمة	عدد الأفراد	قيمة مربع كاي	الدلالة الإحصائية
		5-1	11-6	17-12
1	القتل	تكرار نسبة 7 4.4% 18 11.3%	3 1.9%	12.90 0.002
2	الشروع بالقتل	تكرار نسبة 0 0.0% 3 1.9%	2 1.3%	0.20 0.65
3	السرقه والنشل	تكرار نسبة 14 8.8% 14 8.8%	1 0.6%	11.65 0.003
4	مخدرات	تكرار نسبة 2 1.3% 12 7.5%	1 0.6%	41.80 0.001
5	شيكات	تكرار نسبة 6 3.8% 4 2.5%	0 0.0%	0.40 0.52
6	احتيال وتزوير	تكرار نسبة 6 3.8% 8 5.0%	4 2.5%	1.33 0.15
7	تسول أو تشرد	تكرار نسبة 4 2.5% 5 3.1%	6 3.8%	0.40 0.81
8	شهادة زور	تكرار نسبة 1 0.6% 2 1.3%	0 0.0%	0.33 0.56
9	جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)	تكرار نسبة 6 3.8% 26 16.3%	3 1.9%	26.80 0.00
10	جرائم أخرى	تكرار نسبة 1 0.6% 1 0.6%	0 0.0%	0.00 1.00
	المجموع الكلي	تكرار نسبة 47 29.4% 93 58.1%	20 12.5%	36.32 0.006

يظهر من الجدول رقم (21) وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط الجريمة "القتل" و"المخدرات" و"جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)"، ومتغير عدد أفراد أسرة النزيله لصالح "6-11"، ووجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط الجريمة "السرقه والنشل" ومتغير عدد أفراد أسرة النزيله لصالح "1-5" و"6-11"، وعدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين باقي أنماط الجرائم ومتغير عدد أفراد أسرة النزيله، وتجدر الإشارة إلى أن أعلى نسبة مئوية كانت 58.1% لعدد أفراد الأسرة "6-11 فرد"، بينما أدنى نسبة مئوية كانت لعدد أفراد الأسرة "12-17 فرد" وبلغت 12.5%.

- متغير كيف تقيم علاقتك مع أسرتك:

جدول (22): التكرارات والنسب المئوية وقيمة مربع كاي لأنماط الجرائم تبعاً لنوع العلاقة مع أسرة النزيله

الرقم	نمط الجريمة	نوع العلاقة	قيمة مربع كاي	الدلالة الإحصائية
		وفاق	خلاف	
1	القتل	تكرار نسبة	14 %8.8	0.00
2	الشروع بالقتل	تكرار نسبة	4 %2.5	0.18
3	السرقه والنشل	تكرار نسبة	21 %13.1	0.02
4	مخدرات	تكرار نسبة	14 %8.8	0.01
5	شيكات	تكرار نسبة	5 %3.1	0.00
6	احتيال وتزوير	تكرار نسبة	11 %6.9	0.34
7	تسول أو تشرد	تكرار نسبة	13 %8.1	0.01
8	شهادة زور	تكرار نسبة	3 %1.9	-
9	جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)	تكرار نسبة	30 %18.8	0.00

الرقم	نمط الجريمة	نوع العلاقة	قيمة مربع كاي	الدلالة الإحصائية
		وفاق	خلاف	
10	جرائم أخرى	1 %0.6	1 %0.6	1.00
	المجموع الكلي	44 %27.5	116 %72.5	0.02

يظهر من الجدول رقم (22) وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط الجريمة "السرقه والنشل" و"مخدرات" و"تسول وتشرد" و"جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)" و"المجموع الكلي" ومتغير نوع العلاقة مع أسرة النزيلة لصالح "خلاف"، وعدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين باقي أنماط الجرائم ومتغير نوع العلاقة مع أسرة النزيلة، وتجدر الإشارة إلى أن أكثر النزيلات ارتكاباً للجرائم هن اللواتي كن على خلاف مع أسرهن بنسبة مئوية بلغت 72.5%.

– متغير سبب الخلاف إن كان موجوداً في العلاقة الأسرية:

جدول (23): التكرارات والنسب المئوية وقيمة مربع كاي لأنماط الجرائم تبعاً لسبب الخلاف في العلاقة الأسرية للنزيلة

سبب الخلاف في العلاقة الأسرية						
الرقم	نمط الجريمة	قسوة التعامل بين أفراد الأسرة	مشكلات مادية تعاني منها الأسرة	زواج الوالد/الوالدة السابق أو الزواج الثاني الحالي	جميع ما ذكر	قيمة مربع كاي
						الدلالة الإحصائية
1	القتل	6 %5.2	4 %3.4	2 %1.7	2 %1.7	3.14
2	الشروع بالقتل	2 %1.7	1 %0.9	0 %0.0	1 %0.9	0.77
3	السرقه والنشل	7 %6.0	11 %9.5	2 %1.7	1 %0.9	21.33
4	مخدرات	9 %7.8	0 %0.0	1 %0.9	4 %3.4	7.00
5	شيكات	1	2	0	2	0.40

سبب الخلاف في العلاقة الأسرية						
الرقم	نمط الجريمة	قسوة التعامل بين أفراد الأسرة	مشكلات مادية تعاني منها الأسرة	زواج الوالد/الوالدة السابق أو الزواج الثاني الحالي	جميع ما ذكر	قيمة الدلالة الإحصائية
		نسبة	%0.9	%1.7	%0.0	%1.7
6	احتتيال وتزوير	تكرار نسبة	6 %5.2	0 %0.0	1 %0.9	4 %3.4
7	تسول أو تشرد	تكرار نسبة	6 %5.2	3 %2.6	0 %0.0	4 %3.4
8	شهادة زور	تكرار نسبة	2 %1.7	0 %0.0	0 %0.0	1 %0.9
9	جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)	تكرار نسبة	17 %14.7	6 %5.2	0 %0.0	7 %6.0
10	جرائم أخرى	تكرار نسبة	0 %0.0	1 %0.9	0 %0.0	0 %0.0
	المجموع الكلي	تكرار نسبة	56 %48.3	28 %24.1	6 %5.2	26 %22.4
						0.19 33.17

يظهر من الجدول رقم (23) وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط الجريمة "السرقه والنشل" ومتغير سبب الخلاف في العلاقة الأسرية للنزيلة لصالح "المشكلات المادية"، وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط الجريمة "مخدرات" و"جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)" ومتغير سبب الخلاف في العلاقة الأسرية للنزيلة لصالح "قسوة التعامل بين أفراد الأسرة"، وعدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين باقي أنماط الجرائم ومتغير سبب الخلاف في العلاقة الأسرية للنزيلة، وتجدر الإشارة إلى أن أعلى نسبة للنزيلات المرتكبات للجرائم يكون سبب الخلاف مع أسرهن هو "قسوة التعامل بين أفراد الأسرة" بنسبة مئوية بلغت 48.3%، بينما أدنى نسبة بسبب "زواج الوالد/الوالدة السابق أو الزواج الثاني الحالي" بنسبة مئوية بلغت 5.2%.

وتختلف هذه النتيجة مع نتيجة دراسة (بوخميس وبركو، 2006) والتي بينت أن التغير الاجتماعي الذي أدى إلى تفكك الأسرة بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية يدفع النساء إلى ارتكاب الجرائم.

ثانياً: المتغيرات الاقتصادية:

- متغير عمل النزيلة السابق:

جدول (24): التكرارات والنسب المئوية وقيمة مربع كاي لأنماط الجرائم تبعاً لعمل النزيلة

الرقم	نمط الجريمة	موظفة	عمل حر	عمل النزيلة			قيمة	الدلالة
				صاحبة	بلا عمل	ربة بيت		
				حرفة			مربع كاي الإحصائية	
1	القتل	تكرار نسبة	4 %2.5	1 %0.6	5 %3.1	8 %5.1	10 %6.3	0.05 11.00
2	الشروع بالقتل	تكرار نسبة	0 %0.0	0 %0.0	1 %0.6	1 %0.6	3 %1.9	0.44 1.60
3	السرقه والنشل	تكرار نسبة	4 %2.5	10 %6.3	1 %0.6	12 %7.5	2 %1.3	0.002 16.69
4	مخدرات	تكرار نسبة	0 %0.0	6 %3.8	1 %6.	7 %4.4	1 %0.6	0.19 6.00
5	شيكات	تكرار نسبة	7 %4.4	2 %1.3	0 %0.0	1 %0.6	0 %0.0	0.04 6.20
6	احتيال وتزوير	تكرار نسبة	10 %6.3	4 %2.5	2 %1.3	2 %1.3	0 %0.0	0.02 9.55
7	تسول أو تشرد	تكرار نسبة	0 %0.0	6 %3.8	1 %0.6	6 %3.8	2 %1.3	0.13 5.53
8	شهادة زور	تكرار نسبة	0 %0.0	0 %0.0	2 %1.3	1 %0.6	0 %0.0	0.56 0.33
9	جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)	تكرار نسبة	7 %4.4	7 %4.4	2 %1.3	14 %8.7	5 %3.1	0.01 15.91
10	جرائم أخرى	تكرار نسبة	1 %0.6	0 %0.0	0 %0.0	0 %0.0	1 %0.6	1.00 0.00
	المجموع الكلي	تكرار نسبة	33 %20.6	36 %22.5	15	52 %32.5	24 %15.0	0.00 192.39

يظهر من الجدول رقم (24) وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط الجريمة "القتل" ومتغير عمل النزيلات لصالح "ربة بيت"، وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط الجريمة "السرقه والنشل" و"جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)" و"المجموع الكلي" ومتغير عمل النزيلات لصالح "بلا عمل"، وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط الجريمة "شيكات" و"احتيايل وتزوير" ومتغير عمل النزيلات لصالح "موظفة"، وعدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين باقي أنماط الجرائم ومتغير عمل النزيلات، وتجدر الإشارة إلى أن أكثر النزيلات ارتكاباً للجرائم هن من اللواتي لا يعملن وبنسبة مئوية بلغت 32.5%، وكان أقلها لفئة صاحبة حرفة بنسبة مئوية بلغت 9.4%. وقد تفسر هذه النتيجة بأن الحاجة المادية وسوء الأوضاع الاقتصادية تدفع بالفتيات إلى الجنوح نحو السلوك الجرمي إشباعاً لحاجاتهن الاقتصادية. وتتفق نتيجة هذه الدراسة مع نتيجة دراسة تشوكازي (Chukuezi, 2006) والتي أوضحت أن النساء يرتكبن الجرائم بسبب حاجتهن للمال لإعالة أسرهن وخاصة إن كن عاطلات عن العمل.

متغير مكان إقامة النزيلات:

جدول (25): التكرارات والنسب المئوية وقيمة مربع كاي لأنماط الجرائم تبعاً لمكان إقامة النزيلات

الرقم	نمط الجريمة	مكان الإقامة			قيمة مربع كاي	الدلالة الإحصائية
		مدينة	ريف	بادية		
1	القتل	23 %14.4	5 %3.1	0 %0.0	11.57	0.001
2	الشروع بالقتل	3 %1.9	2 %1.3	0 %0.0	0.20	0.65
3	السرقه والنشل	25 %15.6	4 %2.5	0 %0.0	15.20	0.00
4	مخددرات	10 %6.3	1 %0.6	4 %2.5	8.40	0.01
5	شيكات	8 %5.0	2 %1.3	0 %0.0	3.60	0.06
6	احتيايل وتزوير	16 %10.0	2 %1.3	0 %0.0	10.88	0.01
7	تسول أو تشرد	9 %5.6	6 %3.8	0 %0.0	0.60	0.43
8	شهادة زور	2 %	1 %	0 %	0.33	0.56

الرقم	نمط الجريمة	مكان الإقامة			قيمة مربع كاي	الدلالة الإحصائية
		مدينة	ريف	بادية		
		نسبة	%1.3	%0.6	%0.0	
9	جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)	تكرار نسبة	27 %16.9	7 %4.4	1 %0.6	0.00 31.77
10	جرائم أخرى	تكرار نسبة	2 %1.3	0 %0.0	0 %0.0	- -
	المجموع الكلي	تكرار نسبة	125 %78.1	30 %18.8	5 %3.1	0.002 39.579

يظهر من الجدول رقم (25) وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط الجريمة "القتل" و"السرقه والنشل" و"مخدرات" و"احتيايل وتزوير" و"جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)" و"المجموع الكلي" ومتغير مكان إقامة النزيلة لصالح "مدينة"، وعدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين باقي أنماط الجرائم ومتغير مكان إقامة النزيلة، وتجدر الإشارة إلى أن أكثر النزيلات المرتكبات للجرائم هن من القاطنات في "المدينة" بنسبة مئوية بلغت 78%، وأقلها للقاطنات في "البادية" بنسبة مئوية بلغت 3%. وتبدو هذه النتيجة مبررة، فطبيعة حياة المدينة ومتطلبات المعيشة فيها تفرض على الفتاة تلبية العديد من الحاجات النفسية والاقتصادية والاجتماعية، وفي حالة فقدانها مثل انعدام الأمان وسوء العلاقات الأسرية وتردي وضع الفتاة الاقتصادي المادي قد يدفعها إلى السلوك الجانح.

متغير ملكية السكن النزيلة:

جدول (26): التكرارات والنسب المئوية وقيمة مربع كاي لأنماط الجرائم تبعاً لمتغير ملكية السكن

الرقم	نمط الجريمة	ملكية السكن		قيمة مربع كاي	الدلالة الإحصائية
		ملك	مستأجر		
1	القتل	تكرار نسبة	21 %13.1	7 %4.4	0.01 7.00
2	الشروع بالقتل	تكرار نسبة	4 %2.5	1 %0.6	0.18 1.80
3	السرقه والنشل	تكرار نسبة	10 %6.3	19 %11.9	0.09 2.79
4	مخدرات	تكرار نسبة	8 %5.0	7 %4.4	0.79 0.06
5	شيكات	تكرار	8	2	0.06 3.60

أثر الخصائص الاقتصادية والاجتماعية على أنماط الجرائم لدى النزيلات في مركز إصلاح وتأهيل النساء في الجريدة - المملكة الأردنية الهاشمية

الرقم	نمط الجريمة	ملكية السكن		قيمة مربع كاي	الدلالة الإحصائية
		نسبة	ملك	مستأجر	
		%5.0	%1.3		
6	احتيال وتزوير	تكرار نسبة	7 %4.4	11 %6.9	0.88 0.34
7	تسول أو تشرد	تكرار نسبة	5 %3.1	10 %6.3	1.66 0.19
8	شهادة زور	تكرار نسبة	2 %1.3	1 %0.6	0.33 0.56
9	جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)	تكرار نسبة	23 %14.4	12 %7.5	3.45 0.06
10	جرائم أخرى	تكرار نسبة	1 %0.6	1 %0.6	0.00 1.00
	المجموع الكلي	تكرار نسبة	89 %55.6	71 %44.4	19.83 0.01

يظهر من الجدول رقم (26) وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط الجريمة "القتل" و"المجموع الكلي" ومتغير ملكية السكن للنزيلة لصالح "ملك"، وعدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين باقي أنماط الجرائم ومتغير ملكية السكن للنزيلة، وتجدر الإشارة إلى أن أكثر النزيلات المرتكبات للجرائم هن من القاطنات في مساكن ملك بنسبة مئوية بلغت 55.6%، بينما النزيلات المرتكبات للجرائم والقاطنات في مساكن مستأجرة مثلت النسبة الأقل حيث بلغت 44.4%.

متغير الدخل الشهري للأسرة النزيلة:

جدول (27): التكرارات والنسب المئوية وقيمة مربع كاي لأنماط الجرائم تبعاً للدخل الشهري للأسرة

الرقم	نمط الجريمة	الدخل الشهري للأسرة			قيمة مربع كاي	الدلالة الإحصائية
		أقل من 100 دينار	100-200 دينار	200 دينار فما فوق		
1	القتل	2 %1.3	10 %6.3	16 %10.0	10.57	0.01
2	الشروع بالقتل	1	0	4	1.80	0.18

الرقم	نمط الجريمة	الدخل الشهري للأسرة			قيمة مربع كاي	الدلالة الإحصائية	
		أقل من 100 دينار	200-100 دينار	200 دينار فما فوق			
		%0.6	%0.0	%2.5			
3	السرقه والنشل	تكرار نسبة	5 %3.1	14 %8.8	10 %6.3	4.20	0.12
4	مخدرات	تكرار نسبة	2 %1.3	4 %2.5	9 %5.6	5.20	0.07
5	شيكات	تكرار نسبة	2 %1.3	3 %1.9	5 %3.1	1.40	0.49
6	احتيال وتزوير	تكرار نسبة	4 %2.5	4 %2.5	10 %6.3	4.00	0.13
7	تسول أو تشرد	تكرار نسبة	2 %1.3	9 %5.6	4 %2.5	5.20	0.07
8	شهادة زور	تكرار نسبة	0 %0.0	0 %0.0	3 %1.9	-	-
9	جرائم أخلاقية (زنا ودعارة)	تكرار نسبة	9 %5.6	9 %5.6	17 %10.6	3.65	0.06
10	جرائم أخرى	تكرار نسبة	0 %0.0	2 %1.3	0 %0.0	-	-
	المجموع الكلي	تكرار نسبة	27 %16.9	55 %34.4	78 %48.8	23.54	0.17

يظهر من الجدول رقم (27) وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نمط الجريمة "القتل" ومتغير الدخل الشهري لأسرة النزيلة لصالح "200 دينار فما فوق"، وعدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين باقي أنماط الجرائم ومتغير الدخل الشهري لأسرة النزيلة، وتجدر الإشارة إلى أن أكثر النزيلات ارتكاباً للجرائم هن اللواتي كان دخل أسرهن "200 دينار فما فوق" بنسبة مئوية بلغت 48.8%، بينما أدنى تكراراً كان للدخل "أقل من 100 دينار" بنسبة مئوية بلغت 16.9%. وقد تبدو هذه النتيجة مبررة إذ أن الدراسة الحالية اعتمدت على دخل الأسرة أو دخل رب الأسرة والذي قد لا يكفي لتلبية متطلبات الأسرة مما يدفع أفرادها وخاصة الإناث إلى السلوك المنحرف إشباعاً لرغبات لا توفرها الأسرة.

التوصيات:

في ضوء النتائج السابقة توصي الباحثة بما يلي:

- 1- التأكيد على أهمية دور الأسرة في الإرشاد والتوجيه والرقابة على سلوك الإناث، والمسؤولية يجب أن تتوزع هنا بين الأم والأب من خلال الحوار الدائم والتعرف على احتياجات الفتاة ورغباتها.
- 2- دعوة وسائل الإعلام إلى إنتاج برامج إرشادية وتثقيفية حول ظاهرة الجريمة النسوية، وتوعية النساء بمخاطر الجريمة ومضارها على الفتاة وعلى أسرتها وعلى المجتمع ككل.
- 3- تنظيم حملات لمحو أمية المرأة، والتوسع في برامج التأهيل المهني لها، سواء أكان ذلك على مستوى مراكز الإصلاح والتأهيل، أو من خلال المؤسسات المجتمع المدني المختلفة.
- 4- دعوة الجهات الأمنية الأردنية إلى التوسع في برامج تثقيف النزيلات وتأهيلهن مهنيًا، وتوجيههن لصناديق المرأة التي يمكن أن تقدم لهن قروضاً لمشاريع صغيرة تحت إشراف أمني مباشر.
- 5- تشجيع الباحثين والدارسين على إجراء مزيد من الدراسات الاجتماعية والنفسية والقانونية والأمنية حول جرائم المرأة.

The Impact of Economic and Social Characteristics on the Patterns of Crimes among the Inmates at the Women Repair and Rehabilitation Center in Juwaida - Hashemite Kingdom of Jordan

Nazek Al-Shannaq, *Department of Human Sciences, Jordan University of Science and Technology.*

Abstract

The objective of this research is to determine the impact of economic and social characteristics on the patterns of crimes among the inmates at the women repair and rehabilitation center in Juwaida - Hashemite Kingdom of Jordan; the study sample consisted of (160) inmates at the women repair and rehabilitation center in Juwaida. the researcher had conducted meetings with the inmates, used (SPSS) to ask the inmates a range of questions to extract the results and to analyze them. The results of the study found that most crimes being committed are the moral crimes (adultery and prostitution). The results showed a statistically significant relation between the pattern of crime "murder" and the moral crimes (adultery and prostitution) and the variable of the educational level of the inmate for the benefit of "secondary", a statistically significant relation between the pattern of crime "murder", "theft and pickpocketing", and moral crimes (adultery and prostitution) and the variable of the age of the inmate for the benefit of the age group of "20-29 years", and a statistically significant relation between the pattern of crime "theft and pickpocketing" and the variable of the social status of the inmate for the benefit of "married" and the variable of the number of the family members of the inmate in favor of "1-5" and "6-11", and the variable of the cause of the disagreement in the family relationship of the inmate in favor of "financial problems". Furthermore, the study revealed a statistically significant relation between the pattern of crime "murder", "checks", "fraud and forgery", "begging and homelessness" and "moral crimes (adultery and prostitution)" and the variable of the profession of the inmate's mother in favor of "housewife", a statistically significant relation between the pattern of crime "theft and pickpocketing", "drugs", "begging and homelessness" and "moral crimes (adultery and prostitution)" and the variable of the type of relationship with the family of the inmate in favor of "disagreement", and a statistically significant relation between the pattern of crime, "drugs" and "moral crimes (adultery and prostitution) and the variable of the cause of disagreement in the family relationship of the inmate for the benefit of "rough treatment between the members of the family". With regard to the economic variables, the study showed a statistically significant relation between the pattern of crime "murder" and the variable of the inmate's profession in favor of "housewife", and the variable of monthly income of the inmate's family in favor of "200

dinars or over", and a statistically significant relation between the pattern of crime "murder", "theft and pickpocketing", "drugs", "fraud and forgery" and "moral crimes (adultery and prostitution)" and the variable of the inmate's place of residence in favor of "city".

قدم البحث للنشر في 2009/12/17 وقبل في 2010/4/19

قائمة المراجع:

المراجع العربية:

بوخميس، بوفولة وبركو، معزوز. (2006). العوامل الدافعة إلى ارتكاب الفعل الإجرامي لدى المرأة في المجتمع الجزائري. ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر الأسرة الجزائرية بين الواقع والطموح. جامعة عنابة من 15-19 آذار، 2006، الجزائر.

جعفر، عبد الإله. (2003). تكلفة الجريمة وأثرها على التنمية في الأردن. المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، 15(30): 275-315.

حسين، قاسم. (2008). الجريمة والمرأة: من منظورات ايدولوجية وجندرية. مجلة الجمعية النفسية العراقية، 3(6): 20-78.

الساعاتي، سامية. (1983). الجريمة والمجتمع: بحوث في علم الاجتماع. بيروت: دار النهضة العربية.

السودي، عبد المهدي. (1995). تطور جرائم السرقة في الأردن 1990-1995: دراسة اجتماعية تحليلية. المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، 11(22)، 60-86.

الشاذلي، فتوح. (2002). علم الإجرام العام. الإسكندرية: دار المطبوعات الجامعية.

عبد الستار، فوزية. (2007). مبادئ علم الإجرام وعلم العقاب. الإسكندرية: دار المطبوعات الجامعية.

غانم، عبد الله. (1991). المرأة وتجارة المخدرات. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

الفرحان، اسحق. (2001). انعكاسات العولمة السياسية والثقافية على الوطن العربي. عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط.

- المجدوب، أحمد. (1990). *المرأة والجريمة*. القاهرة: دار النهضة العربية للنشر والتوزيع.
- الهاشمي، مجد. (2005). *موسوعة جرائم النساء*. عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع.
- هنداوي، نور الدين. (1990). *مبادئ علم العقاب*. القاهرة: دار النهضة العربية.
- الوريكات، عايد. (2004). *نظريات علم الجريمة*. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

المراجع الأجنبية:

- Buonanno, P. (2005). *The Socioeconomic Determinants of Crime. A Review of the Literature*. Department of Economics, University of Milan-Bicocca. Italy.
- Choi, Y. (2006). Studies on the Status and Characteristics by Type of Female Crimes in Korea. *International Journal of Comparative and Applied Criminal Justice*, 20(1): 177-192.
- Chukuezi, C. (2006). *Female Criminality in Nigeria: A Historic Review*. Nigeria: Department of General Studies, Federal University of Technology.
- Heidensohn, F. (2007). *Women and Crime*. Basingstoke: Macmillan Press.
- Lewis, D. (2001). Female ex-offenders and community programs. *Crime and Delinquency*, 2(1), Pp45-88.
- Taira, J., Green, M and Richmond, B. (2007). Crimes Committed by Females, 1983-2005. *Crime Trend services*, 2 (3): 23-66.

الملاحق

الملحق (أ): قائمة المحكمين

الاسم	الرتبة	القسم	الجامعة
أ.د عبد العزيز الخزاعلة	أستاذ	علم الاجتماع	اليرموك
د. محمد الحوراني	أستاذ مساعد	علم الاجتماع	اليرموك
أ.د عبد الخالق ختاتنة	أستاذ	علم الاجتماع	اليرموك
د. منير كرادشة	أستاذ مشارك	علم الاجتماع	اليرموك
د. عبد الكريم جرادات	أستاذ مساعد	علم النفس	اليرموك
د. نصر العلي	أستاذ مشارك	علم النفس	اليرموك
د. نصر مقابلة	أستاذ مشارك	علم النفس	اليرموك

أثر الخصائص الاقتصادية والاجتماعية على أنماط الجرائم لدى النزيلات في مركز إصلاح وتأهيل النساء في الجريدة – المملكة الأردنية الهاشمية

د. عبد الناصر الجراح	أستاذ مساعد	علم النفس	اليرموك
----------------------	-------------	-----------	---------

الملحق (ب): الاستبانة بصورتها النهائية

الأخت المحترمة /

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد...

تقوم الباحثة بإجراء دراسة بعنوان أثر الخصائص الاقتصادية والاجتماعية على أنماط الجرائم لدى النزيلات في مركز إصلاح وتأهيل النساء. وذلك كمتطلب للحصول على درجة دكتوراه من جامعة مؤتة.

أرجو التكرم بالإجابة على جميع فقرات الاستبانة المرفقة بوضع إشارة (X) أمام كل عبارة من العبارات الواردة فيها تحت ما يناسبها من البدائل الموضوعة, علماً بأن هذه المعلومات ستعامل بسرية ولأغراض البحث العلمي.

وتقبلوا فائق الاحترام

شاكراً لكم حسن تعاونكم

يرجى وضع إشارة (x) أمام العبارة التي تناسبك

(1) نمط الجريمة المرتكبة:.....

(2) المستوى التعليمي:

1. () لا تقرأ ولا تكتب 2. () أساسي 3. () ثانوي 4. () دبلوم متوسط

5. () جامعية 6. () دراسات عليا

(3) العمر:.....

(4) الحالة الاجتماعية:

1. () عزباء 2. () متزوجة 3. () مطلقة 4. () أرملة

(5) الوالدان:

1. () مطلقان 2. () متوفيان 3. () احدهما متوفي 4. () معا حالياً 5. () غير ذلك

الشناق

- (6) مهنة الوالد:.....
- (7) مهنة الوالدة:.....
- (8) عدد أفراد الأسرة:.....
- (9) كيف تقيم علاقتك مع أسرتك:
 1. () وفاق 2. () خلاف
- (10) ما سبب الخلاف إن كان موجودا في العلاقة الأسرية:
 1. () قسوة التعامل بين أفراد الأسرة.
 2. () مشكلات مادية تعاني منها الأسرة.
 3. () زواج الوالد /الوالدة السابق أو الزواج الثاني الحالي.
 4. () جميع ما ذكر
- (11) العمل:.....
- (12) مكان الإقامة:
 1. () مدينة 2. () ريف 3. () بادية
- (13) ملكية المسكن:
 1. () ملك 2. () مستأجر
- (14) الدخل الشهري للأسرة:.....

السرد في ديوان "أثر الفراشة" للشاعر محمود درويش

دراسة في ضوء النقد الروائي

نزار قبيلات *

ملخص

تعتمد هذه الدراسة على النقد الروائي بمشكلاته وأدواته؛ وذلك لتحليل نصوص شعرية من ديوان "أثر الفراشة" للشاعر الفلسطيني محمود درويش وفق تجريب نقدي مغاير مستمد من كفاءة اشتغال المخيلة الشعرية لمحمود درويش معتمدة على جماليات بلاغة السرد، إذ تلتفت الدراسة إلى أثر عكسي؛ حيث يُرى السابق (الشعر) بعين اللاحق (النقد الروائي)، فيكشف عن نوايا النص وكتابه تبعاً لأدوات النقد الروائي التي لم يركن إليها البناء الشعري قبلاً، فقد تعامل النقد الحديث ودرس قضية تعدد الأجناس الأدبية، وقليلاً ما التفت إلى مسألة التناص النقدي وخصوصية التعاطي معها، فهنا يتناص بناء النص الشعري مع أدوات النص النقدي الروائي ضمن ما يعرف بالتناص النقدي، ويرى الباحث أن هذه المغايرة والتراسلية بين الكيانين: النقدي الروائي والبنائي الشعري عند درويش كشفت مستويات من التأويل والقصدية في شعره كان درويش قد ارتكن إليها منذ منتصف الثمانينيات من القرن الماضي.

سار الشعر العربي في محاولات تجديدية قادته نحو التخفف من قيود الشعر والتخلص من وحدة البيت والقافية المقيدتين، وذلك خضوعاً للهب تحولاتٍ سمحت للشعراء العرب المحدثين الاحتذاء بالشعر الغربي من حيث شكل البناء الفني للقصيدة، إذ تخلص الشعر العربي المعاصر من القيود والمحددات التي تتوشحه إيقاعاً؛ بحثاً عن فضاءات شعرية جديدة، تتجاوز في مضمونها ومدلولاتها إطار الصورة الفنية المألوفة وعمودية الشعر السائدة. فجل هذه التحولات والتبدلات لا شك تصدر عن مسبب إنساني محيط جعل التجديد والتغيير في الأدب حاجةً عصرية، وذلك ليواكب الفن -وهو امتداد للواقع- تسارعات الواقع الملتف حول عنق الأديب والذي غدت تبدلاته مؤرقة وعصية على الإدراك.

ومن هنا نرى أن كل الفنون الأدبية بنمطها (الشعري والنثري) أخذت تبحر في فضاءها الفني المتخيل باحثة عن مقصدية ما تلعب دوراً في توجيه الخطاب الإنساني، ومحاولة به إدراك تيه

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2013.

* مركز اللغات، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

العصر ومفارقاته التي أملت بإنسانه العربي على وجه الخصوص، ومن باب براءة المقصدية نرى أن قضية استقلال الأجناس الأدبية غدت غير مؤرقة ما دامت الفنون الأدبية بشكل عام تؤدي رسالتها بنجاح مستعينةً بتمظهرات وبنيات فنية مختلفة، "فالحدود بين الألوان الفنية تعتبر بنية متغيرة وغير ثابتة تاريخياً"⁽¹⁾.

وهنا فإن الخطاب الشعري العربي الباحث عن التجديد قد أسرف في التحديث قبلاً، إذ فرض الخطاب العربي المتجدد بمضامينه العصرية أبنيةً حدائيةً مُغايرة، تلبّي الطموح وتقف في وجه المستجدات، فظهر الشعر الحر وظهرت قصيدة النثر والقصيدة الدرامية وغيرها، "ما يعني ظهور نواقص في الشكل الشعري الموروث عربياً، بل وبدأنا نسمع أن الوزن القديم فيه ما فيه من تكراراتٍ ورتابةٍ وقيود"⁽²⁾. إذاً ثمة رغبة جامحة في الانعطاف عن المسار المعهود في البنية الشعرية "سببها أن البناء الشعري التقليدي لم يعد يتناسب مع المضامين والقضايا العربية التي تأبى هذا التصنع"⁽³⁾، فالمجتمع العربي اليوم مختلف تماماً عن طبيعته الأولى ذات الطابع البدوي الصحراوي المغلق، فالיום ثمة انفتاح وأثر بائن للثقافات الأخرى الأجنبية*، وثمة حاجات صاغت ضرورة الزمان والمكان واليوم "يرى النقاد والدارسون وهم يتأملون فني الشعر والنثر، يرون ملامح مشتركة في كل منهما، فهما يتوسلان بالكتابة، فالنثر مكتوباً مثل الشعر مكتوباً في حاجة إلى قدرٍ من الشعرية (poetics) أو الجمالية مهما تكن الوظيفة الإبلاغية حاضرة في النص المكتوب"⁽⁴⁾ والشعر الحديث المدمج بأجناس أدبية أخرى نصٌ مكتوب أيضاً، متساوٍ بذلك مع البناء الشعري الكلاسيكي أو الشعر الحر (شعر التفعيلة) أو غيره كقصيدة النثر التي لا تعتمد القافية والوزن الشعري كشرط مهم لقيامها.

فالشاعر يولي أهمية للكلمة في النص الأدبي ولطاقاتها الإبداعية، "ولمؤداها الوظيفي في النسق ومن تحكمها في صياغة عناصر القصيدة والعلاقات التي تقيمها هذه العناصر فيما بينها"⁽⁵⁾، وذلك من دون الاستعانة بالإيقاع الموسيقي، مستغنياً بذلك عن تراتيل الموسيقى الروحانية، "فالكلمات لدى الشاعر ليست مجرد ألفاظ صوتية عذبة ذات دلالات حرفية أو نحوية معجمية - وإن كان الشاعر لا يغفل في استخدامه الكلمات هذه الدلالات - وإنما هي تجسيم حي للوجود"⁽⁶⁾.

إن أي شاعر متمرس يملك بالتأكيد قدرات إبداعية وعبقرية يستطيع من خلالها خلق أجناس أدبية جديدة، وذلك وفق انعكاس يتبناه جراء متطلبات وقضايا يعاصرها، قدرت له مواجهتها والثورة عليها من خلال الثورة أولاً على تقاليد فنية عربية مورثة، وهنا نرى في محمود درويش ذلك الشاعر الذي عُرف أو ما عرف بـ (شاعر المقاومة)، غير أنه وفي ديوانه قبل الأخير (أثر

الفراشة) أحدث انتقالاً كبيراً، تجاوز فيه المحلية الفلسطينية وكفاح أهلها إلى العالمية الإنسانية والوجودية، ورافق هذا التحول المضموني تجديداً في بناية الشعر لديه، إذ وجدنا درويش يستثمر المنطق الإبداعي السردى من أجل خلق شعري جديد، يبيث الحيوية في الخطاب الشعري عنده ويجدده. علماً بأن الشعر ونقده سابقان على السرد الروائي بفعل عامل التقدم الزمني، بل إن نقد الشعر ذو عراقة زمنية سحيقة القدم، وقد تسربت الكثير من مفاهيمه إلى النقد الروائي، والدراسة هنا تلتفت إلى أثر عكسي حيث النص الشعري عند درويش يتأثر بالنصوص النقدية المتعاملة مع السرد الروائي، تحت ما يمكن أن ندعوه بالتناص النقدي، إذ النص الشعري يستعين بما تملكه أداة النقد السردى الخاصة بالنثر (الرواية).

يرى الناقد المعروف لوكاتش أن حياة الشعوب بمصائرنا التاريخية وأحداثها وتقاليدها وتناقضاتها وعلاقاتها الاجتماعية وخصوماتها هي باختصار من يقف وراء ظهور الأنواع الأدبية⁽⁷⁾ وبتمظهراتها المختلفة، فما يسوغ لنا انعطاف التكوين الشعري وهيبته عند درويش هو إحساسه كإنسان شاعر، وفلسطيني متألم ومتأثر بمتواليات أحداث مأساوية يومية تغص بها الساحة الفلسطينية، فقد هُزّت الصورة أمامه، وبدا الحلم غائماً وعائماً، فقد تخلى درويش عن التزامه بأسلوبه الخاص مجدداً الرفض حول ما يجري في الداخل والخارج الفلسطيني، ومزج عمله الشعري هذا بمظاهر وتقنيات فنية متنوعة معروفة في التداول القصصي والروائي أكثر منها في النظم الشعري.

والسؤال هنا. هل وجد درويش في توظيف التقنيات السردية في تكوينه الشعري جدّة وقوةً تعبيريةً أوسع وأشمل دلالة؟! ونجيب أنه ربما وجد في الأسلوب السردى طريقة تعبيرية تصلح في طرح الوقائع والأحداث بشكل فني واضح وصريح، وذلك عندما مزج السردى بالشعري، فدرويش يسعى لكشف جديد وخطاب يعتمد السرد الحكاء لتوضيح بعض القضايا والوقوف عندها ملياً، فالسارد يستطيع أن يتحكم جيداً بمسار فضائاته وموضوعاته ويوجهها بأقصر الطرق، أما الشاعر (الناظم) فيتقيد ويميل حيثما مالت به القوافي، كما أن السرد بحركيته وعدم سكونه سابقاً في الوصول إلى بؤر المضامين والأحداث التي تطرح، فقد ساعدت هذه التقنيات السردية درويش على الانعتاق قليلاً من الوجدانيات الرقراقة أملاً في المساهمة والمشاركة في الطرح السياسي الفلسطيني، الذي يحتاج إلى صراحةٍ وتصريحٍ، وإلى سردٍ تسلسلي غير معمى، فقد طرح في ديوانه هذا وعبر عن وجهات نظره إزاء تقلبات وأحداث مؤسفة تشهدها الساحة الفلسطينية.

لقد ابتعد درويش إلى حدٍ كبير عن فحوى المضمون الشعري المتمثل بالرمزية والإيحاء، التي تخلق عادةً مناخات نفسية بعيدة عن جدوى الواقع وعن ماديته المحسوسة، مبقياً بذلك على

الشكل الشعري الذي لطالما عزز من انفرادية درويش وتميزه، فظهرت ملامح سردية ساهمت في جعل درويش قريباً بشكل كبير من متلقيه المتخوف هو أيضاً، فحققت السردية له جانباً كبيراً من المصدقية، ومكنته من الوصول إلى أعماق نصية جديدة لافتة.

إن أي عمل أدبي سواء أكان شعراً أم نثراً يخضع إلى تصورين اثنين هما:

- تصور اجتماعي عام.
- تصور إبداعي خاص⁽⁸⁾.

وبامتزاج هذين التصورين يصدر خطابٌ كلي وشامل يتلقفه المتلقي، وذلك بعد رحلة تثريها قراءة متفهمة للنص، ومستجيبة لنمط أدبي يتبناه المنشئ (الأديب)، وفي التصور الخاص الذي أقامه درويش في ديوانه (أثر الفراشة) ستقوم الدراسة بالنظر في أبرز الملامح السردية المساهمة في تشكيل البناء الشعري الممتزج في ديوان أثر الفراشة، إذ ستبرز الدراسة المُشكلات السردية الأساسية: الراوي والزمان والمكان والشخصية والحدث وتظهر تقنيات السرد المتعلقة بهذه المشكلات، مقصية اللغة كونها تشكل الهيكل العظمي الأساس للفن الكتابي أياً كان جنسه!، فاللغة إفعام وتأثير، قبل أن تكون وزناً وقافية، فالكلمة قادرة على أن تبعث بريقها في النص من خلال أنساقها وعلاقتها وتشابكاتها في البناء الفني، وهنا فإن النسيج الفني لقصائد ديوان "أثر الفراشة" خادع، من حيث كونه شكلاً شعرياً ظاهرياً مهندساً سردياً، وبلغة مفعمة وزاهية معهودة بالشعر قبل النشر.

الراوي:

وهو أحد أبرز سبل المنشئ الفنية وأحد أهم مكوناته السردية، فقد كان الراوي في ديوان أثر الفراشة بمثابة وسيط ناقل يعمل على ترتيب ظهور الأصوات (الشخصيات)، بل وعبر لسانه ينقل المنشئ أبرز عناوين خطابه، غير أن صوت هذا الراوي في ديوان أثر الفراشة تقاطع في بعض القصائد مع درويش ذاته، وقد عمل الباحث على إيجاد معيارٍ يحدد فيما لو كان هذا الصوت هو صوت درويش ذاته، أم هو صوت شخصياته مشفَعاً بصوت الراوي وأحياناً بدونه.

فقد كانت بعض القصائد تشير في مضامينها وطريقة عرضها إلى السيرية الذاتية الخاصة بدرويش، وذلك بأن يُسمع صوت درويش وهو يسرد أحداثاً ووقائع حقيقية عاشها هو نفسه، وفي مثل هذه النصوص تكون القصيدة الشعرية ممزوجة بتقنيات سردية ما خلا صوت الراوي الذي يتجلى بصوت درويش نفسه، أما في القصائد ذات الفضاءات التخيلية وغير السيرية، فتعتمد القصيدة فيها على راوٍ عليم يظهر صوته بين الشخصيات وحواراتها، ويطلع بأدوار مهمة في النقل والتصريح وإعلان الخطاب النصي، بالإضافة إلى تقنيات سردية استعملها المؤلف (درويش).

فمسألة ظهور راو كمشكل أساسي في القصائد الشعرية في ديوان أثر الفراشة مسألة تعتمد على الغاية من إرساء النص، فدرويش في قصائد السفر ولكونها تتعلق بسيرته، ظهر مباشرةً وعلانيةً أمام القارئ، فقد كان يعاين ويصف الأماكن والمناطق التي زارها بدقة. بل ويذكر أسماء أشخاص قابلهم هناك وأجرى معهم حوارات، بيد أنه في غير هذه القصائد التي لم يلتفت بها إلى جوانب خاصة بحياته غاب هو وبرز الراوي الفني. ومن هذه النصوص على سبيل المثال لا الحصر قصيدة "شال حرير":

شال على غصن شجرة. مرت فتاةً من هنا
أو مرت ريحٌ بدلاً منها، وعلقت شالها على
الشجرة. ليس هذا خبراً.⁽⁹⁾

ويبدو حدث مرور الريح التي أنسنها هنا حدثاً عجائيباً، وهو حدث صادر من خيال واسع يُجَوِّزُ اللاممكن، وهنا يبرز صوت من يخبر عن مرور تلك الريح، وأنها علقت شالاً على غصن، إذ إن السرد المتتابع يحتاج بطبيعة الحال إلى راوٍ يؤدي دوراً مهماً لا يقل أهمية عن دور من وضع ذلك الشال، سواء أكان من وضعه الريح أم الفتاة.

فقد قسم الباحث النصوص الشعرية إلى نمطين اثنين؛ أولهما (خاص) حَجب دور الراوي التقني، فسمع صوت درويش، والنمط الثاني (عام)؛ أظهر الراوي كمشكل / بنية سردية أساسية تقوم بدور قيادي وسلطوي مهم:

درويش - الراوي - نص غير واقعي (عام) - القارئ.

درويش - نص سيري (خاص) - القارئ.

لقد استفاد درويش في ديوانه قبل الأخير "أثر الفراشة" من فن السرد، مظهرًا بعض الجوانب الخاصة بسيرته الذاتية، وفي الجانب الآخر مضيئاً المزيد من فنياته وقدراته في الشعر وفضاءاته، إذ استعان في كليهما بتقنيات السرد الروائي.

ودرءاً للتكرار سنقوم بالكشف عن دور الراوي من خلال المعالجة التي يقوم بها الباحث للبنية الزمنية والمكانية وللشخصيات والحدث في هذا الديوان، وسنرى دوره في توضيب البنى السردية للنص الشعري، وكذلك دوره في رسم الشخصيات وإبرازها.

إلا أننا نذكر بأن درويش وبحجبه دور الراوي الفني في بعض قصائده التي أشرنا إليها استطاع تقريب المسافة بينه وبين النص، وبالتالي بين القارئ والنص، متخففاً من تقنية سردية مهمة، ومحدثاً تقارباً سببه التجريدية الصادقة في القول والتصريح الواقعيين.

الزمن ومفارقاته:-

يُعدُّ الزمن عنصراً سردياً ذا أهمية قصوى، فالزمن ينظم الخطاب ويرتب أحداثه ويظهر أركان النص، فيأتي كل واحد بعد الآخر وفق خط مستقيم، وضمن ما يعرف بالمفارقة السردية تارةً أخرى؛ كأن يشهد الخط الزمني الذي تسير فيه عملية القص استرجاعات واستباقات تقلب الزمن وتحول مساره بقصد⁽¹⁰⁾. والزمن هنا إيقاع؛ يضبط أحداث الحياة وهو الشاهد الحي على مصير شخصياتها، وهو العنصر الفعال الذي يغذي حركة الصراع⁽¹¹⁾. وإن كانت تعتريه تلك القفزات والمفارقات في سيره، فهو وفق المنظور السردى يعمل على كشف الأحداث بروية واتساع، ويعطيها حيزها ووجودها، وهو ما سوف نلاحظه ونحن نرى في الزمن جدول ماء تنساب فيه الأفكار المتداعية، وتظهر الشخصيات والأمكنة، وتقارب هذه المفارقات والقفزات التي يجريها السارد في حيز الزمن وقوالبه حالات الالتفات والتبدل الإيقاعي في قوافي القصيدة الكلاسيكية من حيث الالتفات والتبدل المتناغم، فقد يلتزم الشاعر تفعيلات بحر معين، وربما لا يلتزم لاحقاً إلى تفعيلات شاذة، وهو ما يجعلنا نرى في البنية الزمنية المتقلبة وفق المنظور السردى ما يجعلها بديلاً عن الإيقاع الشعري الذي انتهجته القصيدة العربية الكلاسيكية أمداً طويلاً، والذي طفقت تتخلى عنه شيئاً فشيئاً، فمسار الشعر اليوم يتطور بعيداً عن الترتم الموسيقي الملحمي والمفرط، وذلك بحثاً عن أفاق شعرية جديدة.

فالزمن المتسلسل المنظم أو المتخلخل يعمل على الكشف عن الحدث أو الأحداث التي تدور في محور العمل الأدبي، ولهذا الحدث مرجعان نصيان؛ أحدهما في زمن القصة أو زمن الحكاية وآخر في زمن الخطاب أو زمن السرد، إذ إن العمل الأدبي بأحداثه وشخصياته ورؤاه وزمانه ومكانه "مقطوعة زمنية مرتين"⁽¹²⁾، فهناك أولاً الزمن الذي وقعت فيه أحداث القصة أو الرواية، وهناك أيضاً الزمن الذي يعاد فيه محاكاة الأمور والمجريات وإعادة صياغتها، وقد تسير هذه المجريات داخل الزمن السردى بنسق ثابت منضبط وربما بغير ذلك، ومن نماذج النصوص الشعرية في ديوان أثر الفراشة التي يبنى بناءً زمنياً متتابعاً ومنضبطاً. "قصيدة البنت / صرخة":

على شاطئ البحر بنتُ. وللبنت أهلُ

وللأهل بيتُ. وللبنت نافذتان وباب

وفي البحر بارجة تتسلى

بصيد المشاة على شاطئ البحر

يسقطون على الرمل. والبنت تنجو قليلاً⁽¹³⁾

كيف نجت هذه البنت ومن أنقذها من قصف البارجة الإسرائيلية للشاطئ:

لأن يداً من ضباب

يداً ما إلهيه اسعفتها فنادت: يا أبي

يا أبي! قم لنرجع، فالبحر ليس لأمثالنا!

لم يجبها أبوها المسجى على ظله⁽¹⁴⁾

تتسلسل الأحداث في هذه القصيدة وتتابع عبر جدول الزمن، مرتبطة ببعضها وفق قاعدة السببية التي تسهل عملية تداعي الأحداث وتدفعها في النص؛.... "لأن يداً". وتساهم أدوات داخل النص على ربط هذه الأحداث وتسلسلها وجعلها متسقة مع الإحالات الداخلية النصية والخارجية المقامية⁽¹⁵⁾. وتصل الأحداث إلى النهاية، التي تمثلت بقصف البارجة لأسرة البنت الفلسطينية على شاطئ غزة، ويظهر السرد التتابعي الصورة واضحة، وما آل إليه مصير الفتاة التي تخاطب جثة والدها وتصرخ بها، وتظهر لاحقاً كخبر عاجل على شاشة التلفاز.

فتصير هي الصرخة الأبدية في خبرٍ

عاجل، لم يعد خبراً عاجلاً

عندما

عادت الطائرات لتقصف بيتاً....⁽¹⁶⁾

نلاحظ أن الزمن وفق المنظور النصي زمن صوري، لا تتطابق حقائقه وطبيعته مع الزمن في المنظور الحقيقي، فللمنشى "الأديب" الحرية الكاملة في اختيار وتجاوز وحذف ما يراه مناسباً ومتمن نضه، وهو ما أنشأ مصطلح "المفارقة السردية"⁽¹⁷⁾. "ويستطيع المنشئ من خلال المفارقة السردية اختزال أحداثٍ امتدت أسابيع وشهوراً وسنوات في جملٍ عديدة وقصيرة، وربما ببضع كلمات، وعلى العكس من ذلك يستطيع المنشئ تضخيم وتطوير أحداث جرت في زمن الحكاية بساعات ورقائق قليلة⁽¹⁸⁾، فيبرز ويعتمد ما يشاء ويحذف ويتجاوز ما لا يتناسب مع طرحه.

ومن المفارقات السردية التي تصيب الزمن بتخلخل في نظامية سيره؛ تقنية الاسترجاع الخارجي، "حيث يعود السارد (الراوي) إلى ذكر ما في زمن الحكاية بعيداً عن زمن الخطاب (زمن الرواية)⁽¹⁹⁾"، يقول درويش في قصيدته "يرى نفسه غائباً":

"أنا هنا منذ عشر سنوات. وفي هذا المساء،

أجلس في الحديقة الصغيرة على كرسي من البلاستيك".⁽²⁰⁾

في هذا الاسترجاع يؤكد درويش حقه في ملكية أرضه، ويدلل على ذلك ذاكراً تفاصيل تشهد على هذا الحق ومنذ عشر سنوات، فلديه ما يثبت وجوده قبل المحتل، فيمعن في سرده عن المكان.

على الطابق الثاني إحدى عشرة درجة
إلى اليمين شجرة تين كبيرة تظلل شجيرات خوخ
وإلى اليسار... (21)

وثمة نوع آخر من أنواع الاسترجاع وهو الاسترجاع الداخلي، إن يعود السارد فيه إلى ماضٍ لاحق لبداية الحكاية، وقد تأخر تقدمه في النص" (22) وهو استرجاع ضمن مدة الزمن الداخلي المعروف بزمن الخطاب وهو استرجاع مهم أيضاً، من حيث إنه يزيد من أهمية خطاب نص الشاعر ويكرره، فيعود إليه بإشارات أو بذكر صريح. ويكثر الاسترجاع في ديوان محمود درويش هذا لا سيما في قصائد الحب والغزل، ففي قصيدته "مديح النبيذ" يذكر محبوبته في غب تغنيه بالنبيذ الذي يهربُ إليه بعد أن عانى غياب المحبوبة التي كانت حاضرة في سياق النص مسبقاً، فيستهل القصيدة بذكرها مسترجعاً حضورها من زمن داخلي سابق، وفي مغبة هذا الاضطراب يستطرد درويش كعادته ملمحاً لشؤون وقضايا فلسطينية هنا وهناك، ثم يعود لما بدأ به، يقول في آخر القصيدة مستخلصاً شيئاً ما:

"هو النبيذ يرفعني إلى مرتبة
أعلى، لا هي سماوية ولا هي أرضية
ويقنعني بأن في وسعي أن أكون شاعراً..." (23)

أما الاستباق فهو نظير الاسترجاع بشقيه، والاستباق أو الاستشراف يقوم على تصور أحداث مستقبلية متقدمة على المسير الطبيعي للزمن"، إن يتمثل في إيراد حدثٍ أتٍ أو الإشارة إليه مسبقاً" (24) وذلك بفعل راوٍ يتوسل المنشئ، إن يضطلع هذا الراوي التقني بدور قيادي، ويعلو صوته على صوت الجميع، بل يتحدث أحياناً نياحةً عنها، إن يساعد البناء الشعري على تسيد الصوت الواحد (الراوي) على الأصوات الأخرى. والذي هو بطبيعة الحال الظل الفني للمنشئ (25). والعالم بكل ما يدور، فيمكنه الإشارة إلى أحداث لاحقة تحت ما عرفناه بالمفارقة السردية.

في قصيدة "شجرة الزيتون الثانية" نسمع بوضوح صوتاً يؤكد صمود الأهل والشجر العربيين رغم ممارسات الاحتلال في القلع والتهجير وطمس أبرز علامات الوجود الفلسطيني

العربي وهي شجرة الزيتون، فأسرائيل ما لبثت تقلع الحجر قبل الإنسان غير أن صوتاً مفوضاً ما يعلو ليؤكد الصمود:-

متأكدين من أنه سيصبح، بعد قليل، شجرة
زيتون... شجرة زيتون شائكة... وخضراء! (26)

ومن المفارقات السردية التي تقع في مستوى المدة وليس في مستوى النظام: تقنيات التسريع والتبطيء، ولهذه التقنيات مسوغات؛ ففي بعض الأحيان يلجأ المنشئ إلى التلخيص ليتخطى على سبيل المثال فترات زمنية غير مؤثرة أو مهمة في حياة شخصية ما، فيسهل الوصول لاحقاً إلى فترات وفواصل مهمة ليتم عرضها بشكل موجز تعريفي مقتصد، أو يتم عرض ما سيؤول إليه مصير شخصية ما في المستقبل، "إن يصدر هذا العرض ويعبر عن وجهة نظر الراوي الجمعي" (27) المسيطر على السرد بشكل سلطوي تام، فهو الذي يرى ويشاهد وينقل الأشياء وفق ما يراه، وهنا يصبح الراوي قناة وصل بين المؤلف والنص، ومن ثم بين القارئ والنص، ويرى بعض الدراسين (28) والنقاد في الراوي الذات الثانية للمؤلف، إن يقوم الراوي بتشذيب النص وتهذيبه كما يراه هو. وتبرز أيضاً تقنيتان هما تقنية الحذف وتقنية القفز؛ كتقنيات تسريع سردي بالإضافة إلى التلخيص، وفيهما يشير الراوي في المتن لشهور وسنوات مرت من عمر الشخصيات أو الأحداث من دون التمعن بالتفاصيل والكيفيات، إن الزمن النصي المبني في الحذف صفر، في الوقت الذي كان فيه زمن الحكاية طويلاً وممتداً، إلا أنه غير مؤثر لدى المؤلف ولذاته الثانية، ففي قصيدة "صيف وشتاء" قام الراوي باختزال الزمن إلى أقصر درجاته؛ مستفيداً من تقنيات التسريع السردية (التلخيص والحذف).

لا جديد. الفصول هنا اثنان:

صيفٌ طويل كمئذنة في أقاصي المدى.

وشتاء كراهبة في صلاة خشوع (29)

هنا اختصر الراوي المسموع صوت الفصول إلى اثنين هما: الصيف والشتاء، موجزاً عرضهما بصيف حار مقيت يعاني فيه قسوته وقيضه، وشتاء عزله لدرجة الانقسام في الذات...؛ إنه ظل الاحتلال الذي عزل الفلسطينيين، وقطع وصلهم وسجنهم في أرضهم، فقد أدرك القارئ مقصد الشاعر من خلال حذف الراوي فصلين من فصول السنة الأربع، وذلك عبر زمنٍ أعد بكلمات مرت سريعاً فوق امتدادات الزمن السردية، مظهرة ضيق الشاعر وهربه من واقعه وزمنه.

وعلى النقيض من التسريع تأتي تقنيات التبطيء /الإبطاء في السرد، فيبرز كل من المشهد والوصف كتقنيتين تعملان على تهدئة جريان السرد وتدفعه، علماً أن الوصف يكثر في الشعر، بل

إن الشعر هو منبت الوصف وبيئته الأصلية، ويتأتى الوصف من خلال الصورة الشعرية التي يعمل الشاعر على إبرازها وزخرفتها محدداً أطرها الجمالية وألوانها أمام عيني القارئ الذي ينبهر بجمال وصفها، وسردياً يوقف الوصف الزمن ويقلل من حركته، وذلك لدواعي الاستغراق والتأمل في النص، "كما أنه يعني وفق التعبير السردى الوقوف / الاستراحة؛ لتكون سرعة الحدث فيه صفراً، فيكون الزمن السردى (المبنى) أطول في زمن الحكاية، ما يجعل الوصف المسهب محتلاً لمساحة زمنية واسعة"⁽³⁰⁾، "وهنا يصبح الوصف مستقلاً بذاته، وليس له علاقة بزمن النص، فبسببه يتوقف الزمن السردى مؤقتاً"⁽³¹⁾. فقد عرف النقاد العرب القدماء الوصف، فعرفه قدامة بن جعفر بقوله: "الوصف إنما هو ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات"⁽³²⁾ فيتوقف عنده الشاعر والشارد مطولاً، قاصداً الإمعان بذكر تفاصيل الأشياء وحديثاتها التي تشكل حالة مهمة في تصعيد الأحداث لاحقاً، وفي نموها وتطورها وركائزها، إذ توصف الأحداث والظواهر الطبيعية من منطلق ما تتركه من أثر في نفس متحسسها، وفي الصورة السردية - على غرار الصورة الشعرية - يبرز الوصف مكثفاً من وجوده الحيزي الساكن في كيان النص، "دون أن تؤثر هذه المهلة / الوقفة على حركة السرد الكلية فسرعان ما يتخلى عن الوصف ويتابع السرد جريانه"⁽³³⁾.

يحتاج المنشئ للوصف من خلال صوت الراوي لرسم الشخصيات وهيئاتها، ولإثارة المشاعر في مواقف الخوف والحب على سبيل المثال ولتعميق الامتزاج بهما، كما أن المكان وإخفائه لا يمكنه الجلاء والظهور من دون وصف يغدق القارئ بالمزيد من الإحساس المفعم بالواقعية... يقول درويش وفي وصف قرطبة:

أبواب قرطبة الخشبية لا تدعوني إلى
الدخول لإلقاء تحية دمشقية على نافورة
وياسميننة.⁽³⁴⁾

في زيارته لقرطبة إشعاراً جديداً من درويش، وتأكيداً على تمسكه بهويته العربية، مستدعياً التاريخ العربي في قرطبة، الذي أنشده هنا مسترداً عصراً عربياً ذهبياً ولى. ويفسح الوصف المجال للاستطراد والتشتت، الذي فرض في النص السابق بسبب التدفق الذاكراتي المحفز من قبل تقنية الوصف...

أرى نصباً بحجم الكف لابن زيدون وولادة⁽³⁵⁾

أما تقنية المشهد فتبدو وتيرتها أهدأ، وتكون مساحتها النصية معادلة في الزمن الداخلي، فهي بعكس تقنية التلخيص، "إذ تتطابق مدة زمن الوقائع مع المدة المستغرقة على مستوى القول (في السرد)، ويكون ذلك في صيغة الحوار بين الشخصيات"⁽³⁶⁾.

"يقول بيرسي لوبوك: يعطي المشهد للقارئ إحساساً بالمشاركة الحارة في الفعل، إذ إنه يسمع عنه معاصراً وقوعه كما يقع بالضبط، في نفس لحظة وقوعه، لا يفصل بين الفعل وسماعه سوى البرهة التي استغرقها صوت الراوي في قوله، لذلك يستخدم المشهد للحظات المشحونة، ويقدم الراوي دائماً ذروة السياق في الأفعال وتأزمها في المشهد" (37) وفي لحظة التطابق تلك تظهر الشخصيات متحاورَةً في بعض الأحيان، فتقوم بالإمساك بالسرد ويتنحى الراوي والمؤلف من قبله؛ مفسحين المجال لصوت الشخصيات وحواراتها، فتتعدد الرؤى ووجهات النظر، بعد أن نالت هذه الشخصيات أو الشخصية حريتها وحيويتها، وفي المشهد حالة أراد درويش تبيانها بعدما تراجع واختفى بعيداً عن النص، تاركاً للراوي دوراً ثانوياً يقتصر على ترتيب الأدوار وتنظيم حضورها.

"خاف. وقال بصوت عالٍ: أنا خائف." (38)

الخوف هاجسُ القلقين، وهو ما يريد درويش أن يعترف به ويقره؛ وهذا الاعتراف يأتي بطرح غير مباشر من خلال حوار يلتوي على فكرة الخوف التي أملت بشخصية تشعر بالوحدة والعزلة، فأخذ الجميع بما فيها الجمادات يصرحون بالخوف هم أيضاً. إلا أن الخوف ذاته انتفض فجأة وقال: كفى، ففي الشعر مجال كبير لأنسنة الجمادات والمعنويات بما فيها الخوف، فيأخذ السرد درامية تفاعلية لافتة وملهمة من هول المفارقات التي تحيط بشاعرنا...

"البسط والكتب والشموع والأقلام واللوحات

قالت كلها: أنا خائف. خاف الصوت

الخوف فصرخ: كفى" (39)

في الحوار الداخلي (المونولوج) هذا لا تظهر أي شخصية فنية، بل تظهر شخصية واحدة هي شخصية درويش بصوتها وسماتها، ومن دون الراوي الوسيط الناقل للخطاب ولوجهات النظر تلك التي يريدها درويش، بل ظهر صوته صريحا يحاور ذاته الدرويشية التي نعرفها نحن المهتمين والعارفين بمرجعيات درويش ومقاصده الأدبية؛ ظهر صوته معبراً عن "أكثر مقاصده حميمية وأقربها إلى اللاشعور، يقول في قصيدته "شخص يطارد نفسه".

"كما لو كنت غيرك سارداً،

لم تنتظر أحداً

مشيت على الرصيف

مشيت خلفك حائراً" (40)

تنطوي المناجاة الفردية على شيء من الاعترافات الصادرة من وعيٍ مُدرك عند درويش، وترتبط بشكلٍ ما بظروفه الأخيرة التي عانى فيها الكثير من العزلة والرفض والإحباط الذي كان سببه الحال العربي والوجع الفلسطيني على حد سواء، ما جعله يشكو لنفسه ويخاطبها بشكلٍ وشى بالانفصال والانقسام على الذات، فقد كشف الحوار الداخلي عن طقوس وحالات هذيان شعري جديدة عند درويش، بل صار يطارد نفسه ولم يعد يشكو لها، فقد أصاب الشك الذات نفسها، وبدأ درويش قلقاً للغاية، وهو ما يكشف عن صراعٍ داخلي جديد عصف بدرويش. فوجد نفسه محاصراً بأشكال عدة من الخلافات، إلا أن الحوار في الأعمال الأدبية وبأنماطه كافة * يعد محاولةً للخروج من المأزق، يجريه المؤلف بجدية صارمة وبمشاركة شخصياته، غير أن سطو الإحباط والتذمر طغت على درويش ما جعل سبل التحوّل تخرج من دون نتيجة أو حقيقة واضحة.

لقد كشفت البنية الزمنية بتسلسلها النظامي المفارق عن أبعاد نفسية تعيشها الشخصية الفلسطينية الواقعية والمتمثلة؛ بدرويش ذاته أو بالشخصية الورقية الدالة على الفلسطيني أياً كان، وما يعانيه على المستويين الداخلي والخارجي؛ فقد مثل درويش بجمعيته هذه الإنسان الفلسطيني وساق أحداثاً واقعية ومتخيلة أدارها هو أو راويه الفني الذي أجاد الإخبار وتسيير الشخوص والأحداث في مسرى الزمن، مبرزاً خطابات شتى كالغرامية والخلافية والوجودية والإيديولوجيا، إذ ساعد الزمن بشكل جلي على إبراز الملامح السردية التي أشرنا إليها في ديوان محمود درويش الشعري هذا، على أننا هنا سننتقل للمكان كبنية سردية وظبت في بناء شعري غير تقليدي عكست فضاءً مدشناً بتقنيات شعرية وسردية مشتركة.

المكان:-

المكان بنية سردية مهمة وعنصر أساسي من عناصر البناء السردية في القصيدة وذلك "لكونه أكثر عمقاً وتنوعاً وتغلغلاً في التشكيل البنائي لها، فهو جزء فاعل في الحدث، وخاضع خضوعاً كلياً له" (41) بل إن درويش في ديوانه هذا نشد ولا يزال مكاناً يحمل له في ضلوعه أملاً وحباً لأن يراه عزيزاً حراً*، غير أن يد الغاصبين طالته واجتثته من وطنه، وما لبثت يدُ الغاصبين تحاول طمس ملامح وجوده العربي، فقد ظل المكان (الوطن) الدافع والمحرك الرئيس للحدث في نصوصه الشعرية، ومسبباً يقف خلف كل ما تقوم به الشخصيات من حركة وفعل وطرح وجهات نظر داخل النص الشعري.

والمكان منبت الوعي ومن خلاله تتشكل علاقة وطيدة شبيهة بعلاقة الطفل بأمه. ففيه تتشكل وتتصل الشخصية تبعاً لجغرافية هذا المكان ومداراته، وفي التماس والتواجد به وبموجوداته

تتشكل علاقة الألفة وتتعزيز مشاعر الانتماء، وفي الأدب يبتدع المنشئ الأدبي مكاناً يوازي بقيمته المكان الواقعي المفقود، فدرويش لطالما تصور في قصائده مكاناً آمناً أليفاً، وفي الأدب أيضاً ينشئ الفضاء⁽⁴²⁾ نتيجة تفاعل الإنسان مع مكانه الذي يشكل نواة وجوده فيه، ذلك أن المكان في العمل الأدبي حضنٌ ووعاء لكل ما يختلج في صدر مبدعه متخذاً حيزه ووجوده الآمن فيه.

إلا أن المكان قد يفضي لأبعاد وفضاءات سلبية أيضاً، وذلك تبعاً لتوجهات التعاطي مع المكان، أو لطبيعة هذا المكان، فقد يوظف الأديب السجن بفضاءات الخوف والخشية، وفي الوقت نفسه يمكنه أن يستند لأماكن بفضاءات إيجابية تكتنفها مشاعر الراحة والعظمة والهيبة، فالمكان فنياً يعطى يوظف أرضية ومناخاً من خلاله تتفاعل وتتواجد العناصر السردية الأخرى وأبرزها الشخصية.

ويساهم المكان في تحديد هوية الشخصيات وسبب وجودها، "فهو يمثل الأرضية الفكرية والاجتماعية التي تحدد مسار الشخوص وفيها يذكر وقوع الأحداث ضمن الزمن الداخلي"⁽⁴³⁾.

والمكان مطاوع هين بالنسبة لمنشئه، فيتشكل وفق رؤية الشاعر / السارد، إذ تعاد صياغة المكان الواقعي ورسمه بالحيثية التي يتطلبها الخطاب، ودرويش شاعر توفي غير مترجل عن حلم العودة لوطنه، فشكل المكان ببنائه وفضائه قضية لكل النصوص الشعرية عند درويش؛ فلكي يتحاور مع الحبيبة يلجأ إلى فلسطين، وإذا شكا همماً فإنه وبعمق هذا الهم ينشد وطنه المسلوب، غير أن سيرورة الموازين والتبدلات تغيرت لتوصله إلى مرحلة متقدمة من عنف الأسئلة وثقلها، فقد عبر درويش عن رفضه وسخطه تجاه بعض المنظمات والقوى الفلسطينية بأن انعطف في أسلوبيته الشعرية شكلاً ومضموناً؛ ففي المضمون المكاني لجأ درويش إلى أماكن غير عربية، يظهر جمالها ومتعة زيارتها ويصورها بما لا يخفي توجعه وحزنه على وطنه الذي تجاوز عن ذكره في بعض القصائد هنا.

يقول فاقداً الأمل ورافضاً لكل الخلافات الفلسطينية الداخلية في قصيدته "أنت منذ الآن غيرك.

هل كان علينا أن نسقط من علو شاهق،

ونرى دمنا على أيدينا... لندرك أننا لسنا

ملائكة كما كنا نظن؟⁽⁴⁴⁾

فقد طغت مشاعر الجزع والأسى على المكان الفلسطيني عند درويش، فنرى التوصيف لبعض الأماكن تطفئ عليه أبعاد سلبية تدل على مشاعر الإحباط والسوداوية.

"منخفض جوي. الرياح شمالية غربية، زخات

من مطر. البحر مجعد رمادي... (45)

قلنا إن توظيف درويش أماكن أجنبية يُعد تعبيراً عن رفضه، وطريقة يطرح بها رأيه الخاص من جملة قضايا فلسطينية داخلية، إذ كان شعر درويش مركزاً ومنصباً على القضية الفلسطينية وليس سواها، فقد هرب درويش التي تلك الأماكن _غير العربية_ خذلاً محبطاً من ملومات مكانه العربي، غير أنه لم يستطع نسيان عروبتة، فاستدعى أمكنة أوروبية -كان درويش قد زارها- بعدما يئس إلى حدٍ ما من مسألة استعادة وطنه السليب (فلسطين)، فتعددت هويات الأمكنة* التي وصفها درويش في ديوانه هذا، لتشير إلى روح عربية قلقة، روح فقدت جسدها ووطنها الأم، وظلت تبحث في جماليات الأمكنة عما يحملها ويذكرها بـ(فلسطين)، فدرويش وجد في تلك الأمكنة وطن الأحلام، حيث لا إخوة يتقاتلون ولا محتل يضيق الخناق عليه يوماً بعد يوم.

الشخصية:-

وهي العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده العناصر الشكلية الأخرى، بما فيها الإحداثيات الزمنية والمكانية الضرورية⁽⁴⁶⁾ وتكمن أهمية الشخصية كونها تحرك الأحداث وتقود مسارها وتتداخل معها، إذ تتطور الأحداث وفق تحرك الشخصية التي تنشط وفق سلوكها الخاص؛ فالحدث والشخصية مقترنان، وتبعاً لرأي رينيه وراين "فإن الشخصية تحديد للحادثة والتي هي توضيح للشخصية"⁽⁴⁷⁾، فالشخصية هي الكائن الحيوي الذي يستجلب العواطف للنص، ومن ثم يثيرها في القارئ، وهو الفاعل الوحيد في أركان النص.

فبيحر في المكان ضمن السياق الزمني ويفعله تدور الأحداث وتصل إلى ختاميتها، فالسرد قصة لا يمكن أن تنطلق من دون شخصية "فالقصة فن الشخصية"⁽⁴⁸⁾، إذ يستحيل الحديث عن السرد من دون شخصية تعجل حدوث الحكمة التي تتأزم وتنتهي معها، كما أن الأحداث ترتبط بسلوك الشخصيات وتوجهاتها ومبادئها، فما يحصل على أرض الواقع يحصل على أرض النص، فلا حدث من دون شخصية ولا شخصية من دون حدث، إذ تشير الأحداث إلى سمات وطبائع الشخصية الإنسانية.

وفي ديوان أثر الفراشة ظهرت الشخصيات جاهزة مكتملة، من دون أن يحدث أي تغيير من قبل الراوي الذي يكفي بتقديم هذه الشخصية فقط لاسيما في النص الخيالي، إذ يساهم الحوار الحر بين الشخصيات في إبراز انطباعاتها ووجهات نظرها، وفق المعطى المضموني للنص.

يمشي على الغيم في أحلامه ويرى
ما لا يرى، ويظن الغيم يابسة
عال هو الجبل

هنا قدم الراوي الشخصية - وهي وظيفته السردية في نصوص درويش غير الواقعية (الخيالية) - تقديمًا مباشرًا، فقد ضم المشهد شخصًا يحلم ويمشي على الغيوم والجبال، ففي النصوص غير السيرية (المتخيلة) يتجلى دور الراوي أكثر، كتقنية تقوم بتقديم الشخصيات ورسمها، مستخدمًا ضمير (هو)، وذلك على النقيض من النصوص السيرية التي تفرض وبطبيعة الحال أن يكون درويش هو المؤلف والراوي في آن ويدع في النص ما يشير إلى شخصه

أغار من الحصان: فإذا انكسرت ساقه وأحس
بإهانة العجز عن الكر والفر والريح
عالجوه برصاصة رحمة...
... مدحته بقصيدة عصماء، يختار
هو وزنها والقافية !! (49)

وبناء عليه تظهر الشخصية في نصوص هذا الديوان وفق طريقتين:-

أولاً: يقوم الراوي بوصف الشخصية ورسمها، شارحاً أفكارها وأحاسيسها، ويفسر بعض تصرفاتها بشكل مباشر.

ثانياً: قد يأتي صوت الشخصية من دون الحاجة إلى راوٍ يرسم الشخصية أو يعطي موجزًا عنها، وتكثر مثل هذه الطريقة في النصوص السيرية، والتي غالباً ما يسمع فيها صوت درويش نفسه.

ما يعني أن الشخوص في هذا الديوان تقدم تقديمًا مباشرًا غير استنباطي، لا يبذل القارئ لها أي جهد لاكتشاف هذه الشخصية التي لا تحمل اسمًا أو هيئة خاصة، وتقترب الشخصية غالباً بحدثٍ ما يقلل من درجة حضورها لصالح حدث في الحكاية، وتغدو الشخصية هنا مجرد رمز يشير إلى الفاعلين الحقيقيين للأحداث. إذ قيد كل من الحدث وجهة النظر والراوي العليم صاحب السلطة العليا في النص، قيدت من حركة الشخصية في النص وقللت من شأنها.

الحدث:

وهو ما يمكن إدراكه "في السيميائية كفعل فاعل"⁽⁵⁰⁾، وهو أساس قيام النص، فالحدث تصل ذروته أو نهايته بفعل الزمن، وهو ما يطلق عليه بـ (الحبكة)⁽⁵¹⁾، فالحدث غير مستقل عن مشكلات النص السردية الأخرى، بل يوجد بوجودهما، ويختفي باختفائهما، ولا سيما الزمن الذي يقع الحدث ضمنه، إذ تكتسب تفاصيل الحدث أهميتها بتوالي الزمن وتدفعه على نحو معين، فبناء الحدث في النص يعني "الترتيب الذي يكون عليه الحدث، أي صورة تواليه في الزمن"⁽⁵²⁾، وذلك وفق نسقٍ تتابعي منطقي، فتظهر في بنياته أهمية الحدث وآثارها وانعكاساتها على الشخصية والمكان.

ففي قصيدة "مسافران إلى نهر" شكل حدث لقاء درويش بعاشقين يجلسان في محطة قطار بؤرة مهمة ثورت مشاعره وجيشتها، فالحدث يعد مركزاً تتجمع في مداراته العناصر السردية الأخرى، إذ الحدث لب العملية السردية.

رأيت الحب عن بعد خمسة أمتار. رأيته

جالساً على مقعد في قاعة المسافرين إلى

... الفتى الفرنسي والفتاة اليابانية⁽⁵³⁾

لقد طغى الإحساس بالحب على قلب الشاعر، وهو ما وسع له حدود الخيال وفتحها أمامه، وجعل ذلك الحدث البسيط الاعتيادي يغدو مؤثراً وكبيراً، بفضل ما أسبغه من توصيف شيع الحدث إلى سمو خلق رهافة وترنما عند القارئ.

ملفوفان، كما بدا لي، بغمامة

واحدة زرقاء. يتناوبان النعاس⁽⁵⁴⁾...

وفي هذه القصيدة تترابط تفاصيل الحدث الذي كان عبارة عن صدفة جمعته في محطة قطار بعاشقين، وقد تسلسل الحدث في النص وفق زمنٍ تتابعي منظم؛ فمن الماضي وهو صدفة جمعته بعاشقين في محطة ما، إلى الحاضر وتأزم الحدث ووصوله إلى الحبكة، فأعاد درويش صياغة هذا الحدث عبر نصٍ أخذ يعلي من قيمة الحب المفقودة.

... تنتظر إليه حين يضع

رأسه على كتفها نظرةً حريرية⁽⁵⁵⁾

ثم وصوله إلى النهاية حيث قال "طويت رواية الرحلة لأرى صورة الحب عن بعد" (56)، فقد سار الحدث وفق تركيب نظامي يحكمه التتابع الذي رعاه الزمن السردى المتسلسل بشكل منطقي، فالأحداث الواردة في النصوص السيرية الحقيقية أو الخيالية (غير الحقيقية) تكشف عن رغبة درويش في كشف جوانب خاصة به تشمل: رأيه وموقفه السياسي، وتشمل تمهلات آخر العمر، وبوحا غير معهود عند درويش، ليلخلق جواً نفسياً جديداً ومغايراً عند قارئ درويش.

الخاتمة:-

ثمة تحول نوعي في الطرح والأسلوب عند محمود درويش، كشف عنه في ديوانه قبل الأخير "أثر الفراشة"، إذ لم تعد جل الموضوعات مُنصبة على المقاومة والكفاح، بل نوع درويش في عمله هذا من الأمكنة والأزمنة والموضوعات، وقد برزت كبرى عمليات هذا التحول في الأسلوب البنائي لديه؛ وذلك وفق مغامرة حدثية أجراها درويش أسفرت عن شكل شعري بتقنيات سردية، ولعل حجم التدافع الفكري والمتغير اليومي احتاج من درويش نسقا سرديا يجلي بوضوح منطقية الأحداث ووجهات النظر التي طرحها درويش هنا، واضعا كلمة يوميات على صفحة، ما فرض اعتماد السردى التتابعي، الذي ينطلق من نقطة البداية والشروع إلى نقطة النهاية والقفل، مستفيدا من دوران الأحداث وتفاعل الشخص.

ففي أواخر أيام درويش صار اليومي مفعما بالأحداث التي احبطت عزيمته، لذا كانت الصور والمشاهد مكتظة ومحتشدة بمتواليات أحداث تجري وتمر سريعاً، وهو ما دعاه إلى اللجوء إلى كل أنماط الأدب (الشعر والسرد)، مرسياً بذلك خطاباً دل على إدراكه ونفاذ رؤيته وقوة ملكته الفنية وسعتها، على الرغم من أن القصائد في ديوان أثر الفراشة اختلفت في استيعابها لمشكلات السرد؛ فبعضها ما ضم في إهابه جميع المشكلات والتقنيات السردية، وأخرى ركزت على شكل / عنصر واحد أو اثنين وذلك على نحو مقصود، وكان أبرز هذه المشكلات المستخدمة هي الشخصية والراوي والمكان.

وبوسع القارئ لديوان أثر الفراشة المشاركة في استكمال بناء النص وفهمه مهتدياً بتلميحات الراوي؛ فيملاً الفجوات وصولاً إلى تأويل سليم، سهلت الألفاظ والعبارات السردية المباشرة والصريحة.

أما صوت الراوي فقد كان فاعلاً في النصوص الفضائية - الخيالية - غير الواقعية، إلا أنه انتفى في النصوص السيرية التي سمع فيها صوت درويش ذاته.

وعلى صعيد المضامين استطاع درويش تسليط الضوء والغوص في عمق التفاصيل الدقيقة في اليومي الفلسطيني، التي لا تستطيع ربما الصورة الشعرية وحدها احتواءها، والكشف عنها،

فالصورة الشعرية متعالية وزاهية بما لا يسمح الدخول إليها ومسها، بل وساعدت التقنيات السردية على إشراك القارئ - كما ذكرنا آنفاً - وقربته من النصوص وجعلته يؤيد الرؤى ووجهات النظر السياسية والاجتماعية الخاصة بدرويش، فلو اقتصر درويش في بناء خطابه على الشعر فقط؛ لما كان بوسع القارئ التمتع في النص والمساهمة في مكابدته والتمعن في معانيه، وهو ما يلذ لقارئ درويش الحصيف والمتابع أن يفعله.

Narrative Style in Mahmoud Darwish's Poetry Collection (The Butterfly Effect)

Nizar Qpilat, *International Institute for Teaching Arabic to Speakers of Other Languages, University of Jordan, Amman, Jordan.*

Abstract

This study relies on the fiction criticism with all its problems and tools to analyze poetic verses from (The Butterfly Effect) poetry collection for Palestinian poet Mahmoud Darwish, This study is conducting a reversal method where the previous (the poetry) is perceived in the eye of the successive (the fiction criticism) to reveal the context and its author according to fiction criticism tools that are being ignored by the poetic construction. It dealt with modern criticism and studied the case of literary Alliteration multiplicity and it hardly paid attention to the literary criticism and dealing with it privately. Here the construction of poetry is consistent with the criticism tools and this is known as contextual criticism. The researcher perceives this change and messages between fiction criticism and poetry construction is deliberated by Darwish and has it's implications.

قدم البحث للنشر في 2012/10/17 وقبل في 2013/4/24

الهوامش

- (1) مكي، أحمد: القصة القصيرة والشكل الأدبي. دار المعارف - القاهرة. 1978. ص: 78
- (2) ينظر. علي عشري زايد: عن بناء القصيدة العربية الحديثة. مكتبة دار العروبة. الكويت. 1981. ص 175.
- (3) ينظر محمد، النويهي: قضية الشعر الجديد. مكتبة الخانجي ودار الفكر. بيروت - لبنان. ط2. 1971. ص 87 - 98.
- (*) لقد شهد العربي منذ القدم محاولات للخروج والاستجابة لتأثير ثقافات وحضارات جاورته. فأخذ الشعر العربي صبغة تجديدية كونت على سبيل المثال ما يعرف بالموشح الأندلسي.
- (4) السعافين، إبراهيم: لهب التحولات دراسات في الشعر العربي المعاصر. ط1، دبي. 2007م. ص: 95 - 96.
- (5) العاني، شجاع مسلم: قراءات في الأدب والنقد. طبع ونشر اتحاد الكتاب العرب، دمشق. 1999. ص 49 - 50.
- (6) الورقي، سعيد: لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها وطاقاتها الإبداعية. دار المعرفة الجامعية. ص 14.
- (7) لوسيان جولدمان، وآخرون: النبوية التكوينية والنقد الأدبي، ت: محمد سبيلا. مؤسسة الأبحاث العربية. 1984م
- (8) الكبيسي، طراد: النقطة والدائرة، مقتربات في الحداثة العربية. بغداد، العراق. دار الشؤون الثقافية. 1987. ص 129.
- (9) ديوان أثر الفراشة. محمود درويش. رياض الريس للنشر. بيروت. ط1. 2008. ص 117.
- (10) ينظر تودوروف: مقولات السرد الأدبي. ت. سبحان فؤاد. مج أفاق مغربية. اتحاد كتاب المغرب، ع: 8 - 9. 1998. ص: 42.
- (11) عثمان، عبد الفتاح: بناء الرواية. دار التقدم - القاهرة. 1982. ص: 54.
- (12) جينيت، جيرار: خطاب الحكاية. ت، محمد معتصم والأزدي. الهيئة العامة للمطابع الأميرية. ط2. 1997. ص: 47.
- (13) ديوان أثر الفراشة. محمود درويش. رياض الريس والنشر. بيروت. ط1. 2008. ص: 17.
- (14) أثر الفراشة، ص: 17.
- (15) للنظر في أدوات الاتساق والانسجام النصي ينظر: علي جعفر العلاق. الشعر والتلقي؟ دار الشروق- عمان 2002....، ولعل موضوع الاتساق والانسجام يحتاج إلى دراسة مستقلة بعينها.
- (16) المصدر نفسه. ص: 18.

- (17) ينظر أمانة يوسف: تقنيات السرد بين النظرية والتطبيق. دار الحوار للنشر والتوزيع - سوريا. 1989. ص: 7.
- (18) ينظر جبرار، جينيت: خطاب الحكاية. ص 59، وما بعدها تقنيات التسريع والتبطيء وهي تقنيات الاسترجاع والاستباق (المدة السردية)
- (19) المرجع نفسه، ص: 61.
- (20) أثر الفراشة، ص: 70.
- (21) المصدر نفسه. ص: 70.
- (22) جينيت، جبرار، خطاب الحكاية. ص: 61.
- (23) أثر الفراشة. ص: 168.
- (24) المرزوقي وجميل شاكراً: مدخل إلى نظرية القصة (تحليلاً وتطبيقاً). دار الشؤون الثقافية - بغداد. 1985. ص: 76.
- (25) ينظر يهنى العيد: الراوي الموقع والشكل بحث في السرد الروائي. مؤسسة الأيمان العربية - بيروت. ط 1. ص: 84 وما بعدها.
- (26) ديوان أثر الفراشة. ص: 205.
- (27) ينظر بيرتار فاليت. النص الروائي: تقنيات ومناهج. ت رشيد بنخدو. المشروع القومي للترجمة. 1999. ص: 112.
- (28) ينظر: معجم المصطلحات العربية المعاصرة. عرض وتقديم وترجمة سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني - بيروت. 1985. ص: 111
- (29) أثر الفراشة. ص: 123.
- (30) ينظر. جبرار جينيت: خطاب الحكاية. ص: 109 - 112.
- (31) الشوبلي، داود سلمان: ألف ليلة وليلة، سحر السردية العربية. اتحاد الكتاب العرب - دمشق. 2000. ص: 70
- (32) قدامة بن جعفر: نقد الشعر. تقديم وتحقيق. محمد عبد المنعم الخفاجي. دار الكتب العلمية - بيروت، د. ت. ص: 130.
- (33) ينظر أمانة يوسف: تقنيات السرد بين النظرية والتطبيق. دار الحوار للنشر والتوزيع - سوريا. 1989. ص: 93-94.
- (34) أثر الفراشة. ص: 192.
- (35) أثر الفراشة. ص: 193. قصيدة: قال: أنا خائف.
- (36) جينيت، جبرار: خطاب الحكاية. ص: 109.

- (37) قاسم، سيزا: بناء الرواية: دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة العصرية العامة للكتاب. 1984. ص: 65.
- (38) أثر الفراشة. ص: 72.
- (39) أثر الفراشة. ص: 72.
- (40) أثر الفراشة. ص: 76.
- (*) المونولوج والديالوج والبوليفوني ويقصد بالحوار البوليفوني هو الحوار الذي تجريه عدة شخصيات. بمعنى أنه الحوار الذي تخوضه ثلاث شخصيات ويزيد. انظر ميخائيل باختين. قضايا الفن الإبداعي عند دويستوفسكي، ت: جميل ناصيف. دار الشؤون الثقافية - بغداد. 1986.
- (41) النصير، ياسين: إشكالية المكان في النص الأدبي. دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد. 1986. ص: 321.
- (*) يمثل المكان أزمة الشاعر - درويش - ومصدر قلقه وترحاله...
- (42) ينظر تعريف الفضاء عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية. الكويت - عالم المعرفة. 1998. ص: 145.
- (43) مطلق، حيدر: المكان في الشعر العربي قبل الإسلام. رسالة ماجستير. كلية الآداب. جامعة بغداد. 1987. ص: 170.
- (44) ديوان أثر الفراشة. ص: 269. ولعل هذا العنوان ذاته وضعه الكاتب الأردني الراحل تيسير السبول لروايته "أنت منذ اليوم" والتي عبرت عن تشاؤم الكاتب وفقدانه الأمل من نهضة عربية جديدة، إذ ما علمنا أن هذا الكاتب قضى منتحراً.
- (45) ديوان أثر الفراشة. ص: 89.
- (*) ينظر في القصائد الآتية: خريف إيطالي، في سكوغوس، في قرطبة، في مدريد، وهناك أيضاً أماكن عربية بعثت في صدر الشاعر نفساً ودعماً معنوياً جديد وحملت أيضاً عناوين للقصائد منها: في مركب النيل، في الرباط، في بيروت.
- (46) انظر بحراوي، حسن: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الشخصية، الزمن). المركز الثقافي - بيروت - الدار البيضاء، 1990. ص: 20.
- (47) ويليكن رينيه، نظرية الأدب. ت: محي الدين صبحي. مراجعة: د. حسام الخطيب. ط(2). (0). 1962. ص: 281.
- (48) الهاشمي، محمود منقذ: دراسات في نقد الرواية مجلة المعرفة، ع 150، 1979. ص: 21.
- (49) ديوان أثر الفراشة. ص: 172.

- (50) ينظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، عرض وتقديم: سعيد علوش. دار الكتاب اللبناني - بيروت. 1985. ص 64.
- (51) ينظر تعريف. إ. م. فورستر للحبكة في كتابه أركان الرواية. ترجمة. موسى عاصي جرس برس - طرابلس - لبنان. ط1. 1994. ص: 67.
- (52) ابراهيم. عبدالله: البناء الفني لرواية الحرب في العراق. دراسة لنظم السرد في الرواية المعاصرة. دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد. 1988. ص: 27.
- (53) ديوان أثر الفراشة، ص: 214.
- (54) المصدر نفسه، ص: 214.
- (55) المصدر نفسه، ص: 214.
- (56) المصدر نفسه، ص: 215.

المصادر والمراجع:

- ابراهيم، عبدالله: البناء الفني لرواية الحرب في العراق. دراسة لنظم السرد في الرواية المعاصرة. دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد. 1988.
- باختين، ميخائيل: قضايا الفن الإبداعي عند دويستوفسكي، ت: جميل ناصيف. دار الشؤون الثقافية - بغداد. 1986.
- بحراوي، حسن: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الشخصية، الزمن). المركز الثقافي - بيروت - الدار البيضاء، 1990.
- بن جعفر، قدامة: نقد الشعر. تقديم وتحقيق. محمد عبد المنعم الخفاجي. دار الكتب العلمية - بيروت.
- تودوروف: مقولات السرد الأدبي. ت. سبحان فؤاد. مج آفاق مغربية. اتحاد كتاب المغرب. 1998.
- جينيت، جيرار: خطاب الحكاية. ت، محمد معتصم والأزدي. الهيئة العامة للطباعة الأميرية. ط2. 1997.
- درويش، محمود: أثر الفراشة. رياض الريس للنشر. بيروت. ط1. 2008.

- زايد، علي عشري: **عن بناء القصيدة العربية الحديثة**. مكتبة دار العروبة. الكويت. 1981.
- السعافين، إبراهيم: **لهب التحولات**، دراسات في الشعر العربي المعاصر. ط1، دبي. 2007م.
- شاكر، المرزوقي وجميل: **مدخل إلى نظرية القصة (تحليلاً وتطبيقاً)**. دار الشؤون الثقافية - بغداد. 1985.
- الشوبلي، داود سلمان: **ألف ليلة وليلة، سحر السردية العربية**. اتحاد الكتاب العرب - دمشق. 2000.
- العاني، شجاع مسلم: **قراءات في الأدب والنقد**. طبع ونشر اتحاد الكتاب العرب، دمشق. 1999.
- عثمان، عبد الفتاح: **بناء الرواية**. دار التقدم - القاهرة. 1982.
- العلاق، علي جعفر: **دار الشروق- عمان 2002**
- علوش، سعيد: **معجم المصطلحات العربية المعاصرة**. بيروت. 1985.
- العيد، يمني: **الراوي الموقع والشكل بحث في السرد الروائي**. مؤسسة الأيمان العربية - بيروت.
- فاليت، بيرتار: **النص الروائي: تقنيات ومناهج**. ت رشيد بنخدو. المشروع القومي للترجمة. 1999.
- قاسم، سيزا: **بناء الرواية: دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة العصرية العامة للكتاب**. 1984.
- الكيسي، طراد: **النقطة والدائرة، مقتربات في الحداثة العربية**. بغداد، العراق. دار الشؤون الثقافية. 1987. ص 129.
- لوسيان جولدمان، وآخرون: **النبوية التكوينية والنقد الأدبي**، ت: محمد سيلا. مؤسسة الأبحاث العربية. 1984م
- مرتاض، عبد الملك: **في نظرية الرواية**. الكويت - عالم المعرفة. 1998.
- مكي، أحمد: **القصة القصيرة والشكل الأدبي**. دار المعارف - القاهرة. 1978.

- النصير، ياسين: إشكالية المكان في النص الأدبي. دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد. 1986.
- النويه، محمد: قضية الشعر الجديد. مكتبة الخانجي ودار الفكر. بيروت - لبنان. ط2. 1971.
- الهاشمي، محمود منقذ: دراسات في نقد الرواية، مجلة المعرفة، ع 150، 1979.
- الورقي، سعيد: لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها وطاقاتها الإبداعية. دار المعرفة الجامعية.
- يوسف، آمنة: تقنيات السرد بين النظرية والتطبيق. دار الحوار للنشر والتوزيع - سوريا. 1989.

- Na'im, Farid. (1982). *al-balagh – ilm al-ma'ani*. Damascus: Ibn Khaldoun Press.
- Searle, J. (1969). *Speech Acts: an Essay in the Philosophy of Language*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Searle, J. (1979). *Expression and Meaning: Studies in the Theory Speech Acts*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Smith, G. (1970). *Synonyms Discriminated*. Detroi: Gale Research Company/ Book Tower.
- Stork, F.C. and R.R.K. Hartmann (1973). *Dictionary of Language and Linguistics*. London: Applied Science Publishers LTD.
- Wierzbicka, A. (1987). *Semantics: Primes and Universals*. Oxford: Oxford University Press.
- Wright, L. and Jonathan H. (1996). *Stylistics*. London: Routledge.
- Yahoo English Dictionary Online.
<http://education.yahoo.com/reference/dictionary/>

- Assuyuuti, Jalal Al-din (1993). *Mo'tarak »al-»aqran fi »i'd□az »al-Qur'an*. Valid: Ali Al-bajawi. Cairo: Dar »al-fikr »al-»arabi.
- Atiq, Abdel Aziz (1985). *ilm »al-ma^ani*. Beirut: Dar »al-nahda Al^arabeya.
- Austin, J. (1962). *How to Do Things With Words*. Oxford: Clarendon Press.
- Beebe, L. and Cummings, M.C. (1990). "Natural Speech Act Data Versus Written Questionnaire Data: How Data Collection Method Affects Speech Act Performance." In Gass, Susan and Joyce Neu (eds.), *Speech Acts Across Cultures: Challenges to Communication in a Second Language*. Berlin: Mouton de Gruyter.
- Brown, P. and Levinson, S. (1978). *Politeness: Some Universals in Language Usage*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Cambridge Advanced Learner's Online Dictionary*.
<http://dictionary.cambridge.org/define.asp?key=450&dict=CALD>
- Collins Cobuild English Language Dictionary*. (1990). London: Collins.
- Crystal, D. (2003). *A Dictionary of Linguistics and Phonetics*. New Jersey City: Little Field.
- Ibn Faris, Abu al-hasan (1977). *»al-»ahibi*. Valid: »al-said Ahmed. Cairo: Issa »al-halbi & Co.
- Khalil, A. (1999). *A Contrastive Grammar of English and Arabic*. Amman: Jordan Book Center.
- Kordi, E. (2001). "Imperative Sentences in French". In Xrakovskij, Victor (ed.), *Typology of Imperative Constructions*. Lincom Europa: Lincom Studies in Theoretical Linguistics 09.
- Longman Dictionary of English Language and Culture*. (1993). Della Summers Editrial Director.
- Marmaridon, S. (2000). *Pragmatic Meaning and Cognition*. Amsterdam: John Benjamins Pulishing Company.
- Matloub, Ahmed (1980). *»al-balagatul »al^arabeya. »al-ma^ani Wal bayan Wal badiie^*. 1st ed. (Place of Publication and Publisher Unavailable). Iraq.

References

- Abu al-auduus, Yusuf (2004). *al-balagah- al-arabeyyah*. (Publisher Unavailable). Jordan: Irbid.
- Al-akkawi, In'am (1992). *al-mo'jam al-mofassal fi 'ulum al-balaga – al-bade' Wal –bayan Wal-ma'ani*. Beirut: Dar al- kutub al- alameyah.
- Al-akoub, Issa and Ali Al-shteivi (1993). *al-kafi fi 'ulum al- balagah- al-arabeyyah – al-ma'ani- al –bayan- al-bade' . al-d'am a al- al-arabeyyah*. (Place of Publication Unavailable).
- Al-alawi, Yahya (1980). *Kitab al-teraz*. Valid: Said Bin Ali. Egypt: al-muqtataf Press.
- Al-dweik, yusif (1997). "Madlul al- amr al-mod'arrad". Educational Journal. (Vol. Unavailable), issue: 120. P 246-51
- Al-faqeeh, Mohammad (2004). "al- amr wal Nahi bayn al-nahaweyeen wal Ussuleyeen". Social and Human Sciences Journal. Vol.12, issue: 1. Libya. P.78-82
- Ali, Abdullah Y. (1980z). *The Meaning of the Glorious Quran. Text, Translation and Commentary*. Cairo: Dar al-Kitab al-Masri; Lebanon: Dar al-Kitab al-lubnani.
- Al-jarrah, R. (2002). *An optimality-theoretic analysis of stress in the English of native Arabic speakers*. Unpublished Ph.D. Dissertation, Ball State University.
- Allan, K. (2000). *Meaning and Speech Acts*. A Published Online Dissertation. Monash University.
- Al-sughayer, K. (1990). *Aspects of Comparative Jordanian and Modern Standard Arabic Phonology*. Unpublished Dissertation. Michigan State University.
- Assubbki, Bahaddin (2001). *'arus al- affrah fi sharh talkhis al-meftah*. Valid: Khalil Ibrahim. Beirut: Dar al-kutub al- ilmeya.

- 8- Your son wanted to buy a car on his own. It happened that your other son had also bought a car without your advice. However, unfortunately, that car was expensive and had a lot of problems. If this were real, what would you say to your son who was about to buy the car?

- 9- You are sick. You have got a bad flu. You, like the others, do not like to feel sick. If this were real, how would you pray to Allah to heal you?

- 10- You are an employee in a certain company. One of your colleagues came late several times. He is late again. If this were real, what would you say to him once you meet with him?

- 11- You are a businessman. You came back home and found your baby crying aloud, and you have a babysitter, who was listening to music at the time. You wanted her to take care of the baby, so that s/he stops crying. If this were real, what would you say to the babysitter?

- 12- You are an employee in a shop for selling cars. A businesswoman wants to buy a car, but she cannot decide which color to choose. You give her many choices: the black, the blue, the red one, etc. If this were real, what would you say to her?

- 3- You are an employee in a certain company. There was a meeting with the manager of the company. He wanted to use the computer to display a file, but the computer did not work. You asked him to make sure that the wires are connected well with the outlet. If this were real, what would you say to him?

- 4- You invited a close friend of yours to have dinner with you at your home. Your friend is very shy. He ate a little and thanked you. But you wanted him to eat more. If this were real, what would you say to him?

- 5- You are a mother. It happened that your little daughter interrupted her older sister while she was talking in one of the family gatherings. If this were real, what would you say to your little daughter?

- 6- You and your father are in the car. He is about to enter a dead-end, but he is not aware of that. If this were real, what would you say to him?

- 7- You are an intelligent student. Your teacher asked you a challenging question. One of the weakest students tried to answer it. If this were real, what would you say to your classmate?



Appendix B: Version of the questionnaire
Yarmouk University
Department of English Language and Literature

Dear Participants,

This questionnaire is intended to test the Pragmatic Functions of the Imperative in Jordanian Arabic. This study aims at revealing the meanings that imperative (in its pragmatic sense) communicates in Jordanian Arabic. Please read the following 12 imaginary situations. Think over each of these situations, and then write down your responses in Jordanian Arabic.

Gender: male ☐

female ☐

Age: under 23 ☐

23 and above ☐

Educational level: BA ☐

high studies ☐

1- You and your friend are watching a football match on TV. Your friend is gossipy and you do not like to hear anything except the sports presenter's voice. If this were real, what would you say to him?

2- You are a teacher. You went on a trip with the school. You wanted to tell your students to enjoy their time. If this were real, what would you say to them?

(B) The Vowels: (Phonological Description

Symbol	Description
i	a short high front unrounded vowel
e	a short mid front unrounded vowel
a	a short low central unrounded vowel
u	a short high back rounded vowel
o	a short mid back rounded vowel
ii	a long high front unrounded vowel
aa	a long low central unrounded vowel
uu	a long high front rounded vowel
ai	A front close diphthong
au	A back close diphthong

Appendix A: Version of the worksheet

1- Main information about the conversation:

- a- Number of the interlocutors:
- b- Topic of the conversation:
- c- Setting of the conversation:

2- Information about the interlocutors:

a- Gender:

Speaker: Addressee:

b- Age:

Speaker (about): Addressee (about):

c- Educational level:

Speaker (if available): Addressee (if available):

3- Imperative utterance:

End Notes

Arabic Segmental Symbols Used (After IPA, 1997)

(A) The Consonants: (Phonological Description)

Symbol	Description
>>	a voiceless glottal plosive
b	a voiced bilabial plosive
t	a voiceless denti-alveolar plosive
θ	a voiceless interdental fricative
d□	a voiced palato-alveolar affricate
ħ	a voiceless pharyngeal fricative
x	a voiceless uvular fricative
d	a voiced denti-alveolar plosive
ð	a voiced interdental fricative
r	a voiced alveolar liquid
z	a voiced alveolar fricative
s	a voiceless alveolar fricative
š	a voiceless palato-alveolar fricative
ṣ	a voiceless emphatic alveolar fricative
ṭ	a voiceless emphatic denti-alveolar plosive
ḍ	a voiced emphatic interdental fricative
ʕ	a voiced pharyngeal fricative
ġ	a voiced uvular fricative
f	a voiceless labiodental fricative
q	a voiceless uvular plosive
k	a voiceless velar plosive
l	a voiced alveolar lateral
m	a voiced bilabial nasal
n	a voiced alveolar nasal
h	a voiceless glottal fricative
w	a voiced labiovelar glide
j	a voiced palatal glide
•	a voiced velar stop

who communicate their imperatives to persons of higher status tend not to use direct imperatives. e.g.,

سيدي بتشرفنا يوم الجمعة الساعة تسعه على الصالة

/siidi bitšarrifna juumil d□um^a>>issaa^a tis^a^ala ššaalih/

‘We will be honored, Sir, if you attend my wedding party on Friday at 9 o'clock in the wedding parties' hall’

- (5) The linguistic choices (e.g. the wording of the imperative) have a significant role in revealing and interpreting the intended meaning of the imperative in Jordanian Arabic according to the situational and linguistic context (See function 1).

الوظائف البرجماتية لصيغة الأمر في اللهجة الأردنية

رشيد الجراح ومحمد الحمديه، قسم اللغة الإنجليزية وآدابها، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى استقصاء و تحليل الوظائف البراجماتية لصيغ خطاب الأمر في العربية المحكية في الأردن. وبكلمات أكثر دقة، فإن هذه الدراسة تسلط الضوء على العلاقة بين المتحدث والمخاطب من جهة والسياق الذي تستخدم به صيغ خطاب الأمر من جهة أخرى. وقد تم جمع البيانات المتضمنة لصيغ خطاب الأمر باستخدام طريقتين وهما: (1) الملاحظة المباشرة من النصوص الطبيعية، (2) استخدام استبانته مكتوبة مطوّرة عن استبانة Beebe and Cummings (1990) لهذا الغرض. وقد خلصت الدراسة من خلال الأداتين المستخدمتين إلى أن هناك، بشكل عام، ثلاثة تراكيب لغوية تستخدم للتعبير عن الأمر في العربية المحكية في الأردن، وهي: فعل الأمر المباشر والجملة الصريحة والجملة الاستفهامية، كما دلت الدراسة على أن اختيار الصيغة الدلالية في كل سياق خطابي مرهون بالعديد من العوامل المتضاربة مع بعضها، مثل نوع العلاقة التي تربط بين المتحدثين والزمان والمكان...ألخ. كما توصلت الدراسة إلى أن صيغ الأمر في العربية المحكية في الأردن تفيد عشرين معنى براجماتياً مختلفاً كالتوبيخ، والتهديد، وإعطاء التعليمات والتحذير...ألخ.

كلمات مفتاحية: الأمر، البراجماتية، العربية المحكية في الأردن، الوظائف البراجماتية.

* The paper was received on April 7, 2011 and accepted for publication on July 27, 2011.

- double-negative imperative utterances including particles /*laa, maa*/ 'Do not' plus present tense plus the negative particle /*sh*/ 'Do not'. e.g., ما تطلوبش /*matit lubiř*/ 'Do not ask me!'
- /*laam* >> *al-* >> *amr*/ the I-of-command that is followed by the imperfect in the jussive mood. This I- of command is replaced by *خلينا* /*xalliina*/ 'Let us' in Jordanian Arabic. e.g., *خلينا نشوف*, /*xalliina* >> *inřuuf*/ equals the Standard Arabic imperative utterance *لنرى* /*linara*/ 'Let us see!'.
- b) Declaratives: different types of declaratives may communicate commanding in Jordanian Arabic. (See function 1;3;13;15 and 20).
- c) Interrogatives: the speaker can communicate his/her command by using an interrogative utterance. The locutionary act and the surface form of this utterance is a question, but it has an implicit content. e.g.,
 دكتور، شو رأيك اتأجل الامتحان للاسبوع الجاي؟
 /*daktour, řuu ra* >> *yak* >> *ita* >> *d* il limmtihaan lal >> *usbuu* il d aai?/
 'O, Professor. Would you postpone the exam until next week?'
- (2) Certain formulaic structures are not used in conveying some pragmatic functions. For example, declaratives are not used to communicate the speech acts of 'exhortation' or 'giving instructions'; interrogatives are not used with 'invocation'; prohibitions are also not used with 'offering alternatives'. On the other hand, other formulaic structures are used with some pragmatic functions, e.g. the semantic formula (*xalliini/ xalliina* + present) is used to communicate the speech acts of 'requesting', 'invitation', 'suggestion', and 'challenging'.
- (3) This study has shown that imperatives in Jordanian Arabic convey various pragmatic functions according to context. The intended meaning is unfolded only through the context in which the imperative utterance is used. According to speech situation, this study has come up with twenty pragmatic functions of the imperative in Jordanian Arabic, namely: exhortation, discipline, learning a lesson, rebuking, threatening, giving instructions, drawing attention, invocation, offering alternatives, requesting, insult, showing hospitality, humiliating, advising, commanding, permission, invitation, suggesting, prohibition and challenging.
- (4) The choice of the semantic formulas in conveying imperatives in Jordanian Arabic is affected by the status of the interlocutors. For instance, addressers

expressions, i.e., يا زلمه /*jaa zalamih*/ ‘O, man’ and من مصلحتك /*min maṣlaḥtak*/ ‘It is for your own good’ shows that the speaker cares for the addressee and he advises him to come early next time.

4. Conclusions

Upon analyzing the collected data from both the observation of naturally occurring language and the responses of the participants to the (DCT), it turned out that there were twenty meanings of the imperative in Jordanian Arabic based on the notion of ‘illocutionary point’ or the purpose of the act, from the speaker's perspective. Following Searle's 1979 classifications of speech acts; the following Table lists these meanings:

The Pragmatic Meanings of Imperative in Jordanian Arabic

Assertives	<i>Drawing attention, Suggesting</i>
Directives	<i>Exhortation, Drawing attention, Commanding, Giving instructions, Learning a lesson, Permission, Prohibition, Rebuking, Threatening, Discipline, Requesting, Insult, Showing hospitality, advising, Offering alternatives</i>
Commissives	<i>Permission, Invitation, Suggesting, Prohibition, Challenging, Learning a lesson, Invocation, Rebuking, Threatening, Discipline, Insult, Offering alternatives</i>
Expressives	<i>Learning a lesson, Invocation, Rebuking, Discipline, Insult, Showing hospitality, Humiliating</i>

On the basis of the findings presented and discussed in this study, the following conclusions can then be drawn:

(1) Given the context where the imperative is conducted, the following semantic formulas can all be used to communicate the imperative in Jordanian Arabic:

a) Direct imperative verbs: imperatives have different forms in Jordanian Arabic such as:

- an imperative verb (transitive. e.g., اشرب /*iṣrab*/ ‘Drink!’ and intransitive. e.g., انزل /*inzal*/ “come down”).
- negative particles /*laa*, *maa*/ ‘Do not’ plus present tense. e.g., لا تتأخر /*laa titaxxar*/ ‘Do not be late!’; ما تخلي /*maat xalli ġeiri*/ ‘Do not make others be’

3.2.14. Function 20: Advising

'Advising' is a speech act which employs an imperative; it is an opinion that someone offers you about what you should do or how you should act in a particular situation (*Cambridge Advanced Learner's Online Dictionary*). Moreover, Wierzbicka (1987:181) differentiates between advising and suggesting in that "Suggestions are often presented in an interrogative form 'How about...?', 'Why don't you...?', etc., but advice normally does not take an interrogative form 'How about going to see a doctor?' advised John". The speech act of 'advising' in Jordanian Arabic is communicated by using direct imperatives, declaratives, interrogatives and prohibitions. Consider the following examples:

(22.a) اذا كان حبيبك عسل, لا تلحسه كله

/>>iða kaan habiibak ʔasal, laa tilhasu kullu/

Literal meaning 'If your darling is honey, do not lick it all'

(22.b) يا زلمه لا تتأخر, من مصلحتك

/jaa zalamih laa tit>>axxar, min maşlahtak/

'O, man. Do not be late! It is for your own good'

The speaker in situation (10) (For details see Appendix B for the version of the questionnaire), is an employee in a certain company. One of his colleagues came late several times. This colleague is late now. However, the speaker in examples (22.a) uses a declarative 'saying' >>iða kaan habiibak ʔasal, laa tilhasu kullu/ (Lit. translation 'If your darling is honey, do not lick it all') to communicate his imperative that conveys 'advice' to his colleague. This saying is well known in Jordanian Arabic; people use it to indicate that the addressee is exceeding the limits that should not be exceeded. Thus, the speaker advises the addressee not to be late again and to come early to the workplace next time.

The speaker in example (22.b) starts off his negative imperative with the addressing form يا زلمه /jaa zalamih/ 'O, man' followed by an imperative with the negative particle (NegP) لا /laa/ 'Do not' plus a present tense تأخر /tit>>axxar/ 'be late'. Then, the speaker ends up his advice by using the utterance من مصلحتك /min maşlahtak/ 'It is for your own good'. The use of such

3.2.13. Function 19: Humiliating

'Humiliating' is "to make someone feel ashamed or lose their respect for themselves" (*Cambridge Advanced Learner's Online Dictionary*). The speech act of 'humiliating' in Jordanian Arabic is communicated by using direct imperatives, declaratives, interrogatives, prohibitions and (xalliina + present). Consider the following examples:

(21.a) نزل ايدك, عامل حالك شاطر

/nazzil >>iidak, ʿaamil haalak šaatir/

‘Put down your hand! You just pretend to be clever’

(21.b) خلينا نشوف مراجلك يا أبو العريف

/xalliina nšuuf maraadʒlak jaabul ʿurreif/

‘Let us see how intelligent you are!’

In situation (7) (See Appendix B of the questionnaire for details), the speaker is an intelligent student whose teacher asked him a challenging question. But one of the weakest students tried to answer it. However, in example (21.b), the speaker uses the imperative utterance that starts off with the direct imperative verb خلينا/xalliina/ ‘Let us’ to convey humiliating function. This verb is used in Jordanian Arabic to stand for /laam >>al->>amr/ the I-of-command which is followed by the imperfect in the jussive mood. Thus, the imperative utterance خلينا نشوف /xalliina nšuuf/ equals the Standard Arabic imperative utterance لنرى /linara/ ‘Let us see!’.

Also, what expresses humiliating is the use of the address expression يا أبو العريف /jaabul ʿurreif/ which means ‘the person who pretends knowing everything’. This epithet is a phrase that is used in Jordanian Arabic to describe, negatively, the most important quality of a person in order to bring disgrace on him.

In example (21.a), the speaker ends up his imperative with the verb clause عامل حالك شاطر /ʿaamil haalak šaatir/ ‘You just pretend to be clever’ which indicates disgrace on the addressee. However, 'humiliation' is considered a threat to the addressee's negative face.

imperatives, declaratives, interrogatives, prohibitions. Consider the following examples:

(20.a) أكل, البيت بيتك

/>>ukul, >>il beit beita/

‘Eat! Make yourself at home!’

(20.b) لويش مستحي يا حبيبي؟ البيت بيتك

/laweiš mistahi jaa habiibi? >>ilbeit beita/

‘Dear, why are you shy? Make yourself at home’

(20.c) بالله عليك لا تستحي, كل كمان

/billaah ^aleik laa tistahi, kul Kamaan/

‘By God, do not be shy! Have more!’

In situation (4) (For details see Appendix B for the version of the questionnaire), the speaker is a person who invited his close friend to have dinner with him at his home. This friend was very shy. He ate a little and thanked the host. However, the speaker wanted his friend (the guest) to eat more. In each example mentioned above, there is an utterance that reflects 'hospitality'. For instance, in example (20.a), the speaker starts off his speech by using the direct imperative verb أكل />>ukul/ ‘Eat!’ and he ends up his utterance with the declarative expression البيت بيتك />>ilbeit beita/ ‘Make yourself at home’ to show solidarity and intimacy to the guest.

In example (20.b), the speaker starts his utterance with the interrogative sentence لويش مستحي يا حبيبي؟ /laweiš mistahi jaa habiibi?/ ‘Dear, why are you shy?’. In example (20.c), the speaker starts off his imperative with the utterance بالله عليك لا تستحي /billaah ^aleik laa tistahi/ ‘By God, do not be shy!’ to be hospitable with his friend.³

3- However, all of the above mentioned examples are not considered as performatives according to Allan (2000:7) who states that an explicit performative clause cannot be interrogative or imperative as in "Shall I bet \$50 on the cup? and Get out of here!".

However, the speaker in example (18.b) starts off his imperative with the interrogative utterance *بتقدر* />>ibti•dar/ 'Can you?' which counts as a 'request' for action rather than as a question about the hearer's ability. Moreover, this situation, has double-functioned meanings; the other meaning or function is insulting.

3.2.11. Function 17: Insult

To insult is to be rude in speech or action to somebody or to treat others with lack of respect. (*Longman Dictionary of English Language and Culture*.1993: 683). The speech act of 'insult' in Jordanian Arabic is communicated by using direct imperatives, declaratives and interrogatives. Consider the following examples:

(19.a) *كل هوا واسكت*

/kul hawa wisskut/

'Keep silent!'

(19.b) *بتعرف تخرس وتسد بوزك؟*

/>>ibti~rif tixras witsid buuzak?/

'Do you know how to shut up and keep your nose clear?'

In almost all the responses to situation (1) (For details see Appendix B for the version of the questionnaire), the speaker uses verbs that show contempt for the hearer. For instance, in example (19.a), the speaker starts off with *كل هوا* /kul hawa 'Keep silent!'. In example (19.b), the speaker communicates the command with an interrogative sentence that ends up with the utterance *وتسد بوزك* /witsid buuzak/ 'and keep your nose clean'; this interrogative sentence expresses sharp or rude request to stop an action, i.e., to stop talking.

The lexical choice of the verb form can reveal the intended meaning of the speaker. For instance, verbs such as *اسمع* />>isma~/ 'Listen!' and *اهدى* />>ihda/ 'Be quiet!' differ from the verbs such as *اخرس* />>ixras/ 'Shut up!' and *سد* /sid/ 'Keep clear!' in the degree of politeness.

3.2.12. Function 18: Showing Hospitality

'Showing hospitality' is to welcome the guests and visitors friendly or to deal kindly with others (*Yahoo English Dictionary Online*). The speech act of 'showing hospitality' in Jordanian Arabic is communicated by using direct

'ask' but it is more polite. Wierzebecka (1987:51) adds that in requesting, the speaker wants something but he cannot have it without the help of the hearer; and the speaker seems to say what he wants others to do in a less direct way. The speech act of 'request' in Jordanian Arabic is communicated by using direct imperatives, declaratives, interrogatives, prohibitions, (law + present) and (xalliina + present). Consider the following examples:

(18.a) مشان الله اسكت, بدنا نعرف نحضر المباراه

/mšaan >>allah >>usskut, biddna ni^ˆrif niḥdar >>ilmubaraah/

‘For God's sake, keep silent! Let us watch the match!’

(18.b) بتقدر تعيرني سكوتك؟

/>>ibti•dar >>it^ˆiirni skuutak?/

‘Can you keep silent?’

(18.c) لا تدوشنيش بصوتك العالي

/laa tidwišniš >>ibšuuṭak >>il^ˆaali/

‘Do not deafen me with your loud voice!’

(18.d) لو سمحت بدني اعرف اسمع

/law samahit biddi >>a^ˆrif >>assma^ˆ/

‘I would like to listen carefully, please’

In situation (1) (See Appendix B of the questionnaire for details), the speaker is watching a football match on TV with his friend who is gossipy. The speaker wants to focus on what the sports presenter says. In example (18.d), the speaker starts off with *لو سمحت* /law samahit/ ‘please’; the speaker in (18.a) uses the utterance *مشان الله* /mšaan >>allah/ ‘For God's sake’ in order to soften the force of command. The speaker in this situation communicates the commands in a less direct way since commands in this case are all face threatening. In (18.c), the speaker starts off with a double-negative imperative utterance, i.e., an imperative with the negative particle (NegP) *لا* /laa/ ‘Do not’ plus a present tense *تدويش* /tidwiš/ ‘deafen’ plus another negative particle (NegP) *ش* /š/.

‘Choose the red color because it is lady's color or the blue since it is cooler!’

(17.b)

في اكثر من لون، وكل لون احلى من الثاني. وبما انك مدام الاحمر كثير بناسب انوثتك
والاسود بناسب وضعك والازرق كثير عملي والخيار برجعلك

/fi >>akθar min luun, wkul luun >>aħla minθθaani. wbimaa >>innik
madaam laħmar kθiir binaasib >>unuuθtik wil>>aswad binaasib waðˤik
wil>>azrag kθiir ˤamali wilxayar birdʒaˤlik/

‘There are more colors. Each color is nicer than the other. Since you are a lady, the red color fits your femininity; the black fits your status; whereas, the blue one is very practical. The choice is yours’

(17.c) شو رأيك باللون الاسود لأنه راقى جداً أو الاحمر امّور، اما الازرق فهو غريب

وحلو؟

/šuu ra>>yik billuun laswad li>>anu raqidʒiddan >>au laħmar >>ammuur,
>>ammal >>azrag fahuwah ġariib whilu?/

‘What about the black color, it is a very elegant one or the red, it is gentle; whereas, the blue is exquisite and nice color’

The speaker in situation (12) (For details see Appendix B for the version of the questionnaire), is an employee in a car dealer's shop. A businesswoman wants to buy a car, but she cannot decide which color to choose. The speaker gives her many choices: black, blue or red. In example (17.a) above, the speaker offers many alternatives by using the direct imperative form اختاري />>ixtaari/ ‘Choose!’. In example (17.c), he uses an interrogative that begins with the question شو رأيك /šuu ra>>yik/? ‘What about?’, whereas in (17.b), the speaker communicates the imperative by using the declarative mood.

In each case, the speaker gives reasons for choosing each color (e.g., he uses ستاتي /sittati/ ‘lady's color’; هادي /haadi/ ‘cooler’; راقى جداً /raqi dʒiddan/ ‘very elegant’; غريب و حلو /ġariib whilu/ ‘exquisite and nice’, etc.) to convince the hearer to choose one of the colors.

3.2.10. Function 16: Request

Searle (1969:71) defines request as "an attempt to get the hearer to do something". According to Smith (1970:123) request can mean the same thing as

act of 'invocation' in Jordanian Arabic is communicated by using direct imperatives, declaratives, prohibitions and (xalliini + present). Consider the following examples:

(16.a) يا رب شافيني

/jaa rab šaafiini/

'O, Allah. Heal me, please'

(16.b) يا الله ما تخلي غيري يجرب هالمرض

/jallah maat xalli •eiri >>iydžarrib halmarad/

'O, Allah. Do not make others be afflicted with this disease'

In situation (9) (See Appendix B of the questionnaire for details), the speaker is a sick person who has a bad flu. He invokes Allah to heal him. In example (16.a) the speaker uses the singular masculine imperative verb شافي /šaafi/ 'Heal'. In the speech act of invocation to Allah whether in Standard or Jordanian Arabic, the speaker uses the singular masculine imperative verb (e.g., شافي /šaafi/, عافي /ʿaafi/ 'Heal' and سامح /samiḥ/ 'forgive', etc.)².

Moreover, the speaker in example (16.b) invokes Allah by using the negative imperative with the negative particle (NegP) ما /maa/ 'Do not' plus a present tense تخلي />>itxalli/ 'make'. What this basically means is that a prohibitive meaning can be expressed in Jordanian Arabic in different ways such as using the negative particles (NegP) لا /laa/ or ما /maa/ 'Do not'.

3.2.9. Function 15: Offering Alternatives

'Offering alternatives' is to give the choice between two things or possibilities (*Yahoo English Dictionary Online*). The speech act of 'offering alternatives' in Jordanian Arabic is communicated by using the formulaic structures: direct imperatives, declaratives, and interrogatives. Consider the following examples:

(17.a) اختاري الاحمر لأنه ستاتي او الازرق لأنه هادي

/>>ixtaaril >>aḥmar li>>anu sittati >>awil >>azra• li>>anu haadi/

2- Ibn Faris (1977: 298-304) mentioned this pragmatic meaning of 'invocation', but like other Arab rhetoricians, he was mainly concerned with listing the contextual meanings of the imperative without showing how such meanings are interpreted.

Therefore, the expression *لو* /law/ plus a present tense *تشوف* />>itšuufl/ can replace a direct imperative in Jordanian Arabic, i.e., *شوف* /šuufl/ 'Check!'.

3.2.7. Function 13: Drawing Attention

'Drawing attention' is to attract attention or interest (*Cambridge Advanced Learner's Online Dictionary*). Drawing attention is an act that communicates a command; it is a directive like orders and requests. The speech act of 'drawing attention' in Jordanian Arabic is communicated by using direct imperatives, declaratives, interrogatives and prohibitions. Consider the following examples:

(15.a) *دير بالك يابا, الطريق مسكر*

/diir baalak jaba, >>iltarii• >>imsakkrih/

'Be careful dad! It is a dead-end'

(15.b) *يابا, شكله الطريق مسكر*

/jaba, šaklul tarii• >>imsakkir/

'O, father. It seems that it is a dead-end'

In situation (6) (See Appendix B of the questionnaire for details), the speaker is a son who is in the car with his father who is about to enter a road with a dead-end. In order to draw his father's attention who is unaware of the road, the son uses the declarative utterance *شكله الطريق مسكر* /šaklul tarii• >>imsakkir/ 'It seems that it is a dead-end' in example (15.b) to say something like *لا تفوت* /laať fuut/ 'Do not drive in!', thus indirectly expressing a speech act of command in this specific situation.

Based on the theory of speech acts, because 'words' are as powerful as 'actions', what the son says can be as effective as what he performs. Thus, when the speaker says directly a certain expression of command (as in example (15.a) *دير بالك* /diir baalak/ 'Be careful!') or indirectly (as in example (15.b) *شكله* /šaklul tarii• >>imsakkir/ 'It seems that it is a dead-end', he indeed performs an act of command (the speaker wants the hearer not to enter that dead-end road).

3.2.8. Function 14: Invocation

'Invocation' is to call on a higher power 'Allah' for assistance, support, or inspiration (*Yahoo English Dictionary Online*). In our investigation, the speech

by using the transitive verbs سكتي /sakkti/ 'Hush' and شوفي /šuufi/ 'take care of'. Also, the speaker in (13.d) uses an imperative with the negative particle (NegP) لا /laa/ 'Do not' plus a present tense تشغلي /tinšagli/ 'waste' to express a prohibitive meaning (i.e., to stop listening to music). In all cases, the commander (the businessperson) exerts some degree of authority over the commanded (the baby-sitter) to do some specific act.

Further, the speaker does not use the verb 'threaten' directly; "threaten" is a constative verb which is not used performatively. Like rebuking, threatening which commits the speaker to a future act (namely to stop an unwanted action) is one of the face-threatening speech acts.

3.2.6. Function 12: Giving Instructions

'Giving instructions' is to order or tell someone to do something in an organized or successive way. (*Cambridge Advanced Learner's Online Dictionary*). The person who gives instructions could be superior or inferior in position. The speech act of 'giving instructions' in Jordanian Arabic is communicated by using direct imperatives, interrogatives and (*law* + present). Consider the following examples:

(14.a) سيدي, بتقدر تتأكد انه الاسلاك موصوله بالكهريا؟

/siidi, >>ibti•dar tit>>akkad >>inu lislaak mawšuulih bil kahrabah?/

'Sir. Could you check that the wires are correctly connected?'

(14.b) يا أستاذ, لو تشوف الفيش يمكن مش راكب مليح

/jaa >>ustaað, law itšuufil fiiš jimkin miš rakib >>imliih/

'O, Sir. Could you check the plug? Maybe it is not inserted correctly'

In situation (3) (For details see Appendix B for the version of the questionnaire), the speaker is an employee talking to the manager of the company in one of the official meetings. The manager wanted to use the computer to display a file, but the computer did not work. The speaker asked him to make sure that the wires are connected to the outlet. However, the imperative meanings are covered by various polite requests that are used in standard politeness formulas. To show respect to the manager of the company, the speaker who is inferior in position in example (14.b) begins his speech with the utterance يا أستاذ /jaa >>ustaað/ 'O, Sir'. Not only this, but he also starts off his command by using the utterance لو تشوف /law >>itšuuf/ 'Could you check?'.
28

ليش ما تقلي وجهك و تسكتي الولد؟ />>inti šuu bti ʾmali? Leiš maa ti-libi wiðʒhik witsaktil walad/ 'What are you doing?! Why do not you hush the baby?' Furthermore, situation (11) has double-functioned meanings; the other function is threatening. 'Rebuking' is then classified as one of the face-threatening speech acts.

3.2.5. Function 11: Threatening

'Threatening' is an act that is used when someone angrily threatens another one that something bad will happen if he does/not do something. Wierzbecka (1987:179) argues that threatening differs from drawing attention "in its inability to be used performatively: one can say 'I warn you' but not 'I threaten you' ". She adds that many threats are accompanied by an imperative "'Do x- or else...' " (for details see Wierzbecka 1987: 178). In our investigation, it turned out that the speech act of 'threatening' in Jordanian Arabic is communicated by direct imperatives, declaratives and prohibitions. Consider the following examples:

(13.a) انتبهي للولد والّا بجيب مريبه ثانيه

/>>intabhi lilwalad wa>>ila badʒiib murabejih θanyih/

'Take care of the baby else I bring another baby-sitter!'

(13.b) سكتي الولد والّا بكحك

/saktil walad wa>>ila bakhashik/

'Hush the baby or I will show you the door!'

(13.c) شوفي شغلك احسنك

/šuuʔi šuɣlik ahsanlik/

'You'd better mind your job'

(13.d) لا تنشغلي بالأغاني التافهه, شوفي الولد شو ماله

/laatin šaɣlibil >>aɣanil tafha, šuuʔil walad šuu maalu/

'Do not waste your time listening to silly music, go and check on the baby!'

In situation (11) (For details see Appendix B for the version of the questionnaire), the speaker expresses a direct command; in (13.a) above the speaker uses the imperative utterance (the intransitive verb انتبهي />>intabhi/ 'Take care'). In (13.b and 13.c above), the speaker communicates his commands

It happened that his other son had also bought a car without his father's advice. However, unfortunately, that car was expensive and had caused him many problems. The father in example (11) above uses an interrogative utterance ما تعلمت من اخوك? /maat ʔallamit min ʔaxuuk?/ 'Haven't you learned anything from your brother's mistake?' to teach his son a lesson. Although the utterance looks like a question, it is intended to be understood as a command urging the son to learn a lesson from a previous bad experience. Wright and Jonathan (1996: 156-7) point out that a command may look like a question. However, the locutionary act and the surface form of this utterance is a question with a clear content (learn a lesson), but the illocutionary act conveys a command by the speaker and the perlocutionary act expresses the speaker's desire that the hearer should learn a lesson from his brother.

3.2.4. Function 10: Rebuking

'Rebuking' is to speak severely to someone because you do not approve of what s/he has said or done (*Collins Cobuild English Language Dictionary*. 1990:1200). The speech act of 'rebuking' in Jordanian Arabic is communicated by using direct imperatives, declaratives and interrogatives. Consider the following examples:

(12.a) الولد فقع من العياط وانتني قاعده للأغاني!

/ʔilwalad fa•a ʔmin li ʔjaat winti •a ʔdih lal ʔaʔaani!/
 'The baby has exploded crying while you are listening to music'

(12.b) انتني شو بتعملي؟! ليش ما تقلبي وجهك و تسكتي الولد؟

/ʔinti šuu bti ʔmali? Leiš maa ti•libi widʔhik witsaktil walad/?
 'What are you doing?! Why do not you hush the baby?'

In situation (11) (See Appendix B of the questionnaire for details), the commander is a businessperson who came back home and found his baby crying loudly; the babysitter (the commanded) was listening to music at the time. The imperative meanings are conveyed by narrative sentences as in example (12.a) above الولد فقع من العياط وانتني قاعده للأغاني! /ʔilwalad fa•a ʔminli ʔjaat winti •a ʔdih lal ʔaʔaani!/'The baby has exploded crying while you are listening to music!'. And by interrogative sentences as in example (12.b) انتني شو بتعملي?!

3.2.2. Function 8: Discipline

To discipline is to teach someone to behave in a controlled way; especially, by giving severe punishment. (*Cambridge Advanced Learner's Online Dictionary*). Consider the following examples:

(10.a) يا بنتي يا حبيبتني, احترمي أختك الكبيره

/jaa binti ja ĥabiibtu, >>iħtarmi >>uxtikil kabiirih/

'O, darling. Respect your elder sister!'

(10.b) لا تقاطعي أختك الكبيره

/laat •aatˤi >>uxtikil kabiirih/

'Do not interrupt your older sister!'

In situation (5) (See Appendix B of the questionnaire for details), the speaker is a mother whose little daughter interrupted her older sister while she was talking during a family gathering. In (10.a) above, the speaker uses the direct imperative verb /ħtarmi/ 'show respect to!' and the object /uxtik/ 'your sister'. In (10.b), the speaker communicates his command by using a negative imperative sentence (i.e., an imperative with the negative particle (NegP) لا /laa/ 'Do not' plus a present tense /it•aatˤi/ 'interrupt'). However, because the prohibitive imperative utterances that convey prohibition express sharp or rude request to stop an action, 'discipline' is then considered one of the most intrinsically face-threatening speech acts.

3.2.3. Function 9: Learning a Lesson

'Learning a lesson' is "to suffer a bad experience and know not to do it again" (*Cambridge Advanced Learner's Online Dictionary*). The speech act of 'learning a lesson' in Jordanian Arabic is communicated by using direct imperatives, declaratives, interrogatives and prohibitions. Consider the following example:

(11) ما تعلمت من اخوك

/maatˤallamit min >>axuuk?/

'Haven't you learned anything from your brother's mistake?'

In situation (8) (For details see Appendix B for the version of the questionnaire), the speaker is a father whose son wanted to buy a car on his own.

In (8) above, the speaker is a school student who is challenging his classmate who is on the second floor to get down. The speaker communicates his intentions using the if-clause *إِذَا نَكَ زَلَمَهُ* /'iðannak zalamih/ 'If you are a man' and the main imperative verbal clause *انزل لتحت* /'inzal latihit/ 'come down to face me!'. Thus, the use of the conditional clause in this context helps make the imperative clause count as 'challenge' to the addressee.

3.2. Part Two: The Questionnaire

Based on the subjects' responses to the questionnaire, the researcher detected another fourteen functions of the imperative in Jordanian Arabic: *exhorting, disciplining, learning a lesson, rebuking, threatening, giving instructions, drawing attention, invoking, offering alternatives, requesting, insulting, showing hospitality, humiliating, and advising.*

3.2.1. Function 7: Exhortation

To exhort is to strongly encourage or try to persuade someone to do something (*Cambridge Advanced Learner's Online Dictionary*). In the following examples, commander (the higher in rank) tells the commanded (the lower in rank) to enjoy his time by using courteous words or gestures:

(9.a) يا حبايبي، انبسطوا: مثل هالرحلات مش كل يوم

/jaa ĥabaybi >>inbastu, miθil halriħlat miš kul juum/

'My Beloved. Enjoy yourselves; we cannot have like this trip everyday'

(9.b) عيشوا حياتكو وانبسطوا

/ʔiišu ĥayatku winbastu/

'Live your life and have fun'

In almost all the responses to situation (9.b) (For details see Appendix B for the version of the questionnaire), the speaker is a teacher who tells students to enjoy their time on a trip with the school. In (9.a) above, for example, he introduces his commanding by the expression *يا حبايبي* /jaa ĥabaibi/ 'My Beloved' to show solidarity with the addressees and to draw their attention to a certain act, i.e., to enjoy the trip. The speaker uses the verb of command *انبسطوا* />>inbastu/ 'Enjoy yourselves' and the plural masculine form to perform a certain speech act (i.e., exhortation). In (9.b), the speaker communicates the same speech act using a transitive verb *عيشوا* /ʔiišu/ 'live' followed by the object noun *حياتكو* /ħayatku/ 'your life'.

speaker's benefit probably because the students are not ready for the exam. However, the speaker uses an interrogative mood that begins with the question شو رأيك? /šuu ra>>yak/ 'Would you?' which may look like a question to cover his command that counts as a 'suggestion'. Because the imperative meaning in this context is communicated as a polite request, the addressee (the professor in this case) can decide either to accept the suggestion or to turn it down.

3.1.5. Function 5: Prohibition

Prohibition is to forbid someone to do something. Consider the following example:

ثاني مره ما تطلوبش مني مصاري(7)

/θaani marrah matilubiš minni maṣaari/

'Do not ask me for money again!'

The speaker in (7) above is a university student who wants his friend not to ask him for money again. On a previous occasion, the speaker lent his friend some money, but unfortunately he has not got his money back yet. It is especially worth pointing out here that the speaker in this example starts off this imperative with the noun phrase ثاني مره /θaani marrah/ 'again' to show his unwillingness to lend this friend money again.

The speaker communicates his intentions using a double negative imperative utterance, i.e., an imperative with the negative particle (NegP) ما /maa/ 'Do not' plus another negative particle (NegP) ش /š/ suffixed to a present tense verb تطلب /tidub/ 'ask for'. The context makes it manifest that the imperative counts as prohibition. Interestingly enough, Kordi (2001: 385) stresses that negative imperative sentences normally express a prohibitive meaning.

3.1.6. Function 6: Challenging

Challenging is to invite someone to compete or to take part, especially in a game or argument that requires great effort and determination in order to succeed (*Cambridge Advanced Learner's Online Dictionary*; *Collins Cobuild English Language Dictionary*. 1990: 224). Consider the following example:

إذانك زلمه, انزل لتحت(8)

/iðannak zalamih 'inzal latihit/

'If you are a man, come down to face me!'

سيدي بتشرّفنا يوم الجمعة الساعة تسعة على الصالة(5)

/siidi bitšarrifna juumil dʒumˤaˤ>>issaaˤa tisˤa ˤala ššaalih/

‘We will be honored, Sir, if you attend my wedding party on Friday at 9 o'clock in the wedding parties' hall’

The speaker in (5) above is an employee who is inviting the manager of the company where he works to his wedding party. The speaker who is inferior in position in this context begins his speech with the utterance سيدي/siidi/ ‘O, sir’ probably to show some respect to his boss (or at least to show that he is aware of the social distance). Therefore, the speaker communicates the command indirectly by using the declarative utterance بتشرّفنا يوم الجمعة الساعة تسعة على الصالة /bitšarrifna juumil dʒumˤaˤ>>issaaˤa tisˤa ˤala ššaalih/ ‘We will be honored, sir, if you attend my wedding party on Friday at 9 o'clock in the wedding parties' hall’. Although the speaker literally performs an act of command (i.e., the speaker wants the addressee to go to the hall to attend the party), the imperative utterance used in this context counts as an 'invitation' - a state of affairs that definitely backs up Austin's (1962: 69) definition of a performative as an utterance that contains a special type of verb (a performative verb) by force of which it performs an action (i.e., in using a performative, a person is not just saying something, but is actually doing something).

3.1.4. Function 4: Suggesting

To suggest is to mention an idea, possible plan or action for other people to consider (*Cambridge Advanced Learner's Online Dictionary*). Wierzebecka (1987:187) argues that "the person making a suggestion thinks that it might be a good thing if the addressee did something". She also adds that the addressee can decide either to follow the suggestion or not. Generally speaking, the reason for making a suggestion is for the addressee's benefit, where the speaker postulates that the addressee does not know what to do or what to think. Thus, he helps the addressee make his choice (See Wierzebecka 1987:187). Consider the following example:

دكتور، شو رأيك اتأجل الامتحان للاسبوع الجاي؟(6)

/daktour, šuu ra>>yak >>it a>>dʒil limtihaan lal >>usbuuˤil dʒaai/

‘O, Professor. Would you postpone the exam until next week?’

In (6) above, the speaker is a graduate student who suggests postponing the exam until the following week. The reason for making this suggestion is for the

In (3) above, the speaker is a Sheikh in the mosque and is commanding a child to stop talking to his friend during the Friday sermon. The sheikh uses the verbless imperative utterance *خلص* /*xalaʃ*/ 'Enough' to command the addressee to stop talking. The commander expects to cause the addressee to obey him. This declarative can be replaced by the utterance *لا تتكلم* /*laa titkallam*/ or by *لا تحكي* /*laa tihki*/ 'Do not speak!'. A point worthy of mention is that without the context the use of *خلص* /*xalaʃ*/ 'Enough' will not reveal the intended meaning. For, the intended meaning of this imperative utterance is unfolded only through the context in which it is used.

As expected, it turned out that all utterances that are used to communicate 'commanding' implicated a threat to the addressee's negative face. A finding that further corroborates Brown and Levinson's (1978: 191) claim that 'commanding' is one of the most intrinsically face-threatening speech acts.

3.1.2. Function 2: Permission

Permission is to allow someone to do something (*Collins Cobuild English Language Dictionary*. 1990:1068). Consider the following example:

(4) اشرب

/>>iʃrab/

'Drink!'

In (4) above, the speaker is a school teacher giving permission to one of his students who had asked him to go out to drink some water. The speaker uses a direct imperative verb *اشرب* />>iʃrab/ 'Drink!' to communicate the meaning of something like *بتقدر تروح تشرب مي* />>ibti•dar >>itruuh tiʃrab mai/ 'You can go out to drink some water'. If decontextualized, it would be almost impossible to figure out that the speaker is giving permission to the addressee. However, the interesting point worthy of mentioning here is that although *اشرب* />>iʃrab/

'Drink!' is a transitive verb in Arabic, the speaker chooses not use an object, probably in order to make it look more like a short command that should be carried out immediately by the addressee.

3.1.3. Function 3: Invitation

Invitation is "to request that someone take part in or to be present at a particular occasion" (*Yahoo English Dictionary Online*). Consider the following example:

- (2) *A modified Discourse Completion Test (DCT)* was proposed by Beebe and Cummings (1990). The DCT was a written questionnaire that consisted of descriptions of 12 social settings, followed by a brief dialogue, with one turn as an open slot to be completed by the participants (For details see Appendix B for the questionnaire).

Due to the limitations which were anticipated in the method of observation of naturally occurring data, this questionnaire was used for at least two reasons. First, it was difficult to get spontaneous imperative structures in certain social situations. Second, the questionnaire turned out to be important, because it helped the researchers have control over the social variables.

3. Data Analysis

The collected data (through the observation of naturally occurring language and from the responses of the participants to the questionnaire) were then transliterated, translated and tabulated. Concisely, each pragmatic function of the imperative was analyzed by describing its situational context (namely who speaks, to whom, where, and when).

3.1. Part One: Naturally Occurring Data

Using this instrument enables us to detect six core functions of the imperative in Jordanian Arabic only. These are *commanding*, *permission*, *invitation*, *suggestion*, *prohibition*, and *challenging*.

3.1.1. Function 1: Commanding

Commanding is to tell or order someone to obey something (*Collins Cobuild English Language Dictionary*. 1990: 275). Commanding differs from order in that order is to tell someone to do something, and he must do. Wierzbicka (1987: 39) argues that the person who commands (the commander) wants the addressee (the commanded) to do something and he expects to cause him to do it 'by the speech act'. Also, she (1987: 39) differentiates between commanding and ordering in that commands are usually short and they are expected to act as signals that trigger an action almost automatically (e.g., 'Out!'); but complicated multi-clausal sentences are likely to be used as orders. Consider the following example from Jordanian Arabic:

(3) خلاص

/xalaʃ/

'Enough'

- (2) The illocutionary act: the act performed through speaking (e.g. making a promise, giving orders, requesting, etc.), and
- (3) The perlocutionary act: the effect achieved by the utterance on the addressee (frightening, persuading, etc.).

In (1) below, although the speaker commands the addressee to do as he (the addressee) wishes, it could be used to communicate different pragmatic functions. For instance, to a mother who is annoyed by her son's carelessness about his school homework, it is definitely a threat communicating the same intention like 'You will be punished'.

اعمل اللي بدك ايّاه (1)

/>>i^hmal >>illi beddak >>jjaah/

'Do as you wish!'

In this example, the locution is the actual meaning of the words uttered by the speaker; the illocution is the act of command; and the perlocution is the effect of the utterance on the addressee (threatening). This is tantamount to saying that in order to correctly interpret the illocutionary act performed by the speaker, it is necessary to attend to her/his intentions (e.g. questioning, giving commands, requesting, etc.).

2. Methodology

2.1. *Population and Sample of the Study*

The population of this study consisted of all undergraduate as well as graduate students whose native language is Jordanian Arabic as spoken in the province of Irbid, a city in the North of Jordan. The sample consisted of (220) students at Yarmouk University and the Jordan University of Science and Technology, Irbid/Jordan. They were (106) males and (114) females.

2.2. *Data Collection*

As for data collection, two instruments were used in this study:

- (1) *Observation of naturally occurring language*. The researcher trained four data-gatherers on how to collect spontaneous data in real life situations. Their task was mainly to write down the utterance verbatim and to record the gender (and age where it was available in some situations) of the interlocutors. Fifty examples were collected by this research instrument. The data were then documented using a worksheet (See Appendix A for the worksheet).

in Jordanian Arabic. A survey of the existing literature on this issue would immediately show that traditional (as well as modern) Arab linguists have been more concerned with the contextual meanings of the imperative. Little has been done to show how such meanings are pragmatically motivated. As this study aims to fill a research gap, it concerns itself with the illocutionary acts of an utterance (especially those that address the communicative intention of the speaker).

The imperative is a term which is traditionally used in the grammatical classification of sentence types, and is usually seen in contrast with the indicative, interrogative, etc., moods. Grossly speaking, it is used to refer to "verb forms or sentence/clause types typically used in the expression of commands" (Crystal, 2003:227).

However, scholars view the imperative from different perspectives. For some, although the pragmatic meaning of the imperative depends to a large extent on the context in which it is used, it basically expresses an order to be carried out. The addresser-addressee relationship is very much relevant for 'structuring' the imperative. According to Al-alawi (1980: 3/281), the imperative mood is a form that evokes someone to do some action, or it is a saying that implies superiority of the speaker and obligation on the addressee. A number of studies have shown that the speaker could be 1) superior to the addressee, 2) inferior, or 3) equal in status (see Al-dweik, 1997: 245-50).

For most, an imperative is a sentence or a verb form that commands, forbids or requires an action to be carried out (e.g. *Stand up!*). However, the grammatical term 'imperative' must be distinguished from the semantic term 'command' since not all commands are imperatives (For details see Stork and Hartmann, 1973: 108).

Accordingly, the imperative could be defined as a form/utterance to do a certain present or future act where the speaker may exert, in some cases, some degree of authority over the addressee to do that specific act. Further, the imperative mood could express direct commands or requests. It is also used to signal a prohibition, permission or any other kind of exhortation.

A point worth bringing out here is that situational factors such as who speaks, to whom, where, when, etc. all act in tandem with contextual clues to get the intended or implicit meaning of an utterance, a state of affairs which sends us into the territory of the Speech Acts Theory (Austin, 1962; Searle 1969, 1979). Austin (1962:94) draws a fine line of demarcation between three acts:

(1) The locutionary act: the act of saying something,

The Pragmatic Functions of the Imperative in Jordanian Arabic

Rasheed Al-Jarrah and Muhammed Al-Hamdeh*

Abstract

This research paper investigates and analyzes the contextual and pragmatic functions of the imperative in Jordanian Arabic¹. Concisely, it sheds light on the relationship between the addresser and the addressee on the one hand and the context in which the imperative is used on the other. As for data collection, two instruments were used in this study: 1) observation of naturally occurring language, and 2) a Discourse Completion Test (DCT) modified from Beebe and Cummings (1990). Based on the data gathered by the two instruments, it turned out that there are three main semantic formulas through which the imperative is communicated in Jordanian Arabic. These are (1) direct imperative verbs, (2) declaratives, and (3) interrogatives. The choice of the semantic formula is constrained by a whole set of competing forces such as the status of the interlocutors, the setting, etc. Accordingly, the researchers were able to detect twenty pragmatic functions of the imperative in Jordanian Arabic.

Key words: imperative, Jordanian Arabic, pragmatic functions.

1. Introduction

A number of studies (Cf. Matlub, 1980: 87- 91; Na'im, 1981: 33-5; Atiq, 1985: 81-90; Al-akkawi, 1992: 219; Assuyuuti, 1993: 1/441-8; Al-akoub and Al-shteiwi, 1993: 252; Al-dweik, 1997: 245-50; Assubbki, 2001:1/552-8; Al-faqeeh, 2004:13-4; and Abu Al-auduus, 2004: 68-70, inter alia) have investigated the syntactic and rhetorical functions of the imperative in Arabic. However, little has been said about the imperative 'commanding' as a speech act

© Copyright 2013 by The Society of Arab Universities Faculties of Arts, All rights reserved

* Department of English Language and Literature, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

- 1- Jordan has a rich linguistic scene. Dialects of the country can be divided into three main categories based on socio-ethnic variables (each dialect may include sub-dialects): (1) Rural (in the North), (2) Urban (in the capital and city centers), and (3) Bedouins (in the East and in the South) (Al Sughayer 1990). On the other hand, Classical Arabic (CA), the language of the Qur'an is the formal, high variety that is accorded an elevated status in contrast to the various colloquial dialects spoken by people in the Arab countries. Modern Standard Arabic (MSA) is the contemporary language of publications, the media, and academic institutions (For details see Khalil, 1999; Al-Jarrah 2002).

- Spivak, G. (1990). *White Mythologies: Writing History and the West*. London: Routledge.
- United States Department of Defense. (2001). *Dictionary of Military and Associated Terms*, viewed on 11 January 2007, <http://www.dtic.mil/doctrine/jel/new_pubs/jp1_02.pdf>.
- United States Department of State Publication 11038. (2003). 'Patterns of Global Terrorism 2002'. viewed on 10 January 2007, <<http://www.state.gov/documents/organization/20177.pdf>>.
- Watt, I. (2000). *Essays on Conrad*, London: Cambridge U P.
- Whittacker, D. (2003). *The Terrorism Reader*. London: Routledge.
- Wollaeger, M. A. (1990). *Joseph Conrad and the Fictions of Skepticism*. Stanford: Stanford P.

- Daleski, H. M. (1977). *Joseph Conrad: The Way of Dispossession*. London: Faber & Faber.
- Fleishman, A. (1973). 'The Symbolic World of the Secret Agent' in Ian Watt (ed). *The Secret Agent*. London: Macmillan.
- Foucault, M. (2001). "Discipline and Punish", *Literary Theory: An Anthology*. Oxford: Blackwell P.
- Gray, J. (2002). "A Target for Destructive Ferocity: Joseph Conrad's World, Where Terrorists Plotted to Blow Up the Royal Observatory, Speaks to Our Own. Look No Further for a Great Contemporary Novelist". *Questia*, retrieved 16 feb 2007. [http:// www.questia.com/5000752910](http://www.questia.com/5000752910)
- Hawthorne, J. (1979). *Joseph Conrad: Language and Fictional Self-Consciousness*. Nebraska: U of Nebraska P.
- International Terrorism and Security Research. (1996). 'Terrorism Research', viewed on 12 February 2007, <<http://www.terrorism-research.com/>>.
- Kaplan, C. M. (2005). Peter Mallios, and Andrea White, (eds). *Conrad in the Twenty-First Century: Contemporary Approaches and Perspectives*. New York: Routledge.
- Kirkhope. (2006). 'The Basics: Combating Terrorism', *Terrorism Research Center*, viewed on 20 January 2007, <<http://www.terrorism.com/modules>>.
- Lerner, G. (1986). *The Creation of Patriarchy*. Oxford: Oxford U P.
- McLeod, J. (2000). *Beginning Postcolonialism*. Manchester: Manchester U P.
- Mill, J. S. (1909). *The Subjection of Women* in Stanton Coit (ed). London: Longman.
- Mohanty, C. (2006). "Under Western Eyes," *The Post-Colonial Studies Reader*. London: Routledge.
- Montagut, I. B. (2003). *Women Write Back*. Ireland: Irish Academic P.
- O'Neill, B. (2005). 'Creating the Enemy', *Spiked*, viewed on 15 January 2007, <<http://www.spiked-on-line.com/articles/htm>>.
- Orr, L. and Billy, T. (eds). (1999). *A Joseph Conrad Companion*. Westport: Greenwood Press.
- Showalter, E. (1973). *A Literature of Their Own*. London: Macmillan P.

- 25 Gerda Lerner, *The Creation of Patriarchy* (Oxford: Oxford U P, 1986), p. 218.
- 26 Michael Foucault, *Discipline and Punish* (Oxford: Blackwell P, 2001), p 505.
- 27 John Stuart Mill, *The Subjection of Women* in Stanton Coit (ed) (London: Longman, 1909), p. 142.
- 28 Irene Boada Montagut, *Women Write Back* (Ireland: Irish Academic P, 2003) p. 63.
- 29 Ibid, pp. 54-55.
- 30 H. M. Daleski, *Joseph Conrad: The Way of Dispossession* (London: Faber & Faber, 1977), p. 147.
- 31 Joseph Conrad, *The Secret Agent*. 1907(London: Penguin Books, 1994), p. 238.
- 32 Irene Boada Montagut, *Women Write Back* (Ireland: Irish Academic P, 2003), p. 69.
- 33 Joseph Conrad, *The Secret Agent*. 1907(London: Penguin Books, 1994), pp. 189-190.
- 34 Elaine Showalter, *A Literature of Their Own* (London: Macmillan P, 1973), p. 245.
- 35 Joseph Conrad, *The Secret Agent*. 1907(London: Penguin Books, 1994), p. 223.
- 36 John Stuart Mill, *The Subjection of Women* in Stanton Coit (ed) (London: Longman, 1909), p. 125.
- 37 Aurom Fleishman, 'The Symbolic World of the Secret Agent' in Ian Watt (ed), *The Secret Agent* (London: Macmillan, 1973), p.175.
- 38 Joseph Conrad, *The Secret Agent*. 1907(London: Penguin Books, 1994), p. 36.

Bibliography

- Berdersky, Y. and Bordonaro, F. (eds). (2005). 'Understanding the July 7 London Bombings' in Erich Marquardt, *Power and Interest News Report*, viewed on 5 January 2007, <<http://www.pinr.com/report>>.
- Buckley, M. and Fawn, R. (eds). (2003). *Global Responses to Terrorism: 9/11, Afghanistan and beyond*. New York: Routledge.
- Burgess, M. (2003). 'Terrorism: The Problems of Definition', *Center for Defense Information*, viewed on 30 January 2007, <<http://cdi.org/program/issue/document>>.
- Calder, Jonathan. (2005). 'Suicide Bombing at Greenwich' in Jonathan Calder (ed). *Liberal England*, viewed on 7 January 2007, <<http://liberalengland.blogspot.com/2005/07/suicide-bombing-at-greenwich.html>>.
- Conrad, J. (1994). *The Secret Agent*. 1907. London: Penguin Books.

Notes

- 1 'Terrorism Research', *International Terrorism and Security Research*, 1996, viewed on 12 February 2007, <<http://www.terrorism-research.com/>>.
- 2 *Dictionary of Military and Associated Terms*, United States Department of Defense, 2001, viewed on 11 January 2007, <http://www.dtic.mil/doctrine/jel/new_pubs/jp1_02.pdf>.
- 3 'Patterns of Global Terrorism 2002', United States Department of State Publication 11038, 2003, viewed on 10 January 2007, <<http://www.state.gov/documents/organization/20177.pdf>>.
- 4 Kirkhope, 'The Basics: Combating Terrorism', *Terrorism Research_Center*, 2006, viewed on 20 January 2007, <<http://www.terrorism.com/modules>>.
- 5 David Whittaker, *The Terrorism Reader* (London: Routledge, 2003).
- 6 John Gray, 'A target for Destructive Ferocity: Joseph Conrad's World, Where Terrorists Plotted to Blow Up the Royal Observatory, Speaks to Our Own. Look No Further for a Great Contemporary Novelist.' *Questia*, 2002, retrieved 16 feb 2007. <http://www.questia.com/5000752910>
- 7 Ibid.
- 8 Gerda Lerner, *The Creation of Patriarchy* (Oxford: Oxford U P, 1986), pp. 217-218.
- 9 Chandra Mohanty, "Under Western Eyes" *The Post-Colonial Studies Reader* (London: Routledge, 2006), p 242.
- 10 John Mcleod, *Beginning Postcolonialism* (Manchester: Manchester U P, 2000), p 18.
- 11 Joseph Conrad, *The Secret Agent*. 1907(London: Penguin Books, 1994), p 197.
- 12 Ibid, p 16.
- 13 Ibid, p 11.
- 14 Ibid, p 16.
- 15 Irene Boada Montagut, *Women Write Back* (Ireland: Irish Academic P, 2003), p. 48.
- 16 Joseph Conrad, p. 14.
- 17 Chandra Mohanty, "Under Western Eyes" *The Post-Colonial Studies Reader* (London: Routledge, 2006), p 242, 244.
- 18 Irene Boada Montagut, *Women Write Back* (Ireland: Irish Academic P, 2003), p. 75.
- 19 Gerda Lerner, *The Creation of Patriarchy* (Oxford: Oxford U P, 1986), p. 219.
- 20 Gayatri Spivak, *White Mythologies: Writing History and the West* (London: Routledge, 1990), 164.
- 21 Gerda Lerner, *The Creation of Patriarchy* (Oxford: Oxford U P, 1986), p. 219.
- 22 Gerda Lerner, *The Creation of Patriarchy* (Oxford: Oxford U P, 1986), p. 221.
- 23 Gerda Lerner, *The Creation of Patriarchy* (Oxford: Oxford U P, 1986), p. 223.
- 24 Joseph Conrad, *The Secret Agent*. 1907(London: Penguin Books, 1994), p. 16.

situation with the repercussions resulting in anarchy and terrorism, and the creation of evil and the enemy.

To sum up, Conrad's political message in *The Secret Agent* takes on a whole new level of meaning and clarity once the domestic drama becomes a reflection of and an extension of the diseased world of the terrorists. Just like the English government should have taken minorities under its wing, families should be safe-havens where vulnerable members should be protected and made to feel equal to their counterparts. The fact that family relationships can sour and turn into a colonizer-colonized scenario where the woman is dominated and victimized, only to violently retaliate, brings the message close to home. 'Oppression' and 'victimization' can exist at any level and if the political world with its nuances appears distant and far too much complicated for us to understand, then the example of Winnie and Verloc will prove how easy it is to fall into that trap. Conrad's genius culminates in not only having been able to carry his political message into his domestic drama, but also in using his domestic scenario to show how political situations can easily fester and become sour.

العدو في الداخل: ازدواجية الكره والحب في "العميل السري"

مشاعل السديري، قسم اللغة الإنجليزية وآدابها، جامعة الأمير نوره بنت عبدالرحمن، المملكة العربية السعودية.

ملخص

رواية جوزف كونراد "العميل السري" تندرج تحت موضوع الإرهاب والعنف بجميع أشكاله سواء كان الأسري منه أو السياسي. وفي هذه الرواية تتداخل الأحداث السياسية مع الأسرية لتكشف أن التعرض للاضطهاد والإذلال هو الدافع وراء الكثير من الكره والعدوانية في العالم.

وأنت أحداث 11/9 لتضيف المزيد من الأهمية لهذه الرواية من خلال تشابه الأحداث السياسية التي توحى بخلل في توازن السلطات في الكثير من الدول. ونشير هنا إلى أن ظاهرة الكراهية هي نتاج طبيعي للاستبداد والعنف الذي يمارسه الأقوياء على الضعفاء. وتبين هذه الورقة أن قمع فيرلوك لزوجته ويني هو صوره مصغره من ظاهرة الاضطهاد الموجود في هذا العالم والذي يؤدي بضحاياه إلى اللجوء إلى العنف كملجأ أخير للتخلص من حياة الظلم. كما أن هذه الورقة تتعمق في مفاهيم متناقضة كالحب والكره، الصداقة والعداوة بحثاً عن العوامل الأساسية التي يمكن من خلالها تحقيق السلام والحياة الكريمة.

* The paper was received on June 27, 2010 and accepted for publication on March 23, 2011.

The core of the belief in progress is that human values and goals converge in parallel with our increasing knowledge. The twentieth century shows the contrary. Human beings use the power of scientific knowledge to assert and defend the values and goals they already have. New technologies can be used to wage war and strengthen tyranny. Science makes possible technologies that power the industrial revolution. In the twentieth century, these technologies were used to implement state terror and genocide on an unprecedented scale. Ethics and politics do not advance in line with the growth of knowledge – not even in the long run.³⁹

Gray's pessimistic attitude regarding the negative impact that the growth of knowledge can have on humanity is also shared by Conrad. Both the political and domestic dramas reveal that consistent marginalization of minorities in the race for globalization only leads to a hollowing out of people and of society in general. As such, these societies become very vulnerable and susceptible to any negative influence. In Winnie's case, her abuser gets so used to taking advantage of her selfless nature and over confident in his role as a patriarch that he transgresses the simple rules of humanity, to the extent that he ends up getting himself killed instead. Similarly, the political events of the story show the British government having become so familiar with its role as a superpower that it has neglected to re-evaluate its strategies and motivations. The terrorists' plots in the story hint at Britain's inability to truly integrate these minorities within the regiments of its society.

Conrad's assessment has made it clearly perceivable that the same scenario prevails in the dealings of the superpowers today. As these superpowers continue to believe that the globalization of world markets is the most appropriate way to achieve universal civilization, they ignore the price that the weaker countries end up paying so as to achieve this so-called 'world peace.' Believing that they have no other choice but to sacrifice their resources and the dignity of their people in this mad dash for globalization, these debilitated countries set in motion a vicious cycle of dependence and hatred towards the powerful states that manifests itself in sporadic acts of violence that are later endorsed and embraced by clandestine organizations with political agendas of their own. As a result, the crux of the situation arises sooner or later, when a weaker state like Conrad's 'Winnie' resorts to striking a knife at the heart of a 'Verloc' again and again as the only act of desperation it has come to know from repeated abuse and suppression! The message here is becoming an integral part of the ordeal of the modern day society: the woes and persecution of one weak individual may in reality trigger a phase of grotesque suffering of the entire community or a nation, and in rebound their anguish may attain a sordid

they can, by meddling for their own purposes with the affairs of others... Hence... all the evils that flow from it.³⁶

As Winnie was stifled, controlled and denied any sense of identity or dignity, she was forced to become a savage and her husband's become the worst enemy. Aurom Fleishman in *The Secret Agent: A Casebook* states that: "The entire society comes to be seen as a jungle of animal forms obeying the laws of predatory survival. Alien to this world, forced to live in it yet inevitably devoured, men acquire the characters of beasts."³⁷ The resemblance of Winnie's face to her brother as she is about to kill Verloc clearly associates her with these wild animals. The drooping of her lower lip and "slight divergence of the eyes" reveal the extent of Winnie's transformation from docile wife to aggressive adversary. Though Winnie's association with her brother at this critical stage shows Conrad's sympathy for her, in no way does it undermine his message that violence, no matter of what kind or for what purpose, will only lead to tragedy. Winnie's madness at the end of the novel and her subsequent suicide attest to this undeniable truth.

The unfolding of the political plot offers the same message as the domestic drama. As the revolutionaries plot to disrupt the social order for a new way of life, they encroach on people's rights and violate the sanctity of the state that gave them their identity and livelihood. Winnie's act of stabbing Verloc in the 'heart' in retaliation for his recurring abuse becomes symptomatic of the anarchists' act of targeting the 'heart' of English society by bombing the Greenwich Observatory. Though the observatory itself doesn't get damaged, the attempt in itself causes loss of faith in the government and fear of what the future has in hold for them. By targeting science, which is "at the source of their material prosperity," Vladimir and his accomplices succeed in bringing about an atmosphere of "madness" that underscores what they believe to be the "spirit of the age,"³⁸ hence predicting the Conradic equation of future eruptions of terrorism as acts of sheer desperation.

In a similar fashion, the attack of 9/11 on the World Trade Center and the 7/7 bombings in London created an atmosphere of fear and doubt about the development of new technologies and the future, about the progress of humanity in general. It is true that the progress of humanity largely depends on the growth of knowledge; however, since this knowledge is sometimes used to abuse others or to bring human catastrophes, then the question that poses itself is: How good can it be and what can we do to prevent the misfits of the world from abusing it? John Gray in "A Target for Destructive Ferocity" tackles this issue and comes up with an interesting equation. He says:

inconsiderate he is of her feelings.³³ As Winnie wakes up to the cruelty in Verloc's nature, she begins to despise herself because she allowed him to take advantage of her. Elaine Showalter defines this condition as:

Self-sacrifice generates bitterness and makes, as Yeats said, a stone of the heart. But beyond the outspoken contempt for male selfishness in this fiction is a much more intense self-hatred. Women gave in and despised themselves for giving in.³⁴

Winnie experiences an intense wave of self-loathing overtaking her as she remembers the sacrifices she made for Verloc and how little he deserved them. At one point, she tells Ossipon, "Seven years - seven years a good wife to him... And he loved me. Oh, yes. He loved me till I sometimes wished myself..."³⁵ Her unfinished sentence shows the extent of her revulsion. She wasn't attracted to him, yet she had forced herself to accept him because of the protection and security he was supposed to offer her. The fact that he turns out to be totally evil and not worth her devotion makes her sacrifices seem worthless and her life to be meaningless.

All the shame, revulsion and degradation that have been built up inside her come out unexpectedly in a desperate attack to stifle her attacker and perhaps vindicate her pride. As Winnie stabs Verloc in the heart, she puts an end to the undue abuse and oppression she has been subjected to for seven years. The fact that Winnie stabs him with the same knife that he had recently used to cut the meat immediately after Stevie's death, directly links Winnie's crime to Verloc's insensitive murder of Stevie. Verloc had abused his position as husband, protector and provider in order to carry out his acts of terrorism. Verloc's function is to protect her, as she protects Stevie, as the police must protect society, but as the whole chain breaks, all is lost. Desperate and infuriated by his cold manner, Winnie turns into a ferocious being that attacks out of a need to avenge her brother and preserve what little dignity she might have left.

John Stuart Mill explains this phenomenon in *His Subjection of Women*. He says:

An active and energetic mind, if it denied liberty, will seek power; refused the command itself, so it will assert its personality by attempting to control others. To allow to any human beings no existence of their own, but what depends on others, is giving for too high a premium on bending others to their purposes. Where liberty cannot be hoped for, and power can, then the power will become the grand object of human desire; those to whom others will not leave the undisturbed management of their own affairs, will compensate themselves, if

attributed to many different factors in their relationship, it is basically their lack of interest in each other's true selves and in their treatment of each other as a means to an end that keeps them estranged. Winnie is in the dark about Verloc's clandestine life partly, because she is too involved with Stevie and partly because Verloc does not think much of Winnie to confide in her. Similarly, Verloc is in the dark about Winnie's feelings for him, because he simply assumes that she must love him. This state of mutual incomprehension and blindness to other people's motives and feelings extends to many others in the story. Verloc's friends are in the dark about his contacts with the embassy and with the police. Vladimir is in the dark about Verloc's relationship with Chief Inspector Heat who in turn keeps his connection with Verloc a secret. The sum total of the characters' blindness about each other not only keeps them apart, physically and emotionally, but it also creates a feeling of emptiness that pervades their lives and engulfs the city as a whole. At different points in the story, Verloc is described as either feeling "terribly empty" or afraid "of facing the darkness and silence" as it seems to cause him "bodily anguish."²⁹ Verloc's state of emptiness or vacancy is represented quite clearly in the name that is given to him as a secret agent 'A'. He is no more than an empty and meaningless triangle.

The hollowness that Winnie experiences, however, far exceeds that of Verloc in that both internal and external causes are working against her. Daleski describes this internal hollowness as an "obsessive self-sacrifice" that causes a loss of self as the "obsessive self-aggrandizement of a Gould or a Nostromo."³⁰ He says that this "moral nihilism," her concern with the ends and indifference to the means to achieve them, makes her blind to her own inner void and ultimately brings about her own destruction. As her senses are numbed, she becomes an easy prey to Verloc's marginalization and selfish ends. Though Verloc's basic vocation within this patriarchal system should have been to give her protection in exchange for obedience, he helps in further exposing her to the harsh and unfriendly elements of the dirty world of the anarchists. Unaware of her victimization, Winnie accepts her lot until her emptiness devours her whole existence and her disintegrating soul is reflected in the "two black holes" that are her eyes.³¹

Irene Boada-Montagut's prediction is that "the unbalanced emotional relationship between wives and husbands can, tragically, evolve into violence" foreshadows Verloc's and Winnie's tragic end.³² Taking for granted that Winnie will sympathize with him, Verloc makes the grave mistake of confessing to her of her brother's accident. Waking up from her stupor, Winnie realizes how little respect and esteem he has for her. His gesture of consoling her by saying "can't be helped" and "Come! This won't bring him back" and shows how

As Verloc's abuse of Winnie continues to become more overpowering, no one, not even Winnie's mother offers her any help. On the contrary, according to her mother "Mr. Verloc was a very nice gentleman." At one point, she even believes that he approached the "ideal" of "gentlemanliness" or "attained it, in fact."²⁴ Winnie's mother finds that her daughter's sacrifices are normal, only because she herself has made great ones. She seems to think that no sacrifice or renunciation is big enough for Stevie. The mother's blindness to her daughter's victimization is part of yet a wider circle of women in the story who are only valued for the services they are able to provide. Michaelis' lady patroness is a valuable asset to Michael is not only financially but also socially. Her high social status and power enable her to dictate to others, even to the assistant commissioner, who otherwise isn't to be meddled with. Yundt is looked after by a woman who loves him and Ossipon lives on the money of women who are happy to support him just to be associated with a handsome man.

Having been born and raised in a patriarchal society such as this, Winnie has no other alternative, but to believe that this is the norm. Gerda Lerner explains that women participate in their own subordination "because they have been psychologically shaped so as to internalize the idea of their own inferiority."²⁵ Just like the colonized perpetuate the power of the colonizer "by them and through them," Winnie aids in her own subordination, always keeping her needs and feelings secondary to her husband's.²⁶ Mill explains this hold that men have over women as:

Men do not want solely the obedience of women, they want their sentiments. All men, except the most brutish, desire to have, in the woman most nearly connected with them, not a slave but a willing one; not a slave merely, but a favorite. They have therefore put everything in practice to enslave their minds.²⁷

Others, such as Irene Boada-Montagut explain this "hold" as a form of "emotional colonization." She says that the emotional ties between a woman and a man "bind her to her unhappy fate." Montagut continues to explain saying that this colonization is reinforced by "feelings of emptiness, confusion, lack of confidence and solitude" which are the direct result of this unbalanced relationship.²⁸

Though Winnie seems to be a woman in control of herself and her emotions, her attitude that "things do not stand much looking into" blinds her to Verloc's selfish and violent nature. Having decided long ago that her goal in life is to protect Stevie, she is unaware of how alienated she is from Verloc or of her own inner hollowness. Though this alienation between Verloc and Winnie can be

As Winnie makes more concessions in her life with Verloc, he has no inhibitions in making her an active participant in his dirty deeds. He actually takes advantage of her good looks and young demeanor, "full bust in a tight bodice, and with broad hips,"¹⁶ to attract men of all ages to his shop. Though some of these men are at times disconcerted that a woman will sell them these shady wares, she becomes an integral part of this dark world that uses women as objects of pleasure. Using his wife as another play thing in the diseased world of the so-called 'terrorists,' Verloc indirectly prostitutes his wife for his own material gain. Winnie's acceptance of this objectification actually entraps her into believing that her self-worth is directly connected to the offering of the services she has to perform as a seller of shady wares. Oblivious to her value as a human being, she confuses her role as a wife with that of an accomplice in Verloc's illegal activities. As her identity becomes directly connected to her less-than-ideal activities, her self-worth deteriorates considerably and she becomes more dependent on Verloc. As this vicious cycle of dependence and marginalization continues, Winnie's vulnerability entraps her in a loveless marriage over which she has no control. The longer she lives with Verloc, the more blind, "powerless," inactive and immune she becomes to her abuse, and the more domineering and overimposing and careless he becomes of her feelings and needs. As this abuse continues, Verloc's actions breed the grounds for Winnie's "violent" transformation from wife and ally to monster and enemy.¹⁷

Winnie's entrapment is also reinforced by a society which encourages patriarchal values and concepts. It defines "femininity" as passivity or submissiveness "even to the extreme of accepting violence."¹⁸ The problem with this definition and with patriarchy in general is that it is under complete "male monopoly."¹⁹ Man defines it, he reinforces its rules and rewards those who adhere to it. Spivak explains saying that it is "not that the women cannot speak as such" but that "everyone else speaks for her, so that she is rewritten continuously as the object of patriarchy or of imperialism."²⁰ Gerda Lerner in her book *The Creation of Patriarchy* states that it is "men's hegemony over the symbol system which is most decisively disadvantaged women. Male hegemony over the symbol took two forms: educational deprivation of women and male monopoly on definition."²¹ As women bought into the myth that they "are marginal to the creation of history and civilization,"²² they participated in the process of their own subordination. Lerner says that "the denial to women of their history has reinforced their acceptance of the ideology of patriarchy and has undermined the individual woman's sense of self-worth."²³

rational thinking and not on impulsive thought or emotion, Winnie expected her life to be one of balance and harmony. However, Verloc turned out to be more than she bargained for; he not only turned out to be a patriarchal tyrant, but he also added fuel to fire by proving to be the additional practitioner of an ardent style of 'terrorism.'

However, as Winnie's marriage to Verloc unfolds, it becomes quite clear that if Winnie has a motive of marrying to improve her economic and social status in life, Verloc has an even bigger motive in marrying Winnie and accepting her family in his house. He expected great concessions and great concessions she did make. She not only gives up her youth and vitality to live with an indolent man in a crummy house, but she also caters to his every wish and demand without any complaints or reservations. On his infrequent journeys out of the Belgravian square, he seems to make a habit of coming back very late at night and sleeping until noon the next day. Despite Verloc's lack of consideration for his wife's feelings, she shows no disapproval of his actions, and even brings him breakfast in bed the following morning. Having had her mind colonized by Verloc, Winnie has internalized her subordinate status and come to believe that it is her natural place in the order of the universe.

Though Winnie realizes from the beginning of their relationship that there was "no sparkle of any kind on the lazy stream of his life," she did not expect him to be completely inconsiderate and self-engrossed.¹¹ The narrator mentions that "He never offered to take Winnie to theatres as such a nice gentleman ought to have done. His evenings were occupied."¹² As Verloc finds acceptance from Winnie of his selfish nature, he imposes his threatening attitude even more, warning her that she should be "very nice to his political friends,"¹³ Though this ought to have raised some sort of alarm in Winnie, she consents with an "of course."¹⁴

As a selfish driving and inconsiderate man, Verloc finds it very easy to exploit Winnie. Her acceptance of his idiosyncrasies and dominating nature makes her an ideal victim to his evil exploitations. As a weak and submissive woman, Winnie allows Verloc to colonize her, to make use of her for his selfish ends. Irene Boada-Montagut mentions that part of women's exploitation involves the "use value" she has for a man.¹⁵ As such, Winnie's "value" consists of her silent acceptance of his secret life. She not only allows him to enter and exit at all hours, but she also passively participates in not questioning him about his activities. Finding no other way of maintaining her mother and brother, Winnie allows Verloc to take over her life, even her vital sense of self worth in exchange for a paltry sustenance.

become a woman demonstrating an alarming capacity for committing crime and injury. The secrecy, madness and criminality of the so-called 'terrorists' in the political plot add an extra layer of monstrosity to the abuse that Winnie is exposed to. Winnie's act of violence against Verloc in addition to the failed attempt by the terrorists to blow up the Greenwich Observatory are revealed as desperate attempts by individuals whose misguided judgment and actions have been distorted by their persistent marginalization and oppression.

Winnie's story of entrapment in an asymmetric marriage to Verloc has no surprising elements either! It is the all-familiar story of a woman who allows herself to be psychologically colonized, manipulated and taken advantage of under the mistaken belief that she will eventually be protected and appreciated. Her situation becomes worse as the existing patriarchal society reinforces the myth that the "natural" order of things requires women's passive acceptance of her lot in life. Gerda Lerner in *The Creation of Patriarchy* states that:

For nearly four thousand years women have shaped their lives and acted under the umbrella of patriarchy, specifically a form of patriarchy is described as paternalistic dominance. The term describes the relationship between dominant group, considered superior, and subordinate group, considered inferior, in which the dominance is mitigated by mutual obligations and reciprocal rights. The dominated exchange submission for protection, unpaid labor for maintenance.... The basis for paternalism is an unwritten contract for exchange: economic support and protection are given by the male for subordination in all matters, sexual service, and unpaid domestic service are given by the female. Yet the relationship frequently continues in fact and in law, even when the male partner has defaulted on his obligation.⁸

Winnie's passive subordination to her husband's will is in many ways similar to the diseased relationship that can occur between colonizer and colonized. Chandra Mohanty in "Under Wester Eyes" explains that "colonization almost invariably implies a relation of structural domination, and a suppression –often violent" that is most often the result of "patriarchy."⁹ Once the colonized object starts to accept his "lower ranking in the order of things" he will gradually learn to perpetuate the values and assumptions which are held by the colonizer through a process that is often called "colonizing the mind" where colonized internalizes its logic and speaks its language.¹⁰

When Winnie decided to marry Verloc, her decision was to live according to the concept of paternalistic dominance. She would offer domestic service in exchange for protection and the provision of comfort and security. Though her heart was attached to the butcher boy, she chose Verloc because his "boat" was spacious enough to take her and her family. Having made a decision based on

civilians, clouds their ability to identify the conditions which made it possible for these terrorists' feelings to fester and sore, until they resorted to kill innocent people. This is to be expected as not much time has elapsed since these atrocious acts have been committed. However, as time is of the essence in preventing further crimes on humanity, it becomes necessary to talk about it with an open mind and to learn from our predecessors who underwent similar experiences as ours.

Joseph Conrad is one such individual who has a lot to say about how terror can reemerge in its new shape in the modern world. His novel *The Secret Agent* written in 1907 reveals many truths about terror and terrorism that are applicable to our present society. John Gray in "A Target for Destructive Ferocity" explains that:

Conrad is our contemporary, because almost alone among nineteenth and twentieth century novelists, he writes of the realities in which we live... Conrad's greatness is that, by an art of enchantment, he brings us back to our actual life. The callow, rationalistic philosophies of the twentieth century, promising world peace and a universal civilization, are poor guides to a time in which war, terror and empire have returned. It falls to a novelist... to enlighten us how to live reasonably in these circumstances.⁶

Gray is but one of many critics who see in Conrad's *The Secret Agent* an opportunity to learn some universal truths about terrorism. Conrad's novel speaks to us today on a convincing basis because its incidents revolve around very similar social and political circumstances as those we have been experiencing since 9/11. Conrad's concerns with the ambiguities of progress and civilization and with the effects of imperial projects on escalating terrorist activities make him "the first great political novelist of the twenty-first century."⁷ As history has proven to be rather cyclical than progressive, he anticipated the return of the age of empire, where the world's great powers revive the imperial projects of the nineteenth century, partly for self-defense and partly for control of natural resources. As in the past, these imperial projects create an atmosphere of prejudice and injustice as a result of which terror starts to seep into people's lives.

Though the political events in *The Secret Agent* seem to take up most of the action of the story, this paper will examine and reveal how it is actually in the unfolding and resolution of the domestic drama that Conrad's message becomes unavoidably clear: secrecy, oppression and abuse are behind all the ills of society. Denude people of their self-respect and self-worthiness and they will become your worst enemies. Winnie, the heroine of the domestic drama, was abused by her husband Verloc, both physically and psychologically, only to

within the various agencies in one country. The United States Department of Defense's *Dictionary of Military and Associated Terms* defined it on April 12, 2001 as: "The calculated use of unlawful violence to inculcate fear, intended to coerce or to intimidate governments or societies in the pursuit of goals that are generally political, religious or ideological."² On the other hand, the United States Department of State on April of 2003 defined it in its publication #11038 as the "premeditated, politically motivated violence perpetrated against noncombatant targets by subnational groups or clandestine agents, usually intended to influence an audience."³

The fact that the definition of terrorism varies from one agency to the next within one country points to the endless variety of definitions that exist amongst different cultures and nations. Having said that, however, there are some common points which seem to differentiate terrorism from other acts of violence. First, terrorist acts are usually performed by the weaker party in a conflict who mistakenly believes that it is the most effective way to achieve his goals. Second, it is a tactic used in both peace and war. Third, it is unmistakably calculated with a specific target and effect in mind. Its intended purpose is to generate fear; to create an atmosphere of public anxiety that will pressure a government into changing its policies. The United States Terrorism Research Center describes it as "a psychological act conducted for its impact on an audience," that audience who are beyond those victims that are directly involved in it.⁴ Last, but not least, terrorist acts are usually motivated by political, religious or ideological agendas, as it is clear from the above stated definitions.

What needs to be emphasized here is that terrorism in the modern era recognizes no rules, no person, place or object of value is immune. In the period preceding the nineteenth century, terrorists tried to exclude women, the elderly and children from their activities, targeting only those individuals whom they believed. They were either guilty or those who symbolized the force they were fighting against. However, after the nineteenth century, terrorists changed their tactics, deeming it acceptable to kill innocent people; in order to generate great political pressure and thus they will achieve the changes they sought. The direct result is the state of wide spread panic and anxiety that we find in our modern day society.⁵

Since the 9/11 bombings in New York and the 7/7 bombings in London, political pressure has been mounting to a crescendo in order to find a solution to this psychological warfare. Though these attempts are consistent and of a serious nature, they have only been partially successful because the targeted nations, the superpowers, are too involved in the mishap to be able to attempt an objective analysis of it. Their anger at the violence, disaster and deaths inflicted on

The Enemy Within: The Dichotomy of Hate and Love in *the Secret Agent*

Mashael Al-Sudeary*

Abstract

The novelist Joseph Conrad, though from nearly a century ago, has been proclaimed to be one of the greatest writers of the twenty-first century because he gives some very powerful and objective insight as to what might be at the root of terror in the world. In *The Secret Agent*, though Conrad allows the political drama to take up most of the action of the story, it is in the resolution of the domestic front wherein his most valuable lesson lies: that secrecy, oppression and abuse are behind all the ills in society. Winnie, the heroine, is exploited both on physical and emotional levels by her husband, Verloc; she is marginalized and is made to feel worthless, only to retaliate with violence. Just as the anarchists in the story target the "heart" of English society by bombing the Greenwich observatory, Winnie stabs Verloc in the "heart" in retaliation for his abuse. As we comprehend the political events of this story, we cannot help, but associate them with those that have been happening since 9/11 and that is where Conrad's novel becomes useful. Its objectivity and universality teach us a lesson that can be valuable to us today; it teaches us that secrecy, marginalization and injury can only end in tragedy. Those who feel themselves slighted or exploited resort to evil acts out of desperation. This paper will take a descriptive approach rather than a prescriptive approach, including dichotomies that confront people: friend and foe, neighbor and stranger, as well as dichotomies that divide minds: love and hate, empathy and disdain, trust and fear.

Though violence and terror have been present since the beginning of civilization, only recently have they become the focus of attention. Terrorist acts have brought so much tragedy and created such an ambiance of fear all over the world, that it has become essential to try and comprehend the meaning of the word. Politicians, theorists, and writers have been trying to come up with a satisfactory definition of the term, only to realize that it is an elusive and subjective endeavor. Terrorism has been described by an independent source called the International Terrorism and Security Research Center "as both a tactic and a strategy; a crime and a holy duty, a justified reaction to oppression and an inexcusable abomination. "It claims that it all depends "on whose point of view is being represented."¹ The definition of terrorism will also sometimes differ

Table of Contents

Abstracts in English of Arabic Articles

*	Proverbs in Maqamat Badee' Al- Zaman Al- Hamadani Hashem Al-Azam	18
*	The Omani Coffee Fleet and its Trade 1744-1832 Nahed Abdelkareem and Yousef Al-Gelany	53
*	Movement of Translation in the Arab World: History and Contributions Richhan A. Al-Tamimi	85
*	The Turkish-Syrian Relations (2002-2010) Saddah El-Habashneh	116
*	Embedding Grammar in Interpretation "Liberation and Enlightenment" to Ben Achour Ma'moon Mobarakh	139
*	The Receptivity of the Advertising on the Jordanian Internet Ibrahim Khasawneh	179
*	Evolution of the Chinese "Weapon's Diplomacy," in the Middle East 1950-2009: A comparative study of China's military sales for each of the Arab countries, Iran and Israel Khier S. Diabat	222
*	Al-Quds al-Sharif in the University's Theses in the Departments of History in the Jordanian Governmental Universities Tayser zawahreh	253
*	The Impact of Economic and Social Characteristics on the Patterns of Crimes among the Inmates at the Women Repair and Rehabilitation Center in Juwaida - Hashemite Kingdom of Jordan Nazek Al-Shannaq	298
*	Narrative Style in Mahmoud Darwish's Poetry Collection (The Butterfly Effect) Nizar Qpilat	320

Articles in English

*	The Enemy Within: The Dichotomy of Hate and Love in <i>the Secret Agent</i> Mashael Al-Sudeary	1
*	The Pragmatic Functions of the Imperative in Jordanian Arabic Rasheed Al-Jarrah and Muhammed Al-Hamdeh	17

- Manuscripts should be addressed to:

Secretary General
The Scientific Society of Arab Universities Faculties of Arts
Editor – in –Chief
Association of Arab Universities Journal for Arts
Dean of the Faculty of Arts
Yarmouk University , Irbid , Jordan.
Tel . 00962 2 7211111 Ext: 3555 or 2900
Fax. 00962 2 7211137
E-mail: saufa@yu.edu.jo
E-mail: artsarabuni@gmail.com
Website :http://saufa.yu.edu.jo

Documentation

References in the text are serially numbered between brackets ⁽¹⁾ .

References at the end of the article shall be as follows in case the source or reference work is a book:

The author's full name: source or reference work , part, number, publisher, place of publication , year, page(s).

e.g. Dayf, Shawqi : *The First Abbasid Period* ,Dar al- Maarif , Egypt,1966, p.24.

In case where a periodical or a journal is consulted , referral thereto shall be as follows :

The author's full name, source or reference work, *name of periodical or journal*, volume number, year, page.

e.g. Sa'aydan , Ahmad Saleem : " On Arabicization of Sciences". *Jordanian Arabic Language Academy Journal*, Volume I .No 2 July 1978,p.101.

References should be listed in the bibliography at the end of the manuscript in alphabetical order of authors' surname, beginning with Arabic references, then foreign ones.

Subscription Information

Annual subscription rates in Jordan: individuals (JD 3.00), institutions (JD 5.00); outside Jordan: individuals (US \$ 7.00), institutions (US \$ 10.00) or equivalent.

Association of Arab Universities Journal for Arts

A Biannual Refereed Academic Journal

Association of Arab Universities Journal for Arts (AARUJA) is a biannual refereed academic journal published by the Scientific Society of Arab Universities Faculties of Arts at Universities members of the Association of Arab Universities.

Notes to Contributors

Language

AARUJA's articles are published in Arabic together with their abstracts in English. Manuscripts, however, may be published in any other printable language.

Rules Regulating the Journal

- Manuscripts should be submitted in Arabic together with an English abstract. However, submission in either English, French, or any other printable foreign language, with an Arabic abstract, is subject to approval by the Editorial Board.
- *AARUJA* publishes genuinely original articles characterized by clear academic methodology, comprehensiveness, and thorough investigation; where exact referencing is made to sources and reference works, and the article has not been previously published anywhere else. A specialized criticism or review of an academic work published in the Arab world or abroad as well as reports on specialized Arab or inter-national symposiums and conferences may be published. Manuscripts accepted for publication in *AARUJA* are approved for academic promotion.
- *AARUJA* publishes academic articles in the fields of arts, languages, social and human sciences, social service, journalism and mass communication.
- Manuscripts should be computer-typed and double spaced. Four copies are to be submitted together with a floppy disk congruent with IBM (Ms Word).
- Manuscripts including figures, drawings, tables and appendixes shall not exceed thirty pages.
- Manuscripts submitted for publication in *AARUJA* shall be sent, if initially accepted, to at least two specialist referees, who are chosen with absolute confidentiality by the Editor –in –Chief.
- *AARUJA* reserves its right to ask the author to omit, reformulate, or reword his/her manuscript or any part thereof in a manner that conforms to the publication policy.
- Copyright pertinent to the manuscript accepted for publication shall be transferred to *AARUJA*.
- *AARUJA* does not pay remuneration for the articles published therein.
- One copy of the issue in which the manuscript is published will be sent free of charge to the sole or principal author of the published manuscript.

Editorial Board

Editor-in-Chief

Mahmud Wardat, *Secretary General of The Scientific Society of Arab Universities Faculties of Arts, Dean of the Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Members

Abatah Daher, *Dean of the Faculty of Arts, the University of Jordan, Amman, Jordan.*

Mohammad Rabie, *Dean of the Faculty of Arts, Jerash Private University, Jerash, Jordan.*

Mohammad Al Anani, *Dean of the Faculty of Arts, Petra Private University, Amman, Jordan.*

Abdelbaset Al-Zyoud, *Dean of the Faculty of Arts, the Hashemite University, Zarqa, Jordan.*

Abdul-Hamid Ghuneim, *Dean of the Faculty of Arts, Zarqa Private University, Zarqa, Jordan.*

Ghassan Abdel Khaliq, *Dean of the Faculty of Arts, Philadelphia University, Amman, Jordan.*

Muhammad Addurobi, *Dean of the Faculty of Arts, Al Al-bayt University, Mafraq, Jordan.*

Ghaleb Al-Shaweesh, *Dean of the Faculty of Arts, Al - Hussein Bin Talal University, Ma'an, Jordan.*

Advisory Committee

Mimounah Khalifa Al-Sabah, *Kuwait University, Kuwait.*

Rami Al-MohammadAllah, *An-Najah National University , Palestine.*

Abdullah Al-Nabhan, *Albaath University, Syria.*

Yusuf M. Abdullah, *San'a University, Yemen.*

Ali Fahmi, *President of the Arabic Language Academy, Libya.*

Khaleel Jahjah, *Lebanese University, Lebanon.*

Fuad Shehab, *Bahrain.*

Mohammad Al-Hudlouq, *KSA.*

Adel Al-Toueasy, *Jordan.*

Hasaneen Rabe'a, *Qatar.*

Ez AlDean AlAmeen Abdulrahman, *Sudan.*

Abeddelhameed Jakon, *Algeria.*

Sami Abeddelhameed Mahmoud, *Al- Sharjah.*

Mousa Jawad Al-Mousoui, *Baghdad University, Iraq.*

© Copyright 2013 by The Scientific Society of Arab Universities Faculties of Arts
All rights reserved.

No part of this publication may be reproduced without the prior written
permission of the Editor-in-Chief.

Opinions expressed in this journal are solely those of their authors and do not
necessarily reflect the opinions of the Editorial Board or the policy of The Scientific
Society of Arab Universities Faculties of Arts

Typesetting and Layout
Majdi Al-Shannaq



Association of Arab Universities



*The Scientific Society of Arab
Universities Faculties of Arts*

Association of Arab Universities
Journal for Arts
A Biannual Refereed Academic Journal

**Published by The Scientific Society of Arab Universities Faculties
of Arts at Universities Members of AARU**